الأخوات المسلمات

وبناء الأسرة القرآنية

محمد عبد الحكيم خيال
محمود محمد الجوهري

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

مركز المراة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

الأخوات المسلمات

وبناء الأسرة القرآنية

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
شعبان ١٤١٣ هـ - يناير ١٩٩٣ م

رقم الإيداع القانونى
١٩٧٩ / ٤٧٦٥

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية - ت : ٤٩٠١٩١٤

الأخوات المسلمات

وبناء الأسرة القرآنية

محمد عبد الحكيم خيال   محمود محمد الجوهري

الطبعة الثانية الشرعية
معدلة ومنقحة

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

بســم الله الرحمن الرحيــم

﴿ أَفَمَنْ أَسّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ ، أم
مّنْ أَسّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ، فَانْهَارَ بِهِ فى نَارِ
جَهَنّم ، واللهُ لا يَهْدِى القَوْم الظالمين ﴾

صدق الله العظيـم

(سورة التوبة : آية ١٠٩)

الإهـــداء

- إلى الرعيل الأول من « الأخـوات المسلمات » ... أول من حملن عبء التحول الاجتماعى الإسلامى ووقفن فى وجه الطواغيت والجاهلية مع الرجال فى كتائب الإمام البنا ...
- إلى الطلائع الجديـدة من « الأخوات المسلمات المتقدمـات على نفس الطريق ... ذلك الواقع الحى العامل فى إيمان وعزم وثبـات و إصرار على بعث المجتمع المسلم من جديد و إزاحة ركام الهزيمة والدمار ...
- إلى الأخت المسلمة : المرحومة أمينة على ... واحدة من الرعيل الأول دفعتنا بقوة إيمانها وعزمها على إخراج هذا الكتاب ، نسأل الله لها الفردوس الأعلى من الجنة ...
- إلى الأخت الصـــابـرة المحتسبـة : الحاجـــة زينب الغـزالى ... رائدة العمـل النسـائى الإسلامى المعاصر وحاملة لوائه .
- إلى الطامحين إلى بناء الأسرة المسلمة ... قاعدة المجتمع المسلم المرتقب .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ...

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الخاتم ... جاهد فى الله حق الجهاد ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة ، وتركنا على المحجة البيضاء التى لا يزيغ عنها إلا ضال هالك .

وبعد :

- إن مؤازرة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها للنبى ﷺ منذ اليوم الأول للتكليف بالرسالة .
- وموقف عائشة وأسماء رضى الله عنهما أثناء هجرة الرسول ﷺ ...
- ومواقف جيل الصحابيات السابقات إلى الإسلام رضى الله عنهن جميعا ، هؤلاء اللائى أدركن أن الدعوة إلى الإسلام تبليغ وعمل وجهاد وبذل وتضحية ...

... هذه المواقف جميعاً تؤكد حاجة الدعوات الإصلاحية إلى جهاد المرأة المسلمة ، فالمرأة إذا آمنت بشيء لم تبال فى نشره والدعوة إليه ، وعملت على إقناع من حولها مهما كلفها هذا من جهود ، فهى أقوى عاطفة وأكثر اندفاعاً وأصفى قلباً .

إن جهاد المرأة المسلمة فى سبيل الله فى عهد الرسالة بصفحاته المشرقة ، يؤكد لنا اليوم أن حركة الإصلاح الإسلامى الحديث ستظل وئيدة الخطى قليلة التأثير الاجتماعى حتى تشترك فيها المرأة ...

من هنا أدرك الإمام البنا رضى الله عنه ، أهمية دور الأخت المسلمة ، فأنشأ منذ الأيام الأولى لدعوته فى الإسماعيلية « فرقة الأخوات المسلمات » ...

ولعل فى إطلاق كلمة « فرقة » على هذا التشكيل النسائى الوليد مايشى بعظم التبعة الملقاة على عاتقه ... فى نشر الدعوة ... وتغيير العرف العام وتبديل الميول والنزعات والعادات الجاهلية إلى الإسلام ... وتربية جيل مسلم يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويجاهد فى سبيل استئناف الأمة المسلمة لدورها الحضارى ودورها القيادى للنظام العالمى الذى ليس لأمة الحق فيه إلا للأمة المسلمة والخليفة المسلم .

والجيل المسلم لا يخرج إلا من بيت مسلم !

والبيت المسلم أساسه المرأة المسلمة !

لذلك كان تكوين البيت المسلم من أوائل مراتب العمل فى دعوة الإخوان المسلمين .

انطلاقا من هذه المعانى ، وتجاوباً مع شدة حاجة الدعوة الإسلامية إلى دور الأخت المسلمة ... داعية ... وزوجاً ... وأماً ... وربة بيت مسلم ، يجيء كتاب « الأخوات المسلمات » الذى صدرت طبعته الأولى فى (ربيع ثان سنة ١٤٠٠هـ = مارس سنة ١٩٨٠م) ، ومنذ هذا التاريخ وحتى الآن أعيد نشر هذه الطبعة مرات ومرات ، وهذا يعنى أنه ـ بفضل الله ـ لقى قبولاً ووجد مكاناً فى المكتبة الإسلامية المعاصرة .

واليوم تصدر ـ بحمد الله ـ الطبعة الثانية ، بعد إعادة النظر فى المنهج السابق للكتاب ... الأمر الذى أدى إلى حذف بعض الموضوعات و إضافة بعض الفصول وتنقيح ما رأينا تنقيحه ، حتى يصدر الكتاب من جديد بمنهج يزيده فائدة على فائدة ونفعاً على نفع .

- فحذف الفصل التمهيدى ...
- وأضيف فصل عن قوانين الأسرة القرآنية ...
- ودعم فصل نصائح الأخوات ...
- وأضيف فصل عن « حسن البنا فى بيته » ...
- وأعيد تحرير المنهج الثقافى والتكوينى للأخوات ...

ـ وأعيد تحرير الفصل الخاص « بالمواقف المضيئة للأخوات » ...

ـ ودعم الكتاب بنصوص كثيرة للإمام البنا رحمه الله ، يعاد نشرها من مصادرها الأصلية لأول مرة ، تفيد فى تحديد موقف الإمام البنا من قضايا المرأة ...

ولعلنا بهذا نكون قد جعلنا من الكتاب وما ورد به من خبرات دليلاً للأخوات يستهدين به فى طريقهن المتشعب الملىء بالعقبات والتحديات والانحرافات ، ومشعلاً يستضئن به فى ليل الفتنة بحضارة الغرب الكافر وأجواء الغواية بمدنية الأرجاس والشهوات وانتهاك الحرمات ، حتى يمضين بخطى واثقة فى إقامة مجتمع الإسلام . مجتمع الطهر والعزة والشرف والكرامة الذى ترفرف عليه أعلام الحب والعدالة والأمان .

نسأل الله تعالى لنا ولهن التوفيق والهداية إلى سواء السبيل ،

... والله أكبر ولله الحمد

القاهرة : المحرم سنة ١٤١٢ هـ

أغسطس سنة ١٩٩١ م

مـاذا نريـد ؟ ؟

نريد أول ما نريد يقظة الـروح وحياة القلوب وصحوة حقيقية فى الوجدان والمشاعر ... نحن نريـد نفوساً قويـة فتيه ، وقلوبا جـديدة خفاقة ، ومشـاعر غيورة ملتهبة ، طمـوحة متطلعة متوثبة تحدد مثلاً عليا ، وأهدافا سامية لتسمو نحوها وتتطلع إليها ثم تصل إليها ، ولابد مـن أن تحدد هذه الأهداف والمثـل ، ولابد من أن تحصر هـذه العواطف والمشـاعر ، ولابـد من أن تركـز حتى تصبح عقيـدة لا تقبل جـدلاً ولاتحتمل شكـا ولا ريبا وبغير هـذا التحديـد والتركيز سيكون مثل هـذه الصحوة مثل الشعـاع التائه فى البيداء لا ضـوء له ولا حرارة فيه ...

ستعمل هذه اليقظة عملها فى الفرد ، فإذا هو نموذج قائم لما يريده الإسلام فى الأفراد ، يريـد فى الفرد وجـدانا شـاعراً يتـذوق الجمال والقبح ، وادراكـا صحيحاً يتصـور الصواب والخطأ ، وإرادة حازمة لاتضعف ولا تلين أمام الحق ...

وسيكون لهذا الاصـلاح الفردى أثـره فى الأسرة ، فإنما الأسرة مجموعـة أفراد ، فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة وهما عماد الأسرة ، استطاعا أن يكونـا بيتا نموذجياً على القواعد التى وضعها الاسلام . وقد وضع الإسلام قواعد البيت فأحكم وضعها فأرشد إلى حسن الاختيار وبين أفضل الطرائق لـلارتباط ، وحدد الحقوق والـواجبات ، وأوجب على الطرفين رعـاية ثمرات هذا الزواج حتى تينع وتنضج فى غير عبث ولا إهمال ، وعالج ما يعترض هذه الحياة الـزوجية من مشكـلات أدق علاج واختط فى كل نظـراته طـريقا وسطـا لا تفريط فيـه ولا إسراف ...

وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة ، وإنما الأمـة مجموعة هذه الأسر ، وإنما الأسرة أمة مصغرة ، والأمة أسرة مكبرة ...

نحن نريد الفرد المسلم ... والبيت المسلم ... والشعب المسلم ،

ولكنـا نريـد قبل ذلك أن تسود الفكـرة الإسلاميـة ، حتى تؤثـر فى كل هذه الأوضـاع

وتصبغها صبغة إسلامية وبدون ذلك لن نصل إلى شيء ...

نـريد أن نفكـر تفكيرا استقلاليـا يعتمد على أسـاس الإسلام الحنيف ، لا على أسـاس الفكرة التقليدية التى جعلتنا نتقيد بنظريات الغرب واتجاهاته فى كل شىء ...

ونـريد أن نتميـز بمقومـات ومشخصات حيـاتنا كأمـة عظيمة مجيـدة تجر وراءها أقـوم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد .

حسـن البنـا

القســم الأول

الأســرة المســلمة
بين البنـاء والهـدم

- الفصـــل الأول : الأسرة فى القرآن الكريم
- الفصل الثانى : مخططات الهدم اليهودى الصليبى للأسرة المسلمة
- الفصل الثالث : الأسرة المسلمة على مفترق طريقين

الفصـل الأول

الأسـرة فـى القـرآن الكريـم

أصـل الأسرة ومكانتها فـى الإسـلام

من المسلم به أن الأسرة هى الخلية الحيوية الأساسية التى يتكون منها جسم المجتمع البشرى ، إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا فسـدت فسد المجتمع كله ... بل هى الأمـة الصغيرة ، منها تعلم النـوع الإنسانى أفضل أخـلاقه الاجتماعية ، فـلا أمة حيث لا أسرة ؛ بل لا آدميـة حيث لا أسرة .

وتستمد الأسرة أهميتها وعلو شأنها من أنها هى البيئـة الاجتماعية الأولى والوحيدة التى تستقبل الإنسان منذ ولادته وتستمر معه مدى حياته ، تعـاصر انتقاله من مرحلة إلى مرحلة ، بل لا يوجد نظام اجتماعى آخر يحدد مصير النوع الانسانى كله كما تحدده الأسرة .

ولا يوجد نظـام أولى الأسرة بالعناية والرعايـة مثل نظام الإسلام ، فشملها بتوجيهاتـه التربوية وحدد لها من قـواعده التشريعية ، ما يكفل قيامهـا على أسس سليمة ، ويرفع مستواهـا ، ويوثق أواصر العـلاقـات بين أفـرادهـا ، ويـدعـم كيـانها ، ويـؤمن حيـاتها . ذلك أن الأسرة فى المنهج الإسـلامى هى القاعــدة الركينـــة التى تقـوم عليهـا الجماعـة المسلمـة ، ويقـوم عليهـا المجتمع الإسلامى ، فاستحقت أن يحيطها القـرآن برعاية ملحوظة ، واستغـرق تنظيمها وحمايتها وتطهيرها من فـوضى الجاهلية جهـدا كبيرا ، نـراه ماثـلا بإحاطـة وتفصيل فى صـور شتى من صحائفـه ، يربطها بـالله وتقواه فى كل آية ، ويمـدها بالإشـعاعـات الروحية والتنظيمات القانـونية والضمانات التشريعية ، فى كل حالة من حالاتها .

إن النظـام الاجتماعى الإسلامى نظـام أسرة ، بما أنه نظـام ربـانى للإنسـان ملحوظ فيـه كل خصائص الفطرة الإنسانية وحاجاتها ومقوماتها ...

ينبثق نظام الأسرة فى الإسلام من معين الفطرة وأصل الخلقة ، وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعا وللمخلوقات كافة ، تبدو هذه النظرة فى قوله تعالى : ﴿ **من كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾ [1] ومن قولـه سبحانه : ﴿ **سبحـان الذى خلق الأزواج كلهـا ممـا تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون** ﴾ [2] .

---

(١) سورة الذاريات : ٤٩ .

(٢) سورة يس : ٣٦ .

ثم تتدرج النظرة الإسلامية للإنسان ، فتذكر النفس الأولى التى كان منها الزوجان (آدم وحواء) ، ثم الذرية ، ثم البشرية جميعا ، كما تبينه الآية الأولى من سورة النساء : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ وآية سورة الحجرات . ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾[1] . وكان الله قادرا على أن يخلق الملايين من الأفراد الإنسانيين دفعة واحدة . ولكن قدره جرى بهذا الحكمة كامنة فى وظيفة الأسرة الضخمة فى حياة هذا المخلوق .

ثم تكشف عن جاذبية الفطرة بين الجنسين ، لا لتجمع بين مطلق الذكران . ومطلق الإناث فى شيوعية حيوانية ، ولكن لتتجه إلى إقامة الأسر والبيوت ، إذ يقول تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾[2] ، ويقول : ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾[3]، ويقول : ﴿ **نساؤكم حرث لكم ، فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم ، واتقوا الله ، واعلموا أنكم ملاقوه ، وبشر المؤمنين** ﴾[4] ويقول سبحانه : ﴿ **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا** ﴾[5] .

فهى الفطرة تعمل ، وهى الأسرة تلبى هذه الفطرة العميقة فى أصل الكون وفى بنية الإنسان . ومن ثم كان نظام الأسرة فى الإسلام هو النظام الطبيعى الفطرى المنبثق عن أصل التكوين الإنسانى . بل من أصل تكوين الأشياء كلها فى الكون ، على طريقة الإسلام فى ربط النظام الذى يقيمه للانسان بالنظام الذى أقامه الله للكون كله ، ومن بينه هذا الإنسان .

وهى الفطرة التى تسكت الأصوات المنكرة لدارسى علم الاجتماع المادى ونظرياته اليهودية ، التى تشيع أن الأسرة نظام من وضع المجتمع وليست شيئا من طبائع البشر ولا أصلا من أصول الإنسانية ، وأنها ككل نظام اجتماعى تخضع للمؤثرات الاجتماعية ، فتنمو أو تضعف مادام هذا النظام من صنع ما يسمونه « العقل الجمعى » فهو رهن بمشيئته ، فيبقيه أو يزيله إن أراد . وما ذلك إلا تبرير يلبس ثوب العلم لمسالك الخطيئة والانتكاس بالإنسانية إلى الفوضى الجنسية ، التى تعيشها حضارة الغرب المادى المنحل التى جنت على الأسرة جناية كبرى .

إن الأسرة هى المحضن الطبيعى الذى يتولى حماية الطفولة الناشئة ورعايتها ، وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها ، وفى ظلها تتلاقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل ، وتنطبع بالطابع الذى يلازمها مدى الحياة ، وعلى هديه وتوجيهه تتفتح للحياة ، وتفسر معنى الحياة الإنسانية

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .
(٢) سورة الروم : ٢١ .
(٣) سورة البقرة : ١٨٧ .
(٤) سورة البقرة : ٢٢٣ .
(٥) سورة النحل : ٨٠ .

وأهدافها ، وتعرف كيف تتعامل مع الأحياء . ذلك أن طفل النوع الإنسانى هو أطول الأحياء طفولة ، تمتد طفولته أكثر من أى طفل آخر للأحياء الأخرى ، فمرحلة الطفولة هى فترة إعداد وتدريب للدور المطلوب من كل حى فى مستقبل حياته ، ولما كانت وظيفة الإنسان هى أكبر وظيفة ، ودوره هو أضخم دور « ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، وحملها الإنسان ...** ﴾ [1] » فهى أمانة الاستخلاف . ودور المبتلى الممتحن بهذه الأمانة ، تقتضى أن تمتد طفولته فترة أطول ، ليحسن إعداده وتدريبه للمستقبل ، ومن ثم كانت حاجته لملازمة أبويه أشد من حاجة أى طفل لنوع من الأحياء الأخرى . وكانت الأسرة المستقرة الهادفة ألزم للنظام الإنسانى ، وألصق بفطرة الإنسان وتكوينه ودوره فى هذه الحياة .

وقد أثبتت التجارب العملية أن أى مؤسسة أخرى غير مؤسسة الأسرة لا تعوض عنها ، ولا تقوم مقامها ، ولكن الماديين يجادلون ، فيزعمون أن لا ضرورة للأسرة ، وأن نشأة الطفل فى محضن صناعى تساوى نشأته بين أبويه ، بل يزيدون فيتحدثون عن التلقيح الصناعى . وعن إمكان صنع الأطفال بعيدا عن الأسرة وأعبائها الثقال ! بل إن النظام الماركسى يحبذ نشأة الأطفال جميعاً شرعيين وغير شرعيين فى المحاضن الجماعية ... حتى لا يكون لهم ولاء نحو آبائهم وأمهاتهم وأسرهم » فلا يذكرون إلا الدولة والحزب !!

هذا بالإضافة إلى ما فرضته الثورة الصناعية والنظم الاقتصادية فى الحضارة المادية الغربية من تشغيل النساء ، فأصابت الأسرة فى صميمها ، بغياب الأم عن أطفالها ، واعتمادها على المحاضن فى رعايتهم ويتحول البيت إلى شىء أشبه بالفندق يأوى إليه أفراد الأسرة بعد عملهم الشاق فى المصانع ...

ولكن الفطرة الإنسانية لا تقبل الزور ، بل لابد أن تفضح الأنظمة المخادعة التى تحاول أن تغير خلق الله وأن تشقى البشرية من حيث توهمها السعادة ، فدور الحضانة والمدارس الداخلية التى يشرف عليها موظفون تعينهم الدولة فى النظام الماركسى وتؤجرهم المؤسسات الاستثمارية فى النظام الرأسمالى ، لاتعنى فى بناء الإنسان إلا بنمو العظم واللحم ، فكيف تصبح هذه الدور قادرة على أن تعوض الطفل ما يحرمه من حياة الأسرة بما فيها من جو روحى ، وقد قامت على أسس مادية نفعية خلت من أية نسمة خلقية وروحية ؟ ! هذا وكيف يتوفر لكل طفل من العناية فى المحاضن بالقدر الذى يؤديه نظام الأسرة التى تشرف فيه الأم بكل حنانها على طفلها ، فى الوقت الذى تشرف فيه الحاضنة الواحدة على عدة أطفال ؟ ! ... الجواب : عند الأوضاع الأليمة فى المجتمعات المادية المناهضة لمنهج الله ، والمصادمة للفطرة تشهد بها أصاب الناشئة من انحراف فى السلوك نتيجة ما امتلأت نفوسهم من عقد واضطرابات ، كانت سبباً فى انتشار ظاهرة الخنفسة

---

(١) سورة الأحزاب : ٧٢ .

والهيبية وتعاطى المخدرات تورط الشباب هناك فى الجريمة والإباحية وفقدان الثقة بالمثل والأخلاق حتى أصبحوا يفاخرون بمعاداة المجتمع والقانون .

وأعجب العجب أن انحراف التصورات الجاهلية ينتهى بناس من جلدتنا يتسمون بأسماء المسلمين إلى أن يعتبروا نظام العمل للمرأة تقدما وتحررا وانطلاقا من الرجعية ، بدوافع مركب النقص وميول الهوى ونزعات الانحلال والتقليد لهذا النظام المعلون الذى يضحى بالصحة النفسية لأغلى ذخيرة على وجه الأرض ... الأطفال ... رصيد المستقبل البشرى .

ومن ثم النظام الإسلامى ؛ الذى أراد الله به أن يدخل المسلمون فى السلم ، وأن يستروحوا فى ظله بالسلام الشامل ... يقوم على أساس الأسرة ، ويبذل لها من العناية مع ما يتلاءم ودورها الخطير ... ومن ثم نجد فى سور شتى من القرآن الكريم تنظيمات قرآنية للجوانب والمقومات التى يقوم عليها هذا النظام .

خصائص التنظيم القرآنى للأسرة

نزلت آيات القرآن الكريم فيما نزلت بنظام متكامل للأسرة ، له من الأحكام والقواعد ما يرافق الفرد المسلم من المهد إلى اللحد ، بل له من التشريعات والتوجيهات ما يطبق على الإنسان قبل ولادته وهو جنين إلى ما بعد وفاته ، بشكل متقن منظم ، فيه إتقان الصنعة الإلهية وتنظيم العليم الحكيم .

والناظر فى القرآن وشريعته المحكمة يرى أن أحكام نظام الأسرة جاءت متميزة بخصائص على النحو الآتى :

أولا : جاءت بالتفصيل ... وقد وردت أحكام الأسرة من زواج وطلاق وميراث ووصية مفصلة غير مجملة ، ويرى الناظر فى القرآن الكريم أن الأمور التى من شأنها أن تتغير وتتبدل جاءت مجملة بمبادىء عامة وقواعد كلية . وأما الأمور التى من شأنها الثبات والاستقرار وعدم التغيير ؛ فقد جاءت أحكامها مفصلة فى القرآن الكريم وهى كل ما يتعلق بمسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والإنسان وأصله وأهدافه فى الحياة ... (١) .

وهذا يدلنا على مدى اهتمام القرآن بأحكام الأسرة ، وأنه لايجوز تغييرها وتبديلها لأنها مفصلة محكمة . ولكن للأسف قد بدت بوادر فى مصر وفى بعض الأقطار الإسلامية ، تدل على تلفيق قبيح بين المفهوم الاسلامى وأحكامه للأسرة والمفهوم الأوربى المادى المنحل ، من ذلك صدور

(١) يراجع تفصيل ذلك فى موضوع « التقدم والتطور » فى هذا الكتاب .

بعض قوانين لـلأسرة تهدف إلى إخضاع الشريعة لاتجاهات غـربية عنها مراعـاة لظروف وتطورات جـديدة حـادثـة بعامل التأثير والتقليـد الغـربى ، وسيراً فى طـريق رسمته دوائر تعمل على هـدم المجتمعات الاسلامية بتحطيم آخر حصن لها ... وهو الأسرة .

ثانياً : جاءت أحكام الأسرة فى القرآن مـرتبطة بالعقيدة ترابطاً عضويـاً ، بل قامت على قاعدة الإيمان بـالله وتقواه شأنـه فى هذا شأن جميع نظـم الإسلام فى كل نـواحى الحياة ... الأمـر يعنى أن قداسة هذه الأحكام من قداسة أحكـام العقيدة فى الله ، ونـرى مصـداق ذلك قـول الله تعالـى : ﴿ **ليس البر أن تـولـوا وجـوهكم قبل المشرق والمغـرب ، ولكن البر من آمن بـالله واليـوم الآخـر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المـال على حبه ذوى القربى واليتامى** ﴾[1] وقولـه تعالـى : ﴿ **أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم** ﴾[2] وقوله سبحانه : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً** ﴾[3] وقوله جل من قائل : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً** ﴾[4] .

ولارتباط أحكام الأسرة بالعقيدة فى القـرآن الكريم دليل على أن تشريعات الأسرة لابد أن تجىء ملتزمـة بهذه العقيدة منبثقة عن أحكـامها مستهدية بروحها احترامـاً للعقيدة نفسها ولـلأمة التى تؤمن بهذه العقيدة .

ثالثا : وصف القرآن الكريـم الزواج بأنه من آيات الله ودلائل عظمتـه ، فقال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ...** ﴾[5] ، فيجب أن يكون هذا العقد بعيداً عن عبث العابثين ليحقق تلك الأهداف السامية من المودة والرحمة ، والسكن النفسى بين الزوجين فى الأسرة المسلمة ونواة المجتمع ، فلا تفرض على الأمة المسلمة تشريعات أسرية خارجة تؤلب أحد الزوجين على الآخر على نشـوز الزوجة ، لتقلب أوضاع البيت لتجعل منـه حلبة صراع بدلا من أن يكون مثابة أمن وحب وتراحم ، ومجال تعاون وتعاضد وتكافل ! !

رابعا : جاء تقرير القرآن الكريم حاسما فى أن الزوجـة كالزوج فى الحقوق والواجبات إلا ما جاء النص على خلاف ذلك لأن الأصل المساواة ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن** ﴾[6] ، فالإنسان يتكون من الذكر والأنثى شأن كل الكائنات فإن كان الخالق تبارك وتعالى قد جعل لكل من المرأة والرجل طبيعة تتفق من ناحية ، وتختلف من ناحيـة أخرى ، إلا أن الإنسانية واحدة فى كليهما ، فالتفكير والعقل واحد فى كليهما ، والغـرائز كغريزة الجنـس والنوع والتدين واحـدة فى كليهما ، والحاجات العضوية كحـاجة الإنسان إلى الطعام والهواء واحـدة عندهما ، ولكن ما يتعلق بالـوظيفة الجسمية

(١) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٢) سورة الماعون : ١ .
(٣) سورة الأنعام : ١٥١ .
(٤) سورة الإسراء : ٢٣ .
(٥) سورة الروم : ٢١ .
(٦) سورة البقرة : ٢٢٨ .

عنـد كل منهما فيه اختـلاف كبير ، فقد هيئت المرأة بـرحم لتحمل وتلـد ، وثديين للـرضاعـة كما زودت بميول فطرية لأن تقوم بالشئون المتعلقة بالبيت والأطفال .

وهذا الاختلاف فى الطبيعـة النفسية والجسمية تقتضى أن تجىء قوانين الأسرة متنـاسبة مع هذا الاختلاف . وذلك لأن خلقه المرأة تتقـاضاها أن تلزم البيت فهى فى أحوالها إمـا فى حاله طمث أو حامل أو فى حالة ولادة و إرضاع ، وهى فى جميع أحوالها قائمة على شئون زوجها وأولادها .

ومن هنا نرى أن الإسلام حين نزلت آياته ، قد نظر إلى المرأة والرجل بحسب الطبيعة التى خلقا بها وشرع من التعاليـم والأحكام التى توافـق طبيعة كل منهما دون تمييز بين ذكـر وأنثى ولا تفضيل لأحد الجنسين على الآخـر . فقرر الإسلام وحـدة الأصل والمنشأ ، فالـرجل والمرأة من أصل واحد ومنشأ واحد ﴿ **وهـو الذى أنشأكم من نفس واحـدة** ﴾ [1] وشرع المساواة بين الجنسين بما هـو من خصائص الإنسانيـة فى الدنيا والآخرة ، قـال تعالى : ﴿ **فاستجـاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم** [3] ﴾ ولم يقل كرمنا الرجال والذكور .

وكل خطاب وجه للـزوج وكانت العلـــة مشـتركة فيـه يعتبر خطابـا للزوجـة فقـال تعالـى : ﴿ **وعاشـروهن بالمـعروف ، فـإن كرهتموهـن فعســى أن تكـرهـوا شيئا ويجعل الله فيـه خيرا كثيرا** ﴾ [4] وقول الرسول ﷺ (خياركم خياركم لنسائكم) [5] . الخطاب للأزواج ولكنه يشمل الزوجـات أيضا لأن العلة هى حـرص الشرع على عدم الفـراق والمعاشرة بالمعـروف ، وهذا ينطبق على كل من الزوجين ، وقوله ﷺ للمغيرة بن شـعبة الـذى خطـب دون أن يرى خطيبتـه . (انظر إليها فإنـه أحرى أن يؤدم بينكما) [6] خطاب للرجـال ولكن العلة مشتركة فيجب على المرأة أيضا أن ترى خطيبها ، لأنه قد يخطب شخص دون أن يرى خطيبته ، لأن الألفة والمحبة تنتج عن معرفـة كل منهما بالآخـر ضمن حدود الشرع ودون مخالفـة لأوامر يكـون من الزوجـة كما يكون من الزوج . وهكذا نجد المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة إلا ما جاء النص بتخصيصه .

خامسا : لا يعتمد الإسـلام على العقوبة وسلطان القـانون فى إنشاء مجتمعـه العفيف الركين ، إنما يعتمـد قبـل كـل شىء على الـوقايـة من الوقـوع فى الإثم والخطيئة . وهو لا يكبـت الدوافع الفطرية ، ولكن ينظمها ويهيىء لها الجو النظيف الخالى مـن المثيرات التى يصطنعها الذين يتبعون الشهوات . ذلك أن الفكرة السائدة فى المنهج القرآنى للتربيـة فى هذه الناحية ، هى تضييق فرص

---

(١) سورة الأنعام : ٩٨ .
(٢) سورة النساء : ٣٢ .
(٣) سورة الإسراء : ٧٠ .
(٤) سورة النساء : ١٩ .
(٥) أخرجه الإمام أحمد فى المسند .
(٦) أخرجه الترمذى .

الغواية ، وإبعاد عوامل الفتنة ، وسد جميع السبل والنوافذ على أسباب التهيج والإثارة مع إزالة العوائق دون الإشباع الطبيعي بوسائله النظيفة المشروعة . بالزواج والإحصان .

والإسلام عندما يعتمد على التشريع فى إرساء قواعد الأسرة ومجتمعه الإنسانى ، فإنه يعتمد فى المقام الأول على استجاشة الضمير الذى اعتنى به تربية وتهذيباً ، بهذه الوسيلة المزدوجة نجح فى حماية الأسرة من كل عوامل التفكك والتصدع

١ ـ فمن أسباب الوقاية ، التى اتخذها القرآن ، الحيلولة دون الاستثارة وتهييج الشهوات قوله تعالى فى سورة النور . ﴿**قل للمؤمنين : يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم . إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات : يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن** ... ﴾ إلى آخر الآية .

٢ ـ ومن أسباب الوقاية للأسرة وحمايتها . وحتى لا يصبح المحضن الصالح للناشئة لا ضرورة له والحياة الزوجية نافلة قوله تعالى : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ [(١)] . تحذير قرآنى من مجرد مقاربة الزنا ، وهى مبالغة فى التحرز ، لأن الزنا تدفع إليه شهوة عنيفة فالتحرز من المقاربة أضمن ، فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان .

ومن ثم يأخذ الإسلام الطريق على أسبابه الدافعة ، توقيا للوقوع فيه فهو يكره الاختلاط فى غير ضرورة ، ويحرم الخلوة . وينهى عن التبرج بالزينة ويحض على الزواج لمن استطاع ويوصى بالصوم لمن لايستطيع ، ويكره الحواجز التى تمنع من الزواج كالمغالاة فى المهور وينفى الخوف من العيلة والإملاق بسبب الأولاد . ويحض على مساعدة من يبتغون الزواج ليحصنوا أنفسهم ويوقع أشد العقوبة على الجريمة حين تقع ، وعلى رمى المحصنات الغافلات دون برهان . إلى آخر وسائل الوقاية والعلاج [(٢)] كل ذلك ليحفظ الأسرة المسلمة من التردى والانحلال .

٣ ـ ومن أمثلة تشريعات الإسلام الوقائية والعلاجية لحماية الأسرة أن يصيبها التصدع قوله تعالى : ﴿ **واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** ﴾ [(٣)] ، فالمنهج الإسلامى لا ينتظر حتى يقع النشوز بالفعل ، وتعلن راية العصيان ، وتسقط مهابة القوامة ، وتنقسم الأسرة إلى معسكرين متصارعين ، فالعلاج حين ينتهى الأمر إلى هذا الوضع قلما يجدى فلابد من المبادرة فى علاج مبادىء النشوز قبل استفحاله ، لأن مآله إلى فساد هذه المؤسسة ، وذلك باتخاذ إجراءات تأديبية متدرجة فى علاج علامات النشوز فى بوادره الأولى ، يقوم بها الزوج لا للانتقام ، لا للإهانة ، ولا للتعذيب ، ولكن للإصلاح وتوقى التصدع .

---

(١) سورة الإسراء : ٣٢ .

(٢) فى ظلال القرآن : المجلد الرابع ص ٢٢٢٤ .

(٣) سورة النساء : ٣٤ .

والإسلام الذى عالج حالة النشوز من ناحية الزوجة ، لا يغفل عن حالة النشوز والإعراض حين يخشى وقوعها من ناحية الزوج فتهدد أمن المرأة وكرامتها ، وأمن الأسرة ، يقول تعالى : **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ، فلا جناح عليها أن يصلحا بينهما ، والصلح خير﴾** [1] فإذا خشيت المرأة أن تصبح مجفوة وأن تؤدى بها هذه الجفوة من الزوج إلى الطلاق وهو أبغض الحلال إلى الله ـ أو إلى الإعراض فيتركها كالمعلقة فليس هناك حرج أن تتنازل لزوجها عن شىء من فرائضها إذا رأت هى أن هذا خير لها وأكرم من طلاقها وكبقاء على الرابطة العائلية .

ويقول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة فى التعقيب على حكم التعريض بخطبة النساء أثناء العدة : **﴿واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه﴾** [2] يجىء هذا التعقيب فى آية محرم مواعده رجل لامرأة فى عدتها قبل انقضاء عدتها ، لما فيه من مجانبة لأدب النفس ، ومخالسة لذكرى الزوج ، وقلة استحياء من الله الذى جعل العدة فاصلا بين عهدين من الحياة ، لتبقى القلوب خالصة نقية ، ثم هو الربط بين التشريع وخشية الله المطلع على السرائر وما يحيك فى الصدور ، ولكن فى هذا الربط ضمانة أخيرة لتنفيذ التشريع .

٥ ـ هذا إلى جانب ما أوصى به القرآن بالعفو والصفح **﴿وإن تعفو أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم﴾** [3] ، والحض على الصبر وحسن المعاملة **﴿وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾** يقول الرسول ﷺ : (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها خلقاً آخر) [4] لا يفرك : لا يبغض .

أهداف الأسرة القرآنية

الإنسان وحياته منذ النشأة الأولى فى أحشاء أمه وحتى النشأة الثانية فى يوم الحشر ، هو هدف كل رسول وهدف كل شرائع الله ... من أجل تنظيم حياته كان المنهج الإلهى ، كى لا يضل ولا يشقى فى رحلته على الأرض .

ومن أجل صياغة الشخصية الإنسانية صياغة ربانية ، بذل المنهج القرآنى جهده الطويل فى قيام الأسرة على أساس وطيد ، فمن هذا الحصن ، ومن هذه المثابة تخرج الشخصية المسلمة بدورها العظيم على العاملين بالهدى والنور .

(١) سورة النساء : ١٢٨ .
(٢) آية : ٢٣٥ .
(٣) سورة النساء : ١٩ .
(٤) أخرجه مسلم والإمام أحمد فى مسنده .

من خلال مؤسسة الأسرة عندما تقوم على تقوى من الله ورضوان ، يخرج الإنسان المجاهد فى سبيل الله بما تبعثه هذه المثابة فى نفسه من طمأنينة فى الشدائد ، وصبر على المكاره ، وثقة فى النصر .

لقد شاءت حكمة الله « قبل أن يبعث محمدا ﷺ ، هادياً ومبشراً ونذيراً ، أن يهيء له البيت الكريم الذى يأوى إليه ، والزوجة الوفية التى فى كنفها وجد الراحة من كل تعب ، والعون فى كل شدة ، والتى بلغت ثقتها فيه وفى منزلته عند الله ، ومعرفتها بقدره العظيم « أنه ما كاد يهرع إليها حين عاد من غار حراء ليقص عليها ما وقع له ، من خطاب جبريل إليه ، حتى قالت مهدئة لروعه « ومثبتة لفؤاده : « كلا ... أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث « وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الدهر » . لقد شاءت إرادة الله ذلك بالنسبة للرسول الكريم ، وهو الإنسان الكامل والصورة المثلى للأسوة الحسنة كما يجب أن تحتذي ، لكى تقرر لنا مدى الدور الذى تقوم به الأسرة فى النظام الإسلامى « وما تحققه من أهداف ومطالب فردية واجتماعية فى عملية البناء النفسى والعقلى والجسمى للأمة .

١ ـ الاستمتاع

فى البيت وفى نطاق العلائق الزوجية يجد الفرد ــ ذكراً وأنثى ـ المنظم الطبيعى لانطلاق الشهوة ، بالطريقة التى تحول دون دمار الجسم وعذاب اللهفة الدائمة ، وتمنح الفرد السوى نصيباً معقولاً من المتعة الجسدية ، ينتهى إلى الرضا والارتواء .

وهكذا كان الإسلام أدرى بالطبيعة البشرية وأحكم فى معالجتها ، حين أباح للناس نشاطهم الحيوى المشروع ، وبينما تحرم التعاليم الكنسية أن يحسوا بأية شهوة ، فينشأ الكبت والاضطراب النفسى أو الانحلال والفوضى الجنسية ، نرى الإسلام صريحاً فى الاعتراف بالطبيعة البشرية لايستقذر الدافع الجنسى ، فأباح للناس شهوة الجنس والاستمتاع بطيبات الحياة بدعوة قوية صريحة ﴿ **قل من حرم زينة الله ، التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ (١) . وشدد فى نكيره على دعاة الرهبنة بقوله تعالى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ...** ﴾ .

وهذا رسول الله ﷺ يقطع على المسلمين كل طريق إلى الرهبانية فى حادثة امرأة عثمان بن مظعون عندما جاءته ﷺ تشكو زوجها ، فى أنه لم يرفع عنها ثوباً منذ كذا وكذا ، ويحضر الزوج ليقول له الرسول : « ما بالك يا عثمان ؟ قال : إنى تركته لله ، لكى أتخلى للعبادة ، فقال ﷺ : أقسمت عليك ، إلا رجعت فواقعت أهلك « فقال : يا رسول الله ، إنى صائم ، فقال ﷺ : أفطر ... أفطر (٢) .

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .
(٢) سورة الحديد : ٢٧ .

وحض الإسلام على الزواج صريح ، فى قول الرسول ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ... »[1] وذهب بعض الفقهاء فى شرح هذا الحديث أن الأمر بالزواج على سبيل الوجوب ، وذهب البعض الآخر فوضعه فى مرتبة الفرض .

٢ـ السكن النفسى

فى جو الأسرة ، يجد الزوجان كل فى رحاب الآخر ، مشاعر الألفة والحنان والود والتعاطف ... مشاعر لا يجدها كل منهما فى مكان آخر ، ولا يجدها الرجل ـ كاملة ـ عند الرجل ولا المرأة عند المرأة .

والسكن النفسى والمودة والرحمة التى يشعر بها الإنسان إزاء زوجه تعتبر من المطالب النفسية التى لا يستغنى الإنسان عنها ولا يجدها فى غير الزواج ، إنه سكن لا يغنى عنه سكن آخر ، فهو سكن روح إلى روح من جنسه ، فتصبح الروحان روحاً واحدة ، ويصبح القلبان قلباً واحداً .

والمودة التى يعنيها قوله تعالى : ﴿ **وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾[2] ، ليست من نوع المودة بين الآباء والأبناء ، ولا من نوع المودة التى توجد بين الأصدقاء ، وكذلك الرحمة الخاصة بين الزوجين غيرهما بين الناس الآخرين ، إنها سر من أسرار الله ، ومن يتزوج ليجمع الروح بالروح ، لا الجسد بالجسد ، ومن يتزوج ممن يكون قلبها من نوع قلبه طهراً ونظافة وروحها من نوع روحه شفافية ، يتزوجها باسم الله وغايته إتمام أمر الله وتحقيق حكمته وآياته ، ومن هنا قال بعض الدارسين للنفس الإنسانية ، إن الاتصال غير الشرعى اتصال ناقص . ذلك أن هذه المشاعر اللطيفة النابعة من أعماق النفس ، لا تجد منطلقها إلا فى جو هادىء مستقر ، لايكلفه مكان غير الأسرة ، ولا تكلفه علاقة غير العلاقة الزوجية .

٣ـ إشباع مطالب الوالدية

وفى كنف الأسرة وفى رحابها القدسى يتحقق للفرد مطلب من مطالبه الملحة ، ذلك هو مطلب الوالدية ، والحاجة إلى الخلف والذرية .

إن إنجاب الأطفال شهوة عند الرجل والمرأة ، لم ينج منها أحد فى القديم أو الحديث إن لدى الرجل فراغ فى نفسه وحياته لا يملؤه إلا صيحة طفل ، ونسل يمد من عمره القصير على الأرض ، وحبذا لو كان هذا النسل صالحاً ليكون امتداداً حقيقيا لعمله الذى يجزى به يوم الحساب ، فكل امرىء ينقطع عمله إلا من ثلاث ، منهم الولد الصالح الذى يدعو له . والمرأة من غير طفل

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .
(٢) سورة الروم : ٢١ .

شقية بائسة ، فالطفل جزء منها ... جزء من جسدها تحمله وتغذيه من دمائها ، ثم من لبنها وهو خلاصة دمها وجزء من كيانها النفسى ، تشعر أنها معطلة أو ناقصة أو عاجزة إذا لم تأت بنسل ...

فالولد هبة الله للإنسان استجابة لنداء الوالدية وهتافها : ﴿ **وزكريا إذ نادى ربه : رب لا تذرنى فردا ، وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى** ﴾ (1) ... هـذه النعمـة والهبة الإلهية ، تتقاضى الإنسان عرفانا بفضل الله ومنته ، فيحمده على جميل عطائه : ﴿ **الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق** ﴾ (2) .

٤ـ تربيـــة الأطفـال

وإذا كان الإنسان يحب أن يكون له نسلا ، فعليـه أن يوفر لهم أسباب التربية والنماء ، وحيث أن الطفل الإنسانى أكثـر الأطفال حاجـة إلى الرعايـة لأمد طويل ، وكلما تقـدم الإنسان فى سلم الحضارة زادت وظائفـه وتنوعت أعماله ومجالات نشاطه ، كلما استتبع ذلك حاجـة أطفاله إلى فترة أطول لتعلم هذه الوظائف والأعمال والمران عليهـا ... وهى مسئولية الآباء حتى يشب أولادهم عن الطوق ويخرجوا إلى الحياة رجالا عاملين نافعين ...

والأسرة هى البيئة الـوحيدة التى يمكن فيهـا تنشئة الأطفال مسلمين صـالحين ، وهى المجال الفريد لغرس عواطف الحب لله والرسول والمسلمين مع عواطف الرحمة والمودة والتعاون ، من هذه البنات الصـالحة يقوم المجتمـع المسلم المتكافل الـذى تقوم عـلاقاتـه على الحب والإيثار . الحب الذى تزول معه كل عوامل الشحناء والصراع .

هذه التربيـة حق للأولاد على آبـائهم ، يقول الرسـول ﷺ : « حق الولـد على والده أن يحسن اسمه ، ويعلمـه الكتابة ، ويزوجـه إذا أدرك ، ويعلمه الكتاب أى القرآن » ويقـول : « ما نحل والد ولداً ــ أى أعطاه ووهبه ـ أفضل من أدب حسن » ويقول : « لأن يؤدب الـرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » .

وقد أجمعت خبرات الناس ودلت تجارب العلماء على مـا للتربية فى الأسرة من أثر عميق وخطير يتضاءل دونه أثـر أية منظمة اجتماعية أخرى فى تعيين الشخصيـة وتشكيلها خاصة خـلال مرحلة الطفولة المبكـرة ، أى السنوات الخمس أو الست الأولى من حياة الفرد . وذلـك لأسباب عدة أن الطفل فى هذه المرحلـة لا يكون خاضعاً لتأثير جماعـة غير أسرته ، ولأنه يكون فيهـا سهل التأثر ، ســهل التشكل ، شديـد القابليـة لـلإيحاء وللتعلم ، قليل الخبرة ، عاجـزاً ضعيف الإرادة قليل الحيلة ، فى حاجة دائمـة إلى من يعوله ويرعى حاجاته العضويـة والنفسية المختلفة ، ولأن عملية

---

(1) سورة الأنبياء : ٨٩ ، ٩٠ .
(2) سورة إبراهيم : ٣٩ .

التطبيع فيها تكون مركزة فعالة . إذا عرفنا هذا قدرنا ما يمكن أن يكون لهذه المرحلة من أثر بالغ فى تشكيل شخصية الطفل وتوجيهها إلى الخير أو إلى الشر ، إلى الصحة أو المرض . فكما أن الأسابيع الأولى من حياة الجنين فترة حاسمة فى تكوينه الجسمى إن اضطراب النمو فيها خرج الوليد مسخاً ، وكما أن الوليد إن لم يزود بالغذاء الكافى فى الأسابيع الثلاثة الأولى بعد ولادته شب ناقص النمو الجسمى والعقلى حتى إن زودناه طول العمر بكافة المواد الغذائية . كذلك السنوات الأولى من حياة الطفل فترة حاسمة خطيرة فى تكوين شخصيته . وتتلخص خطورتها فى أن ما يغرس أثناءها من معتقدات وعادات واتجاهات وعواطف يصعب أو يستعصى تغييره أو استئصاله فيما بعد . ومن ثم يبقى أثره ملازماً للفرد فى عهد الكبر .

ونظن أن هذه الحقيقة لا تغيب عن العاملين لاستئناف الحياة الإسلامية والمربين والدعاة إلى قيام المجتمع المسلم من جديد . فإن كانت أبواب الفوضى والانحلال والإلحاد ، قد انفتحت على مصراعيها من مؤسسات التربية والإعلام والتوجيه العلمانية اللادينية ، وأزالت عن مجتمعاتنا صبغتها الإسلامية الأصيلة وزعزعت الثقة فى أحقية النظام الإسلامى فى الهيمنة على الحياة ، فالآمال كلها معقودة على إمكانات الأسرة فى التغيير إذا قدرت حق التقدير وأخذت مأخذ الجد .

٥ - تحقيق تماسك المجتمع

إذا كان الإسلام يهدف إلى قيام مجتمع قوى متماسك ، فإن للأسرة فى تحقيق هذا الهدف دور عظيم لما يترتب على تكوينها من قيام علائق جديدة بطريق النسب والمصاهرة **﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً ، فجعله نسباً وصهراً﴾** فالإنسان فى ابتداء أمره نطفه يتخلق منها الجنين ، فولد نسيب ، ثم يتزوج فيصير صهراً ، ثم يصير له أصهار وأخوات وقرابات ، إنها القدرة الخالقة المدبرة **﴿وكان ربك قديراً﴾**(١) .

وإذا كان المنهج الإسلامى يعتبر المسلمين أمة واحدة لا يحول بينهم وبين هذه الوحدة حائل من لون أو جنس أو لغة ويبذل فى سبيل تجسيد هذه الوحدة كل الوسائل ، فإنه يتخذ من الحض على التزاوج من غير الأقارب وسيلة ، يتحقق بها مالا يتحقق بزواج ذوى القربى ، الذين لهم صلة الرحم ، ما يكفى لتعاونهم وتضامنهم ، فى حين أن الزواج من الغرائب ينشىء علائق حميمة وصلات جديدة لم تكن قائمة من قبل بين العائلات . ولعل من حكم تحريم الزواج من المحارم ، أن علاقة الزواج جعلت لتوسيع نطاق الأسرة وامتداد الروابط الحميمة إلى ما وراء رباطة القرابة .

ولعل من الحكمة فى تعداد أزواج الرسول ﷺ ، هو توثيق عرى الود والحب فى المجتمع المسلم بالمصاهرة .

---

(١) سورة الفرقان : ٥٤ .

وقد حذى أصحاب النبى ﷺ حذوه ، فارتبطوا فيما بينهم بروابط النسب والمصاهرة ، فكان ذلك من أسباب تماسكهم وتساندهم وتآلفهم ، فغدوا كما أراد لهم الله ورسوله : كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضاً ... أو كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر .

فليس البيت مجرد بيئة لتكوين العظم واللحم وتنمية الثقافة والذكاء ، ولكنه كذلك بيئة لتربية الفضائل الاجتماعية ، فبين جدرانه الأربعة يتطبع جميع أفراده كباراً أو صغاراً على المبدأ القرآنى : **﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾** (1) .

إن تحطيم الأسرة لا يعنى فى مخططات الهدم أكثر من أن نلقى فى مهب الريح جميع الأسس الخلقية والروحية التى تقوم عليها حياة المجتمع المسلم .

٦- وقاية المجتمع من السقوط والانحلال

الدافع الجنسى من أقوى الدوافع البشرية وأعمقها أثراً فى حياة الإنسان وجاءت أصالته فى الكيان البشرى لحكمة سامية أرادها الخالق ، وهدف يتعلق باستمرار الحياة وبقاء النوع .

والإسلام يقر للإنسان حقه فى تلبية مطالب هذا الدافع ، ولا يقره فى كبته ، أو يوحى إليه باستقذاره . ولكن ليس هناك غير طريق واحد يرتضيه الإسلام فى تصريف الطاقة الجنسية ، هو الزواج العلنى ، الذى تتخصص فيه امرأة بعينها لرجل بعينه ، ويتم به الإحصان ، وهو الحفظ والصيانة ، إن الارتباط بين الجنسين على قاعدة الأسرة ، هو النظام الوحيد الذى يتفق مع فطرة الإنسان ، وحاجاته الحقيقة ، الناشئة عن كونه إنساناً ، لحياته غاية أكبر من غاية الحياة الحيوانية فإذا كانت غاية الميل الجنسى فى الحيوان تنتهى عند تحقيق الاتصال الجنسى والتناسل والإكثار فإنها فى الإنسان لا تنتهى هنا ، إنما هو وسيلة إلى هدف أبعد هو الارتباط الدائم بين الرجل والمرأة لتحقيق أهداف المجتمع الإنسانى (2) ... إنه الزواج والاتصال الجنسى المشروع ، هو الوسيلة المثلى التى تجد عن طريقها غريزة الجنس طريقها فى نطاق الأسرة النظيف ما تنشده من إشباع وارتواء ، فى توازن لا يخل بسلام المجتمع ولا يزعزع بناءه الإنسانى الأخلاقى .

إنهما نوعان للعلاقات بين الجنسين ، الأول : يقوم على قاعدة الأسرة ، وهو النكاح على شريعة الإسلام ، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو بنته ، فيصدقها ثم ينكحها ، إنه الإحصان الذى ينص القرآن على طلبه ويريده الله فهو إحصان ... هو حفظ وصيانة . هو حماية ووقاية ، والثانى : وهو الذى ينص القرآن على نفيه ، سواء منه المخادنة والبغاء . إنه اللذة العابرة ، والنزوة العارضة عن طريق المسافحة يشترك فيها الرجل والمرأة يريقان ماءهما فى السفح الواطىء ! فلا

---

(1) سورة المائدة : ٢ .

(2) يراجع بتوسع كتاب « السلام العالمى والإسلام » ، للأستاذ سيد قطب ، فصل (سلام البيت) .

يحصنهما من الـدنس ، ولايحصن الذريـة من التلف ، ولا يحصن البيت من الدمـار والمجتمع من الخراب .

إنهما نوعان من الحياة يحددهما القرآن فى كلمتين اثنتين : ﴿ **محصنين غير مسافحين** ﴾[1] ، ليبلغ غايته من تحسين الإحصان . النوع الذى يرتضيه فى الحياة ، وليصل إلى هدفه من تبشيع الزنا بكل أشكاله . النوع الذى ينكره فى الحياة .

إن ضبط الغريزة الجنسية وتنظيمها فى نطاق الأسرة ، لايعنى كبتها ، فالضبط تنظيم للطاقة ، والكبت إنكار لها . وكل قوة إن لم تضبط ذهبت هباء أو كانت أداة للتخريب .

وقد ميز الله أهل الإيمان بضبط الغريزة وتوجيهها الـوجهة الفطرية الصالحة ، وأشار القرآن إلى أن مسلك الفوضى إنما هو انحلال وعدوان خطير يـدمر المجتمع ويبث الوهن فى أنحائه ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فإنهم غير ملـومين ، فمـن ابتغـى وراء ذلك فأولئـك هم العـادون** ﴾[2] فهى طهارة الـزوج والبيت والجماعـة ، ووقـاية النفس والأسرة ، والمجتمع يحفـظ الفروج من دنس المبـاشرة فى غير حـلال ، وحفظ القلوب من التطلع إلى غير حلال ، وحفظ الجماعة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب ومن فسـاد البيوت فيهـا والأنساب . فـالجماعـة التى تنطلق فيها الشهـوات بغير حساب جماعـة معرضـة للخلل والفساد ، لأنـه لا أمن فيها للبيت ولا حـرمة فيها لـلأسرة ، والبيت هو الـوحدة الأولى فى بناء الجماعة ، إذ هو المحضن الذى تنشأ فيه الطفولة وتدرج ولابد له من الأمن والاستقرار والطهارة ، ليصلح محضنـا ومدرجا ، وليعيش الـوالدان مطمئنا كـلاهما للآخر ، ويـرعيان ذلك المحضن ، ومن فيه من أطفال !

والجماعـة التى تنطلق فيهـا الشهـوات بغير حسـاب جماعة قـذرة هـابطـة فى سلم البشريـة ، فالمقيـاس الذى لايخطىء لـلارتقاء البشرى هو تحكم الإرادة الإنسـانية وغلبتهـا ، وتنظيم الدوافع الفطريـة فى صـورة مثـمرة نظيفة ، لا يخجل الأطفـال معها من الطـريقة التى جـاءوا بها إلى هذا العالم .[3] .

ولذلك يبين الـرسول ﷺ أن سـلامة المجتمع المسلم وقـوته وتماسكـه ، مرهـونة بـابتعاده عن الفاحشة ونجاته من أوبئتها فيقول : « لا تزال أمتى بخير مالم يفش فيهم ولد الزنا ، فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب »[4] ويقول : « اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ، ثلاث فى الدنيا وثـلاث فى الآخرة ، فأما التى فى الدنيا : فيذهب البهـاء ويورث الفقر وينقص **العمر وأما**

---

(١) سورة النساء : ٢٤ .

(٢) سورة المؤمنون : ٥ ، ٧ .

(٣) ظلال القرآن المجلد الرابع ص ٢٤٥٥ ـ ط / الشروق .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند .

التى فى الآخرة : فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود فى النار »[1] ويقول : « ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط ، إلا أصابهم الطاعون والأوباء التى لم تكن فى أسلافهم » .

إن الحياة العائلية المستقرة رمز ناطق للمجتمع السليم ، ولن يتم القضاء على الأسرة دون أن يكون لذلك أسوأ الأثر . فكم من الحضارات قد اندثرت حين تحلل فيها نظام الأسرة ، فلقد اعتبرت الحياة الزوجية عند اليونانيين القدماء أمراً تافهاً ، فكان اللقاء بين الرجل والمرأة لإشباع غريزة الجنس أمراً عابراً وكانت النتيجة أن تحطمت حضارتهم ، وكذلك سقط الرومان من قمة مجدهم عندما أغفلوا العناية بحياتهم المنزلية واعتبروا الحياة فرصة للمتاع وإشباع الشهوات . وهذه نذر سقوط حضارة الغرب الحديثة :

كشفت نشرة إحصائية لهيئة الأمم عام ١٩٥٩م عن مدى عمق الهاوية التى تنحدر إليها المجتمعات الغربية كنتيجة مباشرة لتفكك الأسرة ... تقول النشرة إن العالم الغربى يواجه الآن مشكلة الحرام أكثر من الحلال ، فى شأن المواليد . إن نسبة الأطفال غير الشرعيين قد ارتفعت إلى ٦٠٪ ، وأما فى بعض البلاد ، مثل « بناما » فقد جاوزت ٧٥٪ ، أى أنه من كل أربعة مواليد ثلاثة عن طريق الحرام ...

وجاء فى تقرير لمنظمة الصحة العالمية أن الزيادة فى الإصابة بالأمراض السرية فى الولايات المتحدة والدول الاسكندنافية وبريطانيا ، قد خرجت عن نطاق السيطرة عليها ، وأن الإصابة بالسيلان فى الولايات المتحدة قد وصلت إلى حد الوباء ...[2] .

وقد أدى تحلل الأسرة فى المجتمع الأمريكى أن أصبح لا يصلح للجندية ستة من كل سبعة ممن هم فى سن التجنيد ، وسنة الله لا تتخلف .

وعندما اكتسح الألمان فرنسا فى الحرب العالمية الثانية فى بضع أيام ، لم يتردد رئيس فرنسا فى ذلك الحين فى مصارحة أبناء وطنه فقال : « لقد جاءت الهزيمة من الانحلال ، فدمرت روح الشهوات ما شيدته روح التضحية . إنه لا سبيل لإخراج فرنسا من كبوتها وإقالة عثرتها إلا بإقامة صرح الأسرة من جديد وتقوية أواصرها ، وتقديس تقاليدها وأنظمتها » . وهيهات ! !

ورغم توالى صيحات الخبراء والمصلحين فى الغرب فإن النذر كلها تشير إلى أن هذه الحضارة قد دخلت فى مرحلة الأفول نتيجة لاتباع الشهوات ، والنفور من تبعات الزواج ، والتبرم بالحياة العائلية ، والاستهتار بروابط الزوجية ، الذى دمر فى المرأة ـ هناك ـ عاطفة الأمومة الفطرية ، فأصبحت لاهم لها إلا اللذة تحصل عليها وقتما شاءت وكيفما شاءت بعيداً عن قاعدة الأسرة ، ولا تذهب إلا ومعها تدابير منع الحمل ، وإن تم حمل فعيادات الاجهاض تعمل كل الوقت .

... ورغم هذه الصيحات فإن جرائم الأحداث فى ازدياد مستمر بلغ حداً خطيراً . يقول تقرير

(١) أورده ابن الجوزى فى موضوعاته .
(٢) عن جريدة الأهرام عدد ٨/ ١/ ١٩٧١ .

للأمم المتحدة (عن الأهرام فى ٢٠ / ٨ / ١٩٥٥) « إن نسبة الانحراف بين الأحداث فى الولايات المتحدة التى تتمتع بأعلى مستوى من الرفاهية ، أعلا منهـا بكثير فى بريطانيا . إن نسبة الزيادة فى الانحراف مخيفة جـداً وأن ٧٠٪ من المجرمين يبدأون عهـد الإجرام ما بين الرابعـة عشرة ، والثانية والعشرين ، ويشمل انحرافهم كل النواحى مما فى ذلك تناول المخدرات والشذوذ الجنسى .

يقـــول ألفريـد دينتـج : « إن أكثريـة المجـرمين الأطفال غير البـالغين تخرج من أنقـاض أسر محطمة » .

* * *

من هنا نـدرك مدى الجريمة التى يـزاولها دعاة الانحلال والأجهـزة الدنسة ، المسخـرة لتوهين روابط الأسرة عندنا « والتصغير مـن شأن الرباط الزوجى ، وتشويهه وتحقيره ، لـلإعلاء من شأن الارتبـاطات القـائمة على مجرد الهوى المتقلب « والعـاطفـة الهائمة ، والنـزوة الجامحة وتمجيد هـذه الاتباطات بقدر الحط من الرباط الزوجى .

فالمشكلـة بيننا وبين هؤلاء الـدعاة وهذه الأجهزة ، « أننـا نخاطبهم بالعقـول ، وهم يتكلمون بالشهوات ، إن عقـولهم لا تنكر ما نقول ، ولكن شهـواتهم هى التى تكرهه ، إن ما يعـرفونه عن التاريخ يؤيـد أقوالنا ، وما يعـرفونه عن مجون الحضارة يـوافق أهواءهم . نحن مع العقل وهم مع الهوى ، نحن مع المبـادىء العلمية والأخلاقيـة التى يقرون بها ، وهـم مع الرغبات والأهـواء التى يخضعون لها ، والعقل يبنى الدولة من حيث يخربها الهوى » (١) .

لقد كان الحسم والزجـر فى عقوبة الفوضى فى سلوك الغريـزة ، ضرورة اجتماعية لحماية الجماعة وحماية الفرد ذاتـه ، وقد كان على الأمة الإسلاميـة أن تستمسك بشريعتها وأن تتبع نهج الإسلام فى الحفاظ على كيان المجتمع . ولكن المؤسف أننا نبذناً أحكـام الشريعة وإستبدلنا بها قوانين وضعية جىء بها إلينا من قوانين دول الغرب الذى لا يؤمن بعفة ولا إحصان .

وليت دعاة الانحلال والفوضى الجنسية يتركون لداعى العقل أن يغلب دواعى الهوى والمصالح الشخصية ، ليكون له الحكم فى المقارنة بين عقوبة الزنا فى الشريعة الإسلامية وعقوبتها فى القوانين الوضعية ، ليظهر لهم أن قانون الشريعـة حكيماً وحاسماً ، لأنه من تقدير الخبير البصير ، المحيط بنوازع الإنسان ، العليم بما يصلحـه وما يفسده ، وأن القانون الـوضعى فى عقوبة الزنا يـدلل الزنا لأنه تعبير عن روح الإنسان الغربى الذى لا يستقذر هـذه الفعلة ، فكانت العواقب فى مجتمعات الغرب كما ألمحنـا وخيمة ، وها هى مجتمعـاتنا الإسلامية قـد أصابتها شر كبير من جـراء التساهل الفاحش فى تكييف جريمة الزنا نتيجة الأخذ بهذا القانون .

(١) عن كتاب « هكذا علمتنى الحياة » للمرحوم الدكتور مصطفى السباعى ص ١٠٧

إن الإسلام حين يشدد عقوبة جريمة الزنا ، إنما يهدف بذلك إلى دفع خطر يهدد الحياة الاجتماعية بالدمار والفناء ، يقول القانونى الكبير الأستاذ الشهيد عبد القادر عودة : [1] « تعاقب الشريعة الإسلامية على الزنا باعتباره ماساً بكيان الجماعة وسلامتها ، إذ أنه اعتداء شديد على نظام الأسرة ، والأسرة هى الأساس الأول الذى تقوم عليه الجماعة ، ولأن إباحة الزنا إشاعة للفاحشة وهذا يؤدى إلى هدم الأسرة ثم إلى فساد المجتمع وانحلاله ، والشريعة تحرص أشد الحرص على بقاء الجماعة متماسكة قوية » .

أما العقوبة فى القوانين الوضعية فأسبابها أن الزنا من الأمور الشخصية التى تمس علاقاتها الأفراد ولا تمس صوالح الجماعة ، فلا معنى للعقوبة عليه ما دام عن تراض ، إلا إذا كان أحد الطرفين زوجا ، ففى هذه الحالة يعاقب على الفعل صيانة لحرمة الزوجية ! !

ولعل ما حدث فى أوروبا والبلاد الغربية عامة ، يؤيد نظرية الشريعة ، فقد تحللت الجماعات الأوروبية وتصدعت وحدتها وذهب ريحها ، ومالذلك من سبب إلا شيوع الفاحشة والفساد الخلقى والإباحية التى لا تعرف حداً تنتهى عنده .

وما أشاع الفاحشة وأفسد الأخلاق ونشر الإباحية ، إلا إباحة الزنا وترك الأفراد لشهواتهم واعتبار الزنا من الأمور الشخصية التى لا تمس صالح الجماعة .

ولعل أشد ما تواجهه البلاد غير الإسلامية اليوم من أزمات اجتماعية وسياسية يرجع إلى إباحة الفاحشة ، فقد قل النسل فى بعض البلاد قلة ظاهرة تنذر بفناء هذه الدول أو توقف نموها ، وترجع قلة النسل أولا وأخيراً إلى امتناع الكثيرين عن الزواج ، وإلى العقم الذى انتشر بين الأزواج .

ولا يمتنع الرجل عن الزواج إلا لأنه يستطيع أن ينال من المرأة ما يشاء فى غير حاجة إلى الزواج ولأنه لايثق فى أن المرأة ستكون له وحده بعد الزواج ، وقد اعتاد أن يجدها مشاعا بينه وبين الغير قبل الزواج ، هذا بالإضافة إلى ما يفرضه الزواج من قيود وتبعات ومسئوليات .

والمرأة التى كانت أمنيتها الأولى الزواج ، ووظيفتها التى خلقت من أجلها إدارة البيت وتربية الأولاد ، هذه المرأة أصبحت فى كثير من الأحوال تنفر من الزواج ، ولا ترضى أن تستأسر لرجل تنال ما عنده ، وتثقل نفسها بالقيود والأغلال .

وقد أدى شيوع الزنا إلى مقاومة الحمل من جهة ، وانتشار الأمراض السرية من جهة أخرى ، وإذا كانت مقاومة الحمل تؤدى فى كثير من الأحوال إلى عقم النساء ، فإن انتشار الأمراض السرية يؤدى فى الغالب إلى عقم الرجال والنساء على السواء .

وكانت المرأة تعيش فى كنف الرجل فى ظل الزواج ، فلما أضرب الرجال عن الزواج كان لابد

(١) انظر موسوعته (التشريع الجنائى الإسلامى) .

للمرأة من أن تعيش ، فاضطرت إلى مزاحمة الرجل فى ميدان العمل لتنال قوتها ، فأدى هذا إلى تفشى البطالة وشيوع المبادىء الهدامة ، وألقى بشعوب أوربا فى بحر لجى يزخر بالفوضى والاضطراب .

ويستطيع الإنسان أن يرتب على هذه المفاسد الاجتماعية نتائجها الخطيرة ، دون أن يخطىء الحساب ، ولو تدبر هذه النتائج القائلون بأن الزنا علاقة شخصية لعلموا أن الزنا من أخطر الجرائم الاجتماعية ، وأن مصلحة الجماعة تقتضى تحريمه فى كل الصور ، والمعاقبة عليه أشد العقاب ، وعلى هذا الأساس حرمت الشريعة الإسلامية الزنا لتتجنب الوصول إلى تلك النتائج المخيفة ، وقررت أشد العقوبات للزناة ، حتى اعتبرت من يزنى بعد إحصانه غير صالح للبقاء ، لأنه مثل سيء وليس للمثل السيء فى الشريعة حق البقاء [١] .

المرأة
أساس البيت

إن خطورة شأن المرأة فى الاجتماع الإنسانى ، أمر تواضع عليه البشر أيا كانت حالته فى سلم الحضارة لأنه أمر من أمور البداهة ، وحكم من أحكام الفطرة ، جاءت الشرائع السماوية مع كل نبى ورسول لتأصيله وتحديد اتجاهه ومساره الصحيح الذى يليق بالإنسان وغاياته فى الوجود . ولكنها الأهواء والشهوات والشيطان ، هى التى تذهب بنور العقل وتطمس بداهاته ، وتنحرف بدواعى الفطرة ، وتضل الإنسان عن سبيل الله ، فيرتكس فى الحمأة الوبيلة والبهيمية المشينة ، وتجعل منه مسخا وقد خلقه الله فى أحسن تقويم . وفى النهاية تضطرب النظم وتسقط الحضارات .

فالمرأة فى بداهات العقل ودواعى الحياة الإنسانية الصحيحة هى الأساس الأول فى بناء البيت ، وهى رَبَّتُه ، والفلك الأسرى كله هى محوره . فى رحابه يعود الرجل ليجد هدوء أعصابه وراحة نفسه وسكينة قلبه ، ومن بين حناياها وضلوعها وأحشائها يخرج الوليد ، وتحت جناحها يشب . إنها قوام البيت : زوجة وأماً ، ومحوره : منها وإليها يعود الجميع ، فلا قوام لبيت بدون المرأة . وهذه هى مكانة المرأة فى نظام الإسلام ، قدرها وأعظم قدرها .

- ﴿ **المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ [٢] .

- ﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ .

---

(١) الأستاذ الشهيد عبد القادر عودة : « التشريع الجنائى الإسلامى » جـ١ ، ص ٣٤٧ .

(٢) سورة التوبة : ٧١ .

- (النساء شقائق الرجال) .

- (استوصوا بالنساء خيراً)[1].

- (... أمك ثم أمك ثم أمك ، ثم أبوك)[2] كلمات من نور جاء مع فجر الإسلام ليقشع الظلام الذى عاشت فيه المرأة فى الجاهلية كلها ، جاءت لتسمع الدنيا أنه لا ظلم اليوم :

١ ـ فقد كانت المرأة فى أول شريعة وضعية دونت فى عهد حمورابى ، تحسب فى عداد الماشية المملوكة حتى أن من قتل بنتاً لرجل ، كان عليه أن يسلم بنته ـ لوالد البنت المقتولة ـ حتى يقتلها أو يتحللها ، وفى هذا تعد المرأة من عداد الملكية شيئاً يحافظ عليه [3] .

٢ ـ كما أنه لم يكن للمرأة فى شريعة مانو فى الهند حق الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها ، فإذا انقطع هؤلاء جميعا ، وجب أن تنتمى إلى رجل من أقارب زوجها فى النسب ، ولم تستقل بأمر نفسها فى حال من الأحوال ، وهى قاصرة طيلة أيام حياتها ، لم يكن لها الحق فى الحياة بعد موت زوجها بل وجب أن تموت يوم يموت زوجها ، وأن تحرق معه وهى حية على موقد واحد ، وبطل هذا بعد القرن السابع عشر على كره من أصحاب الشعائر الدينية [4] .

٣ ـ وعند اليونان الأقدمين كانت محرومة من الثقافة ، لاتسهم فى الحياة العامة بقليل ولا كثير ، وكانت محتقرة ، حتى سموها رجسا من عمل الشيطان ، وهى مسلوبة الحرية والمكانة فى كل ما يرجع إلى الحقوق الشرعية ، فهم لا يعتبرونها إنسانا بل حيوانا يباع ويشترى ، كما يباع أى حيوان آخر ويشترى ، وعلى هذا يسلبونها أهلية التصرف ولا يرون أنها تصلح لشىء سوى خدمة البيت واستيلاد الأطفال [5] .

٤ ـ وعند الرومان تظل البنت خاضعة لرب الأسرة مادام حيا ، وكانت سلطته عليها سلطة ملك لا حماية تشمل البيع والنفى والتعذيب والقتل ، فكان رب الأسرة هو الذى يقوم بتزويجها دون إرادتها ، وكان مالكا لأموالها ليس لها حق التصرف فيها ، ولا يؤثر فى ذلك بلوغها ولا زواجها لكن فى عهد جوستنيان انتقلت السلطة من الأب إلى الزوج ، وتحولت فى عهد الازدهار العلمى للقانون الرومانى إلى سلطة حماية ، ومع ذلك ظلت المرأة قاصرة الأهلية .
وكان شعارهم الذى تداولوه إبان حضارتهم « أن قيد المرأة لا ينزع ، ونيرها لا يخلع » [6] .

٥ ـ وكان للمرأة فى الحضارة المصرية القديمة حظ من الكرامة يجيز لها الجلوس على العرش ويبوئها مكان الرعاية فى الأسرة ، ولكن الأمة المصرية كانت من الأمم التى عاشت فيها

---

(١) أخرجه البخارى فى باب الوصاة بالنساء .
(٢) أخرجه الشيخان .
(٣) فضيلة الشيخ مصطفى السباعى : المرأة بين الفقه والقانون ص ١٨ .
(٤) المصدر السابق ص ١٨ .
(٥) السباعى : المرأة بين الفقه والقانون ص ١٣ .
(٦) المصدر السابق ص ١٣ .

عقيدة الخطيئة بعد الميلاد » وشاع فيها من اعتقاد الخطيئة الأبدية أن المرأة هي علة تلك الخطيئة وخليفة الشيطان وشرك الغواية والرذيلة ولا نجاة للروح إلا بالنجاة من أوهانها وحبائلها .

٦ ـ عند اليهود : كانت البنت تخرج من ميراث أبيها إذا كان له عقب من الذكور إلا ماكان يتبرع به لها أبوها في حياته ، ففي الإصحاح الثاني والأربعين من سفر أيوب « ولم توجد نساء جميلات كنساء أيوب في كل الأرض ، وأعطاهن ميراثاً بين إخوتهن » .

وحين تحرم البنت من الميراث لوجود أخ ذكر لها يثبت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج ، إذا كان الأب قد ترك عقاراً » فيعطيها من العقار ، وإلا لم يعطها شيئاً ، ولو ترك الأب القناطير المقنطرة من الأموال المنقولة . والبنت التي يؤول إليها الميراث عند عدم وجود الأخ الذكر ، لايحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها ... واليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم ، وقد جاء في التوارة : « المرأة أمر من الموت ، وأن الصالح أمام الله ينجو منها ، رجلا واحداً بين ألف وجدت ، أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد » .

٧ ـ أما المسيحيون ، فقد اعتبروا المرأة مسئولة عن انتشار الفواحش والمنكرات وكل ما آل إليه المجتمع من انحلال خلقي شنيع ، وقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه ، وأن المرأة باب الشيطان ، وأنها يجب أن تستحي من جمالها ، لأنه سلاح إبليس للفتنة والإغواء فقد قال القديس سوستام : إنها شر لابد منه ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ومحبوبة فتاكة ، ومصيبة مطلية مموهة ، وقد أثرت هذه الآراء كلها في أمم الغرب التي دخلت المسيحية » ففي فرنسا عقد سنة ٥٨٦ اجتماع في بعض ولاياتها ، دار فيه البحث عن المرأة : أبعد إنساناً أم غير إنسان ؟ وكان ختام البحث أن قرر المجتمع أن المرأة إنسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل .

وفي انجلترا كان النساء طبقا للقانون الانجليزي العام حوالي سنة ١٨٥٠ غير معدودات من المواطنين ، ولم يكن لها حقوق شخصية ، ولا حق لهن في تملك ملابسهن ، ولا في الأموال التي يكسبنها بعرق الجبين . ومن الطريف أن نذكر أن القانون الانجليزي حتى عام ١٩٠٥ كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته .

ولما قامت الثورة الفرنسية (نهاية القرن الثامن عشر) وأعلنت حقوق الإنسان في الحرية والإخاء والمساواة ، لم تشمل المرأة بنصيب من حقوق الإنسان هذه في قوانينها . فقد جاء النص في القانون المدني الفرنسي أن القاصرين هم الصبي والمرأة ، واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨ حيث عدلت هذه النصوص لمصلحة المرأة » ولا تزال بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة فلا يجوز أن تهب أو تتصرف في مالها إلا بعد موافقة الزوج موافقة خطية منه ، إذ أن الزواج عندهم قائم على دمج شخصيتها بشخصية زوجها ، ونظن أن هذا النظام ، إن هو إلا آثار من الرق المدني الذي

كان سائداً فى أيام الرومان ، والذى تصبح فيه المرأة رقيقاً للرجل ، يتصرف فى مالها كما يشاء ، والدليل على هذا الرق ، أن المرأة بعد الزواج تنفصل باسمها وكنيتها عن أسرتها .

٨ ـ أما عند العرب فى الجاهلية كانت المرأة ممتهنة فى كثير من أحوالها فقد كانت العرب لا تورث النساء ، وكان الرجل من خوف العار أو الفقر يئد بنته ، ويستكثر عليها النفقة التى لا يستكثرها على الجارية المملوكة والحيوان النافع ، وكل قيمتها بين الذين يستحيونها ولايقتلونها فى طفولتها ، أنه حصة من الميراث ، تنقل من الآباء إلى الأبناء ، وتباع وترهن فى قضاء المنافع ، وسداد الديون ، وليس لها على زوجها أى حق ، وليس للطلاق حد معين ، ولا لتعدد الزوجات عدد محدود ، ولم يكن عندهم نظام يمنع تمكين الزوج من النكاية بها ، كما لم يكن لها حق فى اختيار زوجها . وكل ما كانت تعتز به المرأة العربية فى تلك العصور على أخواتها فى العالم كله . حماية الرجل لها ، والدفاع عن شرفها ، والثأر لامتهان كرامتها .

ثم جاء الإسلام بشريعة العدل ليقرر للعالم كله قديمه وحديثه أن للمرأة كرامة ولها عرض ولها مال ، كما أن للرجل كرامته وعرضه وماله ، فلا يجوز إهدار كرامتها ، ولا انتقاص عرضها ولا منعها من تصرفها بمالها ، قال تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم** ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** ﴾ [2] وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن** ﴾ [3] ، ومنع الإسلام خدش كرامتها وعرضها مهما كانت الدوافع واعتبر ذلك قذفاً يستحق فاعله أن يجلد ثمانين جلدة إذا كان باللسان ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ، فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون** ﴾ [4] وإذا اغتصب عرضها بالزنا يجلد مائة جلدة أو يرجم إن كان ثيباً ، وإذا اتهم الزوج امرأته ولم يستطع أن يثبت ذلك فيشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين ، وتنفى عن نفسها التهمة صيانة لشرفها وعرضها وحرصاً على كرامتها أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين ، والخامسة للرجل أن لعنة الله عليه إن كان كاذباً ، والخامسة للمرأة أن غضب الله عليها إن كان صادقاً ، فأى تكريم للمرأة بعد هذا !

ومتى كانت المرأة فى أى بيئة من بيئات الدنيا أو عالم من عوالم القانون والتشريع فى هذا المستوى من التكريم ، حقوقها غير منقوصة فى مالها وأهليتها فى التصرف فيه كاملة . سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة ، مالها لها ، لايملك أبوها ولا أخوها ولا زوجها أن يتصرف فيه أو يأخذه منها . هى حرة التصرف ولا تجبر على الإنفاق على البيت مع الزوج إلا برضاها ، فحق الملكية لها حق

---

(١) سورة الإسراء : ٧٠ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩٥ .

(٣) سورة الحجرات : ١١ .

(٤) سورة النور : ٢٤ .

مشروع شرعه الإسلام منذ ألف وأربعمائة عام . وهو أمر لا تتمتع به المرأة الغربية حتى الآن ، فمثلا لا يحق لها أن تتصرف فى أموالها إذا كانت زوجة ، إلا بإذن زوجها ، فذمتها فى القانون الفرنسى (مثلا) غير منفصلة عن ذمة الزوج ، وقد عدل هذا القانون مؤخرا بحيث سوغ للمرأة أن تودع أموالها باسمها .

والمرأة المسلمة تستطيع أن تقوم بكل ما تريد فى مالها ، تبيع وتشترى وتؤجر وتستأجر وتوكل من تشاء وتقوم بجميع العقود شريطة أن يتم ذلك فى طاعة الله لا فى معصيته ، فإذا تبرجت وتخلعت منعها الشرع من ذلك ...

لقد عنى الإسلام بالمرأة منذ ساعة ولادتها ، حيث كانت تستقبل بالنفور والمقت والاشمئزاز والتشاؤم : **﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألاساء ما يحكمون ﴾** [(١)] فجعل ولادة المرأة تفاؤلا وخيراً وبشرى قال ﷺ : « علامة يمن المرأة تبكيرها ببنت » وقال : « من كانت له ابنة ، فلم يؤذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله بها الجنة » فغير الله مفهوم الجاهلية نحو البنت من النظرة الحقيرة إلى النظرة الإنسانية الخيرة الطيبة ، واعتبر تبكير الأم بالبنت يمنا وبركة .

وأعطاها الإسلام وهى بكر ما لم يكن له مثال قبله ولا بعده ، جعل لها أن تختار زوجها كما يختارها زوجها وأن تبدى الرأى فيه ، وهى صاحبة الكلمة الأخيرة ، فليس من حق ولى أمرها سواء كان أباها أو أخاها أو أمها أن يجبرها على زواج من لا ترغبه ، فقد ورد فى الحديث الشريف : « أن البكر تستأمر فتستحى فتسكت ، إذنها سكاتها » [(٢)] ويقول الإمام ابن القيم فى كتابة زاد المعاد : (إن البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها فى أقل شىء من ملكها إلا برضاها ، ولا يجبرها على إخراج اليسير منه بدون رضاها ؟ فكيف يجوز أن يسرقها ويخرج بضعها منها بغير رضاها إلى من يريده هو ، وهى من أكره الناس ، وهو من أبغض شىء إليها ، ومع هذا فينكحها إياه بغير رضاها إلى من يريد ويجعلها أسيرة عنده ، كما قال عليه السلام : « اتقوا الله فى النساء ، فإنهن عوان عندكم » [(٣)] . ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره بغير رضاها) .

وقد رتب الإسلام تبعاً لهذه الأهلية الكاملة للمرأة ، مسئوليتها فى تكاليف العبادة : من صلاة وصوم وزكاة وحج ، ولم يضع عنها شىء منها إلا ما يتعارض مع طبيعتها كإباحة الإفطار حينما تكون حائضاً أو نفساء أو حاملا . وإسقاط الصلاة عنها عندما تكون نفساء أو حائضاً ، وفرض عليها الزكاة فى مالها مثلما أوجبه فى مال الرجل ، وجعل الحج فرضاً عليها كما فرضه على الرجل ، وأباح لها الجهاد فى وقت النفير العام تسقى الماء وتمرض الجرحى ، ولم يلزمها به فى الأحوال العادية

---

(١) سورة النحل : ٥٨ .

(٢) أخرجه الشيخان .

(٣) أخرجه أبو داود والإمام أحمد فى المسند .

لأن مهمتها التى هيأها الله لها هى القيام على شئون الزوج المنزلية ورعاية الطفل ، تربيه وتسقيه من روح الإسلام وتعلمه أن يكون جندياً من جنود الله ، وتلقنه الغاية من وجوده ، وتنشئه على رضاء الله . وهذه المهمة هى أسمى مهمة يقوم بها بشر ، ويحملها إنسان ، ومن تكريم الله للمرأة أن جعلها من نصيبها ... وهل هناك مهمة أعظم من بناء الأجيال مهمة ؟ ! ... ورتب الله عليها فى هذه المسئوليات حسن الثواب فى الجنة إن هى أحسنت ، وسوء العذاب فى النار إن هى أساءت .

والمنهج القرآنى فى التربية يضرب لنا مثلين : امرأة أساءت فمصيرها النار ، وامرأة أحسنت فكانت جائزتها الجنة : **﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا ، امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين . وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت : رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة . ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين ﴾**(١) .

وإذا كان الله فى منهجه قد رفع شأن المرأة وأعلا منزلتها وجعل لها من الحق مثل ما عليها باعتبارها كائن إنسانى ، فلها فى حدود طبيعتها أن تمارس الحق الإلهى الذى منحها إياه فى جو من الطهر والإيمان واستقامة على أحكام الشريعة ، ولا تكون كامرأة نوح خائنة لمبادىء دينها وتقاليد أمتها الإسلامية ... نقول هذا لأن المرأة اليوم إنما ادعت من حقوقها ما يمكنها من الخروج على آداب الإسلام « انطلاقاً وتقليداً للغرب المتحلل من كل القيم الأخلاقية ، مما يؤدى إلى هدم الأسرة وزلزلة بنيانها ، ومما يعود بالعواقب الوخيمة على المجتمع .

وهنا يتبادر سؤال عن صورة المرأة المسلمة كما أرادها الله ؟ ! ندع الإجابة للإمام الشهيد حسن البنا كما جاءت فى مجلة « المنار » بالجزئين الثامن والعاشر سنة ١٣٥٩ هـ ، فى فترة رئاسته لتحرير هذه المجلة الغراء بعد وفاة صاحبها السيد رشيد رضا رضى الله عنهما .

المرأة المسلمة

يقول فضيلته :

كتب إلى كاتب فاضل يطلب أن أكتب عن المرأة وموقفها من الرجل وموقف الرجل منها ، ورأى الإسلام فى ذلك وحث الناس على التمسك به والنزول على حكمه .

لست أجهل أهمية الكتابة فى موضوع كهذا ، ولا أهمية انتظام شأن المرأة فى الأمة ، فالمرأة نصف الشعب ، بل هى النصف الذى يؤثر فى حياته أبلغ التأثير ؛ لأنه المدرسة الأولى التى تكوّن

(١) سورة التحريم : ١٠ ، ١١ .

الأجيال وتصوغ الناشئة ، وعلى الصورة التى يتلقاها الطفل من أمه يتوقف مصير الشعب واتجاه الأمة ، وهى بعد ذلك المؤثر الأول فى حياة الشباب والرجال على السواء .

لست أجهل كل هذا ، ولم يهمله الإسلام الحنيف وهو الذى جاء نوراً وهدى للناس ينظم لهم شئون الحياة على أدق النظم وأفضل القواعد والنواميس ... أجل لم يهمل الإسلام كل هذا ، ولم يدع الناس يهيمون فيه فى كل واد ؛ بل بين لهم الأمر بيانا لا يدع زيادة لمستزيد .

وليس المهم فى الحقيقة أن تعرف رأى الإسلام فى المرأة والرجل ، وعلاقتهما وواجب كل منهما نحو الآخر ؛ فذلك أمر يكاد يكون معروفا لكل الناس . ولكن المهم أن نسأل أنفسنا هل نحن مستعدون للنزول على حكم الإسلام ؟ .

الواقع أن هذه البلاد وغيرها من البلاد الإسلامية تتغشاها موجة ثائرة قاسية من حب التقليد الأوربى والانغماس فيه إلى الأذقان .

ولا يكفى بعض الناس أن ينغمسوا هذا الانغماس فى التقليد ، بل هم يحاولون أن يخدعوا أنفسهم بأن يديروا أحكام الإسلام وفق هذه الأهواء الغربية والنظم الأوربية ، ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة أحكامه استغلالا سيئا يخرجها عن صورتها الإسلامية إخراجا كاملا ، ويجعلها نظماً أخرى لا تتصل به بحال من الأحوال ، ويهملون روح التشريع الإسلامى وكثيرا من النصوص التى لا تتفق مع أهوائهم .

هذا خطر مضاعف فى الحقيقة فهم لم يكفهم أن يخالفوا حتى جاءوا يتلمسون المخارج القانونية لهذه المخالفة ، ويصبغونها بصبغة الحل والجواز حتى لا يتوبوا منها ولا يقلعوا عنها يوما من الأيام .

فالمهم الآن أن ننظر إلى الأحكام الإسلامية نظرا خاليا من الهوى وأن نعد أنفسنا ونهيئها لقبول أوامر الله تعالى ونواهيه وبخاصة فى هذا الأمر الذى يعتبر أساسياً وحيوياً فى نهضتنا الحاضرة .

وعلى هذا الأساس لا بأس بأن نذكر الناس بما عرفوا ، وبما يجب أن يعرفوا أحكام الإسلام فى هذه الناحية .

أولا : الإسلام يرفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة الرجل فى الحقوق والواجبات :

وهذه قضية مفروغ منها تقريبا ، فالإسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها واعتبرها أختا للرجل وشريكة له فى حياته ، هى منه وهو منها ﴿ **بعضكم من بعض** ﴾ [1] وقد اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الشخصية الكاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك ، وبحقوقها السياسية كاملة أيضا ،

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٩ .

وعاملها على أنها إنسان كامل الإنسانية له حق وعليه واجب يشكر إذا أدى واجباته ويجب أن تصل إليه حقوقه ، والقرآن والأحاديث فياضة بالنصوص التى تؤكد هذا المعنى وتوضحه .

ثانيا : التفريق بين الرجل والمرأة فى الحقوق إنما جاء تبعا للفوارق الطبيعية التى لا مناص منها بين الرجل والمرأة وتبعا لاختلاف المهمة التى يقوم بها كل منهما وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما :

وقد يقال إن الإسلام فرق بين الرجل والمرأة فى كثير من الظروف والأحوال ولم يسو بينهما تسوية كاملة ، وذلك صحيح . ولكن من جانب آخر يجب أن يلاحظ أنه إن انتقص من حق المرأة شيئا فى ناحية فإنه قد عوضها خيرا منه فى ناحية أخرى . أو يكون هذا الانتقاص لفائدتها وخيرها قبل أن يكون لشىء آخر . وهل يستطيع أحد كائنا من كان أن يدعى أن تكوين المرأة الجسمانى والروحى كتكوين الرجل سواء بسواء وهل يستطيع أحد كائنا من كان أن يدعى أن الدور الذى تقوم به المرأة فى الحياة هو الدور الذى يجب أن يقوم به الرجل ما دمنا نؤمن بأن هناك أمومة وأبوة .

أعتقد أن التكوينين مختلفان وأن المهمتين مختلفتان كذلك وأن هذا الاختلاف لابد أن يستتبع اختلافا فى نظم الحياة المتصلة بكل منهما ، وهذا هو سر ما جاء فى الإسلام من فوارق بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات .

ثالثا : بين المرأة والرجل تجاذب فطرى قوى هو الأساس الأول للعلاقة بينهما ، وأن الغاية منه قبل أن تكون المتعة وما إليها هى التعاون على حفظ النوع واحتمال متاعب الحياة :

وقد أشار الإسلام إلى هذا الميل النفسانى وزكاه وصرفه عن المعنى الحيوانى أجمل الصرف إلى معنى روحى يعظم غايته ويوضح المقصود منه ويسمو به عن صورة الاستمتاع البحت إلى صورة التعاون التام ولنسمع قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ (1) .

* * *

هذه هى الأصول التى رعاها الإسلام وقررها فى نظرته إلى المرأة ، وعلى أساسها جاء تشريعه الحكيم كافلا للتعاون التام بين الجنسين بحيث يستفيد كل منهما من الآخر ويعينه على شئون الحياة .

والكلام عن المرأة فى المجتمع فى نظر الإسلام يتلخص فى هذه النقط :

أولا : يرى الإسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ

(1) سورة الروم : ٢١ .

النشأة ويحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا ويعدهم عليه الثواب الجزيل من الله ويتوعدهم بالعقوبة إن قصروا .

وفى الآية الكريمة **﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾** (١) .

وفى الحديث الصحيح «كلكم راع ومسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع مسئول عن رعيته » أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر ، وعن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » رواه ابن ماجه بإسناد صحيح وابن حبان فى صحيحه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة » رواه الترمذى واللفظ له وأبو داود إلا أنه قال (فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة) .

ومن حسن التأديب أن يعلمهن ما لاغنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة والكتابة والحساب والدين وتاريخ السلف الصالح رجالاً ونساء وتدبير المنزل والشئون الصحية ومبادىء التربية وسياسة الأطفال وكل ما تحتاج إليه الأم فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها ، وفى حديث البخارى رضى الله عنه « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » وكان كثير من نساء السلف على جانب عظيم من العلم والفضل والفقه فى دين الله تبارك وتعالى .

أما المقالات فى غير ذلك من العلوم التى لا حاجة للمرأة بها فعبث لا طائل تحته ، فليست المرأة فى حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها فى النافع المفيد .

ليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى اللغات المختلفة .

وليست فى حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة ، فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولا وأخيرا .

وليست المرأة فى حاجة للتبحر فى دراسة الحقوق والقوانين ، وحسبها أن تعلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس .

كان أبو العلاء المعرى يوصى بالنساء فيقول :

علموهن الغزل والنسج والرد ... ن(٢) وخلو كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والإخلا ... ص تجزىء عن يونس وبراءة

(١) سورة التحريم : ٦ .

(٢) حياكة الملابس .

ونحن لا نريد أن نقف عند هذا الحد [١] ، ولا نريد ما يريد أولئك المغالون المفرطون فى تحميل المرأة ما لا حاجة به من أنواع الدراسات ، ولكنا نقول علموا المرأة ما هى فى حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التى خلقها الله لها : تدبير المنزل ورعاية الطفل .

ثانيا : التفريق بين المرأة وبين الرجل

يرى الإسلام فى الاختلاط بين الرجل والمرأة خطراً محققاً ، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج .

سيقول دعاة الاختلاط إن فى ذلك حرمانا للجنسين من الاجتماع وحلاوة الأنس التى يجدها كل منهما فى سكونه للآخر . والتى توجد شعورا يستتبع كثيرا من الآداب الاجتماعية من الرقة وحسن المعاشرة ولطف الحديث ودماثة الطباع . . إلخ وسيقولون إن هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلا منهما مشوقا أبدا إلى الآخر ، ولكن الاتصال بينهما يقلل من هذا الشأن ويجعله أمرا عاديا فى النفوس (وأحب شىء للإنسان ما منعا) ، وما ملكته اليد زهدته النفس .

كذا يقولون ويفتتن بقولهم كثير من الشبان ، ولا سيما وهى فكر توافق أهواء النفوس ، وتساير شهواتها ، ونحن نقول لهؤلاء : مع أننا لا نسلم بما ذكرتم فى الأمر الأول ، نقول لكم إن ما يعقب لذة الاجتماع وحلاوة الأنس من ضياع الأعراض ، وخبث الطوايا وفساد النفوس ، وتهدم البيوت ، وشقاء الأسر ، وبلاء الجريمة ، وما يستلزمه هذا الاختلاط من طراوة فى الأخلاق ولين فى الرجولة لا يقف عند حد الرقة ، بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة والرخاوة ، وكل ذلك ملموس لا يمارى فيه إلا مكابر .

كل هذه الآثار السيئة التى تترتب على الاختلاط تربو ألف مرة على ما ينتظر منه من فوائد ، وإذا تعارضت المصلحة والمفسدة فدرء المفسدة أولى ، ولاسيما إذا كانت المصلحة لا تعد شيئاً بجانب هذا الفساد .

أما الأمر الثانى فغير صحيح ، وإنما يزيد الاختلاط قوة الميل ، وقديماً قيل : إن الطعام يقوى شهوة النهم ، والرجل يعيش مع امرأته دهراً ، ويجد الميل إليها يتجدد فى نفسه ، فما باله لا تكون صلته بها مذهبة لميله إليها ، والمرأة التى تخالط الرجال تتفنن فى إبداء ضروب زينتها ، ولا يرضيها إلا أن تثير فى نفوسهم الإعجاب بها ، وهذا أيضا أثر اقتصادى مع أسوا الآثار التى يعقبها الاختلاط ، وهو الإسراف فى الزينة والتبرج المؤدى إلى الإفلاس والخراب والفقر .

لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الإسلامى مجتمع يكره الاختلاط ، للرجال فيه مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن ، ولقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة ، ولكنه وقف عند هذا الحد ، واشترط له شروطا شديدة : من البعد عن كل

---

(١) يقصد الحد الذى وقف عنده أبو العلاء فى تعليم الفتاة .

مظاهر الزينة ، ومن ستر الجسم ومن إحاطة الثياب به ، فلا تصف ولا تشف ، ومن عدم الخلوة بأجنبى مهما تكن الظروف وهكذا .

إن من أكبر الكبائر فى الإسلام أن يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم له ، ولقد أخذ الإسلام السبيل على الجنسين فى هذا الاختلاط أخذاً قوياً محكما .

- فالستر فى الملابس أدب من آدابه .
- وتحريم الخلوة بالأجنبى حكم من أحكامه .
- وغض الطرف واجب من واجباته .
- والعكوف فى المنازل للمرأة حتى فى الصلاة شعيرة من شعائره .
- والبعد عن الإغراء بالقول والإشارة وكل مظاهر الزينة ، وبخاصة عند خروج حد من حدوده .

كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهى أحب الفتن إلى نفسه ، وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهى أقرب الفتن إلى قلبها ، والآيات الكريمة والأحاديث المطهرة تنطق بذلك .

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة النور :[1] ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن ، إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ .

وفى سورة الأحزاب[2] : ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾ إلى آيات أخر كثيرة .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يعنى عن ربه عز وجل : « النظرة : سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه » . رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم ، أو ليكسفن الله وجوهكم » رواه الطبرانى .

---

(١) الآيات ٣٠ ، ٣١ .

(٢) الآية : ٥٩ .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « ما من صباح إلا وملكان ينـاديان : ويل للرجال من النساء ، وويل للنساء من الرجال » ، رواه ابن ماجه والحاكم .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصـار : أفـرأيت الحم ؟ قال الحم الموت » رواه البخـارى ومسلم والترمـذى ، والمراد بدخول الأحماء على المرأة الخلوة بها . كما قال رسول الله ﷺ : « لا يخلـو رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان » .

وعن ابن عبـاس رضى الله عنـه أن رسول الله ﷺ قـال : « لا يخلو أحدكم بـامرأة إلا مع ذى محرم » رواه البخارى ومسلم .

وعن معقل بن يسـار رضى الله عنه قـال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يطعن فى رأس أحـدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » . رواه الطبرانى والبيهقى ورجال الطبرانى ثقاة من رجال الصحيح ، كذا قال الحافظ المنذرى .

وروى عن أبى أمامة رضى الله عنـه عن رسول الله ﷺ قال : « إياك والخلوة بـالنساء ، والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ، ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له » . رواه الطبرانى .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قـال : «كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بـالمجلس فهى كـذا » وكـذا يعنى زانيـة . رواه أبـو داود والترمـذى وقـال حسن صحيح ، ورواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما ، ولفظهم : قال النبى ﷺ : «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكـل عين زانية » : أى كل عين نظرت إليها نظرة إعجاب واستحسان .

وعن ابن عبـاس رضى الله عنهما قـال : « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الـرجـال بالنسـاء والمتشبهـات من النساء بـالـرجـال » . رواه البخارى وأبـو داود والترمـذى والنسائى وابـن ماجـه والطبرانى . وعنه : أن امرأة مرت على رسول الله ﷺ متقلـدة قوساً ، فقال : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » .

وعن أبى هـريرة رضـى الله عنه قـال : « لعن رسـول الله ﷺ الرجل يلبس لبسـة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الـرجل » . رواه أبو داود والنسائى وابن مـاجه وابن حبان فى صحيحـه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

وعن ابن مسعود رضى الله عنـه أنه قال : « لعن الله الواشمات والمستـوشمات والمتنمصات (١) والمتفلجات(٢) للحسن المغيرات خلق الله فقالت له امرأة فى ذلك ، فقال : ومالى لا ألعن من لعنه

(١) المتنمصات : الناتفات شعورهن للزينة .
(٢) المتفلجات : الباردات أسنانهن للتجميل .

رسول الله ﷺ » وهو فى كتاب الله ، قال الله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى .

وعن عائشة رضى الله عنها أن جارية من الأنصار تزوجت ، وأنها مرضت فتمعط[1] شعرها ، فأرادوا أن يصلوها ، فسألوا النبى ﷺ فقال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، وفى رواية : « أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها ، فجاءت إلى النبى ﷺ ، فذكرت ذلك له وقالت ، إن زوجها أمرنى أن أصل شعرها ، فقال لا ، إنه قد لعن الموصولات » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم منها » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه . وفى رواية للبخارى ومسلم : « لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس » . « ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » . رواه مسلم وغيره .

وعن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه » رواه أبو داود وقال مرسل ، وخالد بن دريك لم يدرك عائشة .

وعن أم حميدة امرأة أبى حميد الساعدى رضى الله عنهما أنها جاءت إلى النبى ﷺ فقالت يا رسول الله : « إنى أحب الصلاة معك » قال : « قد علمت أنك تحبين الصلاة معى ، وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك ، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك ، وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك ، وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى » فأمرت فبنى لها مسجد فى أقصى شىء من بيتها وأظلمه ، وكانت تصلى فيه حتى لقيت الله عز وجل . رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما .

وليس بعد هذا البيان بيان ، ومنه يعلم أن ما نحن عليه ليس من الإسلام فى شىء ، فهذا الاختلاط الفاشى بيننا فى المدارس والمعاهد والمجامع والمحافل العامة ، وهذا الخروج إلى الملاهى والمطاعم والحدائق ، وهذا التبذل والتبرج الذى وصل إلى حد التهتك والخلاعة ، كل هذه بضاعة أجنبية لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة ، ولقد كان لها فى حياتنا الاجتماعية أسوأ الآثار .

---

(٣) تمعط شعرها : سقط .

يقول كثير من النـاس : إن الإسلام لم يحرم على المرأة مزاولـة الأعمال العامـة ، وليس هناك من النصوص ما يفيد هذا . فأتونى بنص يحرم ذلك ، ومثل هؤلاء مثل من يقول : إن ضرب الوالدين جائز ، لأن المنهى عنه فى الآية أن يقال لهما : « أف » ولا نص على الضرب .

إن الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنها ، وأن تخلو بغيرهـا وأن تخالط سواها . ويحبب إليهـا الصـلاة فى بيتها . ويعتبر النظـرة سهما من سهـام إبليس ، وينكـر عليها أن تحمل قـوسـا متشبهة فى ذلك بـالرجل ؛ أفيقـال بعد هـذا إن الإسلام لا ينص على حرمـة مزاولـة المرأة للأعمال العامة ؟ ! !

إن الإسـلام يرى للمـرأة مهمة طبيعيـة أساسيـة هى المنزل والطفل ، فهى كفتـاة يجب أن يهيأ لمستقبلهـا الأسرى ، وهى كزوجـة يجب أن تخلص لبيتهـا وزوجها ، وهى كأم يجب أن تكـون لهذا الزوج ولهؤلاء الأبنـاء ، وأن تتفرغ لهذا البيت ، فهى ربته ومـدبرته وملكتـه . ومتى فرغت المرأة من شئون بيتها لتقوم على سواه ؟ !

فإذا كـان من الضرورات الاجتماعيـة مـا يلجىء المرأة إلى مـزاولـة عمل آخـر غير هـذه المهمـة الطبيعية لها ؛ فإن من واجبها حينئذ أن تراعى هـذه الشرائط التى وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة ، ومن واجبها أن يكـون عملها هذا بقدر ضرورتها ، لا أن يكون هذا نظاما عـاما ، من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه ، والكلام فى هـذه الناحية أكثر من أن يحاط بـه ، ولا سيما فى هذا العصر « الميكـانيكى » الـذى أصبحت فيـه مشكلة البطـالـة وتعطل الرجال من أعقد مشاكل المجتمعات البشرية فى كل شعب وفى كل دولة .

وللإسلام بعد ذلـك آداب كريمة فى حق الزوج على زوجه ، والزوجة على زوجهـا ، والوالدين على أبنائهما ، والأبناء على والديهم ، وما يجب أن يسـود الأسرة من حب وتعاضد على الخير ، وما يجب أن تقـدمه لـلأمة مـن خدمـات جلى مما لـو أخـذ الناس بها لسعـدوا فى الحياتين ، ولفـازوا بالسعادتين .

* * *

انتهى مقال الإمام الشهيد حسن البنا عن المرأة المسلمة وسنعالج ما أشار إليه فضيلته من آداب الإسلام فى قيـام الأسرة المسلمة ... حقوق الـزوجين كل على الآخر وواجبهما نحو أبنـائهما وحقوق الوالدين على الأبناء فى الباب الثانى من هذا الكتاب وبالله التوفيق .

الفصل الثانى

مخطط الهدم اليهودى الصليبى
الأسرة المسلمة

المخطط اليهودى

ترى اليهود العالمية أن انهيار الأخلاق فى العالم وسيطرة الشهوات والغرائز الجنسية ... كل هذا يمهد لها الطريق للسيطرة وبسط النفوذ فى العالم أو فى من يسمونهم الأمميين .

لأن انهماك الناس وصرف أنظار الشعوب إلى هذه الأمور يزيدهم تعلقا بالدنيا وحب الحياة ، ويزيدهم خوفاً من الموت ورعباً منه ، ويشغلهم عن القيم الإنسانية العليا والمبادىء والمشاعر التى تدفعهم للحفاظ على كرامتهم وعزتهم والدفاع عن حقوقهم ومقدساتهم ، مما يسهل للحركة اليهودية تحقيق أهدافها بأقل التكاليف والجهود فى بسط سيطرتها على شعوب العالم .

لهذا عمل اليهود على ضرب المجتمعات من الداخل بالانحلال وتقويض دعائم الأسرة بالإباحية ، وكان أول رائد لهم فى العصر الحديث : هو اليهودى (فرويد) ، الذى عمل فى مجال الأخلاق ودارون وماركس فى مجالات الفكر والدين ... فيقولون فى بروتوكولاتهم : يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان لتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس ، لكى يبقى فى نظر الشباب الشىء المقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار الأخلاق . فى إطار هذا المخطط عمل فرويد وجاءت نظريته النفسية لتقول : إن الغريزة الجنسية هى التى تتحكم بسلوك الفرد وتحدد جميع العلاقات ، وكبت هذه الغريزة والحد من نشاطها يؤدى إلى كبت جميع طاقات الإنسان ، وأن الدين ناشىء من الكبت ، من عقدة أوديب ، من العشق الجنسى الذى يحسه الولد نحو أمه ، من رغبة الإبن فى قتل أبيه ! ... وانتشرت هذه النظرية بين الشباب فى الغرب ، وضربت الأخلاق ، وهبطت بالإنسان إلى مستوى أقل من الحيوان . ثم تبعه اليهودى (دوركايم) بنظرياته الاجتماعية ليقول : إن الأسرة عمل صناعى ولا ضرورة لها والأصل هو شيوعية النساء ، فهدم أساس المجتمعات .

ولم تقف المؤامرة عند هذا الحد . وإنما حرصت على إخراج المرأة من بيتها إلى الطريق .

- ماركس يقول : إن المرأة يجب أن تخرج إلى ميادين العمل العامة مع الرجال ، والأسرة نظام برجوازى رجعي يجب هدمه .

- ودوركايم يقول : إن الزواج ليس فطره والأسرة ليست نظام طبيعى .
- وفرويد يتلقفها فيقول لها : إنها لابد أن تحقق كيانها تحقيقا جنسيا خالصاً من القيود .

وراح شياطين اليهود ينشرون هذه النظريات النفسية والاجتماعية فى المؤسسات التعليمية والتربوية والثقافية والإعلامية ، كما عملوا على استغلال جوانب الحياة الأخرى فعمدوا إلى تشجيع الترف الذى يجلب الهلاك ويخلق الحقد بين الطبقات ويغرق المجتمعات فى الفساد والانحلال .

- كذلك يسيطر اليهود فى أوربا وأمريكا على دور الأزياء وبيوت الزينة ، وبذلك يُعينون ملابس الرجال وأزياء النساء من آن لآخر فيمسخون الرجل ويعرون المرأة . والهدف النهائى لهذه البيوت أن تجعل المرأة التى أخرجها ماركس للعمل فتنة ، تشغل بال الشباب بالفتنة والإغراء ، وتحلل فى قلبه وازع الإيمان والتقوى .
- ولم يغفل اليهود الفن بمظاهره المختلفة ووسائله المتنوعة للإفساد ، فالأغنية أصبحت دعوة صريحة إلى الفسق والفجور » والسينما ، وهى مؤسسة يهودية تعمل على إفساد الأولاد والبنات بما تعرض عليهم من فتنة .

ويدير اليهود الملاهى والمراقص وبيوت الدعارة فى أكثر بلدان العالم حتى تحولت المجتمعات إلى مواخير تعج بالفساد والدعارة .

- وتلعب النساء اليهوديات المتنكرات فى جنسيات مختلفة دوراً كبيراً فى إفساد الأخلاق وسلب الأموال واستغلال الزعماء السياسيين ورؤساء الدول ، فالملاحظ أن الكثير من هؤلاء الزعماء لهم زوجات أو خليلات يهوديات يطلعن على أسرارهم لخدمة المخططات اليهودية .
- وهم يعملون بشتى الوسائل المغرية للتشجيع على اختلاط الجنسين .
- ويقومون على نشر المجلات والكتب الجنسية المهيجة والقصص الغرامية المثيرة والصور العارية فى أوضاع شتى . ومن المعروف أن أكبر ناشر للأدب الجنسى المكشوف فى العالم رجل يهودى يعمل تحت اسم مستعار (موريس غيروديياس) واسمه الحقيقى (غورديياس بن جاك كاهان) » وأبوه من قبله كانت مهنته نفس المهنة وتوفى سنة ١٩٤٩ م ، وسلسلة كتبه تحت اسم (أولمبيا) ، والمكتبة الشهيرة التى تبرز وتروج وتبيع كتب هذا الناشر هى (برنتانو) فى مدينة باريس .

لقد أشار هنرى فورد فى كتابه « اليهود العالمى » ، بأن اليهود من أجل تحقيق غاياتهم ، قد سيطروا على ثلاثة أشياء : البنوك للربا ، والسينما لتقديم مفاهيمهم المسمومة ، وشركات الملابس والأزياء والمساحيق والعطور ، وسواها من مستلزمات (الموضة) فكلما غيروا الأنماط (الموضة) زادو النساء شراء وإنفاقاً ، وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود . وهم يحققون أيضا قتل الأخلاق ويشيعون التفسخ وينشرون الشهوات » وإنما الملابس القصيرة ابتكار يهودى » فقد رفعوا أزياء

النساء فوق الركبة ، ليزل الحياء وتنتشر الرذيلة ، ويشيع الاختلاط غير البرىء بين الشبان والشابات ، وتضيع طهارة الفتاة وتتهدم الأسرة وتنتشر الأمراض الجنسية ، ويبتلى الأطفال وينشأ جيل ضائع موبوء مريض .

والمرأة المسلمة تسعى إلى حتفها وحتف أمتها دون أن تدرى ، وقبل أن تفيق من أحلامها وأهوائها .

وابتلى العالم الإسلامى بهذه الشرور منذ أن استعمره عبيد اليهود من الغرب الصليبى ؛ فالعادات والتقاليد التى جعلت للأمة الإسلامية خصائص نفسية معينة سمت بها ، وأعطتها صلابه وتميزاً[1] صارعت بها كل الخطوب والنوازل ... هذه العادات أصبح وجودها فى حياة الأمة مستهدفاً لهذه التيارات الانحلالية ، التى لم تدع مكاناً الآن إلا دخلته من المدينة إلى القرية .

وما أصاب التقاليد ، أصاب الأسرة ــ حصن المجتمع ومصنع طاقاته ــ فأخذت تعصف بها تيارات الهدم بسبب انحلال الرجل وفقدانه رجولته واستهتار المرأة وفقدانها العواطف النبيلة وصفات الأنثى الفاضلة .

واليهود يركزون على تدمير الحياة الأسرية للوصول إلى أهدافهم الشريرة ، فقد جاء فى البروتوكول العاشر : « فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية ، فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأمميين ـ غير اليهود ـ وتفسد أهميتها التربوية » .

الواقع أن الحملات اليهودية والصليبية عندما استطاعت الدخول إلى الأسرة المسلمة ، قد استولت على أهم معقل فى المجتمعات الإسلامية فبكرت بتوجيه حملاتها الإفسادية للفرد المسلم قبل أن يخرج إلى الحياة مزوداً بأسباب المناعة والحصانة التى يستمدها من تربيته الأسرية ، حيث تولته فى أسرته منذ الطفولة ليشب على الفساد ويتلقن اتجاهات وتقاليد الميوعة والاستهتار من أمه وأبيه ... من أمه التى لا ترى لهاقدوة إلا فى الممثلات وعارضات الأزياء والغانيات . والحقيقة التى لامراء فى الشرق الإسلامى أصبحت رسول فساد أينما ذهبت ـ إلا من رحم الله ـ فهى فى البيت إلا أن يملأها (حقيبة يدها بأوراق البنكنوت) لتنفقها فى اللهو والزينة ولا يهمها بعد ذلك من أى طريق جاء هذا المال من حلال أم من حرام ! ! كما أصبحت لاتفهم رباطها بالزوج إلا كما تفهم البقرة رباطها بفحل البقر . وهى فى المجتمع عامل إغراء وفتنة تنشر الفساد فى كل ناحية بعريها وميوعتها ، وينعكس هذا الأثر على نفوس الشباب الذى مسخ إلى عجول حيوانية فى صور آدمية تنتشر على مفارق الشوارع والحوارى فى المدينة لينهش بعيونه الجائعة أجساد الغاديات والرائحات من الكاسيات العاريات ، فانطمست بذلك فطرته وتدنست طهارته وغرق فى هذه التيارات النجسة وانصرف عن واجباته ، وأصبح لايعى مستقبله ولا ما يراد له فى غده .

(١) راجع خاصية « التميز » فى هذا الكتاب .

ويعبر عن هذا الوضع الشائن للمرأة المسلمة اليهودى « موروبيرجر » فى كتابه « العالم العربى المعاصر » الذى صدر عام ١٩٦٣ بأسلوب فرح مستبشر لخروج النساء على الإسلام ... يقول : « ... والسلوك والأخلاق تتغير بسرعة لدرجة أن الحكومات أصبحت تراقب هذا التغير ، - فالتغرب - قد أثر تماما بالعلاقات بين الرجال والنساء ، وهو أشد أنواع التغير هولا ، والإسلام أكثر صرامة من بقية الأديان فى تحريمه تبرج النساء وزينتهن ، إلا أن هذا التحريم يصاب فى كبده من سهم ملابس النساء وتحررهن المتواصل » .

هذا ونسمع أن المرأة قامت لتشارك فى القضايا القومية بعقد مؤتمرات لاتختلف فى حقيقتها عن حفلات اختيار ملكات الجمال وعروض الأزياء ... فهى تروح إليها لاستعراض فتنتها وزينتها التى يستحضرها لأمثالهن من المتحررات اليهودى (ماكس فاكتور) الذى يملك أكبر مصانع أدوات التجميل فى الغرب .

على أن أخطر ما ابتلينا به هو فقدان الغيرة والحساسية بقيمة الأخلاق وقيم الرجولة ، فقد كان الرجل المسلم أشد حرصا على صيانة نسائه وأعراضهن وشرفهن وحفظ عفافهن وطهرهن ، من أن يصاب بخدش أو بطعن ، أو يمس بخبث أو دنس ، أو يلحق بأذى أو ضر ، فقد كانت غيرته أصلا فى تدينه ، ودليلا على عظم كرامة المرأة عنده ، فهو الذى تربى على قول الرسول ﷺ « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة ، مدمن خمر ، والعاق ، والديوث الذى يقر فى أهله الخبث » [(١)] . فأصبحنا وقد تبلدت هذه الحساسية وقتلت هذه الغيرة فينا بفعل مخططات الانحلال اليهودى الصليبى ، وصار الأب لايبالى أن يرى ابنته كاسية عارية ، تصاحب الشباب بحجة الزمالة فى الجامعة ومعاهد التعليم ، أو العمل ، أو نوادى الرياضة ، أو على الشواطىء ، بل هو يصطحب زوجته وأولاده إلى السينما يشاهدون مناظر الفجور والزنا تعرض عليهم خطوة خطوة . وهو يتكدس بجانبهم كومة من اللحم البارد لا يحركه شعور ولا تهزه غيرة ولانخوة .

وكان الأجدر بأولى الأمر فى أمتنا أن يكونوا أكثر يقظة وانتباهاً لهذه التيارات المخربة والمخططات المدمرة الذى يزجيها اليهود إلينا كسلاح فى معركتهم معنا ، لتحطيم صلابتنا ، ولكنهم راحوا يحملون العبء كله كوكلاء عنهم فى تنفيذ هذه المخططات ، يقومون بكل التسهيلات لإنشاء الملاهى وأندية القمار ويتسترون على بيوت الدعارة ويقدمون لها كل أسباب الحماية ، ويشجعون قيام حفلات ملكات الجمال ، والغناء والرقص ويصرفون المكافآت للراقصين والداعرين والداعرات باسم تدعيم الفنون ، وأقروا الاختلاط بين الجنسين فى دوائر العلم والعمل والأماكن العامة وأيام الأعياد المختلفة ، وحاربوا كل دعوة إلى نظافة الأمة وتطهيرها من كل الموبقات ويصدون عن سبيل الله ويقفون لكل سالك له يريد أن يتطهر ... وبذلك كانوا وكلاء عن تنفيذ هذه المخططات وفتحوا جميع النوافذ على المجتمعات الإسلامية لتدخلها كل تيارات الهدم والفساد .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند .

جاء البروتوكـول الثالث عشر من بروتوكـلات صهيون يقول : « ولكى نبعدهـم ـ غير اليهود ـ عن اكتشاف سير خط جديد فى السياسة سنلهيهم بأنواع شتى من التسلية كالقهار والملاهى و إثارة العواطف ونشر منازل الدعارة ، ونقوم بالإعلان فى الصحف داعين الناس إلى الدخول فى مباريات شتى من أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليها . هذه المتع الجديدة ستلهى الناس نهائيا عن المسائل التى قد تثير النزاع بيننا وبينهم ، وحالما يفقد الناس تدريجياً نعمة التفكير المستقل سنكون الوحيدين الذين يكـونون أهلا لتقديم خطوط تفكير جديدة عن طريق وسطـاء لن يرتاب أحد فى أنهم من أتباعنا وسنحاول أن نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة التى يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية » ! ! .

المخطط الصليبـى

عندمـا انتهت الحرب الصليبية بهزيمة الصليبين ، لم ييـأس هؤلاء من العودة إلى احتـلال بلاد الإسلام ، فاتجهـوا إلى دراسة هذه البلاد فى كل مـا يخصها من عقيدة وعـادات وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفـوها ، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه ، ولما تم لهم الاستيلاء العسكرى والسيطرة السيـاسية ، كان من دوافع التبشير والاستشراق إضعاف المقاومـة الروحية فى نفوسنـا ، وبث الوهن والارتبـاك والفوضى فى أوضـاعنا الاجتماعيـة والثقافية ، وذلك عـن طريق التشكيك بفائدة ما فى أيدينا من تراث ، وما عنـدنا من عقيدة وأنظمة اجتماعية وأخلاقية ، فنفقد الثقة بأنفسنـا ، ونرتمى فى أحضـان الغرب ، ولا نرى غضـاضة فى استمرار تبعيتنـا له بعـد جلائه العسكرى .

وتحددت رسالـة التبشير بعامة ومدارس إرسـالياته بخاصـة فى تشويه المعتقدات الإسـلامية فى نفـوس المسلمين وزعزعتهـا والتشكيك فيها اكتفـاء بانحـلال الروح الإسـلامية . وذلك بعـد أن أدركت الدوائر الصليبية أنه من العسير أن يرتد مسلم عن دينه ، على أثر شكاوى من المبشرين فى أحد مـؤتمراتهم عن إخفاقهم فى تحويل المسلمين إلى النصرانيـة ، حيث أنه لا يستجيب أحـد من المسلمين للتبشير إلا أحـد اثنين : طفل مخطوف من أهلـه وهـو صغير فيربى على النصرانية وهـو جاهل لعقيدته » أو رجل معدم لا يجد سبيلا للعيش إلا بالدخول فى النصرانية ليحصل على لقمة العيش ويظل من المشكوك فيه أنه غير عقيدته حقيقة . ويقوم القس « صموئيل زويمر » ليعلن فى هذا المؤتمر عـن الهدف الحقيقى للتبشير ومدارسه ، يقـول : « إن الخطباء أخطأوا أيما خطـأ ، وأنه ليس الهدف الحقيقى للتبشير هو إدخال المسلمين فى النصرانية ، وإنما الهدف هو تحويل المسلمين عن التمسك بدينهم » وفى ذلك نكون قد نجحنا نجاحاً باهراً عن طريق مدارسنا الخاصة ، وعن طريق المدارس الحكومية التى تتبع مناهجنا » .

ويذهب المبشرون ومن ورائهم الدوائر الصليبية الاستعمارية فى أهداف المدارس إلى أبعد من هذا ، إذ يرون أن المدارس ليست غاية فى ذاتها « وأنها لا تعدو أن تكون وسائل بالغة التأثير حيث تشمل بالتربية أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة فى أوطانهم [(١)] .

كما أدرك المبشرون أن المرأة ذات أثر عميق فى التربية فأولوها اهتماماً كبيراً « فبادروا إلى إنشاء أول مدرسة تبشيرية للبنات فى بيروت عام ١٨٣٠ م ، ومن ثم فتحوا مدارس كثيرة للبنات فى مصر وسورية والهند وأفغانستان وجميع بلدان العالم الإسلامى التى ابتليت بالاستعمار الغربى . وقالوا : « إن التبشير يكون أتم حبكاً فى مدارس البنات الداخلية ، لما يكون من الأحوال المواتية والفرص السانحة إن المدرسة الداخلية تفضل المدرسة الخارجية لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق ، ولأنها تنتزعهن من سلطات بيتية غير مسيحية ، ويفرح المبشرون إذا اجتمع فى مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة لأن نفوذ هؤلاء يكون حينئذ فى بيتهن أعظم . وتتكلم المبشرة « أنا ميليغان » فتقول : « فى صفوف كلية البنات فى القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات ، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى ، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة [(٢)] .

وعن طريق هذه المدارس وفى إطار الخطة العامة للتبشير والاستشراق فى « إضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب ، وإثبات تفوق المثل الغربية من جانب آخر ، وإظهار أى دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر » [(٣)]. عن طريق هذه المدارس اهتم المبشرون بما يسمونه « تحرير المرأة » ، وتخريج جيل من الفتيات المسلمات اللواتى لا يعرفن عن دينهن وتاريخهن شيئاً ، ويتعلقن بالحياة الغربية التى تفسح لهن الطريق إلى الفساد والانحلال باسم المساواة والتحرر من الرجعية .

لقد أراد المبشرون أن يخرجوا المرأة المسلمة من عقيدتها وخلقها وكرامتها ، ودعوا إلى تعليمها وفق مناهجهم التربوية الخبيثة تصبح متحررة من الإسلام ، ولتنطلق على هواها ، فلا تكون فى المستقبل الأم المسلمة التى تغرس فى أطفالها غراس الإسلام والإيمان ، وتنشئتهم على الولاء لدينهم ولأمتهم يضحون فى سبيلها بالنفس والمال . بهذا النوع من التربية يتحقق للمبشرين هدفهم الخطير الذى لا يفترون عن العمل لبلوغه ، وهو القضاء بشتى الأساليب على كل ما يؤدى إلى قيام جيل مسلم يحمل رسالة الإسلام من جديد .

فلم تخل مؤتمرات المبشرين فيما أصدرت من قرارات وتوجيهات من الإلحاح على تحرير المرأة المسلمة بمفاهيم التحرر عند الغرب وتعليمها لتشب وقد أشربت روح الغرب وقيمه . جاء فى كتاب الغارة على العالم الإسلامى الذى صدر فى فرنسا قبل نيف وخمسين عاماً ما يؤكد ذلك جاء

(١) انظر « التبشير والاستعمار » للدكتور عمر فروخ ومصطفى الخالدى ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٨٦ .
(٣) عن « المستشرقون : ما لهم وما عليهم » لفضيلة الدكتور مصطفى السباعى .

فى الصفحة ٤٧ « ينبغى للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء » ، وجاء فى صفحتى ٨٨ ، ٨٩ التقرير الخاص بأعمال « مؤتمر لكنو ومؤتمر القاهرة التبشيرى » ، فقد وضع مؤتمر لكنو التبشيرى الذى عقد سنة ١٩١١م فى برنامجه عدة أمور منها :

« استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائى » . أما لجنة مواصلة أعمال مؤتمر القاهرة الذى عقد سنة ١٩٠٦ م فقد وضعت هى الأخرى برنامجا يحتوى على مواد منها :

« المادة السابعة : الارتقاء الاجتماعى والنفسى بين النساء المسلمات » . ! ! من أجل ذلك كانت هذه المحاضن الأساسية للصليبية مستحقة لما تبذله دوائر الغرب وحكوماته من امكانات بشرية ومالية وجهود فنية وعلمية سخية ، فالعائد كبير والثمار ضخمة ... وليس أكبر عندهم من دك حصون المسلمين من الداخل وفى مقدمتها حصن الأسرة ومعولهم فى ذلك هى المرأة التى تخلع ثوب الإسلام فى مدارس الإرساليات التبشيرية ، وتتطبع فيها على حياة العرى ... عرى الروح وعرى الجسد .

وقد وضع الكاتب الفرنسى « مسيو ايتين لامى » النقط على الحروف فى مقاله الذى نشرته مجلة « العالمين الفرنسية » منذ ثمانين عاماً ، كاشفاً عن أهداف الخطة الصليبية لهدم الإسلام بقوله : ! ! إن مقاومة الإسلام بالقوة لاتزيد إلا انتشاراً ، فالواسطة الفعالة لهدمه وتقويض بنيانه هى تربية بنية فى المدارس المسيحية ، وإلقاء بذور الشك فى نفوسهم منذ الطفولة ، فتفسد عقائدهم من حيث لا يشعرون ، وإن لم يتنصر منهم أحد فإنهم يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين ، وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضر على الإسلام مما إذا اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها .

« إن طريقة تربية أبناء المسلمين وإن كان لها من التأثير ما بيناه ، فإن تربية البنات فى مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة الغرض ووصولنا إلى نفس الهدف الذى نسعى إليه ، بل أقول إن تربية البنات بهذه الكيفية هى الطريقة الوحيدة للقضاء على الإسلام بيد أهله .

ثم انتهى إلى تحديد الغاية فى تربية البنات فى مدارس الإرساليات بقوله : « إن التربية المسيحية أو تربية الراهبات لبنات المسلمين توجد للإسلام داخل حصنه المنيع ـ الأسرة عدوة لدودة وخصم قوى لا يقوى الرجل على قهره . لأن المسلمة التى تربيها يد مسيحية تعرف كيف تتغلب على الرجل ، ومتى تغلبت هكذا ، أصبح من السهل عليها أن تؤثر على عقيدة زوجها وحسه الإسلامى . وتربى أولادها على غير دين أبيهم ، وفى هذه الحالة نكون قد نجحنا فى غايتنا من أن تكون المرأة المسلمة نفسها هى هادمة الإسلام » .

وعلى ضوء ماسبق ، نجد أن المخطط التبشيرى الاستعمارى فى العالم الإسلامى يتبع هذه الخطوات :

١ ـ **خطوة التشكيك** : ... تشكيك المسلمين فى إسلامهم وصلاحيته كمنهج حياة ، والعمل على إقناعهم بأنه سبب تأخرهم وانحطاطهم ، فالغرب لم يتقدم إلا بعد أن نفض عن كاهله أعباء الدين والتزاماته ، وليس للمسلمين من سبيل إلى التقدم غير ترك دينهم والتحلل من قيمهم والسير فى الطريق الذى سلكه الغرب .

٢ ـ **خطوة التذويب** : ... وهدفها سلخ المسلمين من أخلاقهم ومقوماتهم الشخصية ، فيذوبوا فى دوامة الحضارة الغربية ، وذلك بالعمل على دعوتهم إلى مبادىء جديدة تحل محل العقيدة ... دعوتهم إلى الشيوعية والقومية العنصرية ، والعمل بكل الطرق على تحطيم حصن الأسرة الذى يخرج الأجيال المسلمة بتأليب المرأة على الرجل باسم الحرية والمساواة ، يقول الدكتور زويمر فى كتابه ـ أشعة الشمس فى الحريم ـ « إننا قد تعلمنا أن هناك خططاً أخرى غير الهجوم المباشر على الإسلام والضرب العشوائى على الحائط الصخرى ، أصبح علينا أن نتحسس الثغرة فى الجدار ونضع البارود ، فنحن عرفنا أن الثغرة تقع فى قلوب نساء الإسلام ، فالنساء هن اللواتى يصنعن أولا المسلمين » .

٣ ـ **النتيجة** : وكانت النتيجة أن نشأ جيل من المسلمين كافر بأمته مؤمن بحضارة الغرب ، يدافع عنها ويأخذ بها منهجاً لحياته ويعتبرها حضارة تقدمية بينما يعتبر المنهج الذى يقدمه دينه وحضارة أمته حضارة رجعيه ، فوجد منهم من يكن الولاء لموسكو أو واشنطن أكثر من ولائه لأمه ووطنه ، كما وجد منهم من يحرص على مصلحة الشيوعى اليهودى أكثر من حرصه على أبناء وطنه وجنسه ، وهكذا نشأ فى المسلمين جيل يكفر بكل المقومات التى صانت هذه الأمة من الذوبان ؛ فاستغل المستعمرون أمثال هؤلاء فاتخذوا منهم صنائع لهم وأوصلوهم إلى أعلى المناصب (١) : وحكموا هذه البلاد من ورائهم وسخروهم لتنفيذ مخططاتهم ... يقول الدكتور زويمر للمبشرين : « إنكم أعددتم شباباً فى ديار المسلمين لايعرفون الصلة بالله ، ولايريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية ، وبالتالى جاء النشء الإسلامى طبقاً لما أراده له الاستعمار لايهتم بعظائم الأمور ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه فى دنياه إلا فى الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز فللشهوات ، ففى سبيل الشهوات يجود كل شىء » .

حركة تحرير المرأة

إن المتتبع للحركة المعروفة باسم « تحرير المرأة » يجد أن أصولها الفكرية البعيدة ، تعود إلى « بولس » مؤسس المسيحية التاريخية الحالية ، والتى تعتبر رسائله أقدم الوثائق المسيحية فى تاريخ

(١) من المعلوم ، أنه لم يكن يتقلد المراكز الحساسة والمرموقة غير المتخرجين فى مدارس وكليات الارساليات التبشيرية بينما لم يجد خريجو المعاهد والجامعات الإسلامية الوظائف العادية .

الكنيسة ، إذ أنها تعد أقدم من الأناجيل الأربعة كلها ، بل إن رسائله تعتبر المادة الأساسية الأولى للأناجيل .

ذلك أن هذا اليهودى الذى أعطى لنفسه صفة الرسـول ، هو الذى أوجد فى الديانة المسيحية فكرة تعارض زواج المرأة من الرجل ، وجعلها تتنافى وعبادة الرب ! !

ويعبر عن هذه الفكـرة المضادة للطبيعة البشرية فى قولـه فى إحدى رسائله التـى تعتبر مقدسة عند الكنيسة ، وهى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ، إذ جاء فيها :

« أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا » . أى غير متزوجين .

ولماذا يظل الإنسان غير متزوج ؟

يجيب على هذا بولس فى نفس رسالته بقوله : « إن بين الزوجة والعذراء فرقاً » غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً ، أما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضى رجلها » .

ومن هنا نشأت فكرة الرهبنة فى المسيحية الحاليـة بين الرجال والنساء ، واعتبر الزواج فى الفكر الكنسى فى درجة الخطيئة لأنه استجابة لرغبات الجسد الدنس الخاطىء ! ! .

وعلى الجانب الآخر وفى الجبهـة الأخرى يلتقط شياطين اليهـود الآخرين هـذا الخيط المتعارض وفطرة الإنسان لينسجـوا منه نظـرية أخـرى ، تروج لفكـرة الإعلاء من شأن الجنس كـرد فعل على الكبت الناجم عن الأخذ بنظرية الرهبنة وفكـرة الكنيسة فى الجسد وخاصة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بعد ظهور نظرية سيجموند فرويد فى الجنس .

وقد تبلورت فكرة تحرير المرأة بالذات فى عصر الثـورة الفرنسية وعصر النهضة الأوربية المعروف بعصر التنوير ، وخاصة بعد نجاح الماسونية اليهودية فى القضاء على سلطان الكنيسة والإعلاء من شأن العقل باعتباره هـو مصدر المعرفة الـوحيد ، بعد أن فقد الإنسـان الأوروبى ثقته فى الكنيسة التى كان يستمد منها قيمه العليا ومثله الأخلاقية فى الحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية .

وتنجح الثورة الفرنسية وتطيح بالكنيسة ، وتعلن مبادىء الحرية والإخاء والمساواة وتصبح فكرة الإيمان بـالوطن والـدولة هى دين الشعب الفـرنسى وتحل القوميـة الفرنسيـة والديمـوقراطيـة محل العقيـدة المسيحية ، وأصبح الـوطن هـو القيمة العليـا والوحيـدة التى تبـذل فى سبيله النفـوس والأمـوال ، وتصبح فـرنسا بعـد ذلك دولـة علمانيـة ليست لها علاقـة بـالكنيسـة تطبيقاً لمبـادىء مـونتسكيو وجـان جاك روسـو وفـولتير فى فصل الدين عن الـدولـة ، وظهور مـا يسمى بالحريـة الشخصيـة والحرية الاقتصـادية والمذاهب الفكـريـة الهدامة المتمـردة على الله تحت اسم التقدميـة العلمية ، والأفكار المعاصرة وحرية الفرد المطلقـة بلا حـدود ولا ضوابـط ، ومن هـذه الحريـات « حرية المرأة » التى أثيرت حولها ضجـة مفتعلة تنادى المرأة بتحريرها من الـرجل وانطلاقها لممارسة

حريتها الاجتماعية والسياسية ، وخروجها للعمل ، وكان ذلك كله كرد فعل طبيعى لقيود الكنيسة ونظرتها المعتسفة الخاطئة للجنس والمرأة وللجسد « الذى هو فى عرفها « وعاء الخطيئة » .

كانت كتابات فولتير الماجن بالذات تحض على الانحلال والفوضى والشهوة ، وظهرت المرأة كهدف نهائى للبهجة والمتعة ، كما أصبحت سلاحاً رئيسياً فى تدمير المجتمعات والقضاء على أحلام الشعوب .

فلسفة تحرير المرأة
فى المجتمعات الغربية

إن الفكر الغربى حينما أراد أن يتحرر من آثار المفاهيم التى كانت مفروضة عليه فى ظل المسيحية الكنسية قد تجاوز ذلك كله تجاوزاً كبيراً من النقيض إلى النقيض ، وعجز أن يوجد التوازن فى هذا الأمر . فالمسيحية الكنسية التاريخية كانت ومازالت تحمل بذور المعادلة الصعبة التى فرضتها اليهودية التلمودية بالاتجاه المادى البالغ الخطورة ، والذى ترددت فيه البشرية من قبلها ، فجاءت المسيحية الكنسية تدعو إلى الأخلاق وإلى تطهير النفس من الفساد فى مواجهة الانحلال والابتذال الذى كان مفروضاً على المجتمع الرومانى فبعد أن كانت المرأة فى الدولة الرومانية تستبدل أزواجاً ثمانية فى أقل من خمس سنوات ، فتحت أبواب الأديرة للعديد من النساء وخاصة الساقطات والمومسات اللائى أردن أن يتطهرن من فاحشة الزنا .

غير أن هذه المفاهيم لم تلبث أن خرجت عن هذا الحد ، فأصبحت رهبانية انعزالية تكره الحياة وتحتقر الجسد ، وأصبح الطلاق مقيداً تقييداً صارماً بل وأصبح الطلاق نفسه خطيئة مهما كانت الظروف ، وراحت الدعوة إلى الزهد وكبح الجسد وطاقاته وأصبحت المرأة لعنة أبدية .

كان هذا هو الخيط الذى تلقفته اليهودية فجاءت بالنقيض العكسى تماماً فى صورة التحرر والانحلال فظهرت الوجودية (١) البوهيمية المادية المتعطشة لشهوة الجسد وتصوراتها الحيوانية عن المتعة الجسدية ورفض رباط الزواج « وظهور أفكار العبث واللا معقول ، وأخيراً الدعوة إلى الهيبية .

كل هذه المذاهب الفاسدة تعتبر رداً على الزهادة المسيحية المفتعلة التى تتنافى والطبيعة البشرية ، والتى تتمثل قمتها فى عدم زواج البابا نفسه كرمز للطهارة الجسدية ، فجاءت هذه

(١) من فلاسفة الوجودية المعاصرين جان بول سارتر وعشيقته سيمون دى بوفوار وهما يهوديان ومن كبار دعاة الإباحية والانحلال فى كتاباتها القصصية والمسرحية .

الأفكار المضادة لإسقاط النفس البشرية فى مجالات اللذة والشهوات حتى تصبح غير قادرة على الدفاع عن نفسها أو تركيز وجودها ، وأصبحت المرأة بجسدها سلاحاً خطيراً فى هذه الدعوات ، وارتفعت صيحة « تحرير المرأة » ترتكز على مفاهيم مدمرة ، وإن كانت تدعى العمل على الإعلاء من قدر المرأة .

إن هذه المفاهيم المدمرة تظهر بوضوح فى التفسير النفسى والاجتماعى التى تشكله الفلسفات المعاصرة وهى تقوم أساساً على المبادىء اليهودية التالية :

١ ـ إن الأسرة ليست نظام فطرى ، ولكن الاتصال الحر بين الرجل والمرأة هو الفطرة الطبيعية .

٢ ـ إن إطلاق حريات المرأة هو الطريق الصحيح لحركتها فى المجتمع .

٣ ـ إن خروج المرأة للعمل هو العامل الأكيد فى قدرتها على امتلاك إرادتها إزاء الرجل .

٤ ـ إن المرأة على قدم المساواة مع الرجل فى كل الخصائص ، ولكن السر فى ضعفها هو الحيلولة بينها وبين حرياتها فى العصور الماضية التى منعتها من ممارسة هذه الحرية .

٥ ـ إن من حق المرأة أن تباشر رغبتها الجنسية دون الحاجة إلى الزواج أو الأولاد فإن هناك من وسائل الطب ما يمنع الحمل .

٦ ـ المرأة بهجة المجتمع ولا يتشكل المجتمع إلا باشتراكها فيه ولا تولد القصة الأدبية إلا بتحرر المرأة ، حيث تولد القضايا والمآسى العاطفية والأحداث الساخنة المثيرة .

٧ ـ إنكار الدعوات الدينية التى تدعو إلى العفاف والبكارة والبيت بحجة إفساد الحمل والولادة لجمال المرأة وجسدها .

٨ ـ عدم التفريق بين امرأة المجتمع الفاضلة وبين الغانية والراقصة ، وجعل الأخيرة نموذجاً للأزياء الحديثة وأدوات الزينة لتقلدها كل النساء .

٩ ـ إعلاء شأن العقود المدنية فى الزواج وظهور نظريات الترابط بين الرجل والمرأة بدون عقد مكتوب يوجب قيود الرجعية .

١٠ ـ ظهور عيادات الأطباء التى تعلن عن إجراء عمليات الإجهاض .

١١ ـ ظهور أندية العراة واختلاط الرجال والنساء فى أحواض السباحة ، تحت اسم الرياضة وظهور اختلاط النساء بالرجال على شواطىء البحار بالمايوهات العارية (البكينى) والاهتمام بمسابقات جمال السيقان والصدور لانتخاب ملكات الجمال .

١٢ ـ استشراء أدب الجنس والأدب المكشوف وقصص الإباحية باعتبارها ظاهرة طبيعية فى المجتمع .

١٣ ـ ظهـور حق تحرر المرأة اقتصادياً ، واختيار الـزوج دون الرجوع إلى أوليائهـا ، ودفعها للعمل والاعتماد على ما تكسبه لايجاد شخصية نسائية جـديدة لها استقلالها التام لا فرق بينها وبين الرجل .

١٤ ـ الدعـوة إلى إيجاد فترة تجربة لاختبار الزوج قبل الزواج ويتعلق تمام الزواج بنجـاح التجربة فى فترة الخطوبة المفتوحة .

١٥ ـ ظهور ما يسمى بصـديق العائلة والقول بأن طول فترة الحياة الـزوجية على رجل واحد وامرأة واحدة ، تبعث على الملل ، وظهرت الدعوة إلى تبادل الزوجات بين الأزواج للتغيير والتنويع والقضاء على الملل ، وظهور الخليلة بجوار الحليلة [١] .

١٦ ـ أصبح لدور البغـاء حقوق قانونية لـدى الدولة لحمايتها علاوة على حمايـة المجتمع بأوضاعه وأعرافه وتقاليده .

وبعد : فإنـه مما لاشك فيه أن هـذه المفاهيم الأساسيـة التى تقوم عليها فلسفـة تحرير المرأة فى الفكـر الغربـى إنما تعطـى صورة لأخطـر تمويـه يستهدف تـدمير الأسرة واستعباد المرأة بحجـة تحريرهـا ، وتتكشف أهداف هذه الفلسفـات الحديثة من خـلال عصر التنوير وفى ظـلال الخطة الماسونية الخبيثـة ومن خلال الرجل والمرأة على حساب كرامة المرأة وعفـافها ، وعلى حساب الأسرة والبيت والأجيال القادمة [٢] .

وقد استطاعت هذه الفلسفات إيجاد عقلية جديـدة للمرأة تصورها بصورة الشخصية المستقلة القادرة على الحيـاة فى المجتمع متحررة أو متحللة من سلطة الأب والأسرة والـزوج ، فقد أصبحت قـادرة على الإنفـاق على نفسهـا وتبعا لـذلك الاستقـلال المادى فإنـه أصبح من حقهـا أن تختـار الأسلـوب الذى تـرضـاه والطريق الـذى تقرره لسلـوكهـا الاجتماعى وعلاقتهـا بـالرجل فى الحيـاة الاجتماعيـة سواء داخل الأسرة أو خـارجهـا ، كـذلك فإن التقدم العلمـى فى مكتشفات عقـاقير وأسـاليب منع الحمل وأدوات الإجهـاض وتيسير الحصـول عليهـا قد مهـدت الطـريق أمـام كل الرغبـات فى ظل منـاعة طبية مقـررة مشروعة تعيـد البكارة والعـذرية وتحول فى نفس الـوقت دون حدوث الحمل .

وفى انحلال المرأة مـا فيه من آثار لها نتائجهـا فى صرف الرجل عن الزواج أو تراخيـه فى تكوين الأسرة أو استمـرارها بعـد تكـوينها ، وتجىء قـوانين الأسرة والأحـوال الشخصية فى بعض البـلاد الإسلامية لتكون فى خدمة هذه الاتجاهات وتشجيعا لها من خلال النصوص الجديدة التى أدخلت على البيئة الإسـلامية لدفع المرأة إلى التمرد والتحلل والنشـوز فى حماية هذه القوانين ، ممـا يؤدى فى النهاية إلى إسقاط قـوامة الرجل وفقدانه هيبته داخل الأسرة . فتـدب الفوضى فى أركان البيت فلا

---

(١) صدر قانون فى ألمانيا الغربية عام ١٩٦٣ ، يبيح تبادل الزوجات بين الأزواج فى يوم معين من السنة لازاحة الملل الناتج عن عدم التغيير .
(٢) انظر كتاب الأيديولوجيا والفلسفات المعاصرة فى ضوء الإسلام للأستاذ أنور الجندى .

ينال الكبير حقه فى التوقير والاحترام لايستطيع الصغير أن يجد لدى الكبير نسمة الحب والحنان والرحمة التى تهفو بها روح الكبير طالما اشتعلت النيران فى قلبه .

وننهى هذه العجالة فى قضية تحرير المرأة فى الغرب بتقرير هام لأحد المفكرين الغربيين المعروفين « وهو وول ديورانت ... يقول فى كتابه مباهج الفلسفة « نحن غارقون فى تيار من التغيير سيحملنا بلا ريب إلى نهايات محتومة لا حيلة لنا فى اجتيازها ، وأى شىء قد يحدث مع هذا الفيضان الجارف من العادات والتقاليد والنظم لا حيلة لنا فى صدها ، فالآن وقد أخذ البيت فى مدننا الكبرى فى الاختفاء وفقد الزواج القاصر على واحدة جاذبيته الهامة ، وأن زواج المتعة سيظفر منا بتأييد أكثر وأكثر ، حيث لايكون النسل مقصورا على رجل بعينه ، وسيزداد الزواج الحر ويصبح مباحا أو غير مباح ، وستحث المرأة الرجل بعد تقليده فى كل شىء على التجربة قبل الزواج ، وسينمو الطلاق ثم يصاغ الزواج بأسره فى صورة جديدة أكثر مرونة وأكثر تسيبا وسيصبح ضبط الحمل أمراً شائعا فى كل طبقة ويصبح أمر الحمل أمرا عارضاً فى حياة كل إمرأة » .

حركة تحرير المرأة فى مصر

إننا إذا ما تتبعنا ما يسمى بحركة تحرير المرأة فى مصر ، نجد أن الأصول الأولى لهذه الحركة إنما تمتد جذورها إلى عهد محمد على باشا والى مصر وبالذات إلى فترة ما بعد الثورة الفرنسية ، التى كانت أفكارها الماسونية اليهودية تنتشر فى العالم كله انتشار النار فى الهشيم ، وهذا ما حدث فى مصر عندما أوفد محمد على باشا البعثات الفنية إلى فرنسا بالذات لاكتساب الخبرات الفنية والصناعية المتعلقة بالصناعات الحربية والجيش ومع حرص محمد على فى الاقتصار على الخبرات الفنية والزراعة والاقتصاد والتنظيم الإدارى فإن الأمور قد تجاوزت الحدود التى أرادها وقدرها ودخلت الأفكار الأوربية الجديدة التى هبت مع رياح الثورة الماسونية فى فرنسا والتى لم يقصدها محمد على ولكنها تسربت مع الخبرات والمهارات الفنية التى كان يريدها .

ذلك أن المبعوثين الذين أرسل أكثرهم إلى فرنسا كانوا يقرأون الكتب الفرنسية ويشاهدون الحياة الفرنسية فى أحفل العصور بالصراع الفكرى الذى يصحب الثورات وكانت فرنسا تعيش فى أوج انتصارات الثورة الماسونية وما صاحبها من قلق فكرى وروح لم يبلغ نهاية أشواطه . وقد احتل هؤلاء المبعوثين من بعد مكان الصدارة والقيادة فى مختلف الميادين السياسية والتربوية والفكرية ، وبدأوا يترجمون منذ سنة ١٨٣٠ ميلادية وينشرون كتبا فى غير ما تخصصوا فيه من فنون ، ومع المعلمين الذين استقدمهم محمد على للمدارس ، ومع الفرنسيين منهم بخاصة جاءت أفكار فولتير وروسو ومونتسكيو التى وجدت مؤلفاتهم فى مكتبة احدى المدارس المصرية فى ١٨١٦ م .

ويتعاون العائدون من أعضاء البعثات فى مصر مع البعثة الفرنسية من أتباع سان سيمون تلك البعثة التى استقدمها محمد على فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، وكان تلاميذ سان سيمون متأثرين بـآرائه الثورية فى تنظيم المجتمع على أسـاس علمى فيه سلطان العقل أو رهبـانية العلم ـ على حد تعبير سان سيمون نفسـه ـ محل الدين ، ذلك الفكر الذى مهد للحريـة الفكرية والحرية الشخصية واستقلال الأبنـاء عن الآباء وتحرير المرأة من سلطة الأب والزوج واعتمادهـا على مواردها المالية من عملها .

وبصفة عامة فإن أعضاء البعثـات تأثروا تماما بما شاهدوه فى المجتمع الأوربى ، ويتضح ذلك جليا مما كتبوه أثناء إقامتهم فى أوربا أو بعد عودتهم منها .

رفاعـة الطهطـاوى
وزيـادة حركـة تحريـر المـرأة

ونستطيع أن نلمس ذلك على سبيل المثال فى عضو من الجيل الأول لهؤلاء المبعوثين والذى أقام فى باريس خمس سنـوات من ١٨٢٦ إلى ١٨٣١ وهو الشيخ رفـاعة الطهطاوى الـذى رافق البعثة المصرية بمثابة واعظ للبعثة ! !

ونجد فيما كتبه هذا الرجل آراء تظهـر للمرة الأولى فى المجتمع الإسلامى وربما رواها عن حسن قصد دون أغوارها البعيدة أو يتعمق فى حقائقها ، ولكنه على كل حال قد وضع البذور الأولى التى تعهدهـا من جـاء بعده بالسقى والـرعاية حتى نمت وضربت جذورهـا فى الأرض وأنتجت الثمرة المرة . وتبدو أهمية الطهطاوى فى أنـه قد جلب هذه البذور الغربية وألقاهـا فى التربة الإسلامية فى مصر .

فللمرة الأولى فى البيئة الإسلاميـة نجد كلاما عن الوطن والوطنيـة وحب الوطن بالمعنى المادى الـوثنى الذى شـاع فى الفكر الأوربى الحديـث ، والذى يقـوم على التعصب لمساحـة محدودة من الأرض يراد اتخاذها وحدة وجودية يرتبط تاريخها القديم بتاريخها المعاصر ليكونا معا ذات شخصية مستقلة تميزها عن غيرها من بلاد المسلمين .

فبرزت إلى الوجود الدعوات الاقليمية تحت شعار الوطنية ، مما كان له أوخم العواقب فى تمزيق وحدة الأمة الإسلاميـة ، حيث بعثت النعرات الجاهلية القديمة كالفـرعونية فى مصر والفينيقية فى الشـام والأشوريـة فى العراق والفـارسية فى إيـران ... وهى النعرات التى كـانت قد قضت عليهـا الأخوة الإسلامية .

ثم نقرأ بعد ذلك كلاما كثيرا عن المرأة لاشك أنه من وحى الحياة الاجتماعية الأوربية ، مثل تعليم الفتاة وتعدد الزوجات وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين ، ونستطيع أن نحدد آراء الطهطاوى ونظرته إلى المرأة من خلال إعجابه بأفكار الثورة الفرنسية ، ولكن الطهطاوى لم يفقه هذا فقد كان مثلا للإنسان المسلم ومجتمعه الذى كان فى هذا الوقت فى أشد حالات الاستخذاء والضعف والغفلة بسبب ابتعاده عن عقيدته الصافية وما تعطيه من صلابة وحصانة ، لذلك كان من السهل أن ينبهر ويفتن بما شاهده فى المجتمع الفرنسى من الرخاء وشعور الفرد بكيانه واعتزازه بذاته خاصة حينما قارنه بما خلفه وراءه فى مصر من قهر الرجال وامتهان إنسانيتهم وسوقهم إلى ما يراد لهم لا إلى ما يريدون وكأنهم أنعام لا إرادة لها ومن هنا كان إعجابه الشديد بالمجتمع الفرنسى الجديد ويتضح ذلك تماما فى كل ما جاء فى كتابه الأول « تخليص الإبريز فى تلخيص باريز » والذى كتبه أثناء إقامته فى فرنسا .

وبعد عودته كتب كتابيه الخطيرين اللذين بث فيهما آراءه التحررية عن المرأة وقد كتبهما فى عهد الخديو إسماعيل باشا [1] وهما : « مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية » و « المرشد الأمين للبنات والبنين » ، وهما كتابان تعليميان ألفهما لكى يوضعا بين أيدى الناشئة الذين تزايد فيهم عدد البنات .

وواقع الأمر أن الطهطاوى قد تأثر تأثرا شديدا بالمسرح الفرنسى الذى استقى منه كل أفكاره عن المرأة ، فهو معجب به أيما إعجاب وقد سمى المسرح باسمه كما هو الاسبيكتا كل أو التياترو .

فنراه يقول عن المسرح فى « تلخيص الإبريز » ص ١٦٦ مايلى :

« وبالجملة فالتياترو عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجاهل » .

وفى ص ١٢٢ يلمس هذا الفكر الذى تأثر به فى شئون المرأة فنراه يتكلم على الطلاق الذى لا يتم عند الفرنسيين إلا أمام المحكمة لإقامة دعوى الزنا ، وتكلم عن عادة الفرنسيين فى اختلاط الرجال بالنساء وينفى أن يكون الاختلاط والتبرج داعياً إلى الفساد أو دليلا على التساهل فى العرض حيث يقول فى ص ٣٠٤ من نفس الكتاب « ولا يظن بهم أنهم لعدم غيرتهم على نسائهم لا عرض لهم ... لأنهم وإن فقدوا الغيرة لكنهم مع ذلك إذا علموا شيئا مهيناً كانوا شر الناس عليهن وعلى من خانهم وعلى أنفسهم ، وإن كانت المحصنات لايخشى عليهن شيئاً ، وغاية الأمر أنهم يخطئون فى تسليم القياد للنساء » . هكذا بكل بساطة ! ! .

ويعود فيؤكد فى ص ٣٠ أن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعياً للفساد ، وأن الأمر كله إلى التربية ، فيقول : « إن نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتى من كشفهن أو سترهن ، بل منشأ ذلك إلى التربية الجيدة والخسيسة ، والتعود على محبة واحدة دون غيره ؛ وعدم التشريك فى المحبة والالتئام بين الزوجين .

(١) الذى أراد أن يجعل ـ مصر قطعة من أوربا (! !) .

ويدافع الطهطاوى عن الرقص ، ومراقصة الرجال للنساء حين وصفه « محال الرقص المسمى : البال » فيقول فى ص ١٦٨ من تلخيص الإبريز : « إن الرقص عندهم فن من الفنون ... فهو نظير المصارعة فى موازنة الأعضاء والليافة البدنية وما كل راقص يقدر على دقائق الحركات ... ويتعلق بالرقص كل الناس فى فرنسا ، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة ــ كلمتان عاميتان بمعنى الأناقة والفتوة ـ لا الفسق ، فذلك كان الرقص دائما غير خارج عن قوانين الحياء ، بخلاف الرقص فى مصر فإنه من خصوصيات النساء لتهييج الشهوات ، أما فى باريس فإنه قط مخصوص لايشتمّ منه رائحة العهر أبداً » ! !

ويشيد الطهطاوى فى مقدمة كتابه « المرشد الأمين للبنات والبنين » بفضل الخديوى إسماعيل فى التسوية بين البنات والبنين فى التعليم بقوله : « فقد سوى فى اكتساب المعارف بين الفريقين ، ولم يجعل العلم كالإرث للذكر مثل حظ الأنثيين ، فهذه سوق المعارف المشتركة قد قامت ، وتاريخ العوارف للجنسين استقامت ، وليل جهل النساء جلاه فجر المعارف وفجر تمتعهن باللطائف والطرائف .

ويذهب إلى أبعد من ذلك فى ص ١٦٦ فيجعل من مزايا التعليم أنه : « يمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال ، على قدر قوتها وطاقتها ـ فكل مايطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن ، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة ، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل ، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة » ، ويتكلم فى موضع آخر من الكتاب عن تعدد الزوجات ؛ ويدافع عن الزوجة الواحدة ويورد أقوالا للحكماء وقصصاً تحبذ الاقتصار على زوجة واحدة(١) .

ومن ذلك كله نرى أن الشيخ رفاعه رافع الطهطاوى قد أثار قضية تحرير المرأة فى مصر لأول مرة فى القرن التاسع عشر ، وقد أثارها فى أكثر النواحى التى أصبحت بعد ذلك مثاراً للجدل والمناقشة فى هذه الأيام ، ومن هنا نلحظ اهتمام الجمعيات النسائية بخاصة بالاحتفال بذكرى هذا الرجل الذى فتن بالحياة فى فرنسا ، واهتمام دعاة التغريب والماركسيين بعامة باحياء تراث هذا الشيخ ونشره فى ثوب جديد .

قاسم أمين ... وتحرير المرأة

تأتى بعد ذلك إلى الشخصية الهامة الضالعة فى قضية تحرير المرأة ألا وهى شخصية قاسم أمين .

(١) عن كتاب « الإسلام والحضارة الغربية » للدكتور محمد محمد حسين .

ولعل خير تعريف لهذه الشخصية هو ما نشرته جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى ٢٠ / ٤ / ١٩٧٨ فى الذكرى السبعين لوفاته ، إذ كتبت تحت العنوان التالى مايلى :

تحليل شخصية قاسم أمين :

« كان أول من أنصف قاسم أمين رجلا هو صديقه سعد زغلول ، وهو أحيا ذكرى قاسم أمين حين تولى وزارة التعليم » دون أية ضجة ، وذلك بافتتاح عدد من مدارس البنات ... ولما تولى سعد زغلول زعامة الشعب فى عام ١٩١٩ اشترط على السيدات اللواتى يحضرن لسماع خطبة أن يزحن النقاب عما سمح الله به من وجوههن . وكانت هذه أول مرحلة عملية للسفور ... » .

وتقول جريدة أخبار اليوم فى عددها الصادر فى ١٣ / ٩ / ١٩٦٩ : « إن قاسم أمين فيما بين حصوله على إجازة الحقوق سنة ١٨٨١ وبين إخراجه لكتابة تحرير المرأة سنة ١٨٨٩ كان قد مر بأحداث هادئة على عكس الأحداث الضخمة التى عاشها فى مصر ـــ ففى خلال تلك السنوات تعرف قاسم أمين بجمال الدين الأفغانى فى باريس ومحمد عبده وسعد زغلول » .

ونحن إذا ما تأملنا هذا الخبر نجد أن لقاء قاسم أمين بسعد زغلول وبعض الشخصيات الأخرى المعروفة بانتمائها للماسونية [1] وولائها لثقافة الغرب ونظمه وتقاليده كان له تأثيره فى التحول الفكرى الخطير الذى أصاب قاسم أمين .

ويتأكد لنا انتماء سعد زغلول إلى الماسونية ، مما جاء فى مجلة المصور فى عددها الخاص الصادر فى ٢٣ سبتمبر ١٩٢٧ بعد وفاته ، فقد نشرت المصور صورة الجنازة تحت عنوان : « الأمة والحكومة تشيعان الفقيد العظيم » ، وتحت الصورة مباشرة كتبت العبارة التالية : « وفد البنائين الأحرار (الماسون) فى تشييع جنازة الزعيم الكبير ، وكان رحمه الله قطباً من أقطاب الماسونية » .

وتزيد جريدة المقطم هذا التأكيد بما جاء فى عددها الصادر يوم الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٢٧ ، فقد نشرت على الصفحة الأولى ما يلى : « حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم ... فقدت الماسونية المصرية ، بفقد سعد العظيم الخالد عضدا كبيرا وفضلا كثيرا وذخرا وفيراً كانت تعتز بفضله ... وستقام حفلة جناز ماسونية للفقيد الأعظم يعلن موعدها فيما بعد » .

(١) الماسونية : منظمة يهودية سرية » تعمل وفق المخططات اليهودية لهدم أديان الأمم ، وأخلاقها واقتصادها » وتضم السواد الأعظم من الملوك والحكام والقضاة والأثرياء والقادة والمثقفين من مختلف الأديان . وتهدف الماسونية وكل ما يتصل بها من فروع إلى نفس الهدف الذى تقوم عليه اليهودية العالمية ، وهى إعادة المملكة اليهودية فى فلسطين وإعادة بناء هيكل سليمان فى القدس مكان المسجد الأقصى ، وقد أطلق عليها ـ أى الماسونية ـ اسم البناءون الأحرار كرمز إلى بناء هيكل سليمان .
وتعمل الماسونية تحت شعار « الحرية والإخاء والمساواة » .
ومعنى الحرية فى المخطط الماسونى ، أن يتحرر الناس من أديانهم ، وأن يرتكب الإنسان ما شاء له هواه دون رادع أو زاجر ، وأن يخالف جميع ما تأمر به الشرائع » وأن تفعل المرأة ما شاءت من ألوان الفسق والرجس والفساد والتهتك والانحلال تحت ستار هذه الحرية .
أما الإخاء فيهدف به الماسون ، محاربة روح التمسك بالدين وأنه لا فرق بين يهودى ونصرانى ومسلم ومجوسى وبوذى ودهرى وملحد ، كلهم إخوان وعليهم أن يحاربوا أى استمساك بأى دين ويصفون من يلتزم مبادىء دينه بالرجعية والتعصب ، ويعتبر إقامة مجمع للأديان الثلاثة الذى أقامه أنور السادات على جبل موسى فى سيناء نجاحا عظيماً لهذه المخططات . ورفع شعار المساواة عندهم يمكنهم من =

ودرجة سعد زغلول ورواد صالون نازلى فاضل فى التنظيم الماسونى تفسر لنا نوع الصداقة التى أنشأوها مع قاسم أمين فترة وجوده فى باريس ، كما توضح لنا الخط الفكرى الذى سار فيه رائد تحرير المرأة فى مصر ، هذا وإذا ماتأملنا الفترة التى عاشها قاسم أمين فى فرنسا ، وكانت من ١٨٨١ حتى ١٨٨٩ ، فإنه كسلفه رفاعه الطهطاوى قد تأثر بحياة المجتمع الفرنسى ، ولكنه يتميز عن الطهطاوى بأنه عقد صداقة مع أقطاب الماسونية المصرية من رواد صالون نازلى فاضل .

وعندما تتبع مخطط حركة تحرير المرأة فى مصر ، نجد أنها تلتقى جميعا عند مدبر واحد : هو اليهودية العالمية وعبيدها المتمثلين بالاستعمار الغربى حينذاك .

وبداية الخيط فى هذه المؤامرة ترجع إلى كتاب ظهر فى مصر سنة ١٨٨٤ لمحام مصرى مسيحى موال لكرومر وللنفوذ الاستعمارى يدعى مرقص فهمى تحت عنوان « المرأة فى الشرق » حدد فيها خطة الاستعمار فى المطالبة بتحقيق أغراض هى :

أولا : القضاء على الحجاب الإسلامى .

= العمل على إثارة الفتن والأحقاد والطبقية ، يشعلون نار الحقد والضغينة فى قلوب الفقراء ضد من وسع الله عليهم من الأغنياء ، ويحفزون الأغنياء ، على ظلم الفقراء . وتحت ستار المساواة يؤلبون النساء على الرجال لتضطرب أوضاع الأسرة وتنحل المجتمعات فى النهاية .

وهناك ارتباط عضوى بين الماسونية والصهيونية ، وتتوزع الماسونية على فرعين أحدهما للصهيونية والآخر للشيوعية .

يقول الدكتور على حسن إبراهيم : « إن الشيوعية فرع من فروع الصهيونية العالمية ، فهى من أعمال الصهيونية ، ويوجد ترابط وثيق بين الشيوعية العالمية والصهيونية العالمية عن طريق الماسونية الكونية الحمراء الخفية ، وعلى القادة الشيوعيين أن يخضعوا أو ينفذوا أوامر ومخططات المركز الأعلى للصهيونية العالمية ، وغاية هذه الفرقة الرجوع بواسطة اليهود المنفصلين والماسونية إلى روما التى كانت مملكة أجدادهم ونشر الإباحية المطلقة وسط جناحى النسر الرومانى على العالمين .

كما يقول الدكتور على حسن إبراهيم : « لقد اتفقت الماسونيتان (الملوكية والكونية الحمراء) على هدف واحد ، تقوم الماسونية الملوكية بإنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين ثم تنطلق إلى باقى البلاد العربية وشمال افريقية منطلقة إلى جنوبها لإخضاعها لدولة إسرائيل لتهويدها . وتقوم الماسونية الكونية بتهويد العالم عن طريق الشيوعية حيث أنها لا تجرؤ أن تعلن عن هدفها وهو تهويد العالم خشية محاربة العالم لهم والقضاء عليهم وإفنائهم لكل اليهود لتخليص البشرية عامة من شرورهم ، فاستترت هذه الماسونية الكونية وراء النظم الشيوعية التى أنشأتها بأسلوبها البراق المحبب إلى النفوس الصغيرة والغير واعية وإلى الطبقات الفقيرة وذلك لتشييع العالم كله . ثم بعد أن يتم لها ذلك تقوم علنا وبجرأة ودون خشية بإعلان حكم اليهودية العالمية على العالم كله دون منازع أو معارض ، وتعلن تهويد العالم وتعيين أحد ذرية أسباط إسرائيل ملكا على العالم كله يديره بواسطة حكومة عالمية يهودية كأمثال ماركس وهرتزل ولينين وزنجنبل وفورد وكلهم من أقطاب الصهيونية الشيوعية الذين عملوا على هدم الناموس الدينى الطبيعى والسياسى العام لكى يبنوا أساس الاشتراكية الفوضوية .

ويقول الجنرال جواد رفعت : إن الماركسية وليدة الماسونية لأن مؤسسيها كارل ماركس وانجلز هما من ماسونى الدرجة الحادية والثلاثين ، ومن منتسبى المحفل الانجليزى .

وقالت مجلة (لاتونيا) ١٨٩٤ إن الماسونية وجدت فى المبادىء الاشتراكية خير معوان لها فلابد من معاضدتها .

هذا وإن أكبر عادات الماسونية مقتبسة من معبد سليمان وإن أكثر الإشارات والرموز عبرانية ، وتستهدف الماسونية أن تحل محل الأديان ، وأن السيطرة على الشبيبة هى من أولى غايات الماسونية فهى تقول : لابد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين والماسونى إن لم يكن يهوديا بالولادة إلا أنه رجل متهود .

ولما جاءت تلك الحملات الضخمة التى وجهت إلى الماسونية وكشفت عن هدفها وحلت فى معظم الأقطار الإسلامية جماعاتها . فكان البديل هو جماعات أخرى تحمل أسماء مختلفة وهويات مختلفة كالروتارى والليونز وشهوديهوه وبناى بريث ونادى الأسود والمهاريشى والبارتى (حلقات الرقص) ، وكلها تجمعات تستهدف تقديم أكبر قدر من المعلومات التى تنقل إلى الجهات اليهودية المعنية لتحليلها والاستفادة منها ، والواقع أنها جميعاً هى البديل للواجهة التى أصابتها ضربات كثيرة فى السنوات الأخيرة وهى (الماسونية) .

ثانيا : إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثا : تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي .

رابعا : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامسا : إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين .

وهذا الخيط الذى ترجع بدايته إلى النفوذ الاستعمارى الغربى هو الذى يقودنا إلى حركة قاسم أمين وهدى شعراوى ، ذلك أنه لم تمض خمس سنوات حتى ظهر كتاب « تحرير المرأة » ، فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض وما يزال يظن سلامتهاونقاءها وبعدها عن الهوى وتحررها من أى خلفية موحية .

ولكى تكتمل خيوط هذه المؤامرة ، وتتضح خلفيات هذا الحدث الخطير ، نرجع إلى ما كتبه داود بركات رئيس تحرير الأهرام بعددها الصادر فى مايو ١٩٢٨ ... يقول : « إن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق دار كير (المصريون) » ، وقد تضمن هجوما على المصريين ، ورد عليه قاسم أمين بكتاب باللغة الفرنسية وفند اتهاماته ، فلما ظهر هذا الكتاب لقاسم أمين وصف بأنه لم يكن فى صف النهضة النسائية » فقد رفع الكتاب من شأن الحجاب وعده دليلا على كمال المرأة ، كما ندد بالداعيات إلى السفور ، وقد رأت فيه الأميرة نازلى فاضل تعريضا بها ... ، لأنه لم يكن فى نساء مصر فى ذلك الحين من يتشبه بالنساء الأوربيات غيرها ، فقد كانت الوحيدة التى تختلط بالرجال وتجالسهم فى صالونها ، الذى افتتحته لتبث منه الدعوة إلى التغريب بعامة وتحرير المرأة بخاصة ، ومن المعروف أن هذا الصالون كان يحضره سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الطامحين فى زعامات سياسية فى ظل الاستعمار البريطانى ورعاية « المندوب السامى » ! !

ويتابع داود بركات مقاله بقوله : « وقد أشير إلى جريدة المقطم وهى لسان الانجليز فى مصر فى ذلك الوقت » أن تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاء قاسم أمين فى هذا الاتجاه ، ودفاعه عن الحجاب واستنكاره لاختلاط الجنسين . ثم أوقفت الحملة بعد اتفاق الشيخ محمد عبده وسعد زغلول مع قاسم أمين على تصحيح رأية » .

ويقال إن اشتراك محمد عبده فى إقناع قاسم أمين للعدول عن رأيه كان على أثر ما صدر من تهديد ووعيد من هذه الأميرة ، ولكن داود بركات فى مقاله هذا يحاول إبراز دور الأستاذ الإمام وكأنه ضالع فى تحرير ونشر كتاب « تحرير المرأة » . يقول : « وقد حمل الشيخ محمد عبده [1] الدعوة إلى تحرير المرأة فى دروسه فى الرواق العباسى بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة يتساويان عند الله ،

(١) ليس لنا من تعليق على مواقف الشيخ محمد عبده غير ما كتبه العلامة أبو الحسن الندوى فى كتابه « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » . يقول : وكان الشيخ محمد عبده على ماله من حسنات فى الدفاع عن الإسلام وإصلاح مناهج التعليم وتقريب الدين إلى الجيل الجديد ، كان من رواد الدعوة للتجدد ، والدعوة إلى الملاءمة بين الإسلام وبين الحياة فى القرن العشرين ، والتقدير الزائد للقيم الغربية ومحاولة للتطبيق بينها وبين الإسلام والحرص على تفسير الفقه الإسلامى وأحكام الشريعة تفسيراً يتناسب مع مطالب المدنية الجديدة والجيل الجديد ، يقرب فى ذلك كثيراً إلى السيد أحمد خان فى الهند ، وتتجلى هذه النزعة فى تفسيره وفى فتاواه وفى كتاباته ، وكل=

وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دور فى مراجعتها » . ومما أورده لطفى السيد أنه اجتمع فى جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول ، وأن قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب « تحرير المرأة » ، وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده .

وكتب فارس نمر صاحب المقطم فى مقال له فى مجلة « الحديث » الحلبية عام ١٩٢٩ مشيراً إلى هذا الحادث ... إن الشيخ محمد عبده تطوع للقيام بهذه المهمة ـ بقصد إيقاف مقالات الهجوم على قاسم أمين ـ وتحدث الشيخ محمد عبده مع الأميرة نازلى فى هذا الشأن « واتفق محمد عبده وسعد زغلول ومحمد المويلحى وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالاعتذار إلى سمو الأميرة « فقبلت اعتذاره ، ثم أخذ يتردد على صالونها ، وارتفع مقامها لديه ، وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة ، الذى كان الفضل فيه للأميرة نازلى ، والذى أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان (قاسم أمين) أكثر الناس دعوة إلى الحجاب .

وقد تناول قاسم أمين فى كتابه « تحرير المرأة » أربع مسائل ، وهى الحجاب ، واشتغال المرأة بالشئون العامة وتعدد الزوجات ، والطلاق « وذهب فى كل مسألة من هذه المسائل إلى ما يتواءم ويتلاءم مع الحضارة الغربية وفلسفتها ، زاعما أن ذلك هو ما يعنيه الإسلام .

ويتجلى أثر الثقافة الغربية والخضوع للحضارة الغربية ، وقيمها أوضح فى الكتاب الثانى « المرأة الجديدة » ، ذلك أن قاسم أمين التزم فيه بالمنهج الغربى الحديث الذى يرفض كل المسلمات والعقائد السابقة سواء ما كان منها عن طريق الدين ، وما جاء من غير طريقه ، ولا يقبل إلا ما يقوم عليه دليل تجريبى أو واقعى على حسب المنهج الذى يسلكه باحثو الاجتماع الأوربيون الملاحدة ، وهو ما يسمونه بالمنهج العلمى .

ودعا قاسم أمين فى آخر هذا الكتاب دعوة صريحة إلى تقليد الحضارة الغربية وأساليبها ، فيقول بعد أن ذكر إعجاب المسلمين والمصريين الشديد بالماضى : « هذا هو الداء الذى يلزم أن نبادر إلى علاجه « وليس له دواء إلا أننا نربى أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها ، إذا أتى ذلك الحين ـ ونرجو أن لايكون بعيدا ـ انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدن الغربى ، وتيقنا أنه المستحيل أن يتم إصلاح ما فى أحوالنا ، إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة ، وإن أحوال الإنسان مهما اختلف ،

= ما جاء بعده من دعاة التجدد اقتبس من علمه واغترف من بحره ، وقد شهد بذلك اللورد كرومر فى كتابه « مصر الحديثة » يقول : « إن محمد عبده كان مؤسساً لمدرسة فكرية حديثة فى مصر ، قريبة الشبه من تلك التى أسسها السيد أحمد خان فى الهند ـ مؤسس جامعة عليكرة ـ ثم يقول ... إن أهميته السياسية ترجع إلى أنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع « فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربى " Modern Egypt, p. 179-180 " ويتكلم نيومان فى كتابه "Greet Britain " عن تلاميذه محمد عبده وأتباعه فيقول : « وكان برنامجهم فوق ذلك يشجع لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر ، وهذا هو ما جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد فى قيام الوطنية المصرية ، وهذا أيضاً هو السبب فى تعيينه سعد زغلول باشا وزيراً للمعارف «) ... انتهى كلام السيد أبى الحسن الندوى .

برر الشيخ رشيد رضا فى كتابه « تاريخ الأستاذ الإمام « تعاون الشيخ محمد عبده مع الانجليز وأذنابهم بأنه مداراة لهم ، ودافع الدكتور=

وسواء كانت مادية أو أدبية خاضعة لسلطة العلم ، لهذا نرى أن الأمم المتمدنة على اختلافها فى الجنس واللغة والوطن والدين متشابهة تشابها عظيما ! ! ، فى شكل حكوماتها وإدارتها ومحاكمها ونظام عائلتها وطرق تربيتها ، ولغاتها ، وكتابتها ؛ ومبانيها ، وطرقها ، بل فى كثير من العادات البسيطة كالملبس والتحية والأكل ، هذا هو الذى جعلنا (نضرب الأمثال بالأوربيين) ونشيد بتقليدهم ، وحملنا على أن نستلفت الأنظار إلى المرأة الأوربية » ! ! !

وكان من الطبيعى أن يحدث نشر كتابى « قاسم أمين » وما أعلن لأول مرة من أفكار تدعو إلى خروج المرأة المسلمة على تعاليم الإسلام ضجة أعظم وأخطر لصدورهما من مسلم فى منصب مستشار فى الدولة ، كان له سابقة التصدى لهجوم أعداء الإسلام ... وكانت هذه الضجة شاملة لجميع الأوساط الإسلامية والوطنية .

ومن الجدير بالذكر أن الزعيم الوطنى مصطفى كامل قد ربط بين هذه الحركة وبين الاستعمار ، فكشف خلفياتها ودوافعها الاستعمارية ، وسارع إلى مقاومة هذه الحركة الخائنة وتحذير الأمة منها ، فعقد اجتماعا على أثر صدور كتاب تحرير المرأة لفضح اللعبة قال فيه : « ... ولكل أمة مدنية خاصة بها ، فلا يليق أن نكون قردة مقلدين للأجانب تقليد أعمى ، بل يجب أن نحافظ على الحسن من أخلاقنا ، ولا نأخذ من الغرب إلا فضائله ، فالحجاب فى الشرق عصمة وأى عصمة ، فحافظوا عليه فى نسائكم وبناتكم وعلموهن التعليم السليم الصحيح ، وإن أساس التربية التى بدونه تكون ضعيفة ركيكة غير نافعة وهو تعليم الدين » . كما جعل من صفحات مجلة « اللواء » التى كان يصدرها الحزب الوطنى حربا على هذه الدعوة العميلة ، فكان مما كتبه فى كشف صلتها بالاستعمار مانصه : (وهذا ... وقد انتشر خبر الكتاب « تحرير المرأة » فى جهات من الهند ، واهتم الانجليز بترجمته وبث قضاياه ، وإذاعة مسائله ، اهتماما عظيما لما وراء العمل به من فائدة لهم ... وعلم به من سلطان مالديفى ، وبلغه فى هذه الأيام خبر الكتاب « المرأة الجديدة » ، الذى أخرجه أخيرا قاسم أمين ليدعم به أمر كتابه الأول ويفتح به آفاقا جديدا لتحلل

=محمد البهى فى كتابه « الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى » عن الشيخ وتفاهمه مع سلطات الاحتلال بأنه كان للوقاية وللحيلولة ودون استمرار تصفية الأوقاف ، ولكن ما أغنت محاولات الشيخ فى الحيلولة دون ابتلاع الحكومات الاستعمارية للأوقاف الإسلامية ، والذى بقى لنا هو فكره الذى أصبح منطلقاً لهجمات دعاة التغريب على الفكر الإسلامى الخالص ، وسلاحاً يشهره أعداء الإسلام فى وجه طلائع الحركة الإسلامية ، ومادة يستغلها دعاة تحرير المرأة فى الترويج لدعوتهم وتكريسها فى النفوس .
إن الحقيقة التى لامراء فيها أننا التقينا بحضارة الغرب التى كانت فى أوج قوتها وعز نشاطها فى وقت كنا فى أحط درجات الضعف والانحطاط ، فجاء الفكر الإسلامى الحديث فى بداياته تبريرياً يحمل جراثيم الضعف والانهزامية ومركبات النقص وكل آثار الانبهار بالتقدم المادى والعلمى الذى أحرزته الحضارة الغربية .
لقد وجد وكلاء الحضارة الغربية عندنا فى آراء الشيخ محمد عبده سنداً قويا لدعوتهم بتفوق الفكر الغربى وقدسية قيمه ، ذلك أن الشيخ رأى الإسلام فى موقف المتهم ، فاتخذ طريقة الدفاع عنه والتماس العذر له وتبرير موقفه ، فجاءت آراؤه فى بعض قضايا العقيدة والسياسة والاجتماع الإسلامى متلائمة ومتوائمة مع مفاهيم الحضارة الغربية . وكان الأجدر بالشيخ أن يستخدم طاقاته الخارقة وذكاءه النادر وعلمه الفائق فى الانتصار لدينه بنقد الفكرة الغربية وكشف زيفها من الوجهتين العلمية والدينية ، ومعارضة قيمها ومفاهيمها والأسس المادية الوثنية التى قامت عليها ، وحيث أن الهجوم هو خير وسائل الدفاع ، فكان الأولى بالشيخ أن يهاجم هذه الأفكار الغازية ويواجهها بقوة وثقة المؤمن بتفرد المنهج الإسلامى وذاتيته ، فللإسلام مقاييسه الخاصة ومعاييره الذاتيه ، وشريعته حاكمة على غيرها من شرائع البشر لامحكومة بها ، لأنها الحق المنزل من عند الله ، الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . هذه كلمة لابد من قولها ولا خير فينا إن لم نقلها ... تقبل الله منا أحسن ما نعمل وتجاوز عن سيئاتنا .

المسلمين من دينهم وأخلاقهم ، ولما سئل السلطان المذكور عن رأيه في هذه الاتجاهات قال : « أما تعليم النساء المسلمات ، فقد أصبح من المسائل الحيوية للإسلام والمسلمين ، ولكنه لو مال عن طريق الشريعة الغراء إلى خطة مدنية الغرب الغبراء كان معولا لهدم أركان الإسلام وفأسا لفتح القبور لأبنائه ودسهم فيها وهم أحياء ، أما رفع الحجاب فلا أرضاه لنسائى وبلادى ، وأما المرأة وحق طلاق زوجها فدعوة لا تصدر من معترف بقول الله فى كتابه : « **الرجال قوامون على النساء** » فنسأل الله السلامة .

هذا ومما ينبغى ذكره أن قاسم أمين عدل عن رأيه فى عام ١٩٠٦ ، بعد أن تبين له أنه ضل الطريق ، فى حديث له إلى صحيفة « الظاهر » التى كان يصدرها محمد أبو شادى المحامى ، أعلن فيه رجوعه عن رأيه ، كما أعلن فيه أنه كان مخطئا فى الدعوة إلى تحرير المرأة ... فهل يكون لدى الدعاة تحرير المرأة من الشجاعة فى إعلان هذا التحول ؟ ! حيث قد اعترف قاسم أمين نفسه بعد ذلك بأنه أدرك خطر هذه الدعوة بما اختبره من أخلاق الناس .

ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذى نشره قبل وفاته بعام ونصف ، أنه قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته ـ التى جاءت استدراجاً واسترضاء لنفوذ نازلى ـ أنها لم تكن قائمة على أسس صحيحة ، وهى الدعوة إلى تربية الخلق والإيمان بالله ، وأنها لم تكن على طريق الحق ... أو ربما أن قاسم قد رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال كرومر وانطفاء نفوذ نازلى فاضل (ربيبة كرومر) أن يتخفف من هذه التبعة ... وربما كان لبعض التجارب أثرها فى نفسه ، فما يروى أن صديقاً عزيزاً زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك ! ! فدهش قاسم ، كيف يطلب مقابلة زوجته ومحادثتها ... فقال له صديقه : ألست تدعو إلى ذلك ؟ ! إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك ؟ ! فأطرق قاسم أمين صامتاً ... ومما يذكر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة زوجها كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح(١) .

ويعلق الأستاذ محمد فريد وجدى على دعوة قاسم أمين بقوله : « إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً فى الآداب العامة ، وأحدثت انتشاراً مريعاً فى مبدأ العزوبة وأصبحت ساحات المحاكم خاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن » .

تلك هى خلفيات قاسم أمين الذى دفع لإصدار كتاب « تحرير المرأة » عن طريق الاستعماريين ووكلاء الغزو الحضارى الأوربى وعملائه من رواد صالون نازلى ، ثم عدوله عن أفكاره فى هذا الكتاب الذى جاء مخالفاً كلية لدفاعه عن الحجاب أساساً عندما تصدى « للورد دار كير » وهناك من يرى أن قاسم أمين مات مهموماً حزيناً على ما فرط منه فى هذا الأمر ، خاصة إذا عرفنا أنه توفى فى ريعان شبابه وهو فى الثالثة والأربعين من عمره ، وله كلمات تكشف عن هذا

---

(١) عن مجلة الاعتصام عدد رمضان سنة ١٣٩٩ هـ .

المعنى عندما قال : « إذا كنت قد شعرت فى هذه الحياة بشىء من السعادة ففى الأوقات التى قضيتها فى بيتى مع زوجتى وأولادى »[1] ، فهذه كلمات تبين أنه كان يفتقد السعادة خارج منزله لما كان يدور حوله من همسات .

* * *

وبموت قاسم أمين لم تهدأ هذه الدعوة إلى تدمير المرأة إلا قليلا . فكيف يهدأ للمستعمر البريطانى بال والخطة لم تصل بعد إلى أهدافها ، وإن مات قاسم أمين فهناك على الساحة السياسية من يستأنف الدور ، وهناك حزب الأمة وزعاماته السياسية المعروفة بعمالتها للانجليز من أمثال فتحى زغلول عضو محكمة دنشواى والهلباوى جلادها وسفاحها ، وهناك وكلاء الحضارة الغربية المنضوين تحت لواء هذا الحزب من أمثال لطفى السيد ، وليس أجدر من لطفى السيد من يحمل مهمة استمرار الدعوة إلى خروج النساء باسم التحرير .

واستأنف أستاذ جيل التغريب المهمة بكتاباته على صفحات « الجريدة » لسان حزب الأمة ... وأستاذ هذا الجيل أو لطفى السيد هو أول من تحدى مشاعر الشعب المسلم فى مصر بإدخال الفتيات لأول مرة طالبات فى الجامعة مختلطات بالطلاب ، وهو أول من تحدى مشاعر الأساتذة المصريين والطلاب بدخول الطالبات سافرات ، وقد أعلن عن ريادته هذه لاختلاط الجنسين فى الجامعة بكل جرأة بقوله : « ... ويتصل خطأ الجماهير فى فهم رسالة الجامعة ، مسألة قبول الفتيات المصريات طالبات فى الجامعة ، وهى مسألة قليلة الأنصار فى الرأى العام (! !) ، وفى هذا المقام يسرنى أن أؤكد لكم أن لم أتعرض إلى جزئية من الجزئيات تجعلنى أندم ولو وقتياً على ما شرعته الجامعة من هذه الخطة (! !) من غير أن نستفتى العرف العام » ! !

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى واعتلقت السلطات الاستعمارية الأحرار وكتمت أنفاس كل صوت يدعو إلى الاستقلال والاستمساك بعرى الإسلام ، وخلت الساحة فانتهز دعاة الانحلال ورواد الحركة النسائية الفرصة ، فأصدروا مجلة باسم « السفور » يديرها الصحفى عبد الحميد حمدى . وأخذت هذه المجلة على عاتقها مهمة الدعوة إلى خروج النساء على التقاليد والآداب الإسلامية وخلع الحجاب والحشمة .

وحتى قيام ثورة سنة ١٩١٩ ، كانت هذه الدعوة إلى تحرير المرأة فى نطاق محدود ، فما زالت المرأة المسلمة فى مصر تتمسك بعفتها ، فبرغم تزيين الفجرة لها الخروج فى المظاهرات ، فلم تستجب لهذه الدعوة غير ٣٠٠ امرأة من بيوت مصرية لها قابليتها فى التشبه بنساء الغرب .

---

(١) عن جريدة « الأخبار » فى ١٣ / ٥ / ١٩٧٨ .

وعندما صحبت صفية زغلول زوجها سعد زغلول فى باريس لحضور مؤتمر الصلح سنة ١٩٢٠ لعرض القضية المصرية ... وقد مكثت صفية ترتدى الحجاب إلى أن عادت مع سعد زغلول إلى مصر بعد عودته من منفاه . وعلى ظهر الباخرة التى نقلتها إلى الإسكندرية وجد سعد البحر وقد امتلأ بألوف المخدوعين يستقبلونه بالقوارب ... وقال سعد لصفية : ارفعى الحجاب ! وتدخل على الشمسى وواصف بطرس من أعضاء الوفد وعارضا فى ذلك . قال سعد زغلول : المرأة خرجت إلى الثورة بالبرقع ومن حقها أن ترفع حجابها اليوم ... ورفعت صفية زغلول الحجاب ثم وقفت إحدى صنائع الاستعمار تخطب فى القاهرة فى احتفال الشعب المخدوع بقدوم الزعيم وقد وضعت على وجهها البرقع ، وبعد انتهاء الخطاب تقدم (الزعيم ! !) وطلب منها رفع الحجاب ... وعندئذ رفعت الحاضرات الحجاب .

زعامات الحركة النسائية
فى مصر

هدى شعراوى

فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ م اتسع نطاق حركة تحرير المرأة فى مصر ، وتسلمت قيادها هدى شعراوى ، فتحملت عبء تشكيل الاتحاد النسائى وأنشطته فى عقد المؤتمرات المحلية وحضور المؤتمرات الدولية ...

وهدى شعراوى هى ابنة محمد سلطان باشا ، الذى خان الثورة العرابية ، وطعن حركة المقاومة لجيش الاحتلال البريطانى فى زحفه على القاهرة ، فقام بتخذيل الأمة فى صد هذا الغزو ، بل كان يدعوها إلى تقديم العون والمساعدة لقوات الاحتلال ، فكانت جائزته عشرة آلاف جنيه ذهبية من خزينة مصر قدمها له الخديو ، والإنعام عليه من الانجليز بنيشان « سان ميشيل » ونيشان « سان جورج » الذى يلقب حامله بلقب « سير » ، كل ذلك إعترافاً له من بريطانيا والخديوى الخائن بما قدم لهما من صنيع ! !

وهدى شعراوى ، هى زوجة على شعراوى باشا ابن عمتها ورفيق سعد زغلول وعبد العزيز فهمى باشا أصدقاء الانجليز ، ورفيقة صفية زغلول ابنة مصطفى فهمى الذى حكم مصر بالحديد والنار ثلاثة عشر عاما فى أوائل عهد الاستعمار البريطانى .

وتأثرت هدى شعراوى بزوجة حسين رشدى باشا الفرنسية ، التى كانت تكبرها ، وكانت ترى فيها مالم تره فى غيرها من نساء مصريات أو شركسيات تافهات، فقد كانت مشغولة بالثقافة

والفكر والاجتماعات ، وقد وصفت هدى شعراوى مبررات إعجابها بهذه السيدة واتخاذها مثلها الأعلى ، فقالت : لم تكن تعنى بظروفى وحالتى ، واسمى فقط ، وإنما كانت أيضا تجتهد فى تثقيفى فى اللغة الفرنسية ، وكانت ترشدنى إلى أثمن الكتب وأنفعها ، وكانت تناقشنى فيما قرأت وتفسر لى ما يصعب علىّ فهمه ، وكانت تغذى عقلى وروحى بكل أنواع الجمال والكمال ... وتحتم علىّ حضور صالونها كل يوم سبت ، وتقول لى أنت زهرة صالونى »[١] .

وكانت هذه السيدة الفرنسية الأصل التى أعدت هدى شعراوى إعداداً جيداً لمهمتها ، قد ألفت كتابين الأول بعنوان « حريم ومسلمات مصر » وكتاب « المطلقات » تعبر فيهما على حد قولها عن مدى الألم والتعاسة التى تعانيها من « أجل تعاسة المصرية ، وظلم الرجل لها »[٢] (! ! !) .

وكانت هذه المرأة الفرنسية على صلة وثيقة بحركة تحرير المرأة المصرية ، كما كانت موضع النابهين فى مصر من رواد هذه الحركة من أمثال سعد زغلول وقاسم أمين ، الذى كانت تعجب به كثيراً ، وتأسف لعدم تقدير المصريين له التقدير اللائق برسالته « وكانت كثيراً ما تقص على صفيتها هدى شعراوى ما كان يدور بينها وبين هؤلاء الكبار من حديث » تشعل به كيانها ، وتدفعها إلى التطلع إلى تحسين أحوال المرأة المصرية والسير بحركتها إلى الأمام ! ! !

بجانب هذا يوجد الاستعداد الطبيعى لدى هدى شعراوى الناشىء عن تربيتها الخاصة ، فقد كانت أسرتها معتادة التنقل بين القاهرة واستانبول وباريس ، وقد سافرت فى شبابها إلى باريس سنة ١٩٠٩ م ، وزارت محلاتها الكبرى ، ورأت الأزياء والملابس تعرض على فتياتها الجميلات الأنيقات ، كما رأت مهرجانات بولونيا للزهور ، وقد اختلطت بها النساء والرجال ، وأعجبت بالفرنسيين رجالاً ونساء ، وشاهدت بوادر النهضة الأوربية بين السيدات الراقيات ، وتمنت لو أنها استطاعت أن تحققها فى مصر ، الأمر الذى دفعها بعد عودتها إلى مصر إلى أن تنشىء نادياً أدبياً للسيدات ، وأن تشكل لجنة نسائية ترعاه ، تحت اسم « جمعية الرقى الأدبى للسيدات »[٣] .

هكذا كانت هدى شعراوى على ثقافة فرنسية أوربية أهلتها لقيادة الحركة النسائية المصرية بعد تكريسها فى المؤتمر النسائى الدولى فى روما الذى عقد سنة ١٩٢٣ ، حضرته مع سيزا نبراوى ، وفى أعقاب عودتها من هذا المؤتمر خلعت الحجاب ونشطت فى تكوين الاتحاد النسائى المصرى ، الذى يحمل فى رأس لائحته منع تعدد الزوجات وتقييد الطلاق وإلغاء بيت الطاعة .

وهى المرأة التى قالت فى مذاكرتها عن أول مظاهرة نظمتها معلنة عن شخصيتها المتمردة .

---

(١) انظر كتاب « مذكرات هدى شعراوى » فى سلسلة كتاب الهلال سبتمبر سنة ١٩٨١ .

(٢) فضلا عن كتاب « المؤامرة على المرأة المسلمة » للدكتور السيد فرج ص ١٠١ .

(٣) يقول البعض أنها تابت فى آخر أيام حياتها ، ولكن لماذا لم يعلن عن هذه التوبة لتخلى مسئوليتها عمن ضللن الطريق من بنات حواء تحت تأثير عودتها إلى تحرير المرأة ؟ ! إن الضرر لم يكن محدوداً ، بل كان عاماً ولحق بقطاعات كبيرة من نساء المجتمع ، الأمر الذى يحتم إعلان هذه التوبة ، فالمضل يحمل أوزاره وأوزار من أضله يوم الحساب .

قالت : « وبينما كنت أتأهب لمغادرة منزلى لـلاشتراك فى المظاهرة سألنى زوجى إلى أين سأذهب ، فتركته وانصرفت لألحق بالسيدات اللائى كن فى انتظارى » ! !

هذه هـى المرأة التى تبوأت مكـانة عـالية فى الحركة النسـائية العـالمية فأصبحـت وكيلة الاتحاد النسائى الـدولى ، بعد أن تلقفتهـا جماعات تحريـر المرأة المنتشرة فى دول أوربا وخـاصة فى بـاريس وبرلين وبروكسل ، التابعة للمحافل الماسونية ومنظمات الصهيـونية العالمية ، التى يديرها شياطين اليهود من وراء ستار ، مستهدفين وفق مخططاتهم التلمودية إحداث ضجة حول ما يسمى بحقوق المرأة السيـاسية واشتراكهـا فى المجالس النيـابية والـوزاريـة ، ومساواتها بـالرجل لضرب شبكـات العلاقات الاجتماعية فى المجتمع المصرى المسلم ودفعه إلى طريق الانهيار .

ولما كان دعـاة التخريب عندنـا ووكلاء تشويه مفـاهيم المرأة المسلمة وقيمها لاينـامون ، فإنهم يقيمون لهذه المرأة فى كل عام حفـلاً لتخليد ذكراها ، والمقصود هـو تخليد ما تدعـو إليه من أفكار مسمومـة تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلـم ، وآخر ما طالبت بـه كبيرتهم هو تدريس تاريخها فى المدارس .

سيزنبراوى

امرأة تلقـت تربيتها فى فـرنسا ، تجيـد اللغة الفـرنسية أكثـر من العربيـة أشربت ثقافـة الغرب ومفـاهيمه الحضـاريـة ... وأعـدت هناك وزودت بعلم واسع بتشكيـل الاتحادات النسائيـة على الأسس الاجتماعية التى كانت تقوم عليها هذه الاتحادات فى دول أوربا .

وليس هنـاك من وصف نصف به هـذه السيدة غير مـا وصفت به نفسهـا فى مجلة حـواء عدد ٢١ / ١٢ / ١٩٥٧ تقول : « وعندما عـدت من الخارج حيث عشت حتى بلغت الثامنة عشرة من عمـرى » كنت متحـررة متحمسـة « ولهذا رفضت لبس البرقع ، وأصررت على لبس القبعـة ، وبحكم الصداقة التى كـانت بين والدتى وبين المرحومة هدى شعـراوى أخذت تهدىء من ثورتى وتقنعنى بأن الظروف غير مواتيـة للحصول على حقوق المرأة مرة واحدة ، وأن المطـالبة بها فى هدوء يجنبنا ثورة الرجال الذين كانوا كل شىء فى ذاك الوقت » ! ! !

ومن هنا استحقت سيـزا نبراوى أن تقوم بدور السكرتيرة الخاصـة لهدى شعراوى وأن تكون فى مقـدمة مستشـاراتها ، واستحقت أن تكـون رفيقة الـزعيمة فى أسفـارهـا ومؤتمراتها وجميع نـواحى نشـاطها ، لقـد كان لـوجود سيـزا نبراوى مع هـدى شعراوى فى تأسيس الاتحاد النسـائى المصرى ضرورة لنجاح المشروع ... فلربما كانت فكرة الاتحاد مـرت بخواطر نساء مصريات من قبل ، لكن الإمكانـات التى أعطتها هـدى شعراوى لهذا المشروع عن طريق سيـز نبراوى كانت فـوق قدراتهن جميعاً .

هذه هى المرأة التى قالت للفنان التشكيلى مصطفى نجيب عندما طلب يدها للزواج : « إنها لا تستطيع أن ترتبط بحياة يكون من حق أحد طرفيها فقط التخلى عن التزامه فيها بالطلاق فى أى وقت يشاء » ... واقترح العريس أن تكون العصمة فى يدها وتم الزواج الذى دام أربع سنوات فقط ... ومن يومها لم تكرر التجربة مرة أخرى ... وعاشت كما تقول لابنتها وللحركة النسائية وذكرياتها مع هدى شعراوى .

درية شفيق

وتتوالى الزعيمات ، وتأتى درية شفيق ، من الرعيل الأول لطالبات الجامعة المصرية فى أول عهدها بنظام اختلاط الجنسين الذى تبناه أستاذ الجيل لطفى السيد [1] ، ودخلت مع أستاذ جيل التغريب مشاركة فى التحدى لمشاعر الأساتذة والطلاب بإبراز فتنتها والمبالغة فى الظهور أمام الرجال والشباب فى الجامعة سافرة ... وبعد التخرج سافرت وحدها وعاشت دون محرم فى فرنسا للحصول على الدكتوراه وكل ما يؤهلها لتقوم بدور المنافسة فى الحركة النسائية .

إن للاستعمار أفانين وألاعيب ، والحركة المصرية النسائية فى ظل مجتمع مسلم تحتاج إلى حبكة درامية مثيرة تعطى آثارها المطلوبة وتحقق أهدافها فى أقصر الأوقات . فلابد من شخصية تقوم بدور المنافسة فى لعبة العملاء فى مجال المرأة .

هدى شعراوى ، تقوم بتشكيل الاتحاد النسائى وتتبنى أسلوب التدرج فى الخطوات .

... وثانية ، تقوم بتشكيل « الحزب النسائى » وتقوم بالتحديد فى وسائل الإغراء والإفساد .

---

(١) ما أكثر الألقاب التى خلعتها الدوائر الاستعمارية على وكلائها ، فهذا « عميد للأدب العربى » ليضرب تحت ستار هذا اللقب العروبة والإسلام ، وهذا أستاذ للجيل ، ليطعن الجيل فى تراثه وعقيدته وهما أعز شىء يملكه ، لقد لقب لطفى السيد « بأستاذ الجيل » واعتبر عند الجيل الذى أثر فيه « الأب الروحى » للأمة المصرية ، لفضله فى تأسيس القومية المصرية والنعرة الوطنية على أنقاض الجامعة الإسلامية .

وبالنظر فى نشاط فيلسوف الجيل نرى أنه دار حول ثلاثة محاور فكرية : الأول الدعوة إلى القومية المصرية ، والثانى الدعوة إلى مذهب الحريتين ، والثالث الدعوة إلى مذهب التعقيل .

وبتحليل سريع للدعوات الثلاث التى تبناها لطفى السيد من خلال ما كتبه تلميذه الدكتور عبد اللطيف حمزة فى الجزء السادس من سلسلة كتبه « أدب المقالة الصحفية فى مصر » فى موضوع « لطفى السيد والجريدة » نجد أن لطفى السيد كان ناقلا مخلصاً لمفاهيم الحضارة الغربية فى البيئة المصرية المسلمة .

١ ـ فبالنسبة للدعوة الأولى « يقول دكتور حمزة : « أما فى الميدان السياسى » فقد جاء لطفى السيد بفكرة الجامعة المصرية لتحل محل فكرة أخرى هى الجامعة الإسلامية ... التى عاشت مصر لها ورأت فيها عزها ومجدها ، بل عز الإسلام ومجده كذلك ، ص ١٢ ، ومن المعروف فى ذلك الوقت أن دولة الخلافه العثمانية كانت تحمل لواء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ووحدة الشعوب الإسلامية ، فجاء لطفى السيد بفكرة القومية كما بشرت بها الفلسفة الغربية الوثنية وكما أوحت بها المنظمات الماسونية ... جاء ليخالف ما اجتمعت عليه اتجاهات المواطنين المصريين ليخوض فى تركيا وليعلن الحرب عليها متضامنا مع القوى الاستعمارية الغربية المتآمرة على تفتيت دولة الخلافة ، هذا فى الوقت الذى يجثم فيه العدو البريطانى على صدر مصر مخضعاً كل شىء فيها لأمره ونهيه ، عاملا فيها بسلاح التفرقة تحت مبدئه المعروف « فرق تسد » ، ووقف الفيلسوف مناوئاً للزعيم الوطنى المسلم مصطفى كامل فى موقفه ضد الاحتلال وما كان يرمى إليه بإحراج انجلترا=

... وثالثة ، تشكل حزب « بنت النيل » وتقوم بدور المتشدد المغامر فى استنقاذ المرأة من الرجل واسترداد الحقوق المهضومة ! ! . فمن هى هـذه الشخصية التى تستطيع القيام بهذا الدور ؟ ليس غير درية شفيق .

ففى سنـة ١٩٤٩ أنشأت حـزب بنت النيـل ، وبعـد أشهـر من تكـوين الحزب سـافـرت إلى انجلترا التى كان لها فى هـذا الوقت ٨٠ ألف جندى يحتلـون أرض الوطن ، وهناك قوبلت مقـابلة رؤساء الدول وزعمائها ، ورحبت بها الصحف البريطانية وألقت عليها الأضواء ونشرت لها أحاديث عديدة تبرزها فى صورة المناضلة والزعيمة الأولى فى مصر لتحرير المرأة من قيود الإسلام ! ! ... قيود الحجاب والطـلاق وتعدد الـزوجات ، يقول مـراسل جريـدة « ذى سكتشمان » فى تقديمـه لأحد أحاديثها : « إن الأهداف المباشرة لحزب بنت النيل هـى كما أوضحتها الدكتورة درية شفيق : منح المرأة حق الاقتراع وحق دخول البرلمان ، والمطمح الثـانى الذى تهدف الدكتورة لتحقيقـه هو إلغاء تعدد الزوجات وإدخال قوانين الطـلاق الأوربية فى مصر » وتقول : « إن الطلاق فى مصر بوضعه الحالى أمر يسير جداً فـالزوج المسلم له الحق فى أن يطلق زوجته بمجرد قـوله أنت طالق فيما يتعلق بتعدد الزوجات ، فإنه لايزال شائعاً بين الطبقات الفقيرة » .

وفى أعقاب قيـام الحزب فوجىء المراقبون بظهـور الثراء على السيـدة وحزبها ، كما طلعت على الناس بثلاث مجلات تطبع فى حجم كبير وعلى ورق فاخر اثنتان منها باللغة العربية والثالثة باللغة الفرنسية عدا المطابع والسيارات الفخمة ... وبالتقصى عن مصدر هذه الموارد ، وجد أن السفارة

= دولياً لأن مصر بمقتضى معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ كانت داخلة فى نطاق دولـة الخلافة العثمانية وكانت هذه سياسة حكيمة ، ولكن « أستاذ الجيل » لم يرض هذه السيـاسة وذهب يشنع عليها بدعوى القومية المصرية ، ليقـدم للاستعمار أكبر فائدة بفصل مصر عن مصدر القوة الوحيد الذى تستمده من نسبها الإسلامى وعلاقتها بدولة الخلافة .

٢ ـ وبالنسبـة إلى « مذهب الحريتين » ، ترى أن الفيلسوف يـدعو إلى حرية التعليم والقضـاء والخطابة والصحافـة ، ولكن فى ظل الاستعباد والاستعمار ، فهو المسئـول عن صحيفة « الجريـدة » التى أنشئت برأس مال مختلط من مسيـو فلان والخواجـه أندراوس ومن أحمد فتحى زغلول قـاضى محكمة دنشواى الحزينـة ، وغير هؤلاء من أصحاب المصـالح فى الوجود الاستعمارى الـذين وصفهم كرومر بأنهم أصـدقاء راضين عن الاحتلال . وإصدار هذه الجريدة كان إرهاصا لتكوين حزب الأمـة لمناهضة الشعور الوطنى فى جريدتى « اللواء » « والمؤيد » فكان بهذا أول حزب شكل بوحى الاستعمار وضع على عينه . وبالدعـوة ، يقول فى ذلك دكتور عبد اللطيف حمزة فى ص ٧٠ من كتابه ، وفى غفلة من الـرجعيين والمحافظين على العرف والتقاليـد قبلت الجامعة الجديدة الفتيات المصريـات طالبات فيها مع الطلبـة ، وحرص لطفى السيد ومؤيدوه على ألاتثار هذه المسألة فى الصحف والخطب حتى يضعوا الحكومة والرأى العام أمام الأمر الواقع .

٣ ـ أمـا مذهب « التعقيل » كما جـاءنا به لطفـى السيد وكما يصفه تليمـذه الدكتـور حمزة فى ص ٣٤ من كتابه « عنـدى أن القصد من حـركة التعقيل ، إنما هو إعادة النظر فى الإصـلاح المصرى على أساس جديد هو العقل من ناحيـة والمنفعة الذاتية لمصر وحدها من نـاحية ثانية ... ومن الحق أن يقال إن هذه الحركة إنما جاءت صدى لهاتين الظاهرتين الكبيرتين فكرة الحضارة الأوربية وفكرة الجامعة الإسلامية » وهذا كلام ينم على جهل بالتعقيل فى المنهج الإسلامى ، فالعقل المسلم عقل مؤمن يستهدى فى نظره وبحثه بالوحى بخلاف التعقيل فى المنهج الغربى الذى يدين به لطفى السيد ، فالعقل الأوربى وثن يعبد من دون الله ، وهو عقل جهول مغرور تجاوز حدود عمله فى عالم الشهادة المادى إلى عالم الغيب وما بعـد الطبيعة ... إن الدعوة إلى الفلسفة العقليـة دعوة يهودية خبيثة ترمى إلى إحـلال العقل محل الدين ، نقلها هؤلاء المبشرون من تراث الفلسفـة الغربية لهدم الإسلام . أما مسألة المنفعـة الذاتية لمصر من وراء هذه الدعوة فـالواقع يكذبها ، فلم تجن مصر طوال قرن استغرقته الأنظمة التى قامت فيها على أساس هذه الدعوة وحاولها المستوردة إلا الضعف والفقر والتمزق والذل .

الانجليزية والسفارة الأمريكية تمدان الحزب بألفين من الجنيهات سنويا ، بخلاف الورق المصقول وغيره فضلا عن المشورة والتوجيه [١] .

هـذا وتجيء منطلقـات هـذه المرأة المشبـوهـة بتحـريض استعماري ومن خـلال المؤسسـات الاستعماريـة ، ففي سنة ١٩٥٠ انطلقت بمظـاهرة من قـاعة إيـوارت بالجامعـة الأمريكيـة ذات التاريخ العريق في التبشير ، قـوامها بضع عشرات من الفتيات المتفرنجات الكاسيـات العاريات وبعض المتخنسين الشبان من أصـدقاء الحزب ! ! متجهة نحـو البرلمان بهتافات تطالب بـالحقوق المهضومة ! ! وعلى أثر هذه المظاهرة أبرقت إليها جمعية سان جيمس الانجليزية تهنئها على اتجاهها الجديد نحو المظـاهرات وتعلن تأييدهـا لها حتى تنال المرأة المصرية على يديها الحقـوق السياسية ، تحت قبـة البرلمان وفوق كـرسي الـوزارة ... وكيف لا تؤيـدهـا هذه الجمعيـة وهي تقـوم بخدمـة المستعمر الانجليزي في اشغال الرأي العام عن قضية الاستقلال ! ! .

وقد أثبتت الحوادث فوق ذلك أن هـذه الحركة النسائية المصرية لم يقف تـواطؤها مع الاستعمار الغربـي عند حد تثبيتـه في مصر والشرق فحسب بل إننـا لا نغالي إذا قلنـا عنها أنها كانـت تسخر لتثبت دولة إسرائيل على أرض فلسطين ، وقـد إتضح ذلك بجلاء حين اشتركت المندوبـة المصرية في المؤتمر النسائي الدولي في استوكهلم عاصمة السويد وجاء ضمن قراراته الاستعمارية قرار يقضي بمطالبـة وزير داخلية السـويد بإنزال أشد العقـوبات على مسيو « إنيرابـر » الصحفي السـويدي المعـروف ، لمواصلته أعمال الدعاية ضد الصهاينـة في السويد . وقد كتب مسيو « إنيرابر » على أثر ذلك إلى الجامعـة العربيـة والحكـومة المصريـة ، يستنكـر مـوقف مندوبـات مصر في ذلك المؤتمر لموافقتهن على هذا القرار [٢] .

... هذه هي درية شفيق التي قـامت بدور المغامر في الحركة المزعـومة ، التي اتخذت في حياتها الطابع الدرامي المثير ، وانتهت دراميا حيث ماتت في حادث أليم .

* * *

وهناك في جبهات تخريبية أخرى تلميذة طه حسين أمينة السعيد رئيسة تحرير مجلة حواء ، التي تحرض نساءنـا على النشوز وفتياتنـا على الانحلال . وهي التي جعلت الفسق والبغـاء الرسمي في شارع الهرم نـوعا من كرم الضيافـة عندنا في ردها على القـذافي عندما ندد بمخـازي شارع الهرم في أحد مواقفه العنترية من خلال ندوة عقدت بالقـاهرة طالـب فيها بنظافة شارع الهرم وإغلاق محال

(١) كشف هذه الحقيقة إحدى العضوات المستقيلات من الحزب .

(٢) عـن « الحركـات النسائيـة في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيـونية العـالمية » . لـلأستاذ محمد فهمي عبـد الوهـاب « بتصرف » ـ دار الاعتصام .

الدعارة السياحية وعلب الليل ... وهى التى تهاجم بكل وقاحة الحجاب الإسلامى فى مجلتها ، وتقول إنه كفن كأكفان الموتى ...

وتأتى أمينة السعيد ومعها رئيسة النور والأمل سعاد صبرى التى رفضت الزواج لتعيش هكذا تتحدى الفطرة بحجة أن الزواج معوق لرسالتها (! !) .

وفى مواكب الرذيلة صحفيات ومذيعات ومعلمات وطبيبات من أمثال نوال السعداوى الكاتبة الماركسية ، وفاطمة السعيد ومى شاهين وسميحة طاهر وغيرهن ممن رباهن الغرب الاستعمارى الصليبى فى حجره ومحاضنه وممن هن فى دور الإعداد والتكوين ليخلفهن فى مهام التدمير فى مجالات الإعلام والتربية والخدمات الاجتماعية .

ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م
تحقق الأهداف

جاءت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م وكانت طليعة للثورات التى قلبت الأوضاع فى المنطقة العربية الإسلامية ، ورحب بها كل الساخطين على الأوضاع الفاسدة ، وعقد بها الناس أكبر الآمال ، وكان فى إمكانها أن تعيد إلى مصر مكانتها بين العالم العربى ، ومكان التوجيه والثقة والاحترام فى العالم الإسلامى ، بما تنتهجه فى الحياة من مناهج وإجراءات توافق طبيعة الشعب المصرى المسلم وما يكنه فى صدره من عواطف إسلامية جياشة . وطبيعة الأمة العربية التى لم يكتب الله لها النهوض والخلود إلا بهذا الدين ، وتوافق طبيعة الأمة الإسلامية التى لا تنشط ولا تتوحد إلا بدعوة الإسلام وتوافق طبيعة العصر الحائر الذى يبحث عن مخلص بعد أن أفلست جميع الأنظمة العالمية بهدمها لكل خير وسعادة تنشدها الإنسانية ، ويتنظر من شعب مسلم أن يقدم له المنهج الربانى الذى ينتج عند التطبيق الصحيح فرداً محرراً مكرما فى كل جوانب حياته ومجتمعا مكرما متكافلاً سعيداً .

ولكن الذى حدث أن هذه الثورة تبنت فكرة مستقلة وفلسفة قائمة بذاتها وخطة كاملة مصممة تصميما دقيقاً لتطوير المجتمع المصرى والمجتمع العربى بالتبعية تطويراً قومياً مادياً ، حتى يصبح مجتمعا عصريا يستخلص لنفسه علاقات اجتماعية جديدة تقوم عليها قيم أخلاقية جديدة وتعبر عنها ثقافة وطنية لا تقوم على أصول الإسلام وشريعته . والذى يتصفح الميثاق الوطنى الذى أصدره عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى يوم ٣١ مايو سنة ١٩٦٢ م يجد أنه يتكلم عن الأديان كأى اشتراكى مادى لا ينظر إلى الأديان إلا كقيمة مادية ثورية فى التاريخ البشرى ،

وكأنه لايؤمن بالآخرة والحقائق الغيبية يقول : « إن رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات إنسانية ، استهدفت شرف الإنسان وسعادته ، وإن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته »[1] ... وينظر إلى المجتمع وأفراده وحقوقهم نظرة لاتتقيد بالتشريعات الإسلامية والحدود التى بينها الله تعالى للإنسان ، وإنما تقوم على نفس الأسس التى تقوم عليها المجتمعات الغربية والتفكير العصرى ، فالمرأة فى نظره « تتساوى بالرجل ، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة لتستطيع أن تشارك الرجل بعمل وإيجابية فى الحياة »[2] ! ! .

وبوحى من هذه الفلسفة المادية العلمانية وعلى أساسها اتخذت إجراءات وخطوات حاسمة لتطوير المجتمع المصرى وتطوير العقلية المصرية شجعت على الإشادة بالفرعونية كقومية وحضارة وتراث ، ولم تعد كلمة فرعون تثير فى النفوس الكراهية والاحتقار ومعانى اللعنة والعار التى ألحقها به القرآن الكريم وأطلق العنان للصحافة وكل وسائل الإعلام من سينما وإذاعة وتليفزيون أن تستهزىء بالدين وشعائره ومقدساته وتنتهك الحرمات ، وتنشر فى المجتمع الخلاعة والاستهتار والميوعة ، ولم يزدها التأميم إلا خبالا وإسرافا فى نشر الصور العارية الخليعة ، والروايات الماجنة والقصص الغرامية والأغانى الفاجرة والتركيز على الحوادث المثيرة للغريزة الجنسية وأقيمت مهرجانات للرقص والغناء ، وبذلت العطايا والجوائز للراقصات والمغنيات باسم تشجيع الفنون ، كل ذلك حتى يتطور المجتمع وتتطور العقلية المصرية وتأخذ اللون المادى والطابع الغربى الإنحلالى .

واتخذت لتطوير المجتمع خطوات إيجابية أخرى تنزع عنه الصبغة الإسلامية فطور الأزهر ومسخت رسالته وتحول من جامعة إسلامية تخرج علماء فى أصول الدين والشريعة إلى جامعة عصرية ليس للإسلام وعلومه فيها إلا حصة كحصة الدين فى المدارس العصرية التى وضع مناهجها دنلوب القسيس الانجليزى . وألغيت المحاكم الشرعية والقضاء الشرعى . وزج بالدعاة إلى الله فى غياهب السجون والمعتقلات وطوردوا وشردوا وعلقوا على المشانق وحوربت أسرهم وأطفالهم بالإرهاب والتجويع ، بلا ذنب ولا جريرة إلا أنهم دعوا إلى تطهير المجتمع ونظافته .

وفى ظل هذه الظروف واتت أصحاب الدعوة إلى تحرير المرأة الفرصة فتوسعت لها قاعدة التعليم المختلط فشملت المدارس الاعدادية والثانوية بعد أن كانت قاصرة على التعليم الجامعى ، وأصبح من حق المرأة فى مصر التصويت فى الانتخابات والترشيح لعضوية المجالس النيابية والشعبية والجلوس على كرسى الوزارة وصدرت القوانين التى تؤكد هذه الحقوق وتلتها قوانين أخرى :

ـ قانون بفرض ثلاثين نائبة على الأقل فى مجلس الشعب .

---

(١) ، (٢) الباب السابع .

- قـانون بفرض خمسة وعشرين فى المائة من النسـاء على الأقل فى عضوية جميع المجـالس الشعبية والمحلية .

- قـانون يجعل الانتخاب والتصـويت إجباريا على كل أنثـى تبلغ الثامنة عشرة من عمـرها ، مع كونهما ليسا بالإجبار على الرجل ! .

- قانون تعديل أحكام قانون الأحوال الشخصية .

إن اشتراك المرأة فى الحكم فى أى صورة من الصـور ، مخالف لروح الشريعـة الإسلاميـة تماما ، وهو بدعة غربية مستوردة من الخارج عملت الثورة على اتباعها وتقليدها .

واشتراك المرأة فى الوزارة ، فى مجلـس الشعـب ، والمجالس المحليـة ، والمجالس الشعبيـة ، هو اشتراك فعلى فى الحكم والولاية ، وهو مالا يرضاه الله ورسوله ولم تكفنا هذه المخالفة لشريعة الله بأن أبحنا أن تكون المرأة نـاخبة أو نائبة فى كل هذه المجالس . ولكن تعـدى الأمر إلى جعل الانتخاب فـرضا وجبرا على كل من بلغت ثمانى عشرة سنـة وتعدى الأمـر إلى فرض نسبـة أدنى على الأقل فى كـراسى النيابـة البرلمانية والمحليـة والشعبية للنسـاء ، وهو أمـر لم يحدث حتى فى الدول الماركسيـة الشرقية أو الغربية التى لاتتقيد بأحكام الإسلام .

وتعقب أمينـة السعيـد بعدم الـرضـا فى مجلتهـا « حواء » على قـانـون تعـديل قانـون الأحـوال الشخصية بـرغم أن المرأة حصلت بهذا القانـون على ما يتجـاوز حدودهـا فتقول « إن هنـاك أمورا جوهرية لم يتنـاولها التعديل ، وهى تقصد طبعا أن القانون لم يتضمن نصـا صريحا بتحريم الطلاق وتعدد الزوجـات اقتداء بالكاثـوليكية ، فهى التى قالت منذ ربع قـرن فى مجلة المصور : « إننى لا أطمئن على حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل فى الميراث» ، وكتبت بعد سنوات تقول : « كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا فى عصر الظلام ولدينا الميثاق » .

ونحن نقول للكـاتبه إن القانون يحقق لها مـا تتطلبه من وضع العقبات والعـراقيل والمتاعب فى طريق تعـدد الزوجات والطلاق والتنكيل بكل من تحدثـه نفسه أن يقدم على أحد الأمـرين . وأنه سيفتح الأبواب على مصاريعها لتعدد العشيقات الخليلات بدلا من تعدد الزوجات الحليلات .

كما نقول لها إن الغرب الذى تقدسينه هو مهد الدعارة والتحلل الخلقى وانحلال الأسرة وإن ما أصاب الشرق من تحلل خلقى قد هب إليه من الغرب ، عن طريق الصحافة والمؤسسات التربوية الدخيلة على تقاليدنا والمعروف أن الغـرب يحرم الطلاق وتعدد الزوجات وإن كان قد اتجه أخيرا فى بعض دوله لإصدار قوانين تبيح الطلاق وتعدد الزوجات .

ونقول ... برغم كل هذه الإجراءات ، فإن مقومـات الأمة وتقاليدها لن تهزم أبداً وإن حصون الإسلام أقوى وعين الله لها حارسة .

وهل كان سعيهم مشكوراً ؟ !

إن الدعوة إلى التجديد وتحرير المرأة فى إطار مفاهيم الحضارة الغربية . كما قدمها دعاة من أمثال رفاعة الطهطاوى وقاسم أمين وسعد زغلول ولطفى السيد وطه حسين وغيرهم فى جيلهم ومن سلك طريقهم فى الدعوة إلى تقليد الغرب واقتفاء مناهجه الوثنية المادية بشقيها الغربى الليبرالى والشرقى الماركسى إن هذه الدعوة كانت مخالفة للحقيقة ومصادمة للفطرة ومنافية لبديهيات العلم ومسلماته ورفضا للإسلام وشريعته ، وكانت فى غاياتها البعيدة تخدم المخطط الاستعمارى الصليبى الصهيونى الشيوعى الذى يستهدف تدمير الأسرة والمجتمع كله بواسطة إخراج المرأة من رسالتها وأمانتها .

والواقع أن أصحاب هذه الدعوة لم يكونوا مخلصين لأمتهم وتراثها الأصيل وما لديها من منهج سماوى يعلو ، ليجعل من دور المرأة فى الحياة ألعوبة من الألاعيب بلا مسئولية وتبعة زوجية وأمومة . وإن الحياء الصادق والعفة الصحيحة والطاعة العظيمة التى هى مظهر الحب لا تتحقق إلا بصيانة المرأة فلا تخالط الرجال إلا فى ضرورة ماسة وحرصها على دينها والصبر على مكاره البيت فالمرأة للبيت .

وبسبب ولاء هؤلاء لثقافة الغرب وتقاليده ، جاء تصويرهم لدور المرأة وشخصيتها مشوها وضالا ومثيرا للتمرد ودعوة إلى شر كبير ... حرفوا الواقع وزيفوا الفطرة وغالطوا فى الحقائق الأصيلة الثابتة مادام ذلك يوافق ما يدين به الغرب وينسجم مع أساليب الحياة هناك التى فتنوا بها وبلغت فتنتهم بها أن تجاوز أحدهم نسبنا الإسلامى ، وأعمته الفتنة بالغرب عن تاريخ أربعة عشرة قرنا لشعب مصر فى الإسلام لينسبها تاريخا وحضارة إلى أوربا فيقول طه حسين « إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءا من الشرق ، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية »[1] . وعلى هذا الأساس دعا العميد المصريين إلى اختيار الحضارة الغربية حضارة لهم ومشاركة الغربيين فى جميع مناهجهم ومقاييسهم وأذواقهم وأحكامهم فطلب بصريح العبارة أن « نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب »[1] .

« وأن نشعر الأوربى بأننا نرى الأشياء كما يراها ، ونقوّم الأشياء ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها[3] » . وإلى هذا الحد وصلت حماسة هؤلاء الدعاة إلى تقليد الحضارة الغربية والانتساب إليها ، لندخل فيها بعد أن نخلع على أعتابها إيماننا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكل ما يقوم على هذا الإيمان من نظم شرعها لنا الله .

ولكن ، هل كان سعى هؤلاء فى إضفاء الصبغة الغربية علينا مشكوراً ؟ وهل نالوا تقدير

---

(١) ، (٢) طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ٤١ .
(٣) الكتاب السابق : ص ٤١ .

واحترام أصحاب هـذه الحضارة بـرغم ما قدموا على أعتابهم من مـراسيم الطاعـة والإخـلاص والولاء ؟ .

الإجابة عند اللورد كرومر ، الذى كان أكبر رائد فى تغريب مصر والعالم العربى بالتبعية ، فقد صور بنفسه هـذا الجيل المشئوم الذى تربى فى أحضـان التعليم الغربى ونال أعلى درجـاته العلمية من جامعاته ورجع إلى وطنه مؤمناً بسيادة الغرب وفضل حضـارته وقدسية مبادئه ، فكانوا طلائعه الأولى العـاملة بكل حماس على سلخ أمتهـم من ماضيهـا العـريق وهدم كل قـواعـدها وأصـولها الاجتماعية لتقوم على أساس غربى ظنا منهم أن هـذا هو طريق النهضة والحل الأمثل لمشكلاتنا ، فتاهوا بذلك عن اكتشاف خصائص أمتهم وفقدوا هويتهم الأصيلة ، فعموا وصموا عن أن الغرب ما يزال يعيش على تـراث أسلافه ، على عكس النظرة الخاطئـة التى تحاول عن عمد الإيهام بلفظه لعقيدته ونبذه لتراثه والمفاصلة بينه وبين أسلافه .

يقول كـرومر فى شأن هـؤلاء : « إن المصرى المتحرر يسبق الأوربى المتحـرر فى التنور » وحـرية الفكـر والحيرة ، إنـه يجد نفسه فى بحـر هائج لايجد فيـه سكانـاً ولا ربانـاً لسفينته ، فـلا ماضيـه يضبطه ، ولا حاضره يفرض عليه الحواجز الخلقية ، إنـه يشاهد أن الجمهور من مواطنيه يعتقدون أن الدين يعارض « الإصلاحات » التى يراها جديرة كل الجدارة بالنفاذ ، إن ذلك يثير فيه السخط والكراهية الشديدة للـدين الذى يؤدى إلى مثل هذه النتيجة ، فيدوسه بقدمـه وينبذه بالعراء ، إنه إذا قطع الصلة عن دينه وتعاليمه فلا يحجـزه عن التورط فى المزالق الخلقية إلا مصلحته الشخصية السافرة ، مع أن الأوربى الذى يحرص على تقليده ، لايزال متقيداً بشرائع أمته الخلقية إن المجتمع الـذى يتكون من مثل هـؤلاء الأفـراد المتحررين فى مصر ، لاينكـر على الكـذب والخديعة إنكـاراً شديداً » ولايمنعه من ارتكاب الرذائل خوف سوء الأحدوثة فى المجتمع ، إنه إذا رفض دين آبائه ، فإنه لايلقى عليـه نظرة عـابرة ، إنه لايـرفضه فحسب ، بل يـرفسه ويركلـه برجلـه ، إنه يترامى فى أحضان الحضارة الغربية متعامياً عن كل حقيقة ، ويغيب عنه أن الجانب الزاهر البراق للحضارة الغربية ليس إلا الجانب الخارجى من جوانب هذه الحضارة ، إن الحقيقة أن القوة الخلقية التى تنبع من التعـاليم المسيحية هى التى تضبط سفينـة الحضارة الغـربية وتمنعهـا من الاضطراب الـزائد فى البحر الهائج ولما كانت هذه القوة قوة بـاطنية ، فإنها تتوارى فى غالب الأحيان عن أنظار المتشبهين الزائفين بأبنائها الحقيقيين ، إنه يحلف ويقول : إنه نبـذ التعصب الدينى ، وأنه يحتقر تعاليم آبائه إنه يقـول لزميلـه الأوربى : إننـا أصبحنا نملك الخط الحديـدى ، وقد أسسنـا فى بلادنـا مدارس عصرية ، وأنشأنا الجرائد والمحاكم ، ومظاهر الحيـاة الحديثة ، والمدنية العصرية التى تتكون منها حضارتكم » فكيف نعتبر متخلفين عنكـم وأحط شأناً منكم ، إنه يجهـل أنه لايستطيع أن يجارى زميله الغربى ويكـون ندا له ، فإن المسيحى المتحضر وإن لم يكن راسخاً فى دينـه ، ولكنه إلى حد

كبير نتاج المسيحية ، فإن لم تكن المسيحية التى مضى عليها ألف وتسع مائة سنة ، رصيده وسنده ، لم يكن قط حيث هو الآن » [١] .

... ويقول فى موضع آخر : « إن المجتمع المصرى فى مرحلة الانتقال والتطور السريع ، وكانت نتيجته الطبيعية أن وجدت جماعة من أفرادهم « مسلمون » ولكنهم متجردون عن العقيدة الإسلامية والخصائص الإسلامية ، وإن كانوا « غربيين » فإنهم لايحملون القوة المعنوية والثقة بأنفسهم ، وإن المصرى الذى خضع للتأثير الغربى ، فإنه وإن كان يحمل الاسم الإسلامى لكنه فى الحقيقة ملحد وارتيابى » [٢] .

الحصاد المر

إنه برغم صلابة الشخصية الحضارية للمجتمعات الإسلامية واستعصائها على الذوبان فى حضارة الغرب ، إلا أنه لضراوة الغزوة الحضارية الغربية وما حشدت لها من جهود وإمكانات مادية وبشرية من الداخل والخارج وما ساعدها من ركون هذه المجتمعات وتبلدها ، استطاعت الحركة الملقبة بحركة « تحرير المرأة » أن تحقق الكثير من أهدافها فى قطاعات عريضة من مجتمعاتنا .

لقد استطاعت هذه الحركة المشؤمة أن تحدث تشوها فى معالم شخصية المرأة المسلمة العفيفة المصونة ، وانقلاباً فى مفاهيمها ، حتى أصبحنا لانستطيع التمييز بين المرأة المسلمة والمرأة الأوربية فى فكر أو خلق أو سلوك .

كما استطاعت أن تنزع عن مجتمعاتنا الكثير من سماتها الإسلامية ، فذابت الحواجز بين الفتى والفتاة فى الرحلات المزدوجة ، ومعسكرات الشباب المختلطة ، ونزعت القيم والأخلاق من نفوس الأجيال الناشئة ... وراجت الأغذية السامة التى يقدمها الأدب الوجودى المنحل وأدب الجنس والفكر المادى ، حتى أصبحت الوجبة المفضلة لدى شبابنا وفتياتنا . وهى الظاهرة الخطيرة التى أعلن عنها رئيس اتحاد الناشرين فى بيروت بقوله : « إن الكتب الجنسية الآن من أروج الكتب فى البلاد العربية ، وهى والمعاجم اللغوية لا تمنع كالكتب الأخرى » يقصد أن قيود المنع لاتوضع إلا على كتب الفكر الإسلامى الجاد .

وكانت النتائج وخيمة ، فانعكس الفساد على كل مرافق حياتنا وتغلغل فيها من الجلد إلى اللحم والعظم ، تخلقنا فى جميع الميادين ولحقت بنا الهزائم السياسية والعسكرية . فما موقف

---

(1) Cromer: Modern Egypt, Vol 2 P. 232.
(2) Ibid P. 228.

ضباط الطيران بمصر فى ليلة ٥ يـونيو سنة ١٩٦٧ عنا ببعيد ، فقد كـانت تنبيهات وتحذيرات من أكثر من مصـدر ، تومىء إلى تـوقع هجوم من إسرائيل فى يـوم ٥ يونيو ذاتـه ، ويساعـد على هذا التوقع سخونـة الجو السياسى والعسكرى وارتفـاع حرارته إلى حد بعيـد أثر المؤتمرات والتصريحات النـارية ! ... وفى هـذه الظـروف يأبـى قـادة الطيران إلا أن يقيمـوا حفـلا راقصـاً يشربون فيـه ويطربون ، ويتراقصون ويتمايلون ، حتى مطلع الفجـر ، بدلا من أن ينيبوا إلى ربهم سجداً وقياماً واستعداداً ... وكان مـا كان من ضرب المطارات وتحطيم الطائرات ، والقـوم يغطون فى نوم عميق بعد سهرهم الطويـل . وكانـت النتيجة أن ضاعت القـدس أولى القبلتين ، وأصبح الطريق إلى القاهرة مفتوحاً .

ولقـد كشفت « نكستهم » فى سنـة ١٩٦٧ كثيرا من الفضائح والمخـازى التى ينـدى لها جبين الكـريم ، ويضيق بها صدر الحليم ... ومن هـذه المخـازى قضايـا « الجواسيس » اليهود الـذين تسللوا فى أكثر من بلد عـربى ثورى إلى مركز القيادة ، تحت أسماء إسلاميـة مزورة ، واستطاعوا أن يمسوا ويصبحوا ندامى ومسامرين لكثير من الشخصيات المرموقة عسكرية ومدنية ، وأن يحصلوا من ورائهـا على أعمق الأسرار العسكـريـة والسيـاسيـة ، ليطيروهـا إلى « إسرائيل » وهـم فى أمـان واطمئنان ، لأنهم فى حماية فلان ، وكنف علان ، من القادة والضباط العظام !

إن قصة « إيلى كوهين » فى سورية وأضرابـه فى غيرها من دول المواجهة مع إسرائيل ، مما كشف بعضه ولم يـزل بعضه الآخـر سراً مجهولا ، ستظل من القصص العـالمية المثيرة فى تـاريخ التجسس المفعم بالمغامرات ... لماذا نجح هؤلاء الجواسيس ؟

نجحوا عن طريق الفسـاد الخلقى ، فما وجدوه منه استغلوه ووسموه ، ومـا لم يجدوه حاولوا أن يخلقوه ويغذوه . إن أعظم فخين أو شبكتين للجاسوس هما ، الخمر والمرأة ! وعن طريقهما يقع فى حبائله كبار المسئولين من حملة أسرار الدولة والقوات المسلحة .

إن من شأن هذه الدعوة الخبيثة التى يروج لها دعـاة تحرير المرأة الذين وضعتهم الدولة فى مراكز الصدارة فى كل مـؤسسات التوجيه والإعلام ... إن مـن شأن هذا الجو الذى سممه هـؤلاء الدعاة بإمكانياتهم هذه يعطى منطقاً واحداً للشباب والشابات ، أن الحياة كلها لهو وفراغ وجنس وتسلية وخداع وصراع وتحريض وانتقـام وغوايـة واصطياد وليس لهذا كله حـدود ، ولاعقوبـات ، هكذا تصـور وسائلهم الإعـلامية من صحـافة وإذاعـة وسينما وتليفزيـون فى حوار قصصهم وأفـلامهم وتمثيليـاتهم ، فتعطـى للشـبـاب التحـريض على أسرته وأهلـه ، وللفتاة الانـدفـاع إلى مطامعهـا وأهـوائهـا ، وللـزوجـة أن تبحث عن طـريق غير طـريق البيت أو الأسرة إذا مـا رأت تسهيـلات الإعوجاج والانحراف .

نشرت جريدة « أخبار اليوم » فى عددهـا الصادر ١٤/ ٢/ ١٩٧٦ تحقيقاً بعنوان « لماذا تنحرف

الفتيات الصغيرات ؟ » يجيب صاحب التحقيق بأن الفقر أحياناً هو السبب ... « والتطلع » فى أحيان كثيرة يكون وراء الانحراف » هكذا يقول المتخصصون فى الاجتماع .

إن شارع الشواربى بمحلاته الأنيقة ومعروضاته المغريه من الملابس المستوردة وأدوات التجميل والزينة يثير لعاب الفتيات ، فإذا امتدت أيديهن إلى الجيوب ، عادت خاوية ، وغالباً ما تمتد أيد كثيرة إليهن فى هذا الوقت بالذات تشترى لهن وتأخذهن إلى الضياع !

ليس الفقر وحده هو المسئول : هكذا تقول أوراق التحقيقات مع البنات المنحرفات . إن أمام « حسين نعمان » مدير نيابة الآداب اعترافات مثيرة لبنات صغيرات ، لم تكن الحاجة والفقر وراء انحرافهن » ولكن كانت هناك أسباب أخرى كثيرة ومثيرة :

ـ الاعتراف الأول لطالبة ... قالت أنها تمتلك سيارة بيجو وقد تعطلت فذهبت بها إلى الورشة طلب الميكانيكى مائة جنيه لإصلاحها ... وعجزت عن تدبير المبلغ وتعبت من الذهاب إلى الكلية فى المواصلات المزدحمة ... وهمست زميلتها وصديقتها الطالبة بكلية الآداب فى أذنها بالحل ... ساعة واحدة مع سائح وتحصلين على ثمن إصلاح السيارة !

وذهبت مع صديقتها إلى السائح فى الصباح ... وأسرتها تعرف أنها فى الكلية ... ونزلت وفى حقيبتها مبلغ المائة جنيه .

ـ و الثانية اعترفت بأنها مخطوبة لموظف شاب أحبته ... لكنه كان محدود الدخل وعند البحث عن شقة الزوجية طلب صاحب العمارة ٨٠٠ جنية خلو رجل وعجز خطيبها عن الحصول على أى مبلغ ... وانحرفت هى لتحصل على خلو الرجل وانسابت دموعها وهى تقول لمدير نيابة الآداب : وجمعت ٦٠٠ جنيه فى ستة أيام ولم يكن ينقصنى غير مائتين .

ـ والثالثة ... تستأجر شقة مفروشة فى الدقى بمائة وخمسين جنيها فى الشهر ... قالت إن أسرتها فقيرة وهى تكره الفقر وتتطلع إلى الحياة المترفة ... للملابس الجاهزة من شارع الشواربى ... للطعام النظيف ... لركوب سيارة وانحرفت !

وقدمت النيابة الطالبات إلى المحكمة بعد اعترافهن وحكمت المحكمة بحبس كل منهن بالسجن ٣ شهور مع الشغل .

ويقول مدير نيابة الآداب : ليس العامل الاقتصادى وحده هو الدافع إلى وقوع الكثيرات ، وأمامى نماذج كثيرة :

وقفت أمامى فتاة لا يتجاوز عمرها ٢٢ سنة ... من أسرة كبيرة ... والدها كان يشغل مركزا مرموقا ... تملك ٥٠ فدانا ... عندما تم ضبطها فى شقتها مع سائح ، وجد معها خمسة آلاف جنيه » ومجوهرات لايقل ثمنها عن عشرة آلاف جنيه ...

وطالبـة بالجامعـة الأمريكية عمـرها ٢٥ سنة ... زوجـة وأم لطفلين ... تملك شقة خـاصة فى ميدان التحريـر ... وسيارة من أحدث طراز ... تم ضبطها ومعهـا مبلغ كبير وتتحلى بمجوهرات ثمينة ... قـالت إنها ليست فى حاجـة إلى الفلوس ... إنها انحـرفت لتملأ فـراغ وقتها . فـزوجها مشغول عنها بأعماله دائما ! !

خمس طالبات صغيرات تم ضبطهن فى شقه سائح ... عـاريات فى حجرة النوم ... كلهن من أسر محدودة الدخل ... يمارسن الجنس لحاجتهن إلى مصروفات نثرية لشراء سندوتشات والجلوس فى الكازينـوهات ... قـالت إحداهن : ومعى الفلـوس لكنى لا أستطيع أن أشترى ما تتـوق إليه نفسى من الملابس الجاهزة فى شارع الشواربى خشية أن تسألنى أسرتى من أين لك هذا ؟ !

والأمثلةكثيرة ... ومثيرة ... ومتعددة ، إن متوسط ما يقدمه مكتب الآداب إلى النيابة والمحكمة سنويـا يزيـد على الألف قضيـة ... لطالبات ... وزوجـات من أسر كبيرة ومـوظفات ، هـذا ما يكشفه بوليس الآداب والحالات التى لم تكشف لا حصر لها ! !

ويقول حسين نعمان مدير نيابة الآداب : من واقع تجاربى معهن وسماعى لاعترافاتهن فإن ذلك فى تقديـرى يرجع إلى نقص التربية الأسرية والـدينية فى الأسرة . وأحمل وسائل الإعلام والصحـافة والإذاعة والتليفزيون نصيبها من المسئولية .

ويستطرد : إن المادة ٩ ج من القـانون رقم ١٠ لـسنة ١٩٦١ فيهـا كثير من الثغرات على سبيل المثـال ... المنحرفـة التى تصـادف شخصا واحـداً لاتحاكم ... والتى تمارس الجنس مع عـدد من الأشخاص تقدم بتهمة الاعتياد على ممارسة الدعارة .

* * *

جاء فى البروتـوكول التاسع من البروتوكـولات حكماء صهيون : « ولقد خدعنـا الجيل الناشىء من الأمميين ـ غير اليهود ـ وجعلناه فاسداً متعفنا بما علمنـاه من مبادىء ونظريات معـروف لدينا زيفها التام ، ولكننا نحن الملقنون لها » . وجاء فى البرتوكول الثانى عشر : « الأدب والصحافة هى أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ... ولقـد نشرنا فى كل الدول الكبرى ذوات الـزعامة أدباً مـريضاً قذراً يقذى النفوس » .

وإننا نحن المسلمين بعد هذا كله لنتساءل : أما آن لمواكب الفارغات والفارغين من دعاة تدمير المرأة أن يكفـوا ، ويتقـوا الله ؟ ! أمـا آن للمسئولين عـن هذه الأمـة أن يضعـوهـا على الطـريق الصحيح ، وأن يكون لنا فى هذا الواقع المر الأليم عبرة ؟ !

إن هذه الأجيال التى نحن مسئولون عنها أمـام الله وأمام التاريخ : أننا لم نمهد لها طريق الحق ولم ندلها على منابع الخير ، ولم تقم بناءها على أساس الإيمان هنـاك مسئولية توجيه الآباء والأمهات أولاً وهناك مسئولية مناهج التربية والتعليم ، وهناك مسئولية وسائل الإعلام بما تقدمه من مفاهيم غربية فاضحة تمثل مجتمعها ولاتمثلنا ... هذه الأجيال التى يجب أن تعرف التحديات الخطيرة التى تـواجهها وتـواجـه أمتها ، وذلك الخطـر الأكبر الماثل فى بـلادنـا من صهيونيـة واستعمار صليبى وماركسى ، وما تحاول به كل هذه القوى الحاقدة الطامعة من احتواء أمتنا عن طريق إخراج شبابنا من دينه وقيمـه وتراثه الأصيل ليصبح عاجـزاً بالتحلل والإباحية والفـردية والأهواء عن مقاومـة ما يحدق بنـا من أخطـار وإن مـا نـراه الآن لينـذر بالخطـر وليكشف بصـورة واضحـة مـا أضمـرتـه بروتوكولات حكماء صهيـون التى ركزت على تحلل شباب الأمة وتلويث قلبه ونفسـه وتزييف عقله وتشويشه ، واحتوائه والسيطرة عليه عن طريق حـرية الجنس الذى تزينه جماعات اتباع الشهوات فى الأغنية المكشوفة ، وحوار التمثيليات الهابط ، والصورة العارية والقصة الإباحية حتى يصير فى النهاية وقـد مسخ بالحيوانية غير قادر على فهم رسـالته فى بناء أمته وتفهم دورها فى هـذا الوجود ـ كخير أمة أخرجت للنـاس ـ وتعرف حق الله عليها والتزامها التاريخى والأخـلاقى ، ومسئوليتها فى حساب أخـروى ، يوم تـذهل كل مرضعـة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وتـرى الناس سكارى وماهم بسكارى ، ولكن عذاب الله أليم .

* * *

الفصل الثالث

الأسرة المسلمة على مفترق طريقين

رأينا كيف نقلت قوى النفوذ الاستعمارى بوجهيه اليهودى والصليبى إلى الحياة الاجتماعية الإسلامية مخطط الهدم المدروس لكل مقومات الأمة وجعلها لقمة سهلة لكل طامع .

ومما لاشك فيه أن هذه القوى وضعت فى الحركة التى استعلنت باسم « تحرير المرأة » أكبر آمالها ، فحشدت لها كل الإمكانات والجهود والطاقات ما يكافىء الدور الخطير الذى تلعبه على الساحة الإسلامية ... ذلك أن هذه الحركة ، التى حمل لواءها رجال قطعوا صلتهم بنسبهم الإسلامى وجعلوا من حضارة الغرب نسبا جديداً لهم ، ونساء كثيرات غرر بهن وظنن أنهن يستهدفن حقا مسلوبا ، هى فى حقيقتها جزء هام من أجزاء مخطط التذويب والاحتواء الغربى والغزو الثقافى والاجتماعى الذى يهدف إلى الانحراف بالمرأة المسلمة عن رسالتها وقيمها ودفعها لتكون معول هدم للأسرة والمجتمع المسلم ، ذلك أن الإسلام هو الذى وضع الركائز الأصيلة لتحرير المرأة ، أما هذه الحركة فقد استهدفت تفكك الأسرة وانحلال الأخلاق واستباحة العرض الإسلامى بإحداث ثغرات وتأصيل مفاهيم جديدة تدور فى إطار المفهوم الغربى العارى من أساليب العفة والقيم والحصانة ، وبالفعل تأصلت هذه المفاهيم الخاطئة وأصبحت فى عداد المسلمات ، التى مسخت الفطرة السليمة للمرأة وأفسدت العلاقات بين الزوج والزوجة والآباء والأبناء ، فعمت الفوضى والاضطرابات حياتنا حتى أصبحت بعيدة كل البعد عن الصورة النظيفة الآمنة المطمئنة للحياة الإسلامية ، والحق الذى لا مراء فيه أن هذه الجماعات التى أخذت على عاتقها قطع كل صلة لنا بأصولنا الإسلامية لتصلنا بالغرب وأصوله ، لم تكن مخلصة لهذه الأمة أو صادقة فى التماس هدف أصيل .

وقد كان لهذا الانحراف الذى تم تحت أضواء الحضارة وبريق الحرية وصيحات التكريم الزائفة للمرأة أثره البعيد فى هذه النتائج الخطيرة التى يواجهها المجتمع الإسلامى ، وهذه التحديات التى تواجه المرأة المسلمة ورسالتها فى الحياة كما رسمها المنهج الإسلامى .

ومن أجل إسقاط الأسرة طرحت فى طريق المرأة المسلمة أشواك كثيرة : منها مفاهيم مغلوطة عن التقدم والتطور ، ومنها كذلك خروجها إلى ميادين العمل العامة والتخلى عن مسئوليات البيت ، وتحريضها على النشوز واسقاط قوامة الرجل ، ودعوتها إلى تحديد النسل وضرب وظيفة الأمومة ، وتشكيكها فيما شرعه الله لها من الحجاب وعدم التبرج ، وإباحة تعدد الزوجات والطلاق حلا لمشكلات الأسرة .

مفاهيم وشبهات
فى طريق المرأة المسلمة

وفيما يلى نضع هذه المفاهيم فى الميزان الإسلامى الصحيح ، ونناقشها برؤية إسلامية ؛ محاولين بذلك تصحيح الفهم فقد كان من فساد التأويل والفهم أن تصور أصحاب دعوة (تحرير المرأة) وأهمية أن عليهم أن يختاروا بين رفض التقدم باسم دين تصوروا أنه يقف فى وجه الحياة ، وبين حياة تدار شئونها بعيداً عن الدين وتوجيهاته فخسروا وخسر الناس معهم على الحالين .

أولا : التقدم والتطور

ينظر الإسلام إلى المجتمع على أنه كيان متطور بتطور مكوناته المادية والبشرية وبتدافع القوى المختلفة القائمة فيه ، وهو تدافع يشير إليه قوله تعالى : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾[1] وتحكمه سنة جارية تنتقل بها السيطرة والتمكين من فريق إلى آخر ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾[2] ، ﴿**ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك** ﴾[3] .

عندما يقرر الإسلام حقيقة تطور الإنسان والمجتمع يفتح الباب فكريا وعملياً أمام سؤال ذى بال وهو : كيف يتأتى لنصوص الإسلام أن تلاقى حركة المجتمع المتطور المتغير ... وأين يذهب بقوله تعالى : ﴿ **لا مبدل لكلمات الله** ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[5]؟ ؟ .

جاءت شريعة الإسلام ملائمة للفطرة الإنسانية ، فجمعت بين عنصرى الثبات والتطور ... بهذه الميزة يستطيع المجتمع المسلم أن يعيش ويستمر ويرتقى ، ثابتاً على أصوله وقيمه وغاياته متطوراً فى معارفه وأساليبه وأدواته .

« فبالثبات » يستعصى هذا المجتمع على عوامل الانهيار والفناء ، أو الذوبان فى المجتمعات الأخرى ... بالثبات يستقر التشريع وتتبادل الثقة وتبنى المعاملات والعلاقات على دعائم مكينة ، وأسس راسخة ، لاتعصف بها الأهواء والتقلبات السياسية والاجتماعية ما بين يوم وآخر ،

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١ .
(٢) سورة آل عمران : ١٤٠ .
(٣) سورة هود : ١١٨ .
(٤) سورة الأنعام : ٣٤ .
(٥) سورة المائدة : ٣ .

وبالمرونـة ، يستطيع هذا المجتمع أن يكيف نفسـه وعـلاقاتـه حسب تغير الزمن ، وتغير أوضـاع الحياة ، دون أن يفقد خصائصه ومقوماته الذاتية .

« ويتجلى عنصر الثبات فى شريعة الإسلام فى المصـادر الأصلية النصية القطعية للتشريع » من كتاب الله وسنة الرسول ، فالقرآن هو الأصل والدستور والسنة هى التفسير النظرى والبيان العملى للقـرآن وكلاهما مصـدر إلهى معصـوم ، لايسع مسلماً أن يعرض عنـه ﴿ **قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ (١) .

« وتتجلى المرونة ومواجهة التطور الاجتماعى فى المصادر الاجتهادية » مثل الإجماع ، والقياس ، والاستحسـان ، والمصالح المرسلـة وأقوال الصحـابـة . وغير ذلك من مآخـذ الاجتهاد ، وطـرائق الاستنباط ، وبذلك تنقسم أحكام الشريعة إلى قسمين بارزين :

- قسم يمثل الثبات والخلود
- وقسم يمثل المرونة والتطور

يقول عنهما ابن القيم « الأحكام نوعان »

١ ـ نوع لايتغير عن حالة واحدة هـو عليها ، لابحسب الأزمنة ولا الأمكنة ، ولا اجتهاد الأئمة ، كوجوب الواجبات ، وتحريم المحرمات ، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ، ونحو ذلك ، فهذا لايتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه .

٢ ـ النوع الثانى ، ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمـانا ومكانا وحالا ، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفـاتها ، فإن الشارع ينوع فيها حسب المصلحـة فنجد الثبات يتمثل فى الأسس العقائدية التى قام عليها بناء الإسلام . وهى الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، وفى الأركـان العمليـة الخمسـة . وهى شهـادة أن لا إله إلا الله وأن محمـدا رسـول الله ، وإقـام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

كما نجد أن الثبـات متمثلا فى المحرمـات اليقينية : من السحـر وقتل النفس بغير حق والزنى وأكل الربـا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات الغـافلات المؤمنات والتولى يـوم الزحف والغضب والسرقة والغيبة والنميمة وغيرها مما ثبت بقطعى القرآن والسنة .

وفى أمهات الفضـائل من الصدق والأمانـة والعفة والصبر والوفـاء بالعهد والحيـاء وغيرها من مكارم الأخـلاق ، التى اعتبرها القـرآن والسنة من شعب الإيمان « وفى شرائع الإسـلام القطعية فى شئـون الـزواج والطـلاق والميراث والحدود والقصـاص ، ونحـوهـا مـن نظم الإسـلام التى ثبتت بنصوص قطعيـة الدلالة فهـذه الأمور ثابتـة ، تزول الجبال ولا تـزول ، نزل بها القرآن وتـواترت بها الأحـاديث وأجمعت عليهـا الأمـة ، فليس من حـق حـاكم أو هيئـة أن يلغى أو يعطل حكما من أحكامها ، لأنها كليـات الدين وقواعده وأسسـه كما قال الشاطبى فى الموافقات : « كليـة أبدية ،

---

(١) سورة البقرة : ٥٤ .

وضعت عليها الدنيا . وبها قامت مصالحها فى الخلق ، حسبما بيّن ذلك الاستقراء ، وعلى وفاق ذلك جاءت الشريعة أيضاً فذلك الحكم الكلى باق إلى أن يرث الله الأرض وما عليها » .

وما عدا ذلك ، فيتمثل فيه عنصر المرونة والتطور : وهو ما يتعلق بجزئيات الأحكام ، تركت للاجتهاد رحمة بالأمة ، وتيسيراً وتوسعة عليها ، وبهذا تجد أمامها مجالا رحباً مرناً ، تتحرك فيه بيسر وسهولة دون أن تشعر بالاثم فى دينها أو الحرج فى دنياها .

وقد اقتضت حكمة الله فى التشريعات المتعلقة بأمور متغيرة فى الحياة البشرية ، وهى سياسة الحكم والمال . اقتضت حكمته تعالى أن يجىء التشريع فيها بالأسس والمبادىء دون التفصيلات والأشكال ، لأن أية تفصيلات وأية أشكال ستكون موقوتةبفترة معينة ، بينما الأسس والمبادىء هى الإطار الذى ينبغى أن تسير الأمور فى حدوده ، متجددة بتجدد كل عصر ودرجته من العلم ، ودرجته من التفاعل مع الكون المادى ، وصورة المجتمع الذى يعيش فيه ، ملتزمة مع ذلك بهذا الإطار العام لا تخالفه ولا تخرج عنه ففى سياسة الحكم مثلا ورد أساسان شاملان هما العدل والشورى ، **﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾** [(١)] **﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾** [(٢)] ولكنه لم يبين أى طريقة تكون عليها الشورى أهى مجمع من رؤساء القبائل والعشائر ؟ أم مجلس منتخب أو معين . أم مجلسان ... لأن هذه صور متغيرة بتغير صورة المجتمع وإمكانياته وجاء فى سياسة المال **﴿ كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾** [(٣)] ، فقرر كراهية حصر المال فى يد فئة قليلة يتداولونه بينهم وبقية الأمة محرومة منه أما طريقة اشتراك الأمة فى الخير المشترك فقد تركها لكل جيل يصوغها فى الصورة التى تلائم ظروفه وعلمه وإمكانياته ، بحيث لايخرج على تلك القاعدة الكبيرة ، فلا يلجأ مثلا إلى الإقطاع أو الرأسمالية كما فعلت أوربا ، ولايلجأ لنزع الملكية جميعاً كما صنعت الشيوعية .

فهناك « ثبات » فى مقومات هذا الدين ، عقائده وشرائعه وحدوده وقيمه لاتتغير ولا تتطور ، حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية ... فهذا التغير فى ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع ، يظل محكوماً بالمقومات الأساسية والقيم الثابتة لهذا الدين . ولايقتضى هذا « تجميد » حركة الفكر والحياة ، ولكنه يقتضى السماح لها بالحركة ـ بل دفعها إلى الحركة ـ ولكن فى هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت .

فهذا الدين الذى يرفض كل ابتداع فيما يتعلق بالعبادات ، وصور التقرب إلى الله تعالى ، لأن الأصل فى شعائر العبادة التوقيف ، فلا يعبد الله إلا بما شرعه وأذن به ، لا بما تستحسنه العقول ، وتجرى عليه الأهواء ، لقول رسول الله ﷺ : « من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهور رد » ، لأن هذا هو أصل التحريف والتزييف فى الأديان . هذا الدين الذى يرفض الابتداع فى أمور

---

(١) سورة النساء : ٥٨ .

(٢) سورة الشورى : ٣٨ .

(٣) سورة الحشر : ٧ .

العبادات ، هو نفسه الذى يشجع الاختراع والابتكار فى أمور الدنيا ، مثل وسائل المواصلات التى يشير إليها قوله تعالى بعد ذكره للخيل والبغال والحمير ﴿ ... **ويخلق مالا تعلمون** ﴾ [(١)] ، ومثل أدوات الحرب التى تدخل فى قوله تعال : ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ [(٢)] ، وسائر الصناعات الحربية والمدنية التى تشير إليها الآية الكريمة : ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** ﴾ [(٣)] .

لهذا رأينا رسول الله ﷺ ، يحفر الخندق حول المدينة فى غزوة الأحزاب ، ويستخدم المنجنيق فى غزوة الطائف ، ويحث على الإنتاج الحربى حتى يجعل صانع السهم كالمجاهد الرامى به فى استحقاق المثوبة ، ويحذر الأمة أن تكتفى بالزرع وتتبع أذناب البقر ، كما رأيناه يتنازل عن رأيه إلى رأى الصحابة فيما يرى أنهم أعلم به من أمور الحياة ، التى لم ينزل بها الوحى ليعلمها للناس ، وإنما تركت لعقولهم وتجاربهم .

وأظهر مثل لذلك قصة (تأبير النخل وتلقيحه) حيث كان ذلك من عادة أهل المدينة ، وهم أهل نخل وزرع ، فسألهم النبى ﷺ عن صنيعهم فأخبروه به ، فقال : ما أراه يصلح . فبلغهم قوله عليه السلام وظنوه وحيا وتشريعاً ، وتركوا التقليح ، فلم يصلح التمر ، فلما علم بذلك النبى ﷺ قال : إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر « وفى رواية » إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذونى بالظن ، أنتم أعلم بأمر دنياكم ـ رواه مسلم .

موقف المجتمع المسلم من المجتمعات المخالفة له :

مما سبق نستطيع أن نتبين طبيعة المجتمع المسلم ، إذ يجمع بين فضائل الثبات وحسنات المرونة والتطور ... إذ يجمع بين الثبات الذى يمنحه الاستقرار فلا يتخلى عن مبادئه ولايتحول عن أصوله وبين المرونة التى يواجه بها سير الزمن وسنة التطور .

فهو بإزاء المجتمعات الأخرى المخالفة له فى العقيدة والوجهة والمبدأ ، لايذوب فيها ، ولايتبع أهواءها ، ولايقلدها ويتشبه بها فيما هو من خصائصها ، لكى لايفقد أصالته وشخصيته المتميزة . فالأمة المسلمة وقد بوأها الله مكان الأستاذية للبشرية كلها ، يرفض الله لها التبعية واقتفاء آثار غيرها من الأمم شبرا بشبر وذراعاً بذراع .

ومع هذا فهى أمة مفتوحة على غيرها من الأمم ، لها أن تقتبس منها وتنتفع بما لديها ، من معارف وخبرات ومهارات لا تضر بكيانها المادى والمعنوى ، لأن العلم الخالص وما يتفرع عنه من مكتشفات وأجهزة وأدوات ومخترعات ، لاجنسية له ولا وطن له .

---

(١) سورة النحل : ٨ .
(٢) سورة الأنفال : ٦٠ .
(٣) سورة الحديد : ٢٥ .

فعنصر الثبات يتجلى هنا فى رفض المجتمع المسلم للعقائد والمبادىء والأفكار والقيم والشعارات التى تقوم عليها المجتمعات غير المسلمة وتميزها لأن مصدرها غير مصدره ، ووجهتها غير وجهته ، وسبلها غير صراطه ، فهو مجتمع متميز فى المصدر والوجهة والمنهج بل فى السمة والشعار أيضا .

ولهذا حرص الرسول ﷺ على تميز المسلمين فى كل شئونهم عن مخالفيهم من المشركين واليهود والنصارى فرفض البوق والناقوس للإعلام بالصلاة واختار الأذان ووردت عبارة (خالفوهم) فى أحاديث كثيرة تحض المسلمين على مخالفة غيرهم فى أمور كثيرة ، مما يدل على أن تميز المجتمع المسلم أمر مقصود ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب قيم عالج فيه هذا الموضوع ، أسماه (اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم) .

وجاء القرآن الكريم يحذر الرسول صلوات الله عليه من اتباع أهواء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين أو التأثر بدسائسهم ، فيفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه ، فقال تعالى : **﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾**[(١)] .

وهذا هو موقف الفرد المسلم والمجتمع المسلم من أحكام الكفار ، إنه يرفضها رفضاً حاسماً ولا يقبل إلا أحكام الله ، لأن من لم يقبل حكم الله سقط فى حكم الجاهلية ولاثالث لهما .

إن شعار المسلم إزاء كل مايعرض عليه من مبادىء وأفكار ومذاهب هو هذه الكلمة الموجزة : (إن كان فيها ما فى الإسلام فقد أغنانا الله بالإسلام . وإن كان فيها ما يخالف الإسلام ، فنحن لانبيع ديننا بملك المشرق والمغرب) ، وفى مقابل هذا الثبات نجد مرونة وسماحة فى الناحية العملية والتطبيقية فى الحياة ، كما يتصل بالطرائق والأساليب لا بالمبادىء والأهداف .

فإذا كان لدى مجتمع غير مسلم نظام حسن فى تعبئة الجيوش ، أو فى ترقية الصناعة أو الزراعة ، أو فى تخطيط المدن والقرى أو فى حفظ الصحة العامة ومقاومة الأوبئة ، أو فى تسخير القوى الكونية بسلطان العلم لمصلحة الإنسان ، أو نحو ذلك من كل ما يتعلق بالجانب العلمى (التكنولوجى) والإبداع المادى ، والتنظيم العلمى ، فالإسلام يرحب به ، بشرط ألا يصطدم بأحكام الإسلام وقد جاء الحديث « الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها » رواه الترمذى وابن ماجه .

فقد رأينا الرسول ﷺ يأخذ برأى سلمان الفارسى فى حفر الخندق حول المدينة ليحميها فى غزوة

---

(١) سورة المائدة : ٤٩ ـ ٥٠ .

الأحزاب من المشركين ، وهذا من أساليب الفرس الدفاعية ، ولم يقل الرسول : هذا من أساليب المجوس لا نأخذ به .

وهؤلاء صحابة رسول الله ــ رضى الله عنهم ـ يقتبسون فى بعض التنظيمات الإدارية والمالية الصالحة من الفرس أو الروم أو غيرهم ، ولم يجدوا بذلك بأساً ، مادام يحقق لهم مصلحة ، ولا يصادم نصاً ولا قاعدة كما فى نظام الخراج ، وهو نظام فارسى الأصل ، ونظام الديوان هو نظام رومانى الأصل .

هذه صورة المجتمع المسلم ، فهو فى نماء وتقدم فى حالة جمعه بين الثبات على مبادئه وأصوله والمرونة والتطور الذى يواجه به حركة العلم وكشوفه والتغير فى أشكال الحياة وأساليبها ، ولايصبح عرضة لأخطار الانحطاط والتأخر إلا نتيجة لأحد أمرين :

الأول : أن يجمد ما من شأنه التغير والتطور والحركة ، فتصاب الحياة بالعقم والجمود ، وهذا ما حدث فى عصور الانحطاط والشرود عن هدى الإسلام الصحيح فرأينا كيف توقف الاجتهاد فى الفقه وتوقف الإبداع فى العلم ، والأصالة فى الأدب ، والابتكار فى الصناعة ، والافتنان فى الحرب وغيرها وضربت الحياة بالجمود والتقليد فى كل شىء وأصبح المثل الثائر الذى يعبر عن الاتجاه السائد « ما ترك الأول للآخر شيئا » و « ليس فى الإمكان أبدع مما كان » .

على حين أخذت المجتمعات الكافرة التى اقتبست من المسلمين مناهج العلم التجريبى وثمرات حضاراتهم ... أخذت تستيقظ وتنهض وتتطور ، ثم تنمو وتتقدم فى الكشف والاختراع ، ثم تزحف غازية مستعمرة ، والمسلمون فى غمرة ساهون .

الثانى : أن يخضع للتطور والتغير ما من شأنه الثبات والدوام والاستقرار كما نرى ونسمع فى عصرنا هذا ، أن فئة من ذرارى المسلمين ووكلاء حضارة الغرب المادى المنحل ، يريدون خلع الأمة من جذورها الإسلامية ، وعزلها عن تراثها . وأصولها كلها باسم التطور ... يريدون أن يفتحوا النوافذ كلها للإلحاد فى العقيدة ، والانسلاخ من الشريعة ، والتحلل من الفضيلة .

كل ذلك باسم هذا الصنم الجديد « التطور » ، وتحت تأثير هذه اللوثة يريدون أن يطوروا الدين نفسه ، لكى يلائم ما يريدون استيراده من مناهج الغرب ، من عقائد وأفكار ، وقيم وموازين وأنظمة وتقاليد ومثل وأخلاق .

وما جعل الله الدين إلا ليمسك البشرية أن تنقلب على عقبها وأن تنتكس فى الجاهلية ، لهذا أوجب أن يكون الدين هو الميزان الثابت الذى يحتكم إليه الناس إذا اختلفوا ، ويرجعون إليه إذا انحرفوا .

أما أن يصبح الدين خاضعا لتقلبات الحياة وظروفها ، فإنه بذلك يفقد وظيفته فى حياة الإنسان .

إن الإصلاح الحقيقى : أن نتفهم جيداً ما يجب أن يتطور من شئون الحياة فنعمل على تطويره وتحسينه ، بمنطق الحكماء الشجعان « لا الأغرار المقلدين . كما نعرف ما يجب أن يبقى راسياً من القيم ثابتاً راسخا ، القيم والأفكار والعقائد والأخلاق والآداب والشرائع التى تزول الجبال الشم ولا تزول (١) .

حقيقة التقدم والتخلف :

المجتمع الذى ينشئه الإسلام ، هو المجتمع الذى يرتقى بالإنسان إلى كمالاته .

ذلك أنه حين تكون « إنسانية » الإنسان هى القيمة العليا فى مجتمع ، وتكون الخصائص « الإنسانية » فيه هى موضع التكريم والاعتبار يكون هذا المجتمع هو المجتمع المتحضر ... وأما حين تكون « المادة » فى أية صورة هى القيمة العليا ، سواء فى صورة « النظرية » كما فى التفسير الماركسى للتاريخ أو فى صورة « الانتاج المادى » كما فى أمريكا وسائر المجتمعات التى تعتبر الانتاج المادى قيمة عليا تهدر فى سبيلها القيم والخصائص الإنسانية ... إن هذا المجتمع يكون مجتمعاً متخلفاً .

إن المجتمع الإسلامى ـ كما عرفنا ـ لايحتقر المادة ، لا فى صورة النظرية باعتبارها هى التى يتألف منها هذا الكون الذى نعيش فيه ونتأثر به ونؤثر فيه أيضاً ، ولا فى صورة الانتاج المادى ، فالانتاج من مقومات الخلافة عن الله فى الأرض ، ولكنه فقط لايعتبرها هى القيمة العليا التى تهدر فى سبيلها خصائص « الإنسان » ومقوماته ، وتهدر من أجلها حرية الفرد وكرامته ، وتهدر فيها قاعدة الأسرة ومقوماتها ، وتهدر فيها أخلاق المجتمع وحرماته ... إلى آخر ما تهدره هذه المجتمعات الجاهلية من القيم العليا والفضائل والحرمات لتحقق الوفرة فى الإنتاج المادى .

وحين تكون « القيم الإنسانية » التى تقوم عليها إنسانية الإنسان ، هى السائدة فى مجتمع يكون هذا المجتمع بحق مجتمعاً متقدماً متحضراً . والقيم الإنسانية ليست مسألة غامضة مائعة وليست كذلك قيما « متطورة » (٢)متغيرة متبدلة لاتستقر على حال ولاترجع إلى أصل ، كما يزعم التفسير المادى للتاريخ وكما تزعم « الاشتراكية العلمية » . القيم الإنسانية ليست مسألة غامضة مائعة ، فهى القيم والأخلاق التى تنمى فى الإنسان جوانبه الإنسانية ، التى ينفرد بها الحيوان ، والتى

---

(١) عن كتاب : الخصائص العامة للإسلام ، للدكتور القرضاوى .

(٢) استغلت فكرة التطور أقبح استغلال لمحاربة الفضائل والأخلاق ، وباسم التقدم والتطور لمحاربة الإسلام وتشريعه ونظمه ومثله العليا ، واستعيرت كلمة الرجعية التى نشأت بعد الثورة الفرنسية لوصف حركة المناوئين لها ، لمحاربة الدين والأخلاق بوجه عام والإسلام بوجه خاص . إن نشر فكرة التطور فى مجال الحياة الاجتماعية لتحطيمها والعقائد لتهديمها عمل من أعمال اليهود فى أوربا وأمريكا ، وهدفهم من ذلك أن لايبقى شىء ثابت فى الحياة مطلقا وبذلك تتقوض الفضائل والحقائق الدينية الكبرى ، وأهمها الإيمان بالله وبالنبوات وبتعاليمها الأساسية ليبقى اليهود وحدهم مسيطرين على العالم وليكون غيرهم فى قلق دائم وثورة عارمة لاتبقى ولاتذر وهبوط من درك إلى درك فى مهاوى الانحطاط والرذيلة .

تغلب فيه هـذا الجانب الذى يميزه ويفرده عن الحيـوان ، وليست هى القيم والأخلاق التى تنمى فيه وتغلب الجوانب التى يشترك فيها مع الحيوان .

وحين تـوضع المسألة هـذا الـوضع يبرز فيها خط فـاصل وحـاسم و « ثابت » لايقبل عمليـة التمييع المستمرة التى يحاولها « التطوريون » و « الاشتراكيون » .

عنـدئذ لا يكون اصطـلاح البيئـة وعـرفها هـو الـذى يحدد القيم الأخـلاقية ، إنما يكـون وراء اختلاف البيئة ميـزان ثابت ... عندئذ لاتكون هنـاك قيم وأخلاق « زراعية » وأخـرى « صناعية » ولا قيم وأخلاق رأسمالية وأخرى « اشتراكية » ولا قيم وأخلاق برجوازية « وأخرى « بروليتارية » ، ولا تكون هناك أخلاق من صنع البيئة ومستـوى المعيشة وطبيعة المرحلة ... إلى آخر هذه التغيرات السطحية والشكلية ... إننا نقول وبكل وضـوح أن هنـاك ـ مـن وراء ذلـك كله ـ قيـم وأخـلاق « إنسـانية » وقيـم وأخلاق « حيـوانيـة » إذا صح هـذا التعبير ، أو بالمصطلح الإسـلامى : قيـم وأخلاق « إسلامية » وقيم وأخلاق « جاهلية » .

إن الإسـلام يقرر قيمـه وأخـلاقـه ، التى تنمى فى الإنسان الجوانب التـى تميزه عن الحيـوان ، ويمضى فى إنشـائها وتثبيتهـا وصيانتهـا فى كل المجتمعـات التى يهيمن عليها سـواء أكانت هـذه المجتمعات فى طور الزراعة أم فى طور الصناعة ، وسواء أكانت مجتمعات بدوية تعيش على الرعى أو مجتمعات حضريـة مستقرة ، وسواء أكانت هـذه المجتمعات فقيرة أو غنية . إنه يـرتقى صعداً بالخصائص الإنسانية ويحرصها من النكسة إلى الحيوانية . لأن الخط الصاعد فى القيم والاعتبارات يمضى من الـدرك الحيوانى إلى المرتفع الإنسـانى ، فإذا تنكس هذا الخط مع حضـارة المادة ، فلن يكون ذلك حضارة أو تقدم إنما هو التخلف أو هو « الجاهلية » .

وحين تكون « الأسرة » هى قاعدة المجتمع ، وتقوم على أساس « التخصص » بين الزوجين ... وحين تكـون رعـايـة الجيل النـاشىء هى أهم وظـائف الأسرة ، حين يكـون ذلك معـه التحضر والتقدم ، ذلك أن الأسرة على هـذا النحو ـ فى ظل المنهج الإسـلامى ـ تكـون هى البيئة التى تنشأ فيها القيم والأخلاق الإنسـانية ممثلة فى الجيل الناشىء ، والتى يستحيـل أن تنشأ فى وحدة أخرى غير وحـدة الأسرة « فأمـا حين تكـون العـلاقـات الجنسيـة « الحرة » كما يسمـونها والنسل « غير الشرعى » هى قاعـدة المجتمع . حين تقوم العـلاقات بين الجنسين على أسـاس الهوى والنزوة لا على أساس الواجب والتخصص الوظيفى فى الأسرة ... حين تصبح وظيفة المرأة هى الزينة والغواية والفتنة . وحين تتخلى المرأة عن وظيفتهـا الأساسية فى رعاية الجيـل الجديد وتُؤْثر هى ـ أو يُؤْثر لها المجتمع ـ أن تكون مضيفة فى فندق أو سفينة أو طائرة ... حين تنفق طاقاتها فى « الانتاج المادى » ولا تنفقها فى « صناعة الإنسان » لأن الانتاج المادى يـومئذ أغلى وأكرم من « الانتاج الإنسانى » . عنـدئذ يكون هـذا هـو « التخلف الحضارى » بـالقيـاس الإنسـانى . أو تكون هى « الجاهليـة» بالمصطلح الإسلامى .

وقضيــة الأسرة والعــلاقــات بين الجنسين قضيــة هــامــة فى تحديـد صفـة المجتمع متخلف أم متحضر ، جاهلى أم إسلامى ... والمجتمعات التى تسود فيها القيم والأخلاق والنزعات الحيوانية فى هذه العلاقة لايمكن أن تكون مجتمعـات متحضرة مهما تبلغ من التفوق الصناعى والاقتصادى والعلمى . إن هذا المقياس لايخطىء فى قياس مدى التقدم « الإنسانى » .

والمجتمعـات الجاهلية الحديثـة يضطـرب فيها المفهـوم الأخلاقـى بحيث يتخلى عن كل مالـه عـلاقة بـالتميز « الإنسـانى » عن الطابع « الحيـوانى » ففى هذه المجتمعـات لاتعتبر العلاقـات الجنسية غير الشرعية ، ولا حتى العـلاقات الجنسية الشاذة رذيلة أخلاقيـة . إن المفهوم الإخلاقى ينحصر عندهم فى المعاملات الاقتصادية والسياسية فى حدود مصلحة الدولة على أساس من مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » .

والكتاب والصحفيون والروائيون هنا وهناك يقولونها للفتيات والزوجات إن الاتصالات الزوجية « الحرة » ليست رذائل أخلاقية ... الرذيلة الأخلاقية أن يخدع الفتى رفيقته ولا تخلص له الود ، بل الرذيلة أن تحافظ الزوجة على عفتها إذا كانت شهوة الحب لزوجها قد خمدت . والفضيلة أن تبحث لها عن صـديق تعطيـه جسـدهـا بأمـانـة ! ! . عشرات من القصص هـذا محورهـا ومئات من التوجيهات الإخبارية والرسوم الكاريكاتيرية والنكت والفكاهات هذه إيحاءاتها .

مثل هذه المجتمعات مجتمعات متخلفة غير متحضرة ، مـن وجهة نظر « الإنسان » وبمقياس خط التقدم « الإنسانى » (١) .

إن خـط التقـدم الإنسانى يسيـر فى اتجـاه « الضبـط » للنـزوات الحيوانيـة وحصرهـا فى نطاق « الأسرة » على أساس « الـواجب » لتؤدى بذلك « وظيفة إنسـانية » ليست اللذة غـايتها وإنما هى إعـداد جيل إنسـانى يخلف الجيل الحاضر فى ميراث الحضـارة « الإنسـانيـة » التى يميـزهـا بـروز الخصائص الإنسانية . ولايمكن إعداد جيل يترقى فى خصائص الإنسان إلا فى محضن أسرة محوطة بضمانات الأمن والاستقرار العاطفى . وقائمة على أساس الواجب الذى لايتأرجح مع الانفعالات الطارئة . وفى المجتمع الـذى تنشئه تلك التوجيهات والإيحاءات الخبيثة التـى ينحسر فيها المفهوم الأخلاقى عن كل آداب الجنس لايمكن أن يقوم ذلك المحضن الإنسانى .

من أجل ذلك كلـه تكـون القيم والأخـلاق والإيحاءات والضمانـات الإسـلاميـة هى الـلائقـة بـالإنسان ويكـون الإسـلام هو « الحضـارة » ويكـون المجتمع الإسلامى هـو المجتمع « المتحضر المتقدم » . بذلك المقياس الثابت الذى لايتميع أو لا « يتطور » .

لقد كـان الإسلام ينشىء الحضـارة فى أواسط أفريقيـة بين العراة . لأنـه بمجرد وجـوده هناك تكسى الأجساد العارية ويدخل الناس فى حضارة اللباس التى يتضمنها التوجيه الإسلامى المباشر

(١) عن فصل (الإسلام هو الحضارة) فى كتاب « معالم فى الطريق » للأستاذ الشهيد سيد قطب .

ويبدأ الناس فى الخروج كذلك من الخمول البليد إلى نشاط العمل الموجه باستغلال كنوز الكون المادى . ويمرون كذلك من طور القبيلة أو العشيرة إلى طور الأمة . وينقلون من عبادة الطواغيت المنعزلة إلى عبادة رب العالمين . فما هو التقدم ، وما هى الحضارة إن لم تكن هى هذا ؟ ! . « **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** »[1] .

وبعـد :

إن التقدم الحقيقى ، هو انتصار المبادىء ، وانتصار القيم الإنسانية الرفيعة ورفع رايتها عالية خفاقة « أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

والمتقدمون المنتصرون « هم المطبقون للحق حرفاً حرفاً وعملاً وعملاً ... إنهم هم الذين يصدرون المناهج والأفكار لايستوردون الثياب . إنهم هم « الأمة الوسط » التى اختارها الله لتقوم الإعوجاج وتحول دون الانحلال والانحراف .

وحين يصل الإنسان إلى وضع كل سلوك بشرى فى موضعه الصحيح من الكون والحياة على أساس من المنهج الربانى ، فقد بدأ يتقدم ، أما دون هذا فلا ... وما ذلك إلا لأن العقيدة هى التى تحكم المادة ، وهى نفسها التى تحكم الأخلاق ، وأخلاق الناس هى التى تصنع أزياءهم كما تصنع منطلقاتهم العلمية والعملية .

إن تصورات العلم الحديث للكون والحياة والإنسان قد صبغت الحياة بصبغة مادية قاسية فجعلتها صراعاً مسعوراً بين الأفراد والطبقات والدول ، فهذه مآسى الاستعمار والرجل الغربى من نتائج ذلك الصراع المسعور ، فلكم قاست وتقاسى شعوب ، وأزهقت وتزهق أرواح ، وسفكت وتسفك دماء فى غمرات ذلك الاستعمار وما يثيره من نيران الحروب والصراعات التى لاتهدأ .

« ولقد يظن ـ بادى الرأى ـ أن تصورات العلم الحديث للكون والحياة والإنسان لايمكن أن تكون مسئولة عن كل تلك الفواجع الرهيبة ، ولكن الحقيقة أن تلك التصورات المنحرفة هى التى كيفت الحضارة الغربية « وهى التى صنعت الفنون والآداب ، وهى التى حددت غايات الحياة وهى التى أعطت لدول الغرب حق الاستعمار والعدوان ، وأعطت للساسة مبررات الغدر والنفاق « فأصبح العالم فى ظل هذه التصورات المنحرفة غابة تسودها شريعة المخلب والغاب ، وأصبحت الحياة شهوة عارمة لاترتوى ، وجوعة فى الأرواح وشقاء فى الأنفس لاتعرف سكينة ولا طمأنينة ولا قراراً .

لقد استطاع العلم الحديث أن يحقق للبشرية تقدماً مادياً لاشك فيه ، إنتاجا فى المصانع ، ومتاعاً فى الحياة ، ولكنه عجز عن توفير السكينة للنفوس أو إشاعة الود والرحمة فى الأسرة أو إرساء التعاطف والتكامل فى المجتمع .

---

(١) سورة البقرة : ١٣٨ .

والذين تبهرهم مظاهر الترف والتقدم فى الغرب ، إنما ينظرون إلى زينة الحياة الدنيا ... ينظرون إلى مظاهر الحياة دون جوهرها لايتعمقون أغوار النفوس ولايبصرون الشقاء والتعاسة الروحية التى تعانيها تلك المجتمعات . ويكفى أن أغنى الأمم فى الغرب وأعلاها مستوى معيشة ، دلت الإحصاءات على أنها أكثر بلاد العالم تعاسة وشقاء ، ففيها أكبر نسبة فى العالم من أمراض الصرع والجنون ، وأعلى نسبة فى تعاطى المخدرات ، وأضخم نسبة فى انحرافات الشباب وحوادث الانتحار .

لقد فقدت الحضارات الغربية مقومات البقاء والاستمرار ، يقول الفيلسوف الألمانى شبنجلر فى كتابه « انهيار الغرب » : (إن الحضارة الغربية طغت فيها المادية على الروح » وهذه بداية النهاية لها ، رغم ما تخدع به البصر من التقدم العمرانى والمادى . وما مرحلة الحضارة الحالية إلا غمرة المدنية المضللة ببهرجها الذى يستر فقرها الروحى ، فهى سائرة بخطىء واسعة إلى الفناء المحتوم الذى أصاب الحضارات السابقة) .

إن وسائل الإنتاج المادى والتفوق العلمى والانتصار العسكرى ليست هى بأى حال من الأحوال دليل التقدم » فكم من انتصارات عسكرية ، لم تقدم لمن حققوها الانتصار الحضارى الشامل والتقدم فى مضمار التفوق على العدو المغلوب ، لأن هذا العدو كان ذا عقيدة أقوى وأخلاق أقوم من عقيدة وأخلاق الذين انتصروا عليه بالقتال وحده ، فخضع لهم فى ميدان القتال ، حتى تسلط عليهم بعد أن أخضعهم لسلطانه ، ثم دارت رحى حروب أخرى بين الفريقين ، فإذا الفريق المهزوم فى الحرب ، هو الفريق المنتصر فى شتى ميادين العقيدة والأخلاق والفكر والمعرفة والوجود الحضارى .

وأوضح مثل لذلك ما حدث حين انتصر التتر علينا نحن العرب المسلمين فى ميدان الحرب ، واقتلعوا عاصمة الخلافة العباسية فى بغداد ، ثم أخذ الإسلام يضرب سرادقه حول هؤلاء الوثنيين الذين اقتلعوا حصون أوربا حينذاك ، وفعلوا مثل ذلك ببلاد المسلمين ، فلم يكن أمرهم مع المسلمين كما كان أمرهم مع الأوربيين ، أى لم يكن انتصارهم العسكرى هو انتصارهم الشامل الحاسم على المسلمين » وإنما كان الانتصار العسكرى هو جولة دخلوا بعدها فى جولات حضارية بين الحق المطلق المتمثل بالفكرة الإسلامية والباطل المتمثل بالفكرة الوثنية عادت بالغالبين بالسيف مغلوبين بقوة الفكر والخلق والحضارة وإن لم تتوفر لأصحابها القوة المادية .

إنه استعلاء أمم الغرب فى مجالات الانتاج المادى ومنتجاتها المادية دون أن يتزودوا بمنهج الحق فى الاستمتاع بها وصرفها فى مصارفها الحقيقية لاتغنى هذه الأمم فتيلا فى تخلفها الناتج من بعدها عن نور القرآن ، إذ هم واقعون فى متاهات الضلال والضياع ، مالم يكتمل لحضارتهم البعد الروحى الذى لم يجدوه فى غير المنهج القرآنى .

بينما الأمة التى تحمل القرآن لايعيبها التأخر فى مجالات الانتاج المادى ، بقدر ما يعيبها التأخر

فى أن تكـون كما هى فى الحقيقة « أمـة وسطاً أى حـاملة رسـالة ومبلغـة أمانـة » تصل من الجنس البشرى ما انقطع به من عبادة المال والشهوة وأنانية العنصرية البغيضة .

إن منهج الله وحده ، هـو الذى ضمن للحيا ة الإنسـانية التقـدم لا التأخر ، إذا هى اتصلت بحقيقة القرآن وتمثلت أحكامه سلوكا وعملا وارتفعت إلى مستوى رسالته الخالدة .

إن عالمنـا المعاصر فى واقع أمره ينقسم إلى طائفتين يقتسمان معـاً خطين متناقضين من التخلف الـذى ينقصه التقـدم من طرفين متنـاقضين أيضاً ، فـالتخلف عام شـامل وإن اختلفت أسبابـه ومسبباته ...

- فهناك طائفة تملك إنتاجاً مادياً متراكما ، لم يلتق ببعده الأخلاقى .
- وهناك طـائفة تمتلك الحقيقة الواحـدة الجامعة ، هى حقيقة القرآن العظيم الـذى تقبض عليه أيدينا نحن المسلمين « دون أن يبلغ مـن نفوسنا مبلغ الوعى ومن سلوكنـا مبلغ العمل القادر على تبليغ الحقيقـة الوحيـدة فى الأرض فى سـائر الأرض لسائر البشر ، فلسنـا نحن المتخلفين لبعدنـا عن التفوق فى مضمار الانتـاج المادى المعاصر ، ولكننا المتخلفـون لعدم تمثلنـا الحقيقة المثلى وهى بأيدينـا ، فضلا عن تبليغهـا للناس كافـة ، وفى هذه الريـادة الفكرية والأخـلاقية انتصارنا ، بالذين يسمعون صوتنا ويؤمنون بحقيقتنا على المعاندين المبغضين .

وحيث نفعل ذلك ونكف عـن استيراد « الثـوب العـارى والفكـر العـارى » نقـوى على حفظ أرضنا وطرد عدونا منهـا أو إلزامه بالحياة فيها تحت رايتنا وفى نور مبـادئنا التى تخرجه من ظلماته إلى نورنا .

هذا هو تقدمنا لمن شاء منا أن يتقدم ، ولمن يريد حقاً أن يتقدم .

* * *

ثانيا : عمل المرأة

تدرجت حركة تحرير المرأة من دعوة المرأة إلى الحجاب و إزالة النقاب وكشف وجهها وكفيها ، وأطلقت على رفع النقاب سفوراً ثم كشفت قدميها وساقيها وذراعيها حتى وصلت فى عريها إلى الكشف عن صدرها إلى نهديها وعن ركبتيها ... وربطت الدعوة إلى سفور الحجاب (بالحريم) تبغيضاً فيه « كما يربط الإلحاد العلمى الدين (بالرجعية) تنفيرا منه ... تدرجت هذه الدعوة الآثمة من رفع الحجاب والتعليم المشترك واختلاط الجنسين إلى دفع المرأة نحو العمل خارج المنزل .

ويلاحظ ابتداء أن المرأة فى المجتمعات الإسلامية خرجت من المنزل لتشارك الرجل وتزاحمه فى ميادين الأعمال العامة « لمحض تقليد المرأة الأوربية والتشبه بها ، وعن جهل منها بأنها ضحية الخطة اليهودية التى سبقت إلى تدمير المرأة والأسرة فى الغرب منذ الثورة الصناعية ، وعندما اشترى اليهود والبورجوازيون أصحاب رأس المال عمل النساء والصبيان بأبخس الأثمان فى المصانع الجديدة ، ووضعوهما فى أسوأ الظروف الاجتماعية والصحية ، التى يفرضها العمل الليلى ... وكانت تلك مقدمات تهتك النساء وجنوح الأحداث فى الغرب ، تلتها خطوات انتهت بالمرأة الغربية إلى أن صارت الآن سلعة فى سوق الرقيق الأبيض يتاجرون بجسدها وعرضها ، فرؤوس الأموال الكبيرة تشيد الفنادق والمعارض تقيم فيها المحترفات للبغاء ، كما تعرض فى واجهاتها أبدان النساء عارية مع الأجور التى تدفع لهن ، وتقام هذه الفنادق فى مواقع مختارة ، تعرف بالتردد عليها كمواقع للهو والتسلية ، أو فى مواقع كنقاط اتصال على الحدود بين دولة وأخرى [(١)] . لقد أصبح جسد المرأة الأوربية كبائعة فى متجر أو عارضة أزياء أو ممثلة فى أفلام السينما أو سكرتيرة لرجال الأعمال أو مضيفة فى فندق أو على طائرة أو باخرة ، وفى جميع المحلات العامة والخاصة سلعة ترتبط بالمنفعة المادية [(٢)] التى طغت على القيم الخلقية الإنسانية هناك .

وقد أحست المرأة الغربية بالغبن الذى وقع عليها من جراء مساواتها بالرجل فى العمل ، وأخذنا نسمع عن صيحات هناك تعبر عن هذه الأحاسيس فنسمع أجاثا كريستى أشهر كاتبه انجليزية للكتب والمسرحيات البوليسية تقول فى كتاب صدر لها أخيراً عن حياتها : « إن المرأة مغفلة ، لأن مركزها فى المجتمع يزداد سوءاً يوماً بعد يوم . فنحن النساء نتصرف تصرفاً أحمقاً لأننا بذلنا الجهد الكبير خلال السنين الماضية للحصول على حق العمل والمساواة فى العمل مع الرجل ... والرجال ليسوا أغبياء ، فقد شجعونا على ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقا من أن تعمل

---

(١) نقلا عن كتاب « الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة » للدكتور محمد البهى نشر مكتبة وهبه .

(٢) من المنفعة المادية وطغيانها تنقل صحيفة News The World فى عددها الصادر ٢/ ٣/ ١٩٧٨ ، أن الممثل Maxwell Reed حاول أن يقدم زوجته الممثلة المعروفة Joan Collins لثرى عربى ، يستمتع بها ليلة واحدة نظير مبلغ ١٠,٠٠٠ جنيه ، وذلك بعد أن تزوجها مباشرة وهى فى سن الثامنة عشرة ، وتنقل الصحيفة ذلك ضمن اعترافات الممثلة بما وقع لها من أحداث فى حياتها .

الزوجة وتضاعف دخل الزوج » ومن المحزن أن أثبتنا نحن النساء أننا الجنس اللطيف الضعيف نعود اليوم لنتساوى فى الجهد والعرق الذى كان من نصيب الرجل وحده » .

وإذا كانت أوضاع المجتمعات الغربية فيما بعد الحربين العالميتين سنة ١٩١٤ و ١٩٣٩ ، قد اضطرت المرأة للنزول إلى العمل فى المصانع والمتاجر والمرافق العامة بسبب نقص الرجال وحاجتها فى ظل هذه المجتمعات المادية إلى الكفالة بعد أن فقدت العائل فى الحرب ، فليس للمسئولية ولا لدعاة تحرير المرأة فى المجتمعات الإسلامية أدنى مبرر أو إلزام بما اتخذ من إجراءات هناك أخرجت المرأة للعمل فى كافة الميادين ، فلا توجد عندنا ضرورة ملجئة إلى ذلك .

هذا ، وإذا صرفنا النظر عن حصيلة الإنتاج لعمل المرأة فلا يزال لدينا زيادة فى الأيدى العاملة من الرجال الذين يعانون من بطالة صريحة ومقنعة ، تشهد بذلك أعداد العاملين الزائدة عن الحاجة فى شركات القطاع العام ومكاتب الحكومة .

لقد تعارف البشر [1] أنه لا استقرار لأوضاعهم الاجتماعية والأسرية ، ألا بتقسيم الأدوار وأعباء الحياة بين الرجل والمرأة كل على حسب طبيعته ووظيفته ، وإلا تعرضت أوضاعهم للفوضى والاضطراب ، وتتجلى لنا هذه الحقيقة فى تعبير بليغ لحكيم قديم يقول : الرجل للحقل . والمرأة للمنزل ، والرجل للسيف . والمرأة للإبرة ، وللرجل العضل . وللمرأة القلب ، هو يأمر . وهى تطيع ، ولولا ذلك لعمت الفوضى .

ولكن النسائيين ودعاة تحرير المرأة فى المجتمعات الإسلامية يزينون محاولة إخراج النساء من البيوت ليشاركن الرجال فى ميادين الأعمال العامة على أنها قمة التقدم والتحضر ، ويتذرعون بكل حجة : أنه لاسبيل إلى حل مشكلاتنا الاجتماعية إلا بمساواة المرأة بالرجل ، وإخراجها من ظلمات عصر الحريم إلى نور عصر المدنية » لتشارك فى بناء المجتمع بناء عصرياً ، وما لم يتحقق ذلك فسيظل « نصف المجتمع » معطلاً مهدر الطاقات ! ... وما إلى ذلك من ادعاءات عريضة مضللة ركز عليها هؤلاء خلال تلك السنوات الطويلة على صفحات الجرائد ومن خلال الإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والقصة .

وهذه الادعاءات لايروج لها إلا غاش أو صاحب هوى أو مخدوع يهدف إلى خلق عقلية مضللة للمرأة تصور لها نفسها فى صورة المهضومة وتضعها تحت وسواس يخيل لها أنها مضطهدة ولا شفاء لها إلا بالخروج إلى العمل خارج المنزل لتحقق ذاتها وتؤكد شخصيتها المستقلة ... وصدقت الكثيرات هذا الضلال فحلت بهن اللعنة وبأسرهن .

ومن هنا وجدت المرأة المسلمة نفسها أمام تحديات خطيرة تنحرف بها عن رسالة الزوجية والأمومة » وتخرج بها عن مقتضيات الأنوثة والتزامات الدين بالقرار فى البيت وعدم التبرج

(١) لا عبرة بالمجتمعات المنتكسة التى يصفها من يسمون (علماء الاجتماع) ! !

﴿ **وقـرن فى بيـوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهليـة الأولى** ﴾ [١] . ذلك لأن عمل المرأة خـارج البيت يستهدف به النسائيون من دعاة تحرير المرأة : ـ

أولا : استقلال المرأة استقلالا اقتصـادياً ، يجعلها قادرة على عـدم الارتباط بالرجـل أبا كان أم زوجاً أو أخاً ارتباط نفقة وكفالة [٢] .

ثانيا : هذا الاستقلال الاقتصادى يفتح لها باب التحرر على مصراعيه بلا حدود ولا ضوابط ، فيحقق لهاحرية الزواج بلا ولى إن رغبت فى الزواج ، وحرية الصداقة إن آثرت علاقة الصداقة على الزواج ، كما يحقق لها حـرية السكنى والعيش بعيـدة عن نطاق الأسرة ونطـاق العادات والتقـاليد التى تحد من حريتها ! !

وهذان الهدفان لعمل المرأة خارج المنزل إن حققا للمرأة سنداً بعيدا عن الأسرة ، فإنه سيفقدها الترابط مع أسرتها ، كما يفقد الأسرة نفسها سلطة الأبوين فى توجيه الأبناء ، وبذلك تتفكك الأسرة وتتحلل إلى أفراد تتعدد اتجاهاتهم ، وتتلاشى عصبيتهم ، وعندئذ يفقد المجتمع أساسه الأصيل ، وهو الأسرة كوحدة اجتماعية صلبة .

و إذا مـا فقد المجتمع قـوة الأسرة كـان عرضـة للفـوضى ، وكان الشبـاب عـرضة للضيـاع ، والحركات الفوضوية التى تتوالى اليوم ، موجة بعد موجة فى المجتمعات الغربية ، وعلى الأخص ما يسمى بينها : « بالثورة الجنسية » التى تكتسح هذه المجتمعات فى الوقت الحاضر . هذه الحركات تعبر عن انهيـار الأسرة بضياع سلطـانها . ولولا مسـاندة الحضـارة المادية ، وازدهـار اقتصاد هـذه المجتمعات عن طريق التطور التكنولوجى فى صناعاتها ، لعجل هذا الانحلال بأفولها منذ حين .

والمرأة بعملها خـارج البيت وما يتيحه لها ذلك من استقـلال الشخصية ، يوهن من عـلاقتها الزوجية ويضعف من ارتباطها بزوجها وحاجتها إليه ، ويجعلها فى أى لحظة ولأتفه الأسباب قادرة على هجـر شئون الـزوجيـة أو الإهمال فى شئونها ، وليـس المراد بشئون الـزوجيـة : الشئون الماديـة وحدها ولكن قبلها الجانب النفسى والروحى وهـو جانب السكنى والاطمئنان بين الزوجين . هذا إلى جانب ما يزرعه خروجها واختلاطها بزملاء العمل بذور الشك والريبه .

والمرأة بخـروجهـا للعمل وبما تكسبـه من استقـلال تصبح عـرضـة لتبلـد مشـاعـر الأمـومـة وأحاسيسها اللطيفة ، فتصبح غير راغبة فى أن تكون أماً و إذا اضطرت لأن تكون ذات طفل فى يوم مـا ، فطفلهـا هذا يتسبب لها فى المشـاكل التى تقف عقبـة فى تأديـة واجبـات العمل الخارجى ،

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٢) والدليل على ذلك ما تقوله إحداهن بصريح العبارة : « لاشك أن أول خطـوة لتحرير المرأة هو أن تكون منتجة وعاملة فى المجتمع بشرط أن تنال عن عملها أجراً ولاتعمل بغير أجر ... إن الاستقلال الاقتصادى هـو أول خطوات المرأة للتحرير ، لأن استقلال المرأة اقتصادياً عن زوجها سوف يعطيها الفرصة والقوة أن ترفض إذلاله لها ، وسوف يمكنها من الاعتماد على نفسـها إذا طلقها أو هددها بالطلاق فالمرأة فى حاجـة إلى استقلال اجتماعى عن الرجل بحيث يمكن أن تعيش وحدهـا بغير رجل إذا لزم الأمر ذلك . وهى فى حاجـة إلى استقلال نفسى بحيث تتغلب على الأزمات التـى تواجهها من الـرجل بسبب خروجها عن وصـايته وطـاعته . وهى فى حاجـة إلى استقلال فى=

والقيام بواجب التنشئة السليمة وتهيئة جو الحنان له ، إذ تضطرها التزامات العمل والوظيفة إلى أن تكل أمره إلى غيرها من المرضعات والحاضنات ، فيفقد الطفل أهم ما تعطيه الأم ولا يعطى غيرها بديلا منه : العاطفة ولبن الأم والوجدان .

ولقد خرجت المرأة المسلمة إلى العمل فى السنين الأخيرة دون أن تفهم حقيقة مهمتها فى الحياة الاجتماعية أو طبيعة تكوينها البيولوجى أو دورها فى المجتمع ، ذلك أن هذا كله لم تتعلمه مع الأسف لأن مناهج التعليم لاتقدم للفتاة ما يدلها على الطريق الصحيح أو يهديها إلى الحق . يقول ألكسيس كاريل فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول » : (لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة عظيمة باستبداله تدريب المرأة بالمدرسة استبدالا تاماً . ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى ينصرفن لأعمالهن أو مطامعهن الاجتماعية أو مباذلهن أو هوايتهن الأدبية أو الفنية أو ارتياد دور السينما ، وهكذا يضيعن أوقاتهن فى الكسل . إنهن مسئولات عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التى يتصل فيها الطفل بالكبار فيتعلم منهن أموراً كثيرة لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجى والعقلى والعاطفى طبقاً للقوالب الموجودة فى محيطه ، إذ أنه لايتعلم إلا قليلا من الأطفال الذين فى مثل سنه .

وكل هذا يكشف مدى التحدى الذى تواجهه المرأة المسلمة ، بخروجها من بيتها باسم العمل تحت ضغط ظروف خلقتها دوائر الشر والإفساد اليهودي لإقامة أنظمة اجتماعية تتحطم فى ظلها فطرة الإنسان وتضطرب حياته ... وليس هناك اضطراب يصيب حياة الإنسان أكثر من أن تتخلى المرأة عن رسالتها بالنسبة لزوجها وبيتها وأطفالها ، وهى رسالة دقيقة خطيرة تتطلب تفرغ المرأة تفرغاً تاماً لها ، وقد سجل القرآن الكريم هذه الرسالة فى وضوح إذ يقول تعالى : ﴿**وقرن فى بيوتكن**﴾ ... وقر يقر ، أى ثقل واستقر . وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقا « إنما هى إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل فى حياتهن والمقر ، وما عداه استثناءاً طارئاً لايثقلن فيه ولا يستقررن ، إنما هى لحاجة تقضى وبقدرها ...

« فالبيت هو مثابة المرأة التى تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى ، غير مشوهة ولا منحرفة » ولا ملوثة ولا مكدودة فى غير وظيفتها التى هيأها الله لها بالفطرة .

=الشخصية وثقة بالنفس لتواجه المجتمع بسبب خروجها عن النمط التقليدى لمفهوم الأنثى .
وعلى المرأة أن تدرك أنها ستدفع ثمن الحرية التى ستنتزعها لنفسها ، لكن عليها أن تدرك أيضاً أنها تدفع ثمن العبودية التى تعيشها ، والأفضل أن تدفع الثمن وتكون حرة على أن تدفع الثمن وتكون عبدة ، وعليها أن تدرك أيضا أنها لن تستطيع أن تحصل على حقوقها إلا إذا أصبحت النساء قوة اجتماعية ضاغطة وقادرة على الضغط ، وأنها من أجل أن تكون قوة لابد أن تتحد وتتآزر مع الفئات الأخرى المضطهدة فى المجتمع » ! ! =

إلى هنا ختمت الدكتور نوال السعداوى الكاتبة الماركسية ما كتبته فى كتيب لها بعنوان « قضية المرأة المصرية السياسية والجنسية » ، صورت فيها العلاقة بين الجنسين على أنها قضية بين خصمين متنافرين ، وانتهت فى رؤيتها المريضة لعلاقة الود والرحمة بين الرجل والمرأة أماً وأختاً وزوجة إلى أنها علاقة اضطهاد وعبودية ... وهذا كلام لايصدر إلا من إنسان ممسوخ الفطرة سقيم النفس ملتو الطبع ، وشيطان مريد يبذر الخلاف والشقاق بين شطرى النفس البشرية لتستحيل البيوت إلى سعير وجحيم ثم إلى الخراب والدمار . وهو كلام يكشف عن أبعاد المؤامرة الخبيثة على الأسرة المسلمة ومدى ما تواجهه المرأة المسلمة من تحديات تضعها فى طريقها هذه الأقلام الرخيصة .

« ولكى يهيىء الإسلام للبيت جوه ويهيىء للفراخ الناشئة رعايتها » أوجب على الرجل النفقة وجعلها فريضة كى يتاح للأم من الجهد ، ومن الوقت ، ومن هدوء البال ، ما تشرف به على هذه الفراخ الزغب ، وما تهيىء به للمثابة نظامها وعطرها وبشاشتها ، فالأم المكدودة [1] بالعمل للكسب المرهقة بمقتضيات العمل ، المقيدة بمواعيده . المستفرغة الطاقة فيه ، لايمكن أن تهب للبيت جوه وعطره » ولايمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها وبيوت الموظفات والعاملات ما تزيد على جو الفنادق والخانات » وما يشيع فيها ذلك العطر الذى يشيع فى البيت ... فحقيقة البيت لا توجد إلا أن تخلقها امرأة ، وعطر البيت لايفوح إلا أن تطلقه زوجة ، وحنان البيت لايشيع إلا أن تتولاه أم . والمرأة أو الزوجة أو الأم التى تقضى وقتها فى العمل لن تطلق فى جو البيت إلا الإرهاق والكلال والملال ، ذلك أن طاقة الإنسان محدودة ، والله لايكلف نفساً إلا وسعها .

إن خروج المرأة لتعمل كارثة على البيت قد تبيحها الضرورة ، أما أن يتطوع بها الناس استجابة لدعوات منكرة وهم قادرون على اجتنابها ، فتلك هى اللعنة التى تصيب الأرواح والضمائر والعقول فى عصور الانتكاس والشرود والضلال [2] .

ونختم القول فى هذا الموضوع ببعض ماكتبه الإمام البنا بعنوان (وظيفة المرأة فى الحياة) فى جريدة (الإخوان المسلمون) العدد ٨ الصادر فى ١١ ربيع ثان سنة ١٣٥٢ هـ يقول رحمه الله : (أيها الكاتبون والكاتبات والناقدون والناقدات والناصرون للرجل أو المطالبون بحقوق المرأة على حد سواء لى معكم جميعا كلمة فى هذا الموضوع مختصرة كل الاختصار عادلة كل العدل بريئة كل البراءة مخلصة كل الإخلاص لاتعتمد على خلابة لفظية ولا بلاغة كتابية ولاجمل أفلاطونية [3] ولكنها تعتمد على حجج فطرية بديهية يراها الأعمى ويسمعها من به صمم .

أيها القوم جميعا : أما تعليم البنت وتثقيفها وتهذيبها وتربيتها فأمر لانجعله محل نزاع فيما بيننا ليس هو من شئون بحثنا وأما سفورها أو حجابها واختلاطها أو اعتكافها فلنا فيه كلام آخر كذلك فى غير هذا المقام . ولكن موضوع البحث هو « وظيفة المرأة فى الحياة ، وهل من النافع للأمة أن تشارك الرجال فيما يقدمون به من الأعمال أم لكل منهما وظائف عليه أن يؤديها ولايصح أن يشاركه الصنف الآخر فيها » ذلك هو محل البحث فتعالوا نتعرف الحقيقة على ضوء الفطرة والبديهة .

أيها القوم جميعا : ليست الحياة نوعاً واحداً من الأعمال ولكنها أقسام مختلفة تندرج تحت

(١) أجريت دراسات ميدانية فى أوربا فأثبتت أن الطاقة النفسية والجسمانية التى تبذلها المرأة المتزوجة والأم لطفلين تعادل نفس الطاقة التى يبذلها عامل المناجم . فكيف يكون حالها إذا أضفنا إليها عبء الخروج للعمل فى ميادين الأعمال العامة ؟ !

(٢) عن كتاب (السلام العالمى والاسلام) للأستاذ الشهيد سيد قطب .

(٣) لأن بعضهن صدرت مقالها المنشور بالأهرام فى هذا الوقت لكلمة أفلاطون القائلة « ليس من عمل ما فى نظام الهيئة الاجتماعية تختص به المرأة كامرأة أو يختص به الرجل كرجل لأن الطبيعة ساوت بين الرجل والمرأة فيما منحتها من النعم والمواهب ولذلك يحق للمرأة أن تقوم بكل عمل يقوم به الرجل رغم كونها أضعف جسماً منه » ! !
وهكذا يصير كلام أفلاطون الفيلسوف اليونانى الوثنى وغيره من فلاسفة الغرب قديما وحديثا هو المدى الذى يهتدون به وليس كلام محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

قسمين رئيسين أولهما كسب العيش ووسائله من إدارة المصانع والمتاجر والمزارع وغيرها مما ينحو منحاها ومنها إدارة المنزل وتهيئة لوازم الأسرة والعمل والوضع والرضاع وتربية الأولاد والحنو عليهم والرجل وحده لايستطيع أن يقوم بالمهمتين ولا أن يؤدى الوظيفتين وكذلك المرأة لاتستطيع أن تقوم بهما معاً وإذن فلابد من القسمة ولابد من التخصيص ، فما الذى تريدون أن يختص به الرجل وما الذى تريدون أن تختص به المرأة ؟ أظن أن الجواب على هذا فطرى بدهى لو سألت عنه فيلسوفاً لأجابك ولو سألت عامياً لما أعجزه الجواب أيضا .

للرجل الكسب والكد وتدبير الحياة الخارجية وللمرأة المملكه المنزلية وتدبير حياة الأسرة ، وإنما هى القسمة العادلة بينهما .

هذه أيها المنصفون القاعدة الأساسية فى وظيفة الرجل ووظيفة المرأة ولهذا خلق الرجل قوى الجسم قوى العضلات قوى الفكر واسع الحيلة » وخلقت المرأة لينة الجسم لينة الشعور عاطفة كلها .

دعونا أيها القوم من النظريات والكلاميات ولاتخرجوا على سنن الكون ونظمه ودعوا المرأة سيدة فى بيتها آمنة فى سربها هانئة بأولادها سعيدة بزوجها قائمة بالوظيفة التى أعدت لها ، ولا تزعجوها بالأمانى والأحلام والظنون والأوهام .

واذكروا أيها القوم أن المحاكم قد شرقت بالمترافعين والبيوت قد أقفرت من المتزوجين ، فخير للآنسة نعيمة الأيوبى [1] أن تخدم أمتها بأن تعمر بيتا على أساس الفضيلة والعلم وتكوّن أسرة تبث فى نفوس أبنائها وبناتها الخلق الفاضل على ضوء ما تعلمته من الحقائق) . وفى موضع آخر تحدث فضيلته فى مسألة عمل المرأة ، فقال :

إذا كان من الضروريات ما يلجىء المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير المهمة الطبيعية لها هى « الأسرة والطفل » ، فإن من واجبها حينئذ أن تراعى هذه الشرائط التى وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة ، ومن واجبها أن يكون عملها بقدر ضرورتها لا أن يكون نظاماً عاماً من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه ... ولاسيما فى هذا العصر الذى أصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من مشاكل المجتمعات البشرية فى كل شعب وفى كل دولة ، لذلك وجب تفضيل الرجل المتزوج أو الذى يعول أسرة عن المرأة التى لا تعول أحداً ، فلقد أوجب الإسلام على من يتولى أمراً من أمور المسلمين العامة أن يكون له عمل يكفيه وزوجه تعفه وخادم يعينه وسيارة يركبها ... إذ روى الإمام أحمد أن النبى ﷺ قال : « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا » وليست له زوجة فليتزوج ، وليس له خادم فليتخذ خادماً ، وليست له دابة فليتخذ دابة ، ومن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غال » .

(١) آنسة نالت فى هذا الوقت ليسانسيه الحقوق وتقدمت إلى نقابة المحامين لتصرح لها بالاشتغال بالمحاماة ، فتوقفت النقابة » فاحتجت الصحف وخاضت فى الموضوع وتعالت صيحاتها المنكرة فى مسألة المساواة بين الجنسين وما يسمى عندهم حقوق المرأة .

ثالثا : المساواة واسقاط القوامة

يدعى النسائيون وأصحاب المؤامرة على غزو حصون المسلمين وإسقاط أخطر حصن فيها وهو الأسرة ... يدعون : أن الإناث يساوين الذكور فى كل مجال ويستطعن أن يقمن بما يقوم به الرجال » ويستدلون على ذلك ببعض استدلالات معتسفة نقلوها إلينا من نظريات اجتماعية تقول إن المجتمع هو صانع الأديان والعقائد والقيم والعادات والتقاليد ، وهو صاحب السيادة على كل النظم والشرائع [(١)] ، حتى ولو كان هذا المجتمع متنكساً شاردا وهو قول باطل لأن نظريتهم هذه استخلصت من ظواهر اجتماعية منحرفة فى مجتمعات شاردة متنكسة ... فمن المغالطات قولهم (إن الطبيعة البشرية سواء للرجل والمرأة ، وإن الاختلاف بين الرجل والمرأة فى بعض الوظائف الفسيولوجية لا تعنى تكبيل النساء بالقيود وإطلاق الرجال ، بل إن هناك « حقائق ! ! » تثبت تفوق المرأة بيولوجياً) ... فالعلم الصحيح وواقع الخلقة يثبت أن المرأة تختلف عن الرجل فى كل شىء : فى الصورة والسمة والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والجواهر البروتينية لخلاياها النسجية ، ومع بلوغها سن الشباب يعروها المحيض الذى تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها .

ونسوق شهادة عالم أوربى أمريكى : هو الدكتور كاريل الذى لايجادل علماء الحضارة الحديثة فى مكانته العلمية إذ حصل على جائزة نوبل سنة ١٩١٢ لأبحاثه الطبية الفذة : « إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لاتأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ، ومن وجود الرحم والحمل ، أو من طريقة التعليم إذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك ... إنها تنشأ من تكون الأنسجة ذاتها ، ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض ... ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة ، إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحداً وأن يمنحا سلطات واحدة ومسئوليات متشابهة ... والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا كبيراً عن الرجل . فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها . والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها . وفوق كل شىء بالنسبة لجهازها العصبى فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين ، شأنها شأن قوانين العالم الكوكبى . فليس فى الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها . ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هى . فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن ، دون أن يحاولن تقليد الذكور . فإن دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال . فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة [(٢)] » .

ألا ما أبدع إشارة القرآن الكريم فى آية من آيات الخلق الكبرى وهى التفريق بين الذكر والأنثى حيث يبين أن من أعظم دلائل قدرة الخالق فى خلق الزوجين : الذكر والأنثى .

---

(١) كلام أصحاب المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى أرسى دعائمها وأصّل أفكارها اميل دور كايم اليهودى .
(٢) عن كتاب « الإنسان ذلك المجهود » لألكسيس كاريل ـ تعريب شفيق أسعد فريد ص ١١٤ .

فهما جنسان من نفس واحدة كفل لهما المنهج القرآنى حقوقاً واحدة فيما يتعلق بالأصل الإنسانى العام ، ولكنه فى الوقت ذاته يفرض على كل منهما واجبات مختلفة وفق الوظيفة الخاصة فى العمران والاستخلاف فى الأرض ، ووفق طاقة كل منهما ومجموعة تكاليفه ، فلا يكلف المرأة المسكينة الضعيفة مثلا أن تحمل وترضع وتربى ، وفى الوقت ذاته تعمل وتكدح وتشقى ... بينما الرجل لايشاركها الحمل والرضاع والتربية . ولايكلف المرأة أن تهمل « صناعة الإنسان » لتشتغل « بصناعة الأشياء » . فالإنسان فى منهجنا أغلى من الأشياء ، ولايجوز فيه أن تشتغل المرأة المثقفة الماهرة الحكيمة بصناعة الأشياء وإنتاجها ، وأن تستجلب لأبنائها امرأة أخرى أقل ثقافة ومهارة وحكمة ، وأرخص أجراً بالطبع لتشرف لها على « الأبناء » بينما هى تشرف على « الأشياء » ! .

ولكن الذين يزعمون أنهم ينصفون المرأة ويحترمونها ويحررونها يقولون : (انه إذا كانت المرأة تحمل وتلد فليس معنى ذلك أن تكون وظيفتها فى الحياة هى الحمل والولادة فقط ، فالحمل والولادة لايبطلان المرأة الحديثة عن عملها فى المجتمع ، وأن الحمل لم يكن قيدا على المرأة القديمة التى كانت تنسب أطفالها إليها ، لكن الحمل أصبح قيداً عل المرأة حين امتلك الرجل الجنين) [1] !! إنهم بذلك لايريدون أن يعترفوا بضعف المرأة الطبيعى ولابضعفها فى فترة الحمل والولادة ويدعون أنهم يعملون لخير المرأة وإنصافها ، وكأنهم أرحم وأكثر إنصافا لها من الذى خلقها ، فقال تعالى : ﴿ **حملته أمه وهنا على وهن** ﴾ [2] ، فليس أشد على المرأة من مدة الحمل ، فهو جهد على جهد وضعف على ضعف ، فلا تستطيع خلال هذه المدة أن تتحمل مشقة الجهد البدنى أو العقلى لاختلال نظام جسمها كله ، فهى مريضة أو شبه مريضة طول هذه المدة .

وقد تمنى النساء قديماً أن يكون لهن حظ مما ذهب به الرجال ، فقد روى أن أم سلمة زوجة النبى ﷺ ، ومعها نسوة قالت : ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال ، فيكون لنا من الأجر مثل مالهم ، فنزل قوله سبحانه : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ [3] . وروى أن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضى الله عنها أتت النبى ﷺ وهو بين أصحابه فقالت : يارسول الله : إنى وافدة النساء إليك . إن الله بعثك بالحق للرجال وللنساء . فآمنا بك واتبعناك . وإنا معشر النساء ، محصورات قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم وأنتم معشر الرجال ، فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وعيادة المرضى وشهادة الجنائز ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو مرابطاً أو معتمراً ، حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم فى هذا الخير والأجر يارسول الله ؟ فالتفت النبى ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ثم

---

(١) من كلام الكاتبة الشيوعية نوال السعداوى .
(٢) سورة لقمان : ١٤ .
(٣) سورة النساء : ٣٢ .

قال : « هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذا عن أمر دينها ؟ » فقالوا : يارسول الله ما ظننا امرأة تهتدى إلى مثل هذا[1] ... فالتفت النبى ﷺ ثم قال : « انصرفى أيتها المرأة ، وأعلمى من خلفك من النساء : أن إطاعة الزوج ـ اعترافـا بحقه بعد ذلك ، وقليل منكن من يفعله . فانصرفت وهى تهلل حتى دخلت إلى نساء قومها من العرب ، وعرضت عليهن ما قاله رسول الله ﷺ ففرحن وآمن جميعهن ، وسميت أسماء « رسول نساء العرب إلى النبى ﷺ » .

وهكـذا يقطع الإسلام التفكير فى هـذا النـوع المدمر من المسـاواة ويمنع الاشتغـال به إلى حـد التمنى « لما قـد يحمل بعضهن إلى التمـرد على وظـائف الأنـوثـة ، ويفسدن مقـاصـد الفطـرة « ويعارضن إرادة الله فى حكمـة النسل دون أن يكون لهن من ورائه كبير عنـاء ... فمن كانت تـريد الأجر فسبيلـه ما يسرهـا الله له « فقـد قال سبحـانه : ﴿ **للرجال نصيب مما اكتبسوا ، وللنساء نصيـب ممـا اكتسبن** ﴾[2] « دون تـوقف على جهـاد أو غيره ، ومن كـانت تريـد مجرد التشبـه بالـرجال ، فهو محاولـة لتغيير خلق الله ، وسعى لمسخ وإبطال سنة من سنن الله فى خلقـه ، فقد جـاء أن رسول الله ﷺ لعن المتشبهـات من النسـاء بالـرجـال ، إذ يجب أن تظل المرأة قائمـة على وظـائف الأنوثـة « وأن يظل الـرجل رجلا قـائماً بما يسره الله لـه ، فذلك هـو منطق السنن وسبيل عمارة الكون .

فإذا انعقـدت للرجل ريـاسة البيـت ، ورياسـة الحرب والجيش ، وقام بها على المرأة ، فـذلك تـوجيه الفطـرة ، وضرورة الواقع . وإذا انعقـدت له زعـامة الإصـلاح الاجتماعى ، والانقلابـات التاريخية ، وقيادة الجماهير ، فهو الثمرة الطبيعية لما تجمع فيه من مواريث الخبرة وسعة التجارب ، ومواهب الكفاح والقوة « والتمرس بشئون المجتمـع على مدى القرون والأحقاب . وإذا تقررت له الإمامـة الكبرى ـ أى رياسـة الدولـة العليا ـ من دونها فهـو تقرير يسـوغه أنـه رئيس البيت بحقه وصـاحب لواء الحرب بحقـه . وزعيم الانقـلابات الاصـلاحية بحقـه ، ومـا الأمامـة الكبرى إلا السـلطان الـذى يتوج هـذه الرياسـات كلهـا ، فـلا يوسـد إلا لمن سبقت لـه الكفـاءة لتلك الرياسات . وهذا مـا يعنـيه قوله تعالـى : ﴿ **الرجـال قوامـون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** ﴾[3] . وهـذا فالمرأة بطبيعـة استعدادها للحمل والوضع والإرضـاع « وما تلقى بذلك من ضعف وألم ، تعجز عن حماية نفسها أو قومها ، ولايكون لديها من الطاقة ما تنهض به لرد غارة أو مدافعة عدو . فكان طبيعياً أن يقوم عليها الرجل بتلك الحماية والرعاية .

ومن هنا ألقى الإسلام فـريضة الجهاد على الرجل وحده ، وأعفى المرأة منها . فـالرجل بذلك قائم أو قوّام على المرأة بصنوف الرعاية والحماية والمدافعة .

وهـذه القوامـة لاتعنى القهـر والحجر والاستبـداد ، ولاتعنى إهـدار شخصية المرأة وأهليتهـا

---

(١) يقصدون (إلى مثل هذا الفهم الدقيق لدور المرأة ووظيفتها فى المجتمع) .

(٢) سورة النساء : ٣٢ .

(٣) سورة النساء : ٣٢ .

ومقومـات إنسانيتهـا . وقد أرسى الإسـلام سياسـة البيت بين الرجل والمرأة على أسـاس دقيق من العـدل والمسـاواة والشـورى ، وذلك ينفى معنى القهـر والاستبـداد ويـوفر حـريـة الـرأى وكمال الشخصية .

فالرجل والمرأة فى تعاون معاً على أداء رسالة الحياة ، لكل منهما نصيبه الذى يتفق مع استعداده وفطرته ، وبه حكم رسول الله ﷺ فقد جاءه على رضـى الله عنه وفاطمة عليهما السلام يشتكيان ما يلقيان من عناء العمل ، فجعل العمل بينهما قسمة : فاطمة لعمل البيت ، وعلى لعمل الخارج . وفى هذا الباب جاء قـوله تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ [1] وهو قول يتضمن مبادىء الإسلام فى إرساء قواعد البيت ، التى تقوم على الأسس التالية :

١ ـ **العدالة** : فالرجل والمرأة طـرفان يتبادلان الحقوق والواجبات فى شركة الحيـاة الزوجية ، وليس للرجل أن يبغى على شىء من حقوقها ، وإلا كان ظالماً مبطلا لمفهوم الآية الكريمة ... وليس للمرأة أن تبغى على شىء من حقوقه ، وإلا كانت ظالمة .

٢ ـ **المساواة** : وهو مبدأ يقتضى تـوزيع الحقوق والواجبات بين الـزوجين على سبيل التكافؤ ، أو المماثلة الواضحة فى قوله سبحانه : ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن** ﴾ .

وهى مماثلة معنوية ، ومساواة أدبية ، إذ ليس المراد من تماثل الحقوق والواجبات تماثلها الحسى والعينى ، إنما هو تماثل التكافـؤ الذى يعود على كل منهما بما يرضيه لقاء مـا قدم لصاحبه ... وفى هذا المعنى يقـول عبد الله بن عباس : إنى لأتزيـن لامرأتى كما تتزين لى . لقولـه تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ . وهو تطبيق دقيق ذهب فيـه السلف الصالح إلى أعـدل حد ... ولاشك أن التى يتزين بها الـرجل غير الزينة التى تتـزين بها المرأة ولكنهما تتماثلان فيما وراء الشكل والصورة من أهداف ونتائج ، إذ تعود على كل من الرجل والمرأة بما يشرح الصدر ويسر النفس ...

ثالثا : الشورى والتفاهم الذى يتم بين الزوج وزوجه فى شركة الحياة بينهما ، وما يعرض لهما من شئون يومية تتعلق بأمور المعاش وتربيـة الأولاد ، وهو تفاهم بين شطرى النفس الواحدة يقوم على الحب والتقدير والاحترام وبالحسنى دون إكراه منه أو جور منها ...

وإذا كـانت ريـاسة الـرجل المسلم لبيتـه لابغى فيهـا ولاقهـر ... فهى رياسـة بحكم الفطـرة والخصائص التى تجعلـه أقدر على القوامة وأفضل فى مجالها وهـذا سر تكليفه بالانفاق ، وهـو فرع من هذه الاختصـاصات تجعلـه أولى بهذه القوامة ، فإن تـدبير المعاش لـلأسرة ومن فيها داخل فى هـذه القوامـة ، والإشراف على تصريف المال فيها أقـرب إلى طبيعـة وظيفته فيهـا . إنها قوامـة لها أسبابها : من التكوين والاستعداد ولها أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات ولها أسبابها من العدالة فى التـوزيع من ناحية وتكليف كل شطـر فى هذا التوزيع بالجانب الميسر لـه ، والذى هو معان عليه من الفطرة .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٨ .

وأفضلية الرجل كما يقررها المنهج الإسلامى ، وكما يقررها خالق الرجل وخالق المرأة (سبحانه) أفضلية فى مكانها ، فى استعداده للقوامة والدربة عليها ، والنهوض بها بأسبابها ، لأن مؤسسة الأسرة لاتسير بلا قوامة « كسائر المؤسسات الأقل شأنا ... فالقوامة أساس مكين فى الأسرة لا تقوم بغيره ، إذ لابد لكل تجمع بشرى من إشراف ورئاسة ومسئولية . ودرجة القوامة التى أعطاها المنهج الربانى للرجل هى ركن أساسى فى بناء الأسرة يقتضيها نظام الاجتماع الانسانى ، بل إن الأبوة لها مكانتها الأصيلة ، مكانة القيادة فى سفينة الأسرة . عنه تصدر التوجيهات ليطيعها ويلتزم بها الجميع وأولهم فى ذلك الأم ، وما أصاب المجتمعات الغربية من تمزق خطير وشقاء وتعاسة إلا بسبب دخول الأم ميدان العمل مما ترتب عليه من آثار سيئة فى نفسيات الأبناء ، حيث أخذت توجيهات الأب اتجاها وأخذت توجيهات الأم اتجاها آخر وحين تخلى الرجل للمرأة عن قوامته للأسرة .

أكدت هيلين اندلين خبيرة شؤون الأسرة الأمريكية أن فكرة المساواة بين الرجل والمرأة غير عملية أو منطقية . وأنها الحقت اضرارا جسيمة بالمرأة والأسرة والمجتمع . وطالبت المرأة بالتفرغ لبيتها وأولادها لتمارس دورها الطبيعى . وتترك زوجها يمارس دوره فى الحياة بلا مشاكل . وأن تكف المرأة عن التعلق بأفكار لاطائل من ورائها كالمساواة والاستقلالية .

وأضافت أن المرأة اقتحمت كل مجالات الرجل . فأصبح هناك جيل من الأمهات العاملات يتنافسن مع الرجال لتحقيق انجازات أكبر ومراكز أعلى وأجورا أكبر .

وقالت أن هذا هو عصر سيادة المرأة . ففى البيت تحاول الزوجة أن تمسك بزمام الأمور وتدير الأشياء بطريقتها « واختفت المرأة التى كانت تنظر لزوجها كذراع قوية تستند عليه . وحذرت من أن ذلك يمثل خطرا كبيرا على الأسرة والمجتمع ككل .

ومضت الخبيرة الأمريكية قائلة : أن استقلال المرأة جعل رعاية وحماية الزوج غير ضروريين أو قلل من ضرورتها ، وفى هذا خسارة لكل من الزوج والزوجة فحرمان الرجل من القيام بدوره الرجولى كاملا يشعره بتقلص الحاجة إليه ، ويقلل من حماسته ويشعره بأنه أقل قيمة .

وحذرت الخبيرة الأمريكية كذلك من أن تحمل المرأة لأعباء الرجل ومسؤولياته يجعلها تميل لاكتساب صفات رجولية لتتناسب مهماته . وهذا يعنى فقدانها لأنوثتها ، وفقدانها كذلك للهدوء والسكينة نتيجة زيادة الضغوط والتوتر عليها .

وقالت إنه إذا امضت الزوجة وقتها فى القيام بعمل الزوج . فإنها ستهمل مهاما أساسية من دورها مما يعنى خسائر فادحة لكل أفراد الأسرة .

وأضافت أن جهدا يبذل الآن لاقرار مبدأ المساواة بحيث يضع الزوج والزوجة القرارات بالاتفاق المشترك ، وهذه الفكرة غير عملية ولاتنجح فى كل الظروف لقيادة الأسرة ... وأوضحت

أنه بالرغم من أن هنا ك قرارات يمكن الوصول إليها بالاتفاق المشترك . إلا أن هناك مواقف لايمكن أن يتفق فيها الزوجان أبدا . وإذا لم يكن لأحدهما دور القيادة ، فلن يتوصلا إلى قرار . كما أ ن الاتفاقات المشتركة تأخذ وقتا طويلا ليتدبر كل منهما الأمر . وقرارات الحياة اليومية للأسرة يجب أخذها بسرعة . والرجل هو الأجدر بالقيادة منطقيا .

وأشارت إلى أن المرأة يمكن أن يكون لها دور كبير إلى جانب زوجها فى قيادة الأسرة إذا قبلته كقائد وساندته وعاونته وأطاعته . وعندما ترفض الزوجة أن تكون مطيعة لزوجها فإنها تعطى مثالا للتمرد فى الأسرة . وسيقلدها الأبناء فى عدم إطاعة القواعد عندما لاتكون على هواهم . وعندما يخرج هؤلاء الأبناء للعالم سيجدون صعوبة فى إطاعة القوانين أو السلطات الأعلى ، كما سيفقدون القدرة على احترام المجتمع .

وأخيرا نصحت الخبيرة الأمريكية الزوجات بالابتعاد عن أخذ دور الرجال . فالبيوت التى يقودها الأب تتسم بالنظام وقلة الخلافات . كما أن قوامة الرجل على الأسرة تنمى من رجولة الزوج ومن صفات الجسم لديه . وتقويى ثقته فى نفسه . وتزيد من احساسه بالمسؤولية .

وقالت أن عالما يقوده الرجال . يقل فيه العنف والجرائم والتمرد والاضطراب والطلاق والمشاكل الاجتماعية ، كما ستكون هناك زيجات أسعد وبيوتا مستقرة [1].

ولعل فيما كتبه « جاردنر تل أرمسترونج » فى كتيب أصدره أخيرا بعنوان Your Marriaga Can Be Happy فى انهيار الأسرة الأمريكية نتيجة سقوط قوامة الرجل ... يقول : (لماذا تشعر أغلب النساء بالخيبة والشقاء ؟ . لأنهن خرجن على فطرتهن .

ولماذا يتأنث معظم الرجال ويفشلون أزواجا وآباء ؟ ... لأنهم تخلوْ عن أصالتهم الفطرية ، وتحولوا إلى عناصر غريبة تحاول أن تكون الزوجة والأم لا الزوج ورجل البيت .

إن المجتمعات المريضة لاتلد إلا بيوتا مريضة . تلك حقيقة ثابتة ، وسواء تغيرت المقاييس عند الناس أم لم تتغير وتطورت المجتمعات أم لم تتغير فإن القوانين التى تحكم الزواج تبقى ثابتة لاتتبدل ولا تزول . فإذا ما خرج الناس على تلك القواعد ، وتجاهلتها المجتمعات فإن عواقبها لازمة لا حدود لها .

لقد قلبت بيوتنا رأسا على عقب . رفض الرجل أن يتحمل مسؤوليته وتخلى عن القيادة فى البيت ، بينما حاولت المرأة أن تغصبه قوامته وتستولى على تلك القيادة والنتيجة بيِّنة لا غرور فيها ! !

لم يعد غريبا أن يقوم الرجل بأعمال البيت من كنس وغسل طهى وكثير من الأعمال الأخرى

---

(١) عن جريدة (المسلمون) اللندنية العدد ٣٣٢ الصادر فى ٢ ذى الحجة ١٤١١ ـ ١٤ يونية ١٩٩١ .

التى تهم المرأة لا ريب أنه من الحق أن يكون الرجل فى عون زوجته إذ مرضت أو فى الحالات الطارئة أو فيما دون ذلك فإن تلك الأعمال هى واجباتها التى ينبغى أن تقوم بها .

ومن الشائع اليوم أن يمكث الرجل فى البيت لرعاية الأطفال أو فى تحضير المائدة [1] ، بينما تقضى الزوجة أغلب وقتها فى عملها خارج البيت أو فى نشاطات نسائية عامة وفى سبيل عالم أفضل ! !

وبعد هذا هل بدأت المرأة تدرك ما وراء هذا الشقاء ؟ ؟

ولكن يبدو أن تجاهل تلك الحقائق ، هو القاعدة العامة حيث تحاول المرأة أن تكون رجلا ، ويحاول الرجل أن يكون مدبرة البيت الطيعة . وسواء أدركت النساء « العصريات » أم لم يدركن . فإنها لجريمة شائنة بحق أزواجهن وأطفالهن أن يهجرن البيت ليعملن خارجه .

وهكذا شقيت المرأة الغربية وشعرت بالحرمان والنقص والقلق لأنها رفضت الاستجابة للفطرة وتنكرت لها ، وخرجت على قوانينها المتحكمة فى الإنسان ، وتحدث ميلها الفطرى إلى قيام رجل يشبع فى نفسها هذا الميل .

وما أصيب الأسرة فى الغرب بأعاصير الانحلال والتفكك ، ألا يوم أن تزعزت مكانة الرجل فيها : زوجا وأبا ، فخسرت دوره فى التوجيه والرقابة والخبرة .

إن مكان « الأب » على رأس الأسرة وقيامه بدور القيادة الحقيقية والتوجيه لكل أفرادها إنما هو مسئولية خطيرة فى استقرار الأسرة وقيامها كخلية سليمة فى بناء المجتمع السليم ... ومن هنا كانت محاولة النسائيين والقوى المعادية للإسلام والتى تعمل على هدم المجتمع الإسلامى ، ضرب موقع « الأب » والتحريض عليه عن طريق وسائل الإعلام والفكر المسموم بوصفه عدوا للزوجة والأبناء وتصويره فى صورة المالك المستبد لكى لايستجيب أحد من أفراد الأسرة إلى توجيهاته خصوصا فيما يتعلق بمستقبلهم ، ولكى تشيع روح الاحتقار والازدراء به والسخرية منه عن طريق إظهاره فى صورة الشخص الرجعى المتخلف فى مفاهيمه وتوجيهاته ، ليعلن الجميع العصيان والتمرد عليها وتكون النتجة انهيار الأسرة وتفككها .

« إن من أخطر التحديات العصرية ـ نتيجة عمل المرأة وخروجها ـ هو تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين والدين لكل منهما وجهته وهدفه ومفاهيمه مما يوقع الأولاد فى حيرة نفسية شتتت عواطفهم وتبدد أمنهم النفسى الذى كانوا يستمدونه من « الأب » باعتباره المصدر الأساسى للسلطة .

فالأب هو الذى يضع أسرته فى المجتمع ويحدد موقف أفرادها ودورهم فى البناء الاجتماعى

(١) ألغى قانون الأسرة بالنمسا الصادر فى سنة ١٩٧٨ النص على أن الرجل رب العائلة كما تطالب المرأة هناك بأجازة وضع للزوج ! ! (عن الأهرام عدد ١٩٧٩/٨/٣١) .

ويظل دور الأب فى المنهج الإسلامى سليما لاتهزه التيارات الفاسدة ، لأنه قائم على قيم ثابتة ، ومعايير سلوكية محددة ، يؤصلها الاسلام بمنهجه التربوى حتى لايفقد دوره فى الضبط الاجتماعى وتوجيه الفكر والسلوك . كما أن تعدد الأجيال داخل الأسرة المسلمة لايحدث صراعا كما فى المجتمعات الغربية إلا فى الأسرة التى فقدت عنصر الدين والأخلاق ... فقد وصل الأمر فى التوجيه الإسلامى إلى أن الرسول ﷺ تبرأ من الذين لايرحمون الصغار ولا يوقرون الكبار ولايهتمون بمكانتهم فقال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا » [1] ، وكان عليه السلام يعلم المسلمين سلوك هذا المنهج فى تصرفاتهم بحيث يعطى كل ذى فضل ومكانة وكبر سن ما يناسب حاله .

* * *

(1) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه .

رابعـا : تحـديـد النسـل

خلق الله هذه الـدنيا وخلق الناس وأمر بـالزواج لتدوم الحياة ، ولم يرد الله لـلإنسان أن يعيش كالبهائم فى أمر التكاثر والتناسل فحض على الزواج ...

ولما كـانت الأمة المسلمـة هى الأمة صـاحبة الـرسـالة ، فقـد نصحها رسـولها الأمين بالـزواج والتناسـل والتكاثـر ، لتــدوم وتســتمر حتـى تقـوم الساعة ، ولتظل قـويـة قادرة على القيـام برسالتها ...

لهذا قرر فضل المرأة الـولود على العقيم ، قال ﷺ : « سوداء ولـود خير من حسناء عقيم » (١) وجـاء رجـل إلى رســول الله ﷺ : فقال « يـارسول الله ، إنى أصبت امـرأة ذات حسب ومنصب ومال ، إلا أنها لاتلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه الحديث ، ثم أتاه الثانية ، فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة ، فقال له : تزوجوا الودود الولود : فإنى مكاثر بكم الأمم » (٢) .

وروى أن عمر بن الخطـاب رضى الله عنه كان يقـول : إنى لأتزوج المرأة وما لى فيها حـاجة ، وأطؤهـا وما أشتهيها . قيل لـه : وما يحملك على ذلك يـا أمير المؤمنين ؟ قال : حى أن يخرج الله منى من يكاثـر به النبى ﷺ النبيين يـوم القيامة : وإنى سمعتـه يقول : عليكم بـالأبكار ، فإنهن أعذب أفـواها ، وأحسن أخلاقـا ، وأنتق أرحاما ــ أى أقبل للولـد ـ وإنى مكاثـر بكم الأمم يوم القيامة (٣) .

إن الإسـلام يطلب القوة للمجتمع الـذى يقـوم على منهجه ... القـوة بكل أسبـابها المعنويـة والمادية ، ومن أسباب القـوة المادية كثرة النسل ... ولكن المنهج الإباحى الغربى الذى يـدعو إليه النسائيـون عندنا يهدد النسل الإنسانى بـالفناء ... كما ينذر الحيـاة بعامة بالموت والـوفاة ، ويهدد الوجود الإسلامى فى نسله بخاصة بالعدم والزوال .

يقول تعالى فى وصف القيادة الفاسدة التى تنـذر الحياة الإنسانية بالفناء ﴿ **وإذا تـولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد** ﴾ (٤) .

وقـد عاشت المرأة المسلمـة فى ظل هـذه المفاهيم قـائمـة بوظيفتهـا مدركـة لـدورها فى الحيـاة الإســلامية ، كـأم تهب الأمة المسلمـة أعز مـا تحتاج إليه فى وجـودها واستمـرارها ، وهـو الثروة البشرية ... ظلت المرأة المسلمة على هذه الاستقامة إلى أن التقينا بحضارة الغرب ، فوجدت نفسها محاصرة بغزو استعمارى لمفاهيمها الإسلامية يشكل تحدياً خطيراً يتزعمه النسائيون عندنا عن طريق

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند وأبو داود فى السنن .
(٣) رواه ابن ماجه .
(٤) سورة البقرة : ٢٠٥ .

البث الإعلامى فى الصحافة والإذاعة والتليفزيـون ، وعن طريق مناهج التربية والتعليم . وتأثرت الكثيرات وخصوصا المثقفات فاصطبغت حياتهن بمفاهيم الحضارة المادية وملن إلى الأنانية وحب الـذات والترف واللهو ومتع الحيـاة وزخارفهـا وكان ذلك على حسـاب فطرة الأمـومة وقـدرتها على العطاء والايثار ... ومما سـاعد على ذلك خروج المرأة إلى ميادين العمل العامـة ، الذى دفعها إليه النسائيون ودعاة حركة تحرير المرأة فى مكر وخـديعة لصرفها عن وظيفة الأمومة والتناسل ، ولضرب الأسرة كخلية وحيدة للتكاثر ومحضن أولى وأساسى فى تنشئة الأجيال المسلمة ...

ولما كـانت مؤامـرة تحديد النسل وأسطـورة الانفجار السكـانى التى يرددهـا الشاردون هنـا ، وتعمل لها الببغـاوات عندنـا فى إخـلاص عن طريـق مراكـز تنظيم النسل المنتشرة فى مـؤسساتنـا وجمعياتنا النسائية » ذات أبعاد خطيرة على وجود الأمة المسلمة ، فإن كشف هذه المؤامرة وفضحها أصبح من أول واجبات العاملين لـلإسلام لإزالة الأشواك عن طـريق نساء المسلمين ورسالتهن » ورفع غشاوات الغزو الفكرى عن قلوبهن وعقولهن .

تكشف الاحصائيات العـالمية أن العالم الآن يضم ٥ , ٣ مليار نسمـة ، ترتفع إلى ٧ مليارات فى نهاية القـرن الحالى ، وقد زاد الجنـس البشرى ٧٠٠ مليون نسمـة فى السنوات العشر الأخيرة ، وفى كل عام يولد بالعالم ١٢٧ مليون طفل وأن الدول النـامية فى آسيا وأمريكا اللاتينية هى أكثر الدول تأثرا بهذه الـزيادة ، إذ أن ثلثى العالم يعيش فى هـذه المناطق ، وقـد أصبح الوافدون يـزيدون عن الراحلين فى الشهر الواحد ، بما لايقل عن سبعـة ملايين نفس ، فالعالم الآن يستقبل كل يوم ٣٠٠ ألف نسمة زيادة صافية بعد الخسائر .

ولا ريب أن لنا نحن المسلمين عبرة فى دراسة هذه الأرقام ، فنحن نؤمن بأن الكون كله لله وأنه سبحانه هو الخالق ، وأن ظاهرة التفوق البشرى هذه ظاهرة طبيعية ، فى طريق اكتمال صورة الكون والأرض على النحو الـذى أشار إليـه القرآن الكـريم ، لتأخذ الأرض زخـرفها وزينتهـا . ولتخرج الأرض مذخـــورها من معطيـات الحيـــاة من قـاع البحـار ومن قلب صخـور الجبال ومن جـوف الأرض ، وأن للمسلمين فى هذه الثلاثمئة ألف طفل يوميا أكثر من ٢١٩ ألف طفل يوميا » وهذا يدل على أن ظاهـرة التفوق هذه تمثل جيشانـا فى عالم الإسلام بما يدل على تفوق ظـاهرة لهذه القوة المؤمنة بالله ، بينما نجـد أن الانحسار السكانى واضح الدلالة فى عالم الغـرب . إذ نجد أن سكان العـالم الآن هو ٣٧٠٠ مليـون نسمـة وإذا سـار معدل المواليـد على حـالتـه الراهنـة ، فإن العـدد سيتضاعف خلال ٢٦ سنة « أى فى نهاية القـرن العشرين ويكون الرقم قد ارتفع إلى ٧٤٠٠ مليون نسمة ، وأن هذه الـزيادة ستكون من نصيب الـدول النامية فى آسيا وافريقيـا أى أنه من بين ٢٢٤ طفلا يولدون فى الدقيقة الواحدة ٢٠٢ طفل فى دول العالم الإسلامى و٢٢ طفلا فى الدول المتحضرة « الغرب » .

وهذه الاحصائيات تعطينا مؤشرا واضحـا للأحداث ... ذلك أن ظاهرة تقلص حجم المواليد

فى عالم الغرب ، وزيادة هذا الحجم فى عالم الإسلام من الظواهر التى تزعج الرأسمالية الغربية والنفوذ الغربى المسيطر الآن فى بلاد المسلمين إزعاجا شديدا ، لأنهم يحسون بمدى الخطر الذى ينتظرهم فى السنوات القادمة ، ويترصد بهم نتيجة نقص المواليد وتنازل نسبتها فى بلادهم بينما تزداد هذه النسبة وتتضاعف فى بلاد المسلمين .

ولما كانت هذه الظاهرة ستصبح بعيدة المدى فى متغيرات موازين السيطرة والنفوذ وتملك الموارد الطبيعية والطاقة وغيرها فى السنوات القادمة فإن الغرب يشن حملة شديدة عاصفة وعنيفة على هذه الزيادة المضطردة بوصفها بعيدة الأثر فى عالم الإسلام ، تحت اسم مثير هو مايطلق عليه اسم « الانفجار السكانى » ويجند له النسائيون وعشرات الأقلام والمفكرين والساسة والحكام ، دون أن يشير إلى حقيقة الموقف وطبيعة التحول الاجتماعى والحضارى الذى يوحى بأن فساد المجتمعات الغربيةوانحلالها ، قد أدى إلى نضوب منابع « الوالدية » بها نتيجة شيوع الخمر والماريجوانا والترف وانصراف المرأة الغربية عن رسالتها كلية وكراهيتها الشديدة للولادة وتربية الأولاد ، وشيوع الزنا وتفشى ظاهرة الاتصال الجنسى خارج نطاق الأسرة بدون زواج وظاهرة اللقطاء واستعمال وسائل منع الحمل .

هذا الاضطراب الاجتماعى فى المجتمعات الأوربية المرتبطة بمرحلة الانهيار فى الحضارة الغربية هو مصدر انخفاض نسبة المواليد بما أدى إلى انزعاج ساسة الغرب وحكوماته ، وما يحاولونه الآن من إغراء وتشجيع الزواج والولادة بإغراءات كبيرة دون جدوى ، بينما يشنون فى الناحية الأخرى حملة شديدة على الولادة المتزايدة فى البلاد الإسلامية ، وينفقون ملايين كثيرة لحكومات المسلمين من أجل « تحديد النسل » وتعقيم الرجال ، والإغراء بإعطاء الحبوب واللوالب وغيرها من أجل تقليل نسبة المواليد . ولاشك أن الغرب يرى فى ظاهرة التقلص فى مواليده والزيادة المضطردة فى نسبة مواليد المناطق التى يسميها « البلاد النامية » وخصوصاً المناطق الإسلامية خطراً شديداً على نفوذه وعلى المقدرات التى يحصل عليها من الخامات والثروات والمواد الأولية وعل كل ما يعينه على التفوق .

ومن أجل هذا نجد المجتمع الغربى لايتبنى فكرة تحديد النسل فحسب ، بل يفرضه فرضاً على عالم الإسلام بينما يعلن البابا بولس الثانى عشر رأيه صراحة فى تأييد المسيحية لكثرة النسل . ويواجه المسلمون مع حملة تحديد النسل ، ذلك التحدى الخطير : تحدى الهجرة والنمو المتزايد لليهود فى فلسطين ونمو الصليبية فى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامى ، بينما يجبر المسلمون بوسائل شتى فيها الاغراء أو التعقيم الاجبارى ـ كما حدث لمسلمى الهند على يد أنديرا غاندى ـ على خفض تعدادهم ، وهنا تتكشف المؤامرة ، ويتبين أن هناك خطة مدبرة ضد المسلمين بالذات ، ذلك أن غير المسلمين يخشون تكاثر المسلمين ، ويحاولون إيقاف هذا النمو والتزايد بكل وسيلة . ومن هنا جاءت الدعوة إلى تحديد النسل والحد من تعدد الزوجات التى تتبناها الحكومات فى البلاد الإسلامية ويدعو إليها النسائيون .

إن الإعلانات المحرمة « انظر حولك »[1] و « أسرة صغيرة تساوى حياة أفضل » وغيرها التى تجدها منتشرة فى أنحاء مصر ليست إلا جزءاً من خطة أمريكية قذرة لتقليص عدد المسلمين فى العالم ... تلك الحملة الدعائية الكبيرة لتحديد النسل فى مصر ، والتى يفخرون بأن رئيس الدولة يرعاها شخصياً هى جزء من خطة أمريكية موجهة ضد الشعوب الإسلامية .

وقد كشفت جريدة « الشعب » المصرية فى عددها الصادر فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٩١ مقطعاً من دراسة جديدة لوزارة الحرب الأمريكية (البنتاجون) بطلب من حكومة ريجان / بوش عام ١٩٨٦ م ، وتتبنى إدارة بوش ما جاء فى هذه الدراسة وبخاصة الاتجاه نحو الحروب ، وما الحرب الأمريكية فى الخليج إلا عملاً موجهاً ضد المسلمين من أهدافه إبادة نسلهم الذى يتزايد بطريقة تزعجهم وتقض مضاجعهم .

وحددت دراسة البنتاجون ١٣ دولة فيما يسمونه العالم الثالث مستهدفة بالاهتمام الأمريكى لخفض السكان فيها وتتصدرها دول حددها كيسنجر (اليهودى) فى مقدمتها بالطبع مصر وفلسطين وتركيا ونيجيريا واندونيسيا وباكستان وبنجلاديش ، فدولة مثل اندونيسيا مثلاً - كما أشار التقرير - سوف تسجل مع نهاية القرن العشرين زيادة سكانية تقدر بحوالى ١٠٠ مليون نسمة .

ويطرح التقرير فى انزعاج سؤالا يقول : إذا كان الجنس الأبيض لايمكنه التغلب على غير البيض بالتناسل ، وإذا كان تحديد النسل فى دول العالم الثالث غير مؤثر فى منع هذا التحول فى الميزان الديموجرافى (السكانى) العالمى ، فماذا يمكن عمله ؟ ... عندهم غير ذلك من الوسائل الخبيثة :

- صندوق النقد الدولى وسياسته التى تهدف إلى إبادة هذه الشعوب عن طريق الجوع والفقر .
- والإيدز سلاح جديد ابتكروه لتقليص عدد سكان شعوبنا ... فمنذ ظهور وباء الإيدز فى السنوات الأولى من حكم ريجان ، عملت الإدارة الأمريكية على إعاقة تطوير وسائل الوقاية منه ، باعتبارها تتعارض مع الحريات الشخصية والمدنية (! ! !) ، وركزت الدعاية الأمريكية على أن وسائل نقل العدوى بالإيدز تقتصر على الشذوذ الجنسى والإبر الطبية الملوثة رغم ثبوت أدلة على انتقاله عن طريق الحشرات وعن طريق الكحة .

ويشير التقرير أن تقديرات منظمة الصحة الدولية تشير إلى أن مابين ٥ - ١٠ ملايين نسمة مصابون بالإيدز فى العالم وهو رقم قد يصل إلى ١٠٠ مليون عام ١٩٩١ ، ويطرح بعض المحللين أنه لو تم إصابة ١٠٠ مليون فإن إجمالى الوفيات من الإيدز فى التسعينيات قد يصل إلى ٥٠ مليوناً ، ويمكن أن يتضاعف حينئذ عدد المصابين عدة مرات بعد ذلك ، ويغطى بعض الدول

(١) دعوة إلى التغير من كثرة المواليد الذى أدى إلى الزحام الذى « حولك » .

تماماً فى مـدة من ١٠ إلى ٢٠ سنة ، وإذا زاد عـدد المصابين إلى ٢٠ بـالمئة من سكـان العالم ، فإن الوفيات المتوقعة يمكن أن تعوق نمو السكان العالمى [١] .

وبينما يخططون لضرب النسل الإسـلامى ، تترك الصين ليتزايـد سكانهابمعدل ١٤ مليـونا كل سنة .

ولاشك أن تهديد العالم الإسلامى بنضوب الثروات هو أكذوبة كبرى ، فإن الخطر الحقيقى فى السياسـة الاستعمارية التى مـزقت وحدة الـوطن الإسلامى ، وفقـدان الأمة الإسـلامية لتكـاملها الاقتصادى الذى ينتج عن اتحاد أوطانها ، هذا إلى جـانب سوء استخدام القوى البشرية والثروات والكنوز التى تفيض بها الأراضى البكر ، وسوء التخطيط لتطوير إنتاجى أفضل ، وبينما تنقل هذه الخامات إلى بـلاد الغرب وتنهـب ، ثم يعاد تصـديرها لا يحصـل أصحاب هـذه الثروات إلا على الفتات .

يقول العلامـة علال الفاسى رحمه الله : إن أكبر الخطر أن تدرس حركـة تحديد النسل منفصلة عن سيـاقهـا السيـاسى والتـاريخى ، فنحن لانستطيع أن نفهمهـا على حقيقتهـا ، ولا أن نـرسم لأنفسنا خطـة عملية راشـدة إلا داخل نطاق التحدى ، فإذا أضفنـا إلى هذا : الخطط الصهيـونية لاجلاء العرب عن الشرق الأوسط وتهجيرا أكبر عدد ممكن من اليهود إليه وخلق حركات داخل كل بلـد إسلامى وعـربى من الأقليات ، التى يصـل بها التعصب أحيانـاً إلى الانفصال عن الـوطن الوالد ، عرفنا أن التنقيص فى عدد المواليـد لايخدم إلا مصلحة الاستعمار والصهيونية ، كذلك فإن عـدداً من علماء الطب والاجتماع والـدين من جهـة وعلماء الاقتصـاد من جهة أخـرى ، يـرون أن تحديد النسل خطر على قوة الـدولة العددية وعلى زيادة إنتاجها ويقـاومون الدعوات التى سبقت فى بلادهم والحركة التى نشأت عنهـا ، فكيف يمكننا نحن الذين ما زلنا فى طـور التخلف ومازلنا نأمل أن يكـون من شعبنا قوة مـادية وإنسـانية ، أو نتجـه إلى معالجة ضعف الإنتـاج الاقتصادى بإضعاف الإخصاب الإنسانى .

وقد اتفق الأئمة والمجتهدون على أنه لايجوز للإنسان أن ينظم تخطيطاً جماعياً على الشكل الذى تدعو إليـه هذه المنظمات وبعض الحكومات ، لأن ذلك يتنافى مع مقـاصد الشريعة التى جعلت من غايات الأسرة « تكثير النسل » ، فقـد نصوا على أن تكاليف الشرع ترجع إلى حفظ مقـاصدها الضرورية فى الخلق وهى وجوب حفظ المال والنفس والعـرض والنسل والعقل ، فمحاولة المساس بواحدة من هذه الخمسة بغير حق لايقع إلا من الظالمين .

وقد التبس على بعض المتملقين مـا قاله بعض الفقهـاء فى مسألة إباحة العـزل ، مع أن قضية العزل هى غير قضية التخطيط العائلى لأنها مسألة تتعلق بحالات فردية اختيارية ، لاتتدخل فيها

---

(١) يلاحظ أن عضو اللجنة التى أوصت بنشر الايـدز هو المارشال جرين مسئول وكالة المعونـة الأمريكية فى مصر الآن ، ويقيم منذ سنوات بشكل دائم فى مبنى كايرو سنتر قرب ميدان التحرير بالقاهرة .

الدولة ولاتنظمها ولاتدعو إليها ولا تجعلها جزءاً من بـرنامجها ، يقول العلامة علال الفاسى : أما ادعاء أن التنقيص من عـدد السكان ضرورى لتنفيذ التخطيطـات الاقتصادية وتحقيق النمـو فهو خطأ من الناحيـة الاقتصادية ومن النـاحية الاجتماعية ، لأن المواليـد لايولـدون بأفواههم فقط بل يولدون بعقولهم وسواعدهم ، فهم مادة وعامل قوى فى النمو الاقتصادى وتقوية الإنتاج ، وليسوا مجرد طفيليين فى المجتمع ، وإنما عجـز التـدبير من الحاكمين وسـوء تـوزيع الثـروة على المواطنين والتخلى عن الأقاليم الوطنية للمستعمرين هو الذى يدفع إلى هذا التفكير الكسول ، الذى يرضى بهذه التـدابير غير الإنسـانيـة ، ولايعلم أن مقتضيـات التطـور الحديث يقضى بتحميل الـدولـة لتكاليف العائلة .

ومن جهة أخرى فقد نص الفقهاء على أن خصى المواطن ممنـوع شرعاً بالإجماع لكونه يعوق عن الغايـة المقصودة من الشارع ، كما نصـوا على أن أخذ الأدوية لمنع الحمل ممنـوع ، وأحسن من هذا كله قوله تعالى فى سورة الإسراء : ﴿**ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم**﴾ (١) وفى آية أخرى فى سورة الأنعام : ﴿**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحـن نرزقكم وإياهم**﴾ (٢) ... وبذلك حـرم الله قتل النسل بسبب فقـر واقع أو خشية فقـر متـوقع . كما أنـذر الله تعالى الـذين يقتلـون أولادهم مخافة الفقـر ووصفهم بالسفـه فقال : ﴿**قـد خسـر الـذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله**﴾ (٣) .

فالرزق قـد يسر الله طريقه وجعله مستطـاعاً ، وأعطى الإنسان أدواته ، ولكن صعـوبة الرزق بدأت بعد أن تدخلت أهواء الناس ومطـامعهم وظهرت عمليات الاحتكار والاحتجاز ، وظهرت عـوامل التفـرقة والاستغـلال ، والقـوى التى تسيطـر على الكثير فـلايترك للضعفاء والفقـراء مـا يطعمهـم أو يقـوتهم ، هــذه هى الأزمـة وهى ليست أزمـة الـرزق نفسـه وإنما هى أزمـة الجشع والتسلط .

وهناك قانون الوفرة الذى يؤكد وجود ثمرات طيبات لكل من يعيش على ظهر الأرض مهما بلغ عدد هـؤلاء السكان ، وذلك تقـدير الله تبـارك وتعالى ومـا تزال هنـاك مدخـرات كثيرة فى البحار والجبـال وقد أعطى الله عهـده وميثـاقه إلى البشر بضمان الطعـام وضمان الـرزق لكل مخلوق ودابـة وحشرة بحيث تطمئن النفس الإنسـانيـة إلى عهــد الله الصـادق الأكيـد ، فـلا تكـون مثل هـذه الصيحـات الضالـة مصـدراً لزعـزعـة الإيمان ، فلقد حفظ الله تعـالى لـلإنسان هـذه الموارد التى لاتنضب فى نفس الوقت الذى دعاه إلى السعى فى الأرض والأكل من رزق الله .

ولـو وضعت الموازين الحقيقـة لقضيـة الطعـام لو روعـى فى توزيعـه مـا أمـر الله بـه ، لأمكن لـلإنسانيـة أن تتجنب الكثير من عمليـات البخل والشح والأثـرة ، حيث ينفق بعض الأفـراد فى

---
(١) سورة الإسراء : ٣١ .
(٢) سورة الأنعام : ١٥١ .
(٣) سورة الأنعام : ١٤٠ .

بعض البلاد ما يوازى عشرات أضعاف بل مئات أضعاف ما ينفقه الآخرون ، وما مليارات الدولارات التى هربها شاه إيران المخلوع ، وما الأموال التى يهربها حكام المسلمين إلى بنوك أوربا وأمريكا ، وما البذخ والإسراف وسياسة الإنفاق الحمقاء التى يتبعها هؤلاء الحكام والأمراء إلا شاهد على ذلك .

وهناك فى بعض البلاد المنتجة تغرق المحاصيل فى البحر أو تحرق للمحافظة على مستوى أسعار التصدير بينما يقتل الجوع الملايين ، وذلك من أساليب الاستعمار الرأسمالى للسيطرة على القوى البشرية بتجويعها ... يحدث كل هذا فى دول الغرب ثم نسمع الأصوات المنكرة التى يطلقها دعاة تحرير المرأة لتحديد النسل عندنا عملا بتوجيهات سادتهم هناك ! !

إن حاجة المسلمين فى الدرجة الأولى إلى التوالد والتناسل ، لأن الإسلام مهدد فى معاقله الأولى ويواجه حرباً صهيونية وصليبية وماركسية استعمارية لا قبل له بها ، وإن هذه الحرب ستطول ، ويسقط فيها كثير من المسلمين ، وإن تعبئة الأمم فى ميادين النمو الاقتصادى بوسائل العمل المنظم ، تغنى عن كل تدبير مناف لطبائع الأشياء ، وإن هذه المبالغ الضخمة التى تصرف فى مجال تحديد النسل وإنشاء مستشفيات التعقيم وإنتاج حبوب منع الحمل وهى تزيد عن ١٠٠ مليار من الدولارات لو انفقت فى مجال النمو الاقتصادى لجاءت بنتائج إيجابية ، وعلينا أن نذكر أن من مقاصد الشريعة الرغبة فى تكثير سواد الأمة الإسلامية وقد امتن الله بالتكثير فى القرآن إذ قال : ﴿ **واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم ، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ (١) .

إن على قادة المسلمين أن لايرسموا لشعوبهم فى مثل هذه الظروف خططا تغاير مارسمه الحق تبارك وتعالى فصلها رسوله الأمين تؤدى بهم إلى الانتحار القومى ، فتحديد النسل موضوع يمس الكيان الإسلامى فى أساسه ، ويقوض ركناً هاما من أركان قوة المسلمين ، وهو القوة العددية .

ونختم هذا الموضوع بما طرحه مرشدنا الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله فى المحاضرة (٢) التى ألقاها عن « تحديد النسل » ضمن الحلقات التى أقامها الاتحاد الطبى المصرى لبحث هذه المسألة ... قال : جاء الإسلام نظاماً كاملاً يشمل كليات الشئون الإنسانية عملية وروحية ، ووصف نفسه بأنه دين البشرية جميعاً ورسالة الله على يد نبيه محمد رسول الله ﷺ إلى الناس كافة ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (٣) .

والإسلام دين فطرى لايركن إلى الخيال ولايعتمد عليه ، بل يواجه حقائق الأشياء ، ويحترم الواقع ويطوعه ، ونحن نعلم أن كل تشريع لاتحميه قوة تنفيذية تشريع عاطل مهما كان عادلاً رحيماً ، لايظفر من النفوس إلا بدرجة من الإعجاب لاتدفعها إلى اتباعه والنزول على حكمه ،

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٦ .
(٢) نشرت دار الاعتصام ومكتبة المنهل بجدة هذه المحاضرة بتحقيق وتعليق الأستاذ محمد عفيفى .
(٣) سورة الأنبياء : ٢١ .

فلابد إذن من قوة تحمى التشريع وتقوم على تنفيذه وتقنع النفوس الضعيفة والمتمردة التى لاتحتمل البرهان ، ولاتنصاع للدليل بإجلاله واحترامه . « والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم » .

لهذا شرع الاسلام الجهاد ، وفرض على نبيه جندية عامة غايتها مناصرة الحق أينما كان ، والزود عنه حيثما وجد بدون ظلم أو إرهاق أو استغلال مادى أو استعمار نفعى كما قال القرآن الكريم ﴿ **حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾[1]... ومن هنا أمر الإسلام بالقوة والاستعداد فى قوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾[2]...

وإذا كانت هذه هى فكرة الإسلام ورسالته ، وكانت القوة أول ما تكون بالعدد الكثير من العاملين ، وإنما العزة بالتكاثر وكانت القاعدة الأصولية أن ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب ... كان لنا أن نستخلص من هذه نتيجة منطقية طبيعية هى : أن الإسلام يأمر بالإكثار من النسل ، ويحض عليه ويدعو إليه ، وبالعكس لايرى التحديد والضبط .

وتطبيقاً على ذلك وتحقيقاً له ، وردت الآثار عن رسول الله ﷺ تحث على الزواج ، وتبين أن الغاية منه الأولاد قبل كل شىء .

وبعد أن أورد هذه الآثار وناقش رخصة التنظيم وقول العلماء فيها وعبر عنها بأنها نوع من الاستثناء يعرض للقاعدة الكلية التى هى إكثار النسل ختم محاضرته بقوله :

(علمنا أن الإسلام مع وصيته بالإكثار من النسل وإرشاده إلى أسباب القوة فيه ، قد جعل رخصة تستخدم إذا توافرت الأسباب والدواعى التى تدعو إليها .

وعلينا إذا أردنا أن نستخدم هذه الرخصة أن نسأل أنفسنا الأسئلة الآتية :

١ ـ أليست هناك أسباب تدعو إلى الإكثار من النسل لا إلى تحديده ؟

٢ ـ هل ثبت بأدلة قوية ، وقرائن صادقة أن هناك من الأسباب ما يدعو إلى التحديد ، وهل تأكدنا أن كثرة النسل هى السبب فى الضائقة الاجتماعية ؟

٣ ـ هل يمكن استخدام علاج اجتماعى آخر ؟

٤ ـ هل وثقنا من أنه سوف لاتنجم عن هذا التحديد أضرار خطيرة ؟

٥ ـ هل اتخذت الاحتياطات الكافية لمنع هذه الأضرار ؟

٦ ـ ما الوسائل التى ستتخذ ، وهل يبيحها الإسلام؟

٧ ـ هل وثقنا من أن هذه الرخصة ستستخدم بالقدر الضرورى فقط ، وأنه سيستخدمها الذين

---

(١) سورة الأنفال : ٣٩ .

(٢) سورة الأنفال : ٦٠ .

يراد منهم استخدامها ، وأن العودة إلى القاعدة الكلية ، وهى ترك التحديد سيكون ممكنا إذا ما دعت الحاجة إليه .

٨ ـ وأخيراً هل الأفضل فى ذلك أن يعالج بصورة عامة أو بصورة فردية خاصة ؟

٩ ـ أليس من الجائز أن تسفر هذه التجربة عن عجز عن معالجة الأضرار المزعومة ، كوفيات الأطفال مثلا ـ فتظل هذه الدواعي كما هى ، ويضاف إليها الأضرار التى ستنجم عن التحديد ؟

١٠ ـ وملاحظة أخرى قد تكون بعيدة عن تفكيرنا المحدود بالواقع والبيئة الخاصة وإن كانت صحيحة فى ذاتها : هى أن الإسلام لايتقيد بهذا التقسيم السياسى فى الوطن الإسلامى العام ، فهو عقيدة ووطن وجنسية ، وأرض المسلمين فى نظره وطن واحد ، فالزيادة فى جزء منه قد تسد نقصاً فى جزء آخر .

وعلى ضوء البيانات التى سمعتها فى هذه الدار الكريمة من حضرات الباحثين الفضلاء أستطيع أن أستخلص النتيجة التالية :

إن نجاح التشريع غير مضمون فى القرى بتاتاً فإن أولاد الفلاح هم رأس ماله وثروته ، والفلاحون فى أشد الحاجة إلى الإكثار من الذرية .

وإن المشاهد أن الطبقة التى تستخدم التحديد هى الطبقة المتعلمة التى ينتظر منها الإكثار ، وذلك ضار بالأمة ، فإن القادرين على التربية هم الذين يفرون من كثرة الأبناء ، ولهذا نحن فى الواقع نخشى إن استمر هذا الحال أن نجد أنفسنا فى المستقبل أمام مشكلة هى كيف نكثر من النسل لخدمة الوطن المحتاج إلى كثرة الأبناء .

ومعنى هذا أن استخدام رخصة التحديد التى أباحها الإسلام لظروفها لاتجوز بصورة عامة ولايصح أن تحمل عليها الأمة ، بل تستخدم بصورة خاصة فردية بحتة مع الذين تتوفر عندهم دواعيها فقط .

إن هناك من ظروف الأمة الخاصة فى نهضتها الجديدة ما يدعو إلى تكثير النسل ، فأمامنا الجيش ، وأمامنا السودان (١) وأمامنا الأرض البور فى مصر (٢)... ولأن أسباب الأضرار المشكو منها اقتصاديا وصحياً واجتماعياً لاترجع إلى كثرة النسل بل إلى ارتفاع مستوى المعيشة من جهة وجهل الأمهات من جهة أخرى ، والمزاحمة من جهة ثالثة ، وأسباب أخرى نعجز عن حصرها وسردها ... أ . هـ .

---

(١) حين كانت مصر والسودان دولة واحدة قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .
(٢) كتب فضيلته مقالاً فى جريدة «الإخوان المسلمون» عن سيناء وأهميتها الاقتصادية بتاريخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٦٥ هـ .

خامسـا : تعـدد الزوجـات

هناك مشكلات تهدد أمن الأسرة المسلمة وسلامها ، وتعرضها كحصن لحماية الأخلاق وتأمين المجتمع من ويلات الفســاد والدمار إنها مشكـلات من نوع خاص لايمكن حلهـا إلا عن طريق إباحة تعدد الزوجات .

- مشكلة مرض الزوجة بمرض مزمن أو إصابتها بعقم .
- زيادة عدد الإناث على عدد الذكور .
- عنف الدافع الجنسى لـدى بعض الرجـال أو بروده عند بعـض الزوجات فقـد يتزوج رجل بـامرأة باردة أو ضعيفة لاترويه ولاتسكن شهوة نفســه ، وقد جاءت شريعة الإسلام بكمالها لتحول بين وقوع الإنســان فى الحرج ، فأباحت أن يقترن الرجل بأخـرى يصرف عن طريقها طاقتـه الجنسية التى لم تجد إشباعا عند الأولى ، ولكى لايقع فريســة للصراع النفسى والوساوس الشيطانية التى قد تتسبب فى سقوطه ووقوعه فى الحرام .

يقول حجة الإســلام أبو حامد الغـزالى : « من الطباع ما تغلب عليه الشهـوة بحيث لاتحصنه المرأة الواحدة ، فيستحب لصـاحبه الزيادة عن الواحدة إلى الأربع » ... وعلى هـذا عدد الصحابة وقل فيهم من ليس له اثنتان .

من أجل هذا وضع الإسلام مبدأ تعدد الزوجات ، فقال تعالى : ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النسـاء مثنى وثـلاث وربـاع ، فإن خفتم ألا تعـدلوا فـواحـدة** ﴾ [1] فالعدل المطلـوب هو العدل الظاهـرى فى الحقوق والواجبات ، وهـو أمر فى استطاعة البشر ، إذ يستطيع الـزوج أن يعدل بين زوجاتـه فى المســكن والمأكل والمشرب والمبيت والقيـام بواجب الـزوجية كـاملا . والقرآن الكـريم نفسه ، هو الذى عقب على قضية العدل بنصيحة للبشر بعد أن ذكر أنهم لن يستطعيوا العدل ولو حرصوا فذكر أن العدل المطلوب هـو عدم الميل المتعمد المكشوف الضار فقال : ﴿ **فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة** ﴾ [2] قد كان رسـول الله ﷺ يقول فى أمر العدل بين زوجـاته : « **اللهم إن هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك** » ... يعنى القلب [3] .

لقد اشترط الإسلام لإباحة التعدد عـدم الخوف من الظلم فيه ، ذلك أنه جاء والناس يعددون فى الـزواج بلا حـدود ولا ضوابط ممـا كان يلحق بـالمرأة حيفاً وجـوراً ، فوضع لنظـام التعدد آدابـاً وأحكاما تحفظ للمرأة كرامتها .

---

(١) سورة النساء : ٣ .

(٢) سورة النساء : ١٢٩ .

(٣) يراجع تفسير القرطبى : جـ ٥ ص ٤٠٧ وجـ ١٤ ص ٢١٤ طبعة دار الكاتب العربى وتفسير ابن كثير : المجلد الثانى ص ٣٨٢ طبعة دار الشعب . وأحكام القرآن للقاضى ابن العربى القسم الأول ص ٥٠٤ و ٥٠٥ طبعة عيسى الحلبى .

يقول الإمام أبو حامد : « ومهما كان الباعث معلوما فينبغى أن يكون العلاج بقدر العلة ، فالمراد تسكين النفس . فينظر إليه فى الكثرة والقلة » ... ويعلق الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت على هذا الكلام بقوله : « إن الغزالى يشير بهذا إلى التعدد لتحصين النفس أمر مرغوب فيه شرعا ، أى مع أخذ النفس بالعدل الواجب بين الزوجات ، ويشير أيضاً إلى أن الذين يعددون زوجاتهم لمجرد الانتقال من ذوق إلى ذوق ، دون حاجة إليه فى تحصين النفس وعفتها عن المحرم ، يعملون عملا تأباه الشريعة ويمقته أدب الدين » .

والإسلام عندما أباح تعدد الزوجات ، لم يكن لصالح الرجل دون المرأة ولكن لتحقيق مصلحة الجنسين . فمعاذ الله أن يكون فى شريعته الكاملة محاباة لجنس على حساب جنس . فمن الخير للمرأة أن تشارك أخرى فى زوجها فتجد رياً لعاطفتها ، وتحقيقا لأنوثتها ، وصوناً لكرامتها ... من ألا تجد رجلا قط ؛ أو تطلق من زوجها فتحيا محرومة من شرف الزوجية ونعمة الأمومة .

ولكن دعاة تحلل المرأة عندنا لايريدون أن يكونوا أمناء فى عرض الحقائق ، فهذه زوجة عاقر وتحت رعايته ، وهذ أخرى تفضل لزوجها أن يجمع معها زوجة أخرى خير من أن يغرق فى علاقات غير مشروعة مع نساء ساقطات ينفق عليهن فى سخاء ويجلب لها والأولاد الكساد وسوء الأحدوثة وهذه فتاة تفضل الزواج من رجل متزوج ناجح كامل الرجولة على شاب أعزب فيه حمق وطيش لايستطيع معه أن يتحمل مسئولية الزواج . وهؤلاء نساء بعض عرب دول البترول الأثرياء يفضلن تعدد الزوجات على تسكع أزواجهن فى باريس والرباط والدار البيضاء ولندن وبيروت سادرين فى متعهم الرخيصة مع عشيقاتهم اللاتى يستنزفنهم ويدفعونهم إلى الضياع الذى يجلب الشقاء والتدمير الكامل . وهذه امرأة عانس محرومة فى شوق إلى نصف رجل يحقق لها أنوثتها ويروى عواطفها وتجد فى كنفه صونا لكرامتها .

وإذا كان الإسلام قد لاحظ فى إباحته للتعدد كثرة عدد الإناث بسبب الحروب ، وحاجة الأمة إلى استكمال قوتها بكثرة نسلها ، فإن النسائيين عندنا يقفون دائماً فى طريق كل مايحقق صالح المرأة نفسها والأمة بأجمعها ... وفى الوقت الذى تطالب فيه المرأة الغربية بالتعدد ، نجد الممسوخين والممسوخات من بيننا يعملون على وضع كل الشبهات التى تنحرف بمفاهيم وأوضاع المرأة والأسرة المسلمة التى أرساها الإسلام عبر أربعة عشر قرنا من الزمان .

ولاندرى إلى متى يظل هؤلاء الهدامون يعملون فى أمتنا بالتخريب ! ! فإذا كانوا يستمدون من أوربا وأمريكا أفكارهم ، فها هى المرأة فى ألمانيا تطالب فى أعقاب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) بتعدد الزوجات بسبب ذهاب كثير من رجالهن وقودا للحرب ، ورغبة فى حماية نفسها من احتراف البغاء وما يتأدى عنه من أولاد غير شرعيين يقذفون إلى الشوارع والطرقات . وفى أعقاب عام ١٩٤٨ أوصى مؤتمر الشباب العالمى المنعقد بألمانيا بإباحة التعدد حلا لمشكلة الزيادة الكبيرة فى عدد النساء ... وطلب الألمان حينذاك من مشيخة الأزهر بيانا مفصلا عن حكم تعدد

الزوجات فى الإسلام . وقالت مجلة « لواء الإسلام » المصرية : إن كبير أساقفة انجلترا أعلن أنه لايجد علاجاً لمنع التحلل الخلقى والانهيار العائلى اللذين انتشرا بعد الحرب العالمية الثانية ـ إلا بإباحة تعدد الزوجات فهو على حد تعبيره ـ الذى يمنع المرأة الانجليزية من الانهيار النفسى وارتكابها للجريمة والعار ، ويرد إليها الكرامة والعزة ، حيث لاتكون فراشاً لرجل إلا بكلمة الله » .

وقالت كاتبة انجليزية : لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء ... وإنى كامرأة ، أنظر إليهن وقلبى ينفطر حسرة ، وشفقة عليهن . وإن الدواء الشافى لذلك : أن يباح للرجل الزواج بأكثر من واحدة ، فبذلك تصبح بناتنا ربات بيوت . وإن إرغام الرجل على الاكتفاء بواحدة جعل بناتنا شوارد ، ودفعهن إلى التماس أعمال الرجال ، وسوف يتفاقم الشر إن لم يبح تعدد الزوجات [١] .

وقالت كاتبة إنجليزية أخرى : « الرجال يقل عددهم عن النساء ، والرجل يتأخر عادة فى الزواج حتى يتم تعليمه ويحصل على عمل أو وظيفة ، بينما تصلح الفتاة للزواج فى سن مبكرة . إذن فخير للمرأة أن تشترك مع أخرى فى ظل بيت شرعى من أن تظل عانساً أو بغياً تهدر كرامتها بين أحضان الرجال العابثين » .

ويقول المستشرق (رينيه) الذى أسلم وتسمى « ناصر الدين » سنة ١٩٣٧ ، فى كتابه « أشعة خاصة بنور الإسلام » : إن الإسلام لم يتمرد على أحكام الطبيعة بل سايرها ، وعمل على تهذيبها . ولذلك لم يرض على تحريم الزواج ، فرغم تحريم الكنيسة لتعدد الزوجات ، فقد اتخذ ملوك فرنسا أنفسهم أكثر من زوجة : وفى الوقت نفسه كنَّت الكنيسة لهم كل تعظيم واحترام . ولم يحقق تحريم تعدد الزوجات فى المسيحية الغرض المقصود منه ، بل انعكست الآية عندما اصطدمت بضرورات الطبيعة ، فأسفرت عن نتائج خطيرة من الدعارة والعوانس من النساء ، والأبناء غير الشرعيين . ولم نجد مثل هذه الأمراض الاجتماعية فى البلاد التى طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق ، وإنما انتشرت فى البلاد التى سرت إليها عدواها عن طريق المدنية الأوربية الحديثة » .

وبرغم صيحات الخطر فى الغرب ولجوء عقلائه إلى الشريعة الإسلامية يلتمسون منها حلولا لمشكلاتهم الاجتماعية فقد جاءت التعديلات الأخيرة لقانون الأحوال الشخصية فى مصر تتحايل على ما أحله الله فتجعله حراما حيث تقول المادة السادسة مكرر من هذا القانون : « ويعتبر إضرار بالزوجة اقتران زوجها بأخرى بغير رضاها ... » .

ونقول لواضعى هذا القانون ، هل أراد الله تعالى الإضرار بعباده فى قوله ﴿ **فانكحوا ما طاب**

(١) عن جريدة (لندن تريبون) عدد ١٠/٨/١٩٤٩ .

لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾[1]؟ ! وهل كان رسولنا ﷺ يـريد الإضرار بأمهات المؤمنين عندما نكح ما طاب له ـ وما أحله الله له وهو ﷺ القائل : «لاضرر ولا ضرار» ؟ ! .

والأعجب من ذلك أن تأتي نفس المادة فتجعل للـزوجة الأولى حق طلب التفـريق عن زوجها خلال سنة من تاريخ علمها بزواجه بالثانية ! !

وهكـذا يقـول رسـولنا : « من كانـت له امـرأتان فمال إلـى إحـداهما جاء يوم القيامـة وشقه مائل » . ويقول هذا القانون من كانت له زوجتان فللأولى حق التفريق ! ! وقد صح عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قـال : « أيـما امـرأة سـألت زوجهـا طلاقـا مـن غيـر بأس فحرام عليهـا رائحة الجنة »[2] .

والقانـون بإعطائه الـزوجة الأولى حق التفـريق عن زوجها بسبـب الزواج الثانى يجعـل التعدد متعلقا بإرادة الزوجة لابحكم الله الواحد القهار .

وإذا كانت شريعـة الله المحكمة قد رفعت الحرج وأرست قـاعدة عدم الضرر ، فقد جـاء هذا القانون ليعصف بقـوامة الرجل وأمن الأسرة ويضعها تحت سلطان النساء وتقلبـاتهن وعدم ثباتهن الانفعالى .

إن إحساس الزوجة بأن زوجها يمكن أن يتزوج عليها دون توقف على رضاها ودون أن يكون لها حق التفـريق ، يجعلها تحسن معـاملة الـزوج خشيـة أن يجرب حظه مع أخـرى ، أما إعطـاء حق التفريق فى يدها فهو سيف مسلط على الرجل يخل بحقه فى القوامة عليها .

وعندمـا أعطى الله تعالى للـرجل حق تأديب المرأة الناشـز ، ومن هذا الحق **﴿واهجروهن فى المضاجع﴾**[3] أعطاه إمكانية إحسـان استخدامه عن طريق التعدد الذى يجعلـه يطيق هذا الهجر وبخاصة إذا كانت طاقته الجنسية عنيفة .

جعل الله تعالى عقـوبة الزانى المحصن الرجم بـالحجارة حتى الموت ، ومع شدة هذه العقـوبة لابد من فتح بـاب إطفاء الشهـوة عن طريق مشروع ، وإلا فما الـذى يفعله رجل مـرضت زوجته مرضـا طويـلا يمنع الإتصال الجنسى بها ولايـريد مفـارقتها ؟ أيتـزوج بأخرى ليكـون للأولى حق التفريق أم يتصل اتصالا غير مشروع بأخرى ، فيرجم بالحجارة حتى الموت !

ولكن يبدو أن واضع هذا القانون يعلم أن مجتمعنا لاتقـام فيه حدود الله ، فجاء القانون ليفتح الباب على مصراعيه لـلانحلال ولتعدد العشيقات بـوضعه هذا القيد على تعـدد الزوجات ، لأن الرجل سـداً لباب المشـاكل التى تنشأ من الزوجـة الأولى عند استخدامهـا التفريق يـؤثر أن يجعل

---

(١) سورة النساء : ٣ .
(٢) أورده الإمام مالك فى الموطأ .
(٣) سورة النساء : ٣٤ .

الثانية عشيقة أو يتزوجها عرفيا فيهدر بذلك حقوقها . ويوقع نفسه فى الحرام ، وخير للرجل وخير للمجتمع أن يقترن بحليلة من أن يتخذ عشيقة .

وإذا كان ذيول الغرب النصرانى عندنا وأذنابه الذين كانوا وراء إصدار هذا القانون الكاثوليكى قد فعلوا إمعانا فى إرضاء سادتهم حيث لايمارسون تعدد الزوجات هناك ، فإنا نقول لهم : إن فريقاً من الباحثين يرى أن تعاليم النصرانية الأولى لم تكن تتضمن مثل هذا التحريم ، ويدلل على رأيه بحجج قوية نذكر بعضا منها فيما يلى :

أولاً : أن الإنجيل لايتضمن نصاً واحداً يحرم تعدد الزوجات ، ومعروف أن السيد المسيح ولد وبشر بتعاليمه فى بيئة يهودية » واليهود فى ذاك الوقت كانوا يعرفون تعدد الزوجات ويمارسونه « لاسيما الأغنياء والرؤساء منهم ويبدو غريباً والحال كذلك أن يقصد السيد المسيح إلى تحريم تعدد الزوجات ولاينص على هذا التحريم صراحة . وفضلاً عن ذلك فإن الأغنياء بصورة خاصة هم الذين كانوا يمارسون تعدد الزوجات . وقد هاجم السيد المسيح أغنياء اليهود ورؤساهم ، وندد برذائلهم . فلو قصد حقيقة إلى تحريم تعدد الزوجات لما سكت عنه ، بل لهاجمه بوصفه إحدى الرذائل .

ثانيا : إن لوثر مؤسس أحد المذاهب الرئيسة فى النصرانية كان ينظر إلى تعدد الزوجات بشىء كثير من التسامح ، فقد قال فيه : « إن الرب لم يحرمه وإبراهيم نفسه الذى كان مسيحياً كاملاً كانت له زوجتان ، حقا إن الرب لم يسمح بمثل هذه الزيجات إلا لبعض الرجال فى التوراة ، وفى ظل ظروف خاصة ، وأن على المسيحى الذى يريد الاقتداء بهم أن يثبت أن ظروفه مشابهة لهذه الظروف ، إلا أن تعدد الزوجات أفضل يقيناً من الطلاق » .

ثالثا : أن بعض الفرق النصرانية ناضلت بشدة من أجل تقرير تعدد الزوجات وممارسته ، من هذه الفرق مثلاً الأنابيتست Anabopetists فى ألمانيا (فى منتصف القرن السادس عشر) ، حيث كانوا يبشرون بتعدد الزوجات علانية ، ويقولون إن المسيحى الحقيقى يجب أن تكون له زوجات متعددات . ومنها المورمون Mormons فى الولايات المتحدة الأمريكية (فى أوائل القرن التاسع عشر) الذين كانوا يمارسون تعدد الزوجات ، وينظرون إليه باعتباره نظاما إلهياً ، ومن الطريف أنهم كانوا ينظرون إلى الزوجة الأولى بوصفها الزوجة الحقيقية ، ومن حقها وحدها أن تحمل اسم زوجها ولقبه .

رابعا : أن بعض ملوك أوربا وأمرائها فى العصر الوسيط مارسوا تعدد الزوجات نذكر منهم شارلمان وفيليب أمير هيس وفردريك جيوم أمير بروسيا فقد كانت لكل منهم زوجتان .

ومن رأى هذا الفريق من الباحثين أن تحريم تعدد الزوجات فى أوربا يرجع إلى تأثير التقاليد اليونانية والرومانية ، فقد كان اليونان والرومان يتبعون مبدأ وحدة الزوجة وذلك قبل ظهور النصرانية بمئات السنين . ولم يكن الرجل لدى الرومان فى البداية يعاقب إذا اتخذ زوجة ثانية قبل

أن يفصم زواجه الأول ، وإبرام الرجل زواجاً ثانيـا كان يعتبر فى حد ذاته منطوياً على فصم للزواج الأول ، وفيما بعد عـوقب الرجل الـذى يتزوج ثـانية قبل أن يفصم زواجـه الأول ، ومن عجب أن الـذى عاقب على الجمع بين امـرأتين هـو الامبرطوار دقلـديـانوس الـذى اقترن اسمـه باضطهـاد النصارى اضطهادا شهيراً فى التاريخ [١] .

وينتهى هـذا الفـريق من الباحثين إلى أن تعـدد الـزوجـات لم يحرم فى النصرانية إلا فى القـرون الوسطى ، ومن جانب الكنيسة الكاثوليكية بصفة خاصة .

هذه هى الحقيقة ، ولكن مفكرى الغرب وقادته يلحقون بالإسلام كل نقيصه ويتعامون عن أن أوضاعهم الشاذة المريضة هى أصل الداء والشقاء ...

يقول فضيلة الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله [٢] : حين سافرت إلى أوروبا فى عام ١٩٥٦ موفداً من جـامعة دمشق فى رحلة استطلاعيـة للجامعات والمكتبات العـامة ، كان ممن اجتمعت بهم فى لنـدن « البرفسـور أنـدرسـون » رئيس قسم قـوانين الأحـوال الشخصيـة الشرقيـة فى معهـد الدراسـات الشرقية فى جامعة لنـدن ، وجرى بيننا ـ فيما جـرى من الأحاديث ـ نقاش حـول تعدد الزوجات فى الإسلام .

- سألنى أندرسون : ما رأيك فى تعدد الزوجات ؟
- قلت له : نظام صالح يفيد المجتمعات فى كثير من الظروف إذا نفذ بشروطه .
- قال : أنت إذا على رأى محمد عبده بوجوب تقييده ؟
- قلت : قريبـا من رأيه لاتماماً ، فإنى أرى أن يقيد بقـدرة الزوج على الإنفاق على الزوجـة الثانية ليمكن تحقيق العدل بين الزوجات كما طلب الإسلام .
- قال : وهل مثلك فى هذا العصر يدافع عن تعدد الزوجات ؟
- قلت : إنى أسألك فأجبنى بصراحة . من كانت عنده زوجة فمرضت مرضا معدياً أو منفراً لا أمل بالشفـاء منه . وهـو فى مقتبل العمر والشبـاب فماذا يفعل ؟ هل أمامـه إلا ثلاث حالات : أن يطلقها ، أو يتزوج عليها ، أو يخونها ويتصل بغيرها اتصالا غير مشروع ؟
- قال : بل هناك رابعة ، وهى أن يصبر ويعف نفسه عن الحرام .
- قلت : وهل كل إنسان يستطيع أن يفعل ذلك ؟
- قال : نحن نستطيع أن نفعل ذلك بتأثير الإيمان فى نفوسنا .

فتبسمت وقلت : أتقول هذا وأنت غربى ؟ أنا أفهم أن يقول هذا القول مسلم أو مسيحى شرقى ،

---

(١) عن كتاب « فى محكمة التاريخ » للدكتور عبد الودود شلبى ـ دار الشروق .
(٢) عن كتاب « المرأة بين الفقه والقانون » للدكتور مصطفى السباعى ـ المكتب الإسلامى .

فقد يستطيع أن يكف نفسه عن الحرام ، لأن محيطه لايهيىء له وسائل الاختلاط بالمرأة فى كل ساعة يشاء .

ولأن تقاليده وأخلاقه لاتزالان تسيطران على تصرفاته ، ولأن الدين لايزال له تأثيره فى بلاده ، أما أنتم أيها الغربيون الذين لم تتركوا وسيلة للاتصال بالمرأة والاختلاط بها والتأثير عليها و إنموائها إلا فعلتم ، حتى لم تعودوا تستطيعون أن تعيشوا ساعة من نهار أو ليل دون أن تروا المرأة أو تخالطوها منذ تغادرون البيت حتى تعودوا إليه ، أنتم الذين يضج مجتمعكم بالأندية والبارات والمراقص ، وتغص شوارعكم بالأولاد غير الشرعيين ... تدعون أن دينكم يمنعكم من خيانة الزوجة المريضة ، وكيف ذلك وخيانات الزوجات الجميلات الصحيحات الشابات تملأ أخبارها أعمدة الصحف والكتب ، وتصك الآذان ، وتشغل دوائر القضاء .

- قال : إننى أخبرك عن نفسى ، فأنا أستطيع أن أضبط نفسى وأصبر .

- قلت : حسناً ، فكم تبلغ نسبة الذين يضبطون أنفسهم من الغربيين أمثالك بالنسبة إلى الذين لايصبرون .

- قال : لا أنكر أنهم قليلون جداً ...

- قلت : وهل ترى أن التشريع يوضع للقلة التى يمكن أن تعد بعدد الأصابع ؟ أم للكثرة والجمهرة من الناس ؟ وما فائدة التشريع الذى لايستطيع تطبيقه إلا أفراد محدودون ؟

... فسكت وانتهت المناقشة فيما بيننا .

بعد هذا يحق لنا أن نتعجب من إثارة الغربيين للضجة على الإسلام والمسلمين حول تعدد الزوجات ، ونتساءل ألا يشعرون فى قرارة أنفسهم بأنهم ليسوا على حق فى إثارة هذه الضجة ؟

ألا يشعرون بأن من يقتصر على أربعة خير ممن يجدد كل ليلة زوجة ؟ وأن يلتزم نحو من يتصل بها بمسئوليات أدبية ومالية أنبل مما يتخلى أمامها عن كل مسئولية ؟

ألا يشعرون أن انجاب نصف مليون ولد بصورة مشروعة أكرم وأحسن للنظام الاجتماعى من انجابهم بصورة غير مشروعة ؟

فى اعتقادى أنهم يشعرون بذلك لو تخلوا عن غرورهم من جهة وتعصبهم من جهة أخرى .

أما الفرق فهو اعتقادهم أن كل ما هم عليه حسن وجميل ، وأن ما عليه غيرهم من الأمم والشعوب ـ وبخاصة المستضعفة منها ـ سيء وقبيح .

وأما التعصب فهو هذا الذى مازالوا يتوارثونه جيلاً بعد جيل ضد الإسلام ونبيه الكريم ...

سادسا: الطلاق

وكما أشاع المستشرقون والمنصِّرون ووكلاؤهم عندنا عن تعدد الزوجات أنه ضياع للمرأة واستجابة رخيصة لشهوات الرجال وأهوائهم الجنسية ... وأشاعوا كذلك باطلا أن إباحة الطلاق فى شريعة الإسلام ، وجعله فى أيدى الرجال ، قسوة وظلم واستبداد بالنسبة للنساء ... وذهبوا فى ضلالهم إلى القول بضرورة إلغاء الطلاق وتحريم ما أحله الله وحققت مساعيهم بمساعدة النفوذ الاستعمارى فى بلادنا بعض المكاسب ، تتمثل فى صدور بعض القوانين هنا وهناك تضع العراقيل فى تنفيذ حق الطلاق الذى جعله الله رحمة وآخر حل عندما يستحيل دوام العشرة الزوجية .

وقبل أن نمضى فى دحض هذه الشبهات وكشف باطل ما اتخذ من تعديلات قانونية ، نسائل النسائيين وسدنة الانحلال الغربى فى بلادنا : هل ما تدعونه وما وصلتم إليه بمسخ قوانين الأحوال الشخصية وسلخها من إطار الشريعة الإسلامية ، تم وضعه من خلال واقع المجتمعات الإسلامية المعاصرة ومشاكل اجتماعية حقيقية ؟ ! أما جاءت دعاواكم وقوانينكم لتطبق على أمة لادين لها ولاشريعة لها ، استجابة للخطة الصهيونية الصليبية بإدخال قوانين الكفار لتحكم الأسرة المسلمة بدعوى الإصلاح والتجديد كما دخلت على أنظمتنا الاقتصادية والسياسية من قبل والتى أدت إلى الأزدواج فى شخصية الأمة ! !

إن منطق الإيمان الصحيح يقتضى هؤلاء أن ينزلوا على أحكام الله جميعا ولايحيدوا عن حكم منها . أما إسلام الأسماء والمظاهر وشهادات الميلاد ، فحسب أصحابه نذير قول الله عز وجل : **﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾** (١) .

إن الإسلام كما أعطى المرأة الحق فى اختيار زوجها ، أعطاها الخيار فى البقاء معه أو فراقه عندما تسوء العشرة بينهما ويعز التوفيق والصلح . ولهذا شرع الطلاق لمصلحة المرأة ومصلحة الرجل على السواء ، فهو وإن جعل الطلاق فى يد الرجل لأنه أقدر على التحكم فى نفسه أثناء الغضب والخصام ولأنه يتميز عن المرأة بصفة الثبات الانفعالى إلا أن المرأة تملك أن تطالبه بالطلاق أو المخالعة ، كما تملك عند العقد أن تشترط لنفسها ما شاءت على ألا يكون الاشتراط مانعا لحق من حقوق الزوج المشروعة .

وقبل وقوع الطلاق بين الزوجين شرع الإسلام التحكيم : باختيار حكم من أهلها وحكم من أهله لكى يحاولا الإصلاح بينهما ، وذلك حرصا على بقاء الرابطة الزوجية ، وحماية الأولاد ، حتى

---

(١) سورة النور : ٤٧ .

إذا تعـذر الصلح وتعسر الـوفـاق ورؤى أن الفراق أصلح ولامفـر من الطـلاق ، قـرر الحكمان أو القاضى التفريق بينهما : ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيماً﴾ (١).

وهناك من الأسبـاب والأحوال التى تجعل الطلاق فى مصلحة الـزوجين وهو أبغض الحلال إلى الله ، أهمهـا حالـة الشقاق والنـزاع بين الزوجين النـاتجة عن اختلاف طبـائعهما وتباين أخـلاقهما وإصرار كل من منهما على رأيه وسلوكه مع الآخر .

ويلاحظ أن الحالات والأسبـاب التى تجعل الطلاق حلا مـرغوبـا وعلاجا مطلـوبا ، هى من الأمور الواقعية التى تتعرض لها الحياة الزوجية فى مختلف المجتمعات البشرية فى كل زمان ومكان .

إن القول بضرورة إلغاء الطلاق إرتداد إلى العصور الأولى للمسيحيـة المحرفة عند بولس ، التى قضت بعدم جواز الطلاق بل وعدم السماح للقاضى بالتطليق لأن ما جمعه الرب لايفرقه العبد ... هذه النظم لم تستطع البقاء أمام المطالب الاجتماعية ، فـأباحت الكنيسة للقاضى التطليق فى حالة الزنا من جانب الزوجة ثم توسعت فى أسباب الطلاق حتى شملت زنا الزوج أيضا أو أصبح الزوج عنيفا ، أو حكم عليه بالحبس خمس سنوات أو إصابته بجنون أو اعتداء أى من الزوجين على حياة الآخر أو تعدد إيذائه .

ورغم أن المذهب الكـاثوليكى كـان من أشـد المذاهب المسيحية تمسكـا بالـزواج المؤبد الـذى لاينحل ولو بسبب الزنا ، إلى أنه خر راكعا أمـام التطور الاجتماعى ، ومن هنا نجد إيطاليا ، وهى معقل هذا المذهب تبيح الطـلاق لعدة أسبـاب منها الزنـا وهجر أحد الـزوجين منزل الـزوجية أو اعتداء الآخر بـاللفظ أو الإشارة أو الإساءة بمعاملتـه للآخر أو رفض الزوج إعـداد مسكن ملائم لزوجته (المواد ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ من القانون الإيطالى) .

وفى ديسمبر سنة ١٩٧٠ عقب تعديل القـانون الإيطالى والتوسع فى أسبـاب الطلاق بلغ عدد قضايا الطلاق فى شهر واحد مليون قضية .

ولايخفى على القوم أن بعض الـولايات الأمـريكية اليوم تبيح الطـلاق لأتفه الأسبـاب كإرسال الزوج للحيته أو تأخره فى العودة إلى منزله مساء .

وها هى انجلترا آخر قلعة من قلاع التزمـت الكنسى تعود إلى الفطرة السليمة فى حياة الناس ، فقدت نشرت مجلة الأيكو نوميست الانجليزية فى عددها الصادر فى ١٩ مايو ١٩٧٨ موضوعا من مطالب المجتمع الانجليزى رجالا ونساء بتيسير الطلاق والتوسعـة فيه ، وإباحته لغير علة الزنا ، وعدم تقييده بقيود . يطلبون إباحة الزواج للمطلق ، وإباحة الزواج من مطلقة .

ولسنا فى حـاجة بعد ذلك إلى التدليل على فسـاد نظام العقد المؤبد ، فقـد أثبت التاريخ فشل هذا النظام وتمت إباحة الطلاق عل الوضع المشار إليه .

---

(١) سورة النساء : ١٣٠ .

أما الشرائع المسيحية التى لم تتوسع فى أسباب التطليق فيلجأ أصحابها إلى تغيير دينهم توصلا إلى الطلاق أو يهجرون منزل الزوجية وهذا ما يسمى بالتفريق الجسمانى المنصوص عليه فى المادة ١٧ من الإرادة الرسولية .

هناك يطلبون تأويل الكنيسة للتوسعة والتيسير فى الطلاق ، وتصدر قوانين تستجيب لهذه المطالب . وهنا يطلبون العدول عن نظام الإسلام للتضييق حتى المنع بقوة القانون .

هناك يطلبون عدم تقييد الطلاق بقيود ، وهنا تعلو أصوات منكرة تطالب بوضع كل القيود .

ومما ينبغى ملاحظته هنا فى نقاشنا الموجز عن الطلاق فى الإسلام : أن الشريعة الإسلامية انفردت بنظام المراجعة فى الطلاق دون الشرائع الأخرى حرصا على إعادة الرباط الزوجى ، وحفاظاً على الذرية من الضياع والتشرد واستصلاحا لما فسد من بين الزوجين من مودة وسكن ويعتبر الطلاق الرجعى فى الإسلام ـ وهو المرة الأولى والثانية ـ فترة اختبار للزوجين ، وفرصة تأمل ومراجعة للأخطاء والزلات ، والندم والتوبة ، ثم العودة إلى بيت الزوجية وما يظلله من مودة ورحمة وسكن وذرية .

كما ينبغى أن نلاحظ أيضا أن الإسلام جاء ليصحح وضعا خاطئاً ، ويحفظ للمرأة كرامة كانت مضيعة على عهد الجاهلية الأولى ، إذ كان العرب يطلقون دون حصر أو عدد ، فكان الرجل يطلق ماشاء ثم يراجع امرأته قبل أن تنقضى عدتها ضراراً لها ، حيث تظل معلقة بين طلاق ورجعة فى نهاية العدة ثم طلاق فى بداية الرجعة وهكذا . فنزل القرآن الكريم يضع لهذه الفوضى حدا ، ولهذا الظلم النازل بالنساء قيدا . ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ [1] ، وهو تأديب للرجال وتكريم للمرأة ، يشبه التأديب القرآنى للرجال أيضا عندما منعهم من إمساك النساء على كره وبغضاء وهوان وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **ولاتمسكوهن ضراراً لتعتدوا** ﴾ [2].

ولذلك أجاز الإسلام أن تخالع المرأة الكارهة لزوجها المتضررة بالحياة معه المتأذية من معاشرته ... أجاز أن تخالعه بشيء من المال يتراضيان عليه ، كما فعلت امرأة ثابت بن قيس عندما ردت عليه حديقته التى قدمها إليها مهرا حين تزوجها ، وأقر الرسول ﷺ ذلك . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « إذا أرادت النساء الخلع ، فلا تكفروهن » أى أجيبوهن إلى ما يطلبن ، فلا تمسكوهن ضرارا لهن ، وحيفا عليهن ، الأمر الذى يؤدى إلى كفرهن !

* * *

---

(١) سورة البقرة : ٢٢ .

(٢) سورة البقرة : ٢٣١ .

وهكذا تتجلى عدالة نظام الطلاق فى الإسلام، وحكمته البالغة حيث جعل الطلاق بيد الرجل لتمام عقله ، وامتلاكه لنفسه ، وتحكمه فى عواطفه إلى جانب التزامه بما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات تجاه مطلقته وأولاده منها ، كما جعل فى نفس الوقت للمرأة حقا فى - المخالعة - إذا أحست ظلماً أو هوانا فى بقائها معه ، أو كرهته لخلقه أو خلقته .

* * *

سابعا : الحجاب

يرى المخدوعون أن الزى الإسلامى مجرد عرض خارجى لايرتبط بأعماق الإنسان ولابجوهره ... ولما كانت هناك علاقة تفاعل بين شكل الشيء ومضمونه ، وهذه قاعدة مطردة تجرى على الأشياء والإنسان ، وعليه يكون كل مظهر من حياة الإنسان مرتبطاً بعلاقة تفاعل وتأثير بصميم روحه فملابس الشجاعة تبث فى الرجل روح الشجاعة ، وملابس الخنوثة تعطيه التخنث والميوعه ، وملابس العفة تبث فى المرأة روح العفة ، وملابس المجون والخلاعة تصبغها بالمجون والخلاعة ، وملابس الممثلين والجوكى تفقد الشباب طابع الإيمان برجولته .

ومن هنا توجهت أول ضربة قام بها النسائيون إلى حجاب المرأة المسلمة وزيها تحت ستار فلسفة خبيثة حملت اسم « تحرير المرأة » برروا بها أهدافهم فى انحلال المجتمعات الإسلامية الكامل وإضفاء الصبغة الغربية عليها فى الزى والسلوك .

وانطلت الخدعة الكبرى على كثير من نساء المسلمين واندفعن فى غيبة النظام الإسلامى إلى طريق الخروج على تعاليم الإسلام وشريعته فى الحشمة والحجاب ، وانقدن إلى تقليد قبيح للمرأة الغربية ، حتى لاتكاد تسير فى شارع من شوارع مدننا الآن إلا وكأنك تسير فى مدينة أوروبية لاتمت إلى الوطن الإسلامى بأصل ولا تمتد إليه بنسب . فترى النساء وقد تركن البيوت وخرجن فى تكشف مزر وتبرج مشين ، وحركات خليعة ، كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، وتفوقن فى ذلك على نساء الغرب ... وتراهم وقد خلعن ثياب الحياء والخجل ، وكأنه لاحرام ولاحلال ، ولاحساب ولاسؤال ، ولا حدود ولاقيود ! !

ومما لاشك فيه أن وراء هذا الانحراف الذى أصاب المجتمع الإسلامى ووراء هذه المؤامرة على الأزياء والزينة قوى الصهيونية التى تملك بيوت « الموضات والأزياء » مستهدفة اقتصاد المسلمين ومقدراتهم وإضعاف الأسرة المسلمة باستنزاف ميزانيتها فى الأزياء وأدوات الزينة والترف وإفساد حياتها بما تشيعه هذه الأزياء من انحلال وتميع فى نفوس أفرادها ... فلابد من توجيه مستنير إزاء هذا الإعصار المدمر من إغراءات المودات فى الأزياء وأدوات الزينة .

إن ملابس المرأة هى مسئولية الرجل وأن ملابس الفتاة هى مسئولية الآباء ، وعلى الآباء والأمهات حماية أبنائهم من أعاصير السموم التى تجتاح المجتمعات الإسلامية ، ولكن كيف لفاقد الشيء أن يعطيه ... كيف لهذا الجيل من الآباء أن يقدم الهدى وهو ليس مهتديا ، فلابد من رعاية لهم ممن يلون أمرهم وحماية مما يقرأون ويسمعون ليفاصلوا بين الخير والشر والحلال والحرام ، وهو الأمر الذى يضع المربين وحملة الدعوة الإسلامية رجالا ونساء أمام هذه المسئولية الخطيرة . وإذا كانت قضية الزى والحجاب حيوية وذات خطر عظيم فى اتجاه المرأة المسلمة وأجيال الأمة بأسرها ،

فلابد من تبديد ظلمات وشكوك النسائيين بنور القرآن فى هذه القضية . إنه إما اتباع الله ولشريعة القرآن أو اتباع لشريعة كهنة بيوت المودات والأزياء فى الغرب .

جاء فى تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[1] . قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشى بين يدى الرجال . فذلك تبرج الجاهلية وقال قتادة : وكانت لهن مشية تكسر وتغنج . فنهى الله تعالى عن ذلك وقال : مقاتل بن حيان : والتبرج أنها تلقى الخمار على رأسها ولاتشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها . ويبدو ذلك كله منها . وذلك التبرج .

وقال ابن كثير فى التفسير : كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لايواريه شىء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها . فأمر الله المؤمنات أن يتسترن فى هيئاتهن وأحوالهن .

هذه هى صور التبرج فى الجاهلية التى عالجها القرآن الكريم . ليطهر المجتمع الإسلامى من آثارها ويبعد عنه عوامل الفتنة ، ودواعى الغواية ويرفع آدابه وتصوراته ومشاعره وذوقه كذلك ؟ ونقول : ذوقه : فالذوق الإنسانى الذى يعجب بمفاتن الجسد العارى ، ذوق بدائى غليظ . وهو من غير شك أحط من الذوق الذى يعجب بجمال الحشمة الهادىء وما يشى به من جمال الروح ، وجمال العفة وجمال المشاعر .

وهذا المقياس لايخطىء فى معرفة ارتفاع المستوى الإنسانى وتقدمه فالحشمة جميلة جمالا حقيقيا رفيعا . ولكن هذا الجمال الراقى لايدركه أصحاب الذوق الجاهلى الغليظ ، الذى لايرى إلا جمال اللحم العارى ، ولا يسمع إلا هتاف اللحم الجاهر !

ويشير النص القرآنى إلى تبرج الجاهلية فيوحى بأن هذا التبرج من مخلفات الجاهلية التى يرتفع عنها من تجاوز عصر الجاهلية ، وارتفعت تصوراته ومثله ومشاعره عن تصورات الجاهلية ومثلها ومشاعرها .

والجاهلية ليست فترة معينة من الزمان . إنما هى حالة اجتماعية معينة ، ذات تصورات معينة للحياة . ويمكن أن توجد هذه الحالة ، وأن يوجد هذا التصور فى أى زمان وفى أى مكان ، فيكون دليلا على الجاهلية حيث كان !

وبهذا المقياس نجد أننا نعيش الآن فى جاهلية عمياء ، غليظة الحس ، حيوانية التصور ، هابطة فى درك البشرية إلى حضيض مهين . وندرك أنه لاطهارة ولازكاة ولابركة فى مجتمع يحيا هذه الحياة ، ولايأخذ بوسائل التطهر والنظافة التى جعلها الله سبيل البشرية إلى التطهر من الرجس ، والتخلص من الجاهلية الأول ، وأخذ بها ، أول من أخذ ، أهل بيت النبى ﷺ على طهارته

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ .

ووضاءتـه ونظافتـه ... وصـدق الله العظيـم ﴿ **النبى أولى بالمؤمنـين من أنفسهم وأزواجـه أمهاتهم ...** ﴾ فللنـبى ﷺ على جميع المؤمنين الـولايـة العـامـة التى تشمل رسم منهـاج الحيـاة بحذافيرها ، ولأزواجه عليه السلام الأمومـة الشعورية التى يجب أن يكون فيها لهم القدوة الصالحة والمثل الأعلى .

وقد أوحى الله إلى نبيـه ﷺ أن يأمر نساءه وبناتـه ونساء المؤمنين عامـة إذا خرجن لحاجتهن أن يغطين أجسامهن ورؤوسهن وجيوبهن ـ وهى فتحة الصدر من الثوب ـ بجلباب كاس . فيميزهن هذا الـزى ويجعلهن فى مأمن من معـابثة الفساق . فإن معـرفتهن وحشمتهن معا تلقيـان الخجل والتحرج فى نفـوس الذين كانـوا يتبعون النسـاء لمعابثتهن . ﴿ **يـا أيها النبى قل لأزواجك وبنـاتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾ (١) .

ويذكرنا قوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ **يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقـوى ذلك خير . ذلك من آيات الله لعلهم يذكـرون** ﴾ (٢) . يذكرنا هـذا النداء العلوى الجميل بنعمـة الله على البشر وقـد علمهم ويسر لهم ، وشرع كـذلك ، اللبـاس الـذى يسـتر العـورات المكشـوفة ، ثـم يكون زينة ـ بهذا الستر ـ وجمالا ، يـدل قبح العرى وشناعته ـ ولذلك يقول : « أنزلنا » أى : شرعنا لكم فى التنزيل واللبـاس قد يطلق على ما يوارى السوءة وهو اللباس الداخلى . والـرياش قـد يطلق على ما يستر الجسم كلـه ويتجمل به ، وهـو ظاهـر الثياب . كما يطلق الرياش على العيش الرغد والنعمة والمال ... وكلهـا معان متداخلة ومتلازمة : ﴿ **يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا** ﴾ . كذلك يذكر هنا « لباس التقـوى » ويصفـه بأنه « خير » : (**ولباس التقوى ذلك خير . ذلك من آيات الله**) . قال عبد الرحمن بن أسلم : « يتق الله فيوارى عورته ، فذاك لباس التقوى » .

فهناك تلازم بين شرع الله فى اللباس لستر العورات والـزينة وبين التقوى ... كلاهما لباس ... هذا يستر عورات القلب ويزينه . وهما متلازمان . فعن شعور التقوى لله والحياء منه ينبثق الشعور باستقباح عرى الجسد والحياء منه . ومن لا يستحى من الله ولايتقيه لايهمه أن يتعرى ... وأن يدعو إلى العرى ... العرى من الحياء والتقوى ، والعرى من اللباس وكشف السوءة !

إن ستر الجسـد حياء ليس مجرد اصطـلاح وعرف بيىء ـ كما تزعم الأبـواق المسلطة على حيـاء النـاس وعفتهم لتدمير انسـانيتهم ، وفق الخطة اليهـودية البشعـة التى تتضمنها مقـررات حكماء صهيـون ـ إنما هى فطـرة خلقهـا الله فى الإنسـان ثم هى شريعة أنـزلها الله للبشر ، وأقـدرهم على تنفيذها بما سخر لهم فى الأرض من مقدرات وأرزاق .

والله (سبحانـه) يذكر بنى آدم بنعمتـه عليهم فى تشريع اللباس والستر ، صيانـة لإنسانيتهم

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٩ .

(٢) آية : ٢٦ .

من أن تتدهــور إلى عــرف البهائــم ! وفى تمكينــهم منــه بما يسر لهم من الوســائل : (لعلهم يذكرون) ...

ومن هنـا يستطيع المسلم أن يربط بين الحملـة الضخمـة الموجهة إلى حيـاء الناس وأخـلاقهم والدعوة السافرة لهم إلى العرى الجسدى ـ بـاسم الزينة والحضارة والمودة ! ـ وبين الخطة الصهيونية لتدمير إنسانيتهم ، والتعجيل بانحلالهم ، ليسهل تعبيدهم لملك صهيون ! ثم يربط بين هذا كله والخطـة الموجهـة لـلاجهاز على الجذور البـاقية لهذا الـدين فى صورة عـواطف غامضـة فى أعماق النفس ! فحتى هذه تـوجه لها معاول السحق ، بتلك الحملـة الفاجرة الداعيـة إلى العرى النفسى والبدنــى ، الـذى تـدعـو إليـه أقلام وأجهـزة تعمل لشيـاطين اليهـود فى كل مكـان ! والزينـة « الإنسانية » هى زينة الستر ، بينما الزينة « الحيوانية » هى زينة العرى ... ولكن « الآدميين » فى هذا الزمان يرتدون إلى رجعية جاهلية تـردهم إلى عالم البهيمة . فلا يتذكرون نعمة الله بحفظ إنسانيتهم وصيانتها ! !

وفى سورة النور يقـول تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعــون ، وقـل للمــؤمنــات يغضضن من أبصــارهـن ويحفظن فـروجهن ولايبـدين زينتهن إلا مـا ظهـر منها وليضربـن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبــدين زينتهن ، إلا لبعـولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهـن أو أبنائهن أو أبنـاء بعولتهن أو إخـوانهن أو بنى أخواتهن أو نسـائهن أو ما ملكت أيمانهم أو التابعين غير أولى الاربـة من الرجـال أو الطفل الذين لم يظهروا على عـورات النسـاء ، ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتـوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ [(١)] .

إن الإسلام يهدف إلى إقامـة مجتمع نظيف ، لاتهاج فيه الشهوات فى كل لحظـة ، ولاتستثار فيه دفعات اللحم والدم فى كل حين ، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهى إلى سعار شهوانى لاينطفىء ولايرتـوى . والنظرة الخائنـة والحركة المثيرة ، والزينـة المتبرجة ، والجسم العـارى ... كلها لاتصنع شيئـا إلا أن تهيج ذلك السعـار الحيـوانـى المجنـون ! وأن يفلت زمـام الأعصـاب والإرادة . فإمـا الإفضاء الفوضـوى الذى لايتقيد بقيد وإمـا الأمراض العصبية والعقد النفسية النـاشئة من الكبح بعد الإثارة ! وهى تكاد أن تكون عملية تعذيب ! !

وإحـدى وسائل الإسـلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هى الحيلـولة دون هـذه الاستثارة ، وإبقـاء الـدافع الفطـرى العميق بين الجنسين « سليما ، وبقــوتـه الطبيعيـة ، دون استثـارة مصطنعـة » وتصريفه فى موضعه المأمون النظيف .

ولقد شـاع أن النظرة المباحة ، والحديث الطليق ، والاختـلاط الميسور « والدعايـة المرحة بين الجنسين ، والاطلاع على مـواضع الفتنة المخبـوءة . شاع أن كل هـذا تنفيس وترويـح » وإطلاق

(١) الآيتان : ٣٠ و ٣١ .

للرغبات الحبيسة ، ووقاية من الكبت ، ومن العقد النفسية ، وتخفيف من حدة الضغط الجنسي » وما وراءه من اندفاع غير مأمون ... شاع هذا على أثر انتشار بعض النظريات المادية ، وبخاصة نظرية فرويد ، ولكن هذا لم يكن سوى فروض نظرية ففي أشد البلاد إباحية وتفلتا وبعداً عن جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية والدينية والانسانية ، ما يكذبها وينقضها من الأساس ... فى هذه البلاد التى ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدى ، والاختلاط الجنسي ، بكل صوره وأشكاله » لم ينته هذا كله إلى تهذيب الدوافع الجنسية وترويضها . إنما انتهى إلى سعار مجنون لايرتوى ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع ! والأمراض النفسية والعقد التى كان مفهوما أنها لاتنشأ إلا من الحرمان ، ومن التلهف على الجنس الآخر المحجوب ، تشاهد هناك بوفرة ومعها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه ... ثمرة مباشرة للاختلاط الكامل الذى لايقيده قيد ولايقف عند حد » وللصداقات بين الجنسين تلك التى يباح معها كل شيء ! وللأجسام العارية فى الطريق ، وللحركات المثيرة والنظرات الجاهرة ، واللفتات الموقظة . وليس هنا مجال التفصيل وعرض الحوادث والشواهد . مما يدل بوضوح على ضرورة إعادة النظر فى تلك النظريات التى كذبها الواقع المشهود .

وفى الآيتين المعروضتين هنا نماذج من تقليل فرص الاستثارة والغوايه والفتنة من الجانبين :

﴿ قل للمؤمنين : يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم . إن الله خبير بما يصنعون ﴾ ... وغض البصر من جانب الرجال أدب نفسي ، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة فى الاطلاع على المحاسن والمفاتن فى الوجوه والأجسام . كما أن فيه إغلاقا للنافذة الأولى من نوافذ الفكرة والغواية ومحاولة عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم .

يقول القرطبي فى تفسيره : « البصر هو الباب الأكبر إلى القلب ، وأعمق طرق الحواس إليه ، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته . ووجب التحذير منه ، وغضه واجب عن جميع المحرمات » وكل ما يخشى الفتنة من أجله » .

وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر . أو هو الخطوة التالية لتحكيم الإرادة ، ويقظة الرقابة والاستعلاء على الرغبة فى مراحلها الأولى ، ومن ثم يجمع بينهما فى آية واحدة ، بوصفهما سببا ونتيجة » أو باعتبارهما خطوتين متواليتين فى عالم الضمير وعالم الواقع . كلتاهما قريب من قريب .

(ذلك أزكى لهم) : فهو أطهر لمشاعرهم ، وأضمن لعدم تلوثها بالانفعالات الشهوية فى غير موضعها المشروع النظيف ، وعدم ارتكاسها إلى الدرك الحيوانى الهابط . وهو أطهر للجماعة وأصون لحرماتها وأعراضها ، وجوها الذى تتنفس فيه .

والله هو الذى يأخذهم لهذه الوقاية ، وهو العليم بتركيبهم النفسي وتكوينهم الفطرى ، الخبير بحركات نفوسهم وبحركات جوارحهم : **﴿ إن الله خبير بما يصنعون ﴾** .

﴿ وقل للمؤمنات : يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ ...

فلا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة ، أو الهاتفة المثيرة ، تستثيركوا من الفتنة فى صدور الرجال . ولايبحن فروجهن إلا فى حلال طيب ، يلبى داعى الفطرة فى جو نظيف ، لايخجل الأطفال الذين يجيئون عن طريقه عن مواجهة المجتمع والحياة !

﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾...

والزينة حلال للمرأة ، تلبية لفطرتها . فكل امرأة مولعة بأن تكون جميلة ، وأن تبدو جميلة . والزينة تختلف من عصر إلى عصر ، ولكن أساسها فى الفطرة واحدة هى الرغبة فى تحصيل الجمال أو استكماله ، وتجليته للرجال .

والإسلام لايقاوم هذه الرغبة الفطرية ولكنه ينظمها ويضبطها ، ويجعلها تتبلور فى الاتجاه بها إلى رجل واحد ـ هو شريك الحياة ـ يطلع منها على ما لايطلع أحد سواه . ويشترك معه فى الاطلاع على بعضها المحارم المذكورون فى الآية ، ممن لايثير شهواتهم هذا الاطلاع .

فأما ما ظهر من الزينة فى الوجه واليدين ، فيجوز كشفه . لأن كشف الوجه واليدين مباح لقوله ﷺ لأسماء بنت أبى بكر : يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض ، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار وجهه الكريم وكفيه (١) .

والجيب فتحة الصدر فى الثوب . والخمار غطاء الرأس والنحر والصدر ليدارى مفاتنهن ، فلا يعرضها للعيون الجائعة ، ولا حتى لنظرة الفجاءة ، والتى يتقى المتقون أن يطيلوها أو يعاودوها ، ولكنها قد تترك كمينا فى أطوائهم بعد وقوعها على تلك المفاتن لو تركت مكشوفة !

إن الله لايريد أن يعرض القلوب للتجربة والابتلاء فى هذا النوع من البلاء .

هذا التحشم وسيلة من الوسائل الوقائية للفرد والجماعة ... ومن ثم يبيح القرآن تركه عندما يأمن الفتنة فيستثنى المحارم الذين لاتتوجه ميولهم عادة ولاتثور شهواتهم وهم :

الآباء والأبناء ، وآباء الأزواج وأبناؤهم ، والاخوة وأبناء الاخوة ، وأبناء الأخوات ... كما يستثنى النساء المؤمنات أما غير المسلمات فلا لأنهن قد يصفن لأزواجهن وأخواتهن ، وأبناء ملتهن مفاتن نساء المسلمين وعوراتهن لو اطلعن عليها .

ولما كانت الوقاية هى المقصودة بهذا الاجراء ، فقد مضت الآية تنه المؤمنات عن الحركات التى تعلن عن الزينة المذكورة ، وتهيج الشهوات الكامنة وتوقظ المشاعر النائمة ، ولو لم يكشفن فعلا عن الزينة :

﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ .

---

(١) أخرجه أبو داود .

وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها ، فإن الخيال يكون أحيانا أقوى فى إثارة الشهوات من العيان وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها ، أو حليها أكثر مما تثيرها رؤية جسد المرأة ذاته . كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر فى خيالهم أكثر ما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم - وهى حالات معروفة عند علماء الأمراض النفسية اليوم - وسماع وسوسة الحلى أو شمام شذى العطر من بعيد ، قد يثير حواس ناس كثيرين ، ويهيج أعصابهم ، ويفتنهم فتنة جارفة لايملكون لها ردا .

والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله » لأن منزله هو الذى خلق وهو الذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وبعد : هل الحجاب قيد ورجعية وتخلف كما يقول المخدوعون والمتملقون للمرأة ؟

لقد سئلت بعض الأخوات المحجبات عن شعورهن إزاء الحجاب والزى الاسلامى وآدابه ، فجاءت الإجابة تدل على وعى وإيمان » وبرغم الحملة الضارية على عفاف المرأة المسلمة من الأقلام التى مردت على الإثم والدفاع عن الباطل فإن الخير فى هذه الأمة إلى يوم القيامة ... جاءت الإجابة دامغة ﴿ **بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ (١) .

قالت إحداهن : والله إن عزتنا فى هذا الحجاب ، ولقد شقيت كل متبرجة وسعدنا نحن به .

وقالت الثانية : إن الحجاب لايمنعنا من تلقى العلم فى أرقى درجاته ، وليست هناك علاقة بين الاختلاط والعلم ولا بين السفور والعلم فهذه أكاذيب .

وقالت الثالثة : ستتمسك بالحجاب إلى الأبد ، ونحن لاننادى بالتحرر لأننا متحررات فعلا ، ومصانات من يوم أن نادى محرر الإنسانية محمد رسول الله ﷺ بالإسلام وأخرج الناس من الظلمات إلى النور (٢) .

* * *

(١) سورة الأنبياء : ١٨ .
(٢) عن مجلة « الدعوة » المصرية ، عدد ٣١ سنة ١٩٧٩م .

علـى مفتــرق طريقيـن

إن مشكلة المرأة والأسرة فى المجتمعـات الإسلاميـة ، وتوزع الأعمال بين الـرجل والمرأة ومسلك كل منهما فى الأسرة وخارج الأسرة ، هى فى الواقع من أكبر المشكـلات التى نجابهها اليوم ، والتى تظهر فينا صفة التبعية والتقليد إلى درجة مخزية ، وهى ناحية من نواحى الحياة التى جرفنا فيها تيار جـديد أفقـدنـا الكثير من خصائصنـا الإسـلامية ، وصـار له مـن الشيوع حتى كـاد يشمل جميع الطبقات وتحتاج إلى عزائم أصحـاب الدعوة الإسلامية والأمثلة الفـذة من النماذج المؤمنة للفتيات الملتزمـات فى مجتمعنا اليـوم التى تستمد قوتها مـن إيمانها بحضارة الإسلام وصحـة عقيدتـه ومثله العليا وأحكـامه الأخـلاقية لإعادة بنـاء ما تهدم من حيـاتنا حتى نتحرر من هـذه التبعية الشـائنة لحضارة الغرب ونظامها الاجتماعى ومفاهيمها المادية الانحلالية .

إن فى العالم قديمه وحديثه المتمدن منه والمتأخر نظامين للحياة الاجتماعية المتعلقة بالأسرة والمرأة والحيـاة الجنسية ، أحـدهما يقـوم على ضرورة حصر الحيـاة الجنسية والتمتع بها فى نطـاق الأسرة أو الحياة الزوجيـة وتتفرع عنه جميع العادات المتصلـة بحياة المرأة والرجل بحيث تؤدى إلى تلـك الغاية وتنسجم معها وتعضدهـا ، فلا إثارة للغريزة فى السوق والشارع والمجـالس والمجتمعات ولا إثارة للغريزة عن طـريق عرى المرأة وتزينها ولا إفساح للاختـلاط والخلوات الخاصة ، وكل ذلك مقترن بآداب وأعراف وتقاليد ومعتقدات وأحكام خلقية وأحكام تشريعية .

أما النظام الآخر ، وهو رائج فى حضارات أخرى سواء أكانـت قديمة بدائية أم حديثة متمدنة فلا علاقة للحداثة والقدم ولا للتقدم المادى أو التخلف بذلك ، ويقوم هذا النظام على التساهل فى العلاقـات بين الرجل والمرأة وعدم الاكتراث بحصر الحيـاة الجنسية وتحقيق متعتها وأهـدافها فى نطاق الحياة الـزوجية ، بل يسود الاعتقاد فى مثل هـذا النظام بحرية هذه الصـلات وعدم التفريق بين تحقيق الحياة الجنسية فى صورة حياة زوجية أو علاقـة زنا ... نعم إن الحياة الزوجية وحياة الأسرة موجودة ، ولكن على أية حـال توجد إذا كان أصحاب هذا النظام لايغـارون أو يشعرون بالعار إذا حدثت صلات جنسية شيوعية تامة بين المتزوجين من الرجال والنساء أو بين الشباب والفتيات من غير المتزوجين هناك ! إن واقع البلاد الأوربية والأمريكية هو هذا كما هو معروف ومتحقق .

تلك هى الحقيقة التى لامهرب منها فنحن بين نظامين ، وعلينا أن نختار بينهما :

١ ـ نظام الإسلام ... أو نظام العفة والزواج .

٢ ـ ونظام الغرب ... أو نظام الاباحية الجنسية والأسرة المفككة .

... وعلينا كذلك أن نختار بين نتائج النظامين .

فى نظـام الإســلام	فى نظـام الغــرب
الرجـــل	
مسئول عن الزواج والزوجة والولد .	غير مسئول عـن الزواج ولا السفـاح والعشيقة واللقيط .
لزوجته وأولاده .	لعشيقاته وخليلاته .
يثق بزوجته أنها له وحده .	لايثق بزوجته أنها له وحده .
يثق بولده وأنه من نطفته .	يشك أن ولده من نطفته .
له الزواج بأربعة بشرط العدل .	يزنى بالكثير منهن بغير مسئولية .
يحترم زوجته ولايشتهى غيرها .	يحقرها ويشغل عنها بغيرها .
له القوامة على الأسرة .	فاقد القوامة على الأسرة .
يجد السكينة والمودة فى بيته .	فى فوضى وصراع وجفاء فى بيته .
صحيح الجسم والنفس والخلق .	مريض الجسم والنفس والخلق .
المـــــرأة	
تضبط نفسها حتى تجد الزوج .	حمقاء تستلم للرجل المغرض .
يعاشرها زوجها بالمعروف .	يعاشرها الرجال بالمال والاحتيال .
عشرتها مع زوجها دائمة مستمرة .	عشرتها مع زوجها وعشاقها مؤقتة .
زوجة لرجل وأم لولد .	زانية وأم لقيط .
مسئول عنها زوجها وأقاربها .	مهملة لا أحد مسئول عنها .
جميع قلبها لزوجها .	قلبها موزع بين العشاق .
للبيت الهادىء الساكن .	للشارع الصاخب والعمل المرهق .
لأولادها تمنحهم عطفها وحبها وحنانها .	محرومة الولد أو مفصولة عنه .
يتوجها الخجل ويكللها الحياء .	وقحة سفيهة ساقطة الحياء .
بعيدة عن الفتنة والافتنان .	تَفتن وتُفتن .
صبابة لزوجها فقط .	صبابة للجميع .
محصنة الفرج عفيفة النفس .	أسيرة الشهوة والهوى .
سليمة الجسم والخلق .	مريضة وتنشر الوباء .
ناعمة لطيفة جميلة .	خشنة بارزة العروق والعضلات .
تقية طيبة أبية .	شقية خبيثة حقيرة .
آمنة مطمئنة سعيدة .	مهددة قلقة تعيسة .

في نظــام الإســـلام	في نظــام الغـــرب
الولـــد	
هدية من الله مباركة وثمرة الفؤاد .	مصيبة كبيرة وكارثة مريرة .
منسوب لأبيه وأمه .	منسوب لأمه الزانية أو غير منسوب .
يثق بأبيه وأنه من صلبه	لايثق بأبيه ويشك فيه .
يفتدى بالروح ويؤثر على النفس .	رخيص مصيره القتل أو المستشفى .
يعيش فى أسرة منه وإليه .	يعيش فى المؤسسة مع الغرباء .
ينعم بعطف أمه وأبيه وأخته وأخيه .	محروم حتى من الأم والأب .
يزداد حباً فى حال ضعفه .	فى حال ضعفه يتمنون موته .
ينادى أبى أمى أخى أختى .	محروم من نداء الأم والأب .
موصول بالمجتمع ومحب له .	مبتور عن المجتمع حاقد عليه .
المجتمـــع	
أسرى مترابط متعاون .	مفكك أنانى فردى .
محفوظ الأنساب مصان الحرمات .	ضائع الأنساب مهتوك الحرمات .
للجسم والروح حقهما الكامل .	مادى أرضى ضعيف الروح .
تسوده القيم الربانية الرفيعة .	تسوده الاعتبارات الوثنية الدنيئة .
عبد لله وملتزم بشرعه .	عبد للهوى والأهواء وطموع لذلك .
لله ، لرضاه ، لرفع كلمته .	للمال ، والخمر والشهوة والشيطان .
آمن على ضروريات حياته .	مهدد فى ضروريات حياته وأقل .

إن النتـائج التى وصلت إليهـا البشريـة والثمار المرة التـى جنتهـا حين اتبعت نظـام الاباحيـة والتساهل فى العلاقـات بين الجنسين ، لتهتف كلها بصدق هذا الدين ، وأنـه من عند الله خالق هذا الإنسـان والعليم بما يصلحه . وهذه شهادة الكـاتبة الأمريكيـة « هيلسيلن ستانسبرى » التى تخصصت فى دراسة مشاكل الشباب تقـول : « إن المجتمع العربى كامل وسليم ، ومن الخليق به أن يتمسك بتقاليده » التى تقيد الشاب والفتاة فى حدود المعقول ... وتحتم عدم الاباحية الموجودة عندنـا فى الغرب ... هذه الابـاحية التى هددت الأسرة فى أوربـا وأمريكـا ، فالقيود التى يفـرضها المجتمع العربى صالحة ونافعة » لهذا أنصـح أن تتمسكوا بها ... امنعوا الاختلاط ، بل ارجعوا إلى عصر الحريم والحجـاب فهو خير لكم من إبـاحية وانطـلاق ومجون أوربا وأمـريكا ثم تقـول : إن

الاباحيـة هددت الأسرة وزلزلت القيم والأخـلاق . إن الفتاة الصغيرة عندنـا أقل من عشرين سنة تخالط الشباب وترقص وتشرب الخمر والسجاير وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والاباحية ، فهل بقى شيء ؟ » .

... وبعـد : فهـذه الشهادة مـن الذين أصـابهم الـداء فهل يفيق السكـارى ؟ ! وهل يـدرك السـاخرون بـالأخت المسلمة أبعـاد جريمتهـم فى حق الأمة ؟ ! وهل يقـرأ من يقيم السدود أمـام المحتشمات ويضعون الأشواك فى طريقها هذا الإنذار من عقلاء الغرب ؟ !

إن التخلف والرجعيـة لن يكونا فيمن اتبـع أوامر ربه وأسلم لـه قيادة نفسه إنما يكـونان فيمن هاج وماج واعتدى على من يسلك طريق الله ومنهجه المستقيم ...

* * *

القسم الثانى

الأسرة المسلمة
كما يجب أن تكون

- الفصل الأول : أسس تكوين الأسرة المسلمة
- الفصل الثانى : العلاقات الأسرية فى ضوء القرآن الكريم
- الفصل الثالث : قوانين الأسرة القرآنية
- الفصل الرابع : من أسرار التربية السليمة

الفصل الأول

أسس تكوين الأسرة المسلمة

الزواج ... وشروط انعقاده

ليس هناك فى نظام المجتمع الإسلامى غير مجال واحد يملك فيه الناس أن يلبوا دوافعهم الفطرية هو الزواج العلنى الذى تتخصص فيه امرأة بعينها لرجل بعينه ... وهى الطريقة التى يجب الله أن يلتقى بها أفراد الجنسين لتكوين البيوت وإقامة مؤسسات الأسرة ، والمتاع بهذا الالتقاء فى نظافة وطهر وجد يليق بهذا الأمر العظيم ، صيانة للمجتمع من كل تلوث أو اختلاط فى الأنساب « ينشأ من « شيوعية » الاتصال الجنسى ، أو ينشأ من انتشار الفاحشة .

والزواج أو النكاح الذى اختاره الإسلام وأقره . هو أن يخطب الرجل من الرجل ابنته أو أخته فيعطيها صداقاً ، ثم يتزوجها بإيجاب وقبول ، على مشهد من الناس .

وهذا هو النكاح الذى صادف أصول النبى ﷺ من أبويه إلى آدم عليه السلام ، ويقول فيه : « خلقت من نكاح ، ولم أخلق من سفاح ومن لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى ، لم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء » .

فما عدا ذلك من الأنكحة ، هو خارج عن الوضع الفطرى الصحيح فى علاقة الرجل بالمرأة ، ويعد زنا وسفاحاً فى نظرة الإسلام .

- والنكاح المشروع يجب أن تتوفر فيه شروط هى ...
- العلانية والاشهار : ويستحسن أن يدعى له كبار القوم ، ويستحب من أجل ذلك قبول الدعوة لحضور وليمة الزواج .
- استئذان ولى أمر المرأة ، لحمايتها من أخطار التغرير والاندفاع وراء رغبة جامحة ، ولتكريمها وإعزازها ، ولكى تتحقق صلات النسب والمصاهرة كهدف من أهداف الزواج .
- وإتمام القبول والإيجاب منهما عن رضا واختيار بينهما لايكره أحدهما أو كلاهما ، ولا يقبل من أحدهما أو كليهما رأى لم يتوفر له ظروف الحرية الشخصية العادية .
- وإصداق المرأة صداقاً ، لتشعر بأنها مطلوبة من الرجل « وليست طالبة له ... صونا لكرامتها وحياءها الطبيعى ، وهو أغلى ما تملكه الأنثى .

● استصحاب نية التأبيد لا التوقيت ، لكى لايفسد عقد الزواج ولا تدخل فيه أى شبهة من شبهات زواج المتعة أو ما يقال عنه بالزواج المنقطع الذى حرمه الإسلام حرصاً منه على استقرار الأسرة وحفظاً لكرامة المرأة وطهارتها .

هذه هى الصور الوحيدة : النظيفة القويمة العفيفة ، التى يتم بها إحصان البيت والأسرة والأطفال ، لتقوم على أساس راسخ وطيد . وما عدا ذلك من أنكحة الجاهلية طرحه الإسلام وحرمه ، لما تنطوى عليه من امتهان للمرأة وجعلها موضع مساومة ، واستخفاف بالصلة الزوجية وقصرها على الاستمتاع الجنسى ، وإهمال لما يأتى عن هذه الصلة من أولاد ، والغض من قيمتهم ومستقبلهم .

وقد انتهى الإسلام إلى هذه الصورة فى العلاقة بين الرجل والمرأة التى أقرها وجعلها الزواج المشروع فقد كانت صلة الرجل بالمرأة فى الجاهلية فى جانب العلاقة الجنسية على صنوف شتى [١] .

كان منها نكاح الاستبضاع ، وهو طلب المباضعة والجماع من رجل آخر . فكان يقول الرجل لامرأته عقب طهرها من الحيض : اذهبى لفلان « المشهور بالشجاعة أو الكرم مثلا ! واستبضعى منه ، أى اطلبى منه الجماع ، كى تنجب ولداً على وضعه وشاكلته . وكان رجلها يتجنبها حتى يظهر حملها ، ثم له بعد ذلك أن يصيبها ماشاء .

والمرأة فى ذلك أشبه بأنثى الحيوان ، يتخذ لها صاحبها الفحل القوى الأصيل ، حتى يكون ولدها موضع فخر بقوته ونجابته .

وهذا النوع من النكاح له نظيره فى الجاهلية المعاصرة فى المجتمعات الأوربية ، وإن كان هذا النظير له طابع العصر وأسلوبه ، وهو طابع العلم وأسلوب الموافقة والرضا . هناك التلقيح الصناعى : وهو أن تحقن المرأة بموافقتها وموافقة زوجها بماء رجل آخر عرف بإنجاب الأولاد ...

وكان هناك نكاح الرهط دون العشرة : وهو أن يدخل جمع دون العشرة على المرأة فيصيبونها فى يوم ، أو ليلة مثلا وتمتنع عن الوطء حتى يتم حملها وتضع . وبعد أيام من وضعها ترسل إليهم فيحضرون ، فتذكرهم بما مضى . وتلحق الولد بمن تشاء - وهو من تحب منهم - فيقبله ويثبت النسب بينهما .

ونكاح الكثرة : وهو أن يدخل ناس كثيرا على إحدى البغايا اللائى يضعن على أبوابهن علامات لمن أرادهن فيجامعونها ، فإذا حملت ووضعت حضروا عندها ودعوا « القافة » . هم ناس لهم خبرة بإلحاق الأولاد بآبائهم بناء على الشبه ، فألحقوا الولد بمن أشبه منهم فيثبت النسب بينهما .

---

(١) انظر حديث عائشة رضى الله عنها ، الذى أخرجه البخارى فى كتاب النكاح .

ونكاح البدل : وكان الرجل فى الجاهلية يقـول للرجل « أنزل عن امرأتك وأنزل عن امرأتى » . والمستهدف فى هذا النكـاح إشباع شهوة وليس المحـافظة على علاقة إنسـانية لإقامة حيـاة إنسانية مشتركة ووراء هذا الأمر الاستخفاف بوزن المرأة ، مع يسر التعامل بها كسلعة .

إن نكـاح البـدل الـذى يعتبر بـدوره ظـاهرة أخـرى من ظـواهـر ارتكـاس الطبيعـة البشريـة وانحطاطـها فى جاهليـة العـرب ؛ يعـد الآن صورة من صـور الجاهليـة المعاصرة فى المجتمعـات الغربية : يمارسه الزوجان فى غير حـرج ، وفى غير اكتراث بمسئولية الولد القادم ، وفى غير اهتمام بنسبته إلى والده فى واقع الأمر (١) .

وكان منها نكـاح الشغار . وهو نكاح المرأة بالمرأة ، لاصداق لهما هـو أن ينكح الرجل امرأة فى نظير أن ينكح وليهـا امرأة أخـرى تحت ولايته وعنـدئذ يكـون بضع كل منهما مقابل بضع الأخـرى وكأنه عقد سلعة بأخرى ترتبط منفعة أولاهما بثانيهما .

وأيضا كان منها نكاح المتعة : وهو نكاح المؤقت بمده معلومة ، أو مجهولة كقول الرجل لرجل آخر : أزوجك فلانه شهراً من اليوم . أو حتى يحضر فـلان ، بصداق قدره كذا ، فيجيبه على هذا القول . فإذا انتهى الشهر أو جاء فلان وقعت الفرقة . ولايصح تجديد العقد قبل انقضاء الأجل ، ولو أراده الزوج وهبها ما بقى من المدة واستأنف عقداً جديداً . ونكاح المتعة من اسمه ـ متمحض للاستمتاع وقضاء حـاجة الرجل الوقتية ، وليس للبناء والاستقرار ... وصـور هذا النكاح متعددة فى المجتمعات الأوربية والأمريكية .

وشاع أيضا قبـل الإسلام نكاح الخدان والصداقة ، وكـان العرب يقولون : مـا استتر فلا بأس به وما ظهر فلا لوم . وصور هذا النكاح فى الجاهلية المعاصرة فى مجتمعات الغرب ظاهر فى الزيادة الرهيبة للطفولة غير الشرعية وقضايا الطلاق وظـاهرتها المتفاقمة فى المحاكم بسبب الخيانة الزوجية وانتشار الأمراض السرية بين المراهقين والمراهقات ، وتقريرات الجهات المسئولة عن الصحة العامة والعلاقات الاجتماعية .

وإذا ظهر لنا أن هذه الأنكحة فى الجاهلية الغربية قبل الإسلام تعبر عن استخفاف بقيمة المرأة من جانب الـرجل وعن سوء وضعهـا فى المجتمع إذ ذاك ، وهو مجتمع بـدائى ، فإن صور عـلاقة الرجل بالمرأة فى مجتمعات الحضارة الغربية المعاصرة ليست أقل دلالة على امتهان القيم الإنسانية فى الإنسان رجـلا وامرأة واستخفافـاً بأوضاع الأسرة واستقرارها هنـاك ، عما كان عليه وضع جـاهلية العرب قبل الإسلام .

---

(١) نشرت جريدة new of The World عدد ١٠ / ٥ / ١٩٦٤ وعـدد مارس ١٩٦٦ موضوعـات عن انتشار ظـاهرة نـوادى تبادل الزوجات فى بعض الولايات الأمريكية .

الـزواج ... أســراره وأهدافـه

الــزواج وفطـرة الكـون

يقول تعالى : ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾ [1] ومعنى هذا أن « الزوجية » ضرورة أصيلة من الضرورات التى طبع الله عليها كائنات هذا الـوجود ، ولسنا نقصد فى هذا المقام ما يسميه علماء النفس « الغريزة الجنسية أو غريـزة الوالدية » بل نقصـد سرا أعمق ، وأوثق صلة بنواميس الكون العام ، فإن منطق الآية الكـريمةيشمل كل شيء خلقه الله من نبات ، وحيوان ، وإنسان ، وغير ذلك مما لا نعلمه ، والقرآن الكريم يقول : ﴿ **سبحان الذى خلق الأزواج كلها ما تنبت الأرض ، ومن أنفسهم ، ومما لايعلمون** ﴾ [2] .

فنظام « الزواج » ليس دائرة ضيقة مقصورة على الإنسان والحيـوان والنبات ، بل هو سنة كونية دقيقة واسعة المدى ، اتخذت مكانها فى أفـراد الكائنات ، وقسمت كل نوع قسمين ... وحلت فى أحد القسمين بسر يخالف السر الـذى حلت به فى القسم الآخر ، على نحو مـا حلت فى السالب والموجب فى عالم الكهـرباء ... فالسر الذى يحملـه السالب من سنة الله ، غير السر الـذى يحمله الموجب ... ولاتعطى سنـة الله ثمـرتها إلا إذا التقى السران ، ولم يلتق الســالب بـالموجب ، ظلت السنـة معطلـة ، وظل الحنين الأزلى يتنازع أفـراد جنس السـالب إلى أفـراد جنس الموجب . وظل جنس الموجب فى مثل هذا الحنين يرنو إلى الالتئام بجنس السالب .

الـزواج للفــرد والمجتمـــع

والإسلام هـو الشريعة الوحيـدة التى قررت أصالة « الـزوجية » بين أفراد الكـائنات ... وذلك التقـرير العميــق يـدعونـا إلى عمق النظـر حين نفكر فى مكـان « الـزوجية » من ضرورات الفـرد والمجتمع .

وحين ينظر المرء فى الأوضاع العضوية التى تحدد معالم التمييز بين جسم الرجل وجسم المرأة ، ويفكر فى وظيفة الـرحم لدى الأنثى . ويفكر فى غير ذلك من المعالم المميزة ـ يحكم بصفـة قاطعة أن الخالق لم يرد بشيء من هـذه الفروق الأصيلة أن يقضى الزوجان أى لـذة جنسية فحسب . بل أراد ضربا من « التكاثر » يستمر به بقاء النـوع البشرى للحكمة التى أرادها من خلقه ... أما اللذة الجنسية فليست من مقصـود الخالق فى هذه الفروق الـواضحة بحـال من الأحوال ... ولكن تلك اللذة أريدت ليساق بها الإنسان سوقا إلى تحقيق مراد الله الذى هو استمرار النوع البشرى .

---

(١) سورة الذرايات : ٤٩ .

(٢) سورة يس : ٣٦ .

ولاشك أن الإنسان ــ ولاسيما الأنثى يعانى فى هـذه المهمة من ألـوان المشقة والألم ، والضعف والمرض . ما يصرفه عنها ، بـل ينفـره منهـا ، ولقـد أشـــار القرآن الكريم إلى هذه المكاره بقوله : **﴿ ووصينا الانسان بوالديه إحسانا ، حملته أمه كرها ، ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾** [(١)] والإنسان أنانـى بطبعه ، وأدنى ما توحيه إليـه هذه الأنانية هـو الفرار من الألم ، فإذا خلى ونفسه بإزاء مهمته فى حفظ النـوع لما فكر فيها ... وإذا مارسهـا مرة كانت التجربـة كافية لأن تصرفه ، وتصرف غيره عنها فاقتضت حكمة الله أن يبث فيه من حوافز الرغبة ، ما يشب خياله ، ويلهب وجدانـه ، ويثيره إلى أدراكها على النحـو الحيوانى المعـروف ليحصل ما أراده سبحـانه من بقاء النوع ... ومن هذا قرر القرآن الكريم أن الغاية من المباشرة الجنسية ليست تحصيل الشهوة بل إنجاب النسل فى قوله تعالى : **﴿ فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾** [(٢)] أى ابتغوا ما كتبه الله لكم من النسل على مـاقـرره علماء التفسير . فبقاء النـوع هـو مقصد الخالق مـن خلق الذكـر والأنثى ، فإذا قصر الإنسان قصده على مجرد إدراك اللذة ، فقد تخلف عن مقاصد الفطرة ، وحاد عما رسم له ... والمرء بخير ما ساير فطرته « سبحانه » وانتظم فى نواميس وجوده .

التكامـل الاجتماعــى

والإنسان اجتماعى ... أو مدنى بالطبع كما يقولون : فيـه من الحيوان أنانيته وفرديته . وفيه من المدنية ميله إلى التجمع والاستقـرار والتعاون على التطور والرقى ... وطبيعة الحيـوان فيه ، تعارض طبيعة الإنسان ... أنانيته المنفرة ، تعارض طبيعة التجمع ... وذلك مما جعل حياته معقدة وتاريخه حـافلا بـالانتقاض على أوضـاع الجماعة والشـذوذ عن مقتضياتها ... وكـانت محاولة التـوفيق بين هـذين الطرفين المتعـارضين ، من أهم أهـداف المصلحين والمرسلين على مـراحل التاريخ ، بغيـة تحقيق الانسجام بين الفرد والمجتمع . ولاشك أن أنجح المحاولات التى حاولها البشر فى ذلك هى المحاولـة التى هدينا بها إلى نظـام الأسرة على النحو الذى عهـدته ـ ومـا تزال تعهده ــ المجتمعات المتحضرة القديمة والحديثة ، إذ هـدينا للوضع الطبيعى الذى تثمر فيه فطرتنـا الأصيلة ما شاء الله من ثمار طيبة للفرد والمجتمع . والقرآن الكريم يقـرر ذلك على أنه آية من آيات الله تسكن فى ظلها خصائص الإنسان القلقة الحائرة ، حيث تصادف بها مهـادها الفطرى . ويشير فى عمق وحكمه إلى فضل تلك السكينة فى حضـانة خصـائص الإنسان الاجتماعية والـروحية ، حيث يـدرج منها مايحتـاج إليه المجتمع من تراحـم ، ومـودة ، وإيثار ، وذلك إذ يقول سبحـانه : **﴿ ومن آياته أن**

---

(١) سورة الأحقاف : ١٥ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٧ .

خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[1] .

فمن مدلولات الزواج أن المرء قد رسم لنفسه « مجالا خاصا » لتحقيق رغباته الجنسية ، يجب أن لايتخطاه إلى مجالات الآخرين ... وهو بهذا يعالج أنانيته بنفسه ، ويعود نفسه التزام حدود معينة لايتعداها تقديرا لحرمات سواه ... ولاشك أنه بهذا يخطو خطوات سديدة موفقة نحو صلاحية الاجتماعية .

ومن مدلولات الزواج أيضا أن الزوجين إذ يجتمعان على إيحاء عميق بالتلازم . والرغبة المتبادلة فى حب وفرح ، والتعاون المشترك الذى لايلبث ـ على الظروف المختلفة وإنجاب الأولاد ـ أن يؤازره مزيد من الود والإيثار والتراحم ... من مدلولات الزواج أن الزوجين إذ يجتمعان على هذا الإيحاء العميق وتلك المشاعر الودودة ، قد انحلت عن كل منهما عقدة من أنانيته فاتسع بها مجال عاطفته تبعا لذلك ، وتراجع نطاقها عن حدوده الضيقة إلى ما وراءها ـ حتى شمل آخرين سواه ـ هم أبناؤه فهو يعاطفهم ، وهم يعاطفونه على نحو لم يعرفه من قبل ، إذ كانت عاطفته دائرة مغلقة عليه وحده ... وتلك خطوة كبيرة تعالج أنانيته ، وتدعم وجوده الأدبى فى ميدان الصلاحية الاجتماعية .

ومن مدلولات الأسرة أيضا ، أن الرجل حين يسعى فى أفقه الاقتصادى ويوزع حصيلة سعيه على هؤلاء الأبناء ــ أو على هؤلاء الآخرين ـ أنه صار يعمل لغيره ، بعد أن كان يعمل لنفسه فحسب ، وأنه صار يؤثر غيره على نفسه بنصيب مما معه ، بعد أن كان يجعل كل شىء لنفسه فقط .

وذلك شأو بعيد فى تكوين الذات الاجتماعية .

فحقيقة الزواج أنه اقتران إنسان بإنسانه ، اقتران جسديهما وحقيقتيهما الإنسانية .

واقتران الجسدين ثماره الأولاد ، واستمرار بقاء النوع الإنسانى . واقتران الحقيقتين ثماره أن تربو بذور الخصائص الإنسانية الكامنة فى نفس كل منهما ، وتتفتح فى الجوانح بالسكينة والألفة ومشاعر التواد والرحمة والتواصل وهو المعنى الذى يدخل فى مدلول قوله تعالى : **﴿لتسكنوا إليها وجعل بينكم ومودة ورحمة ﴾** .

فإذا كان من مهمة الإنسان فى هذه الأرض أن ينجب البنين ، فمن أكرم مهماته أن يبدع فضائل التراحم والتواد ، والتعارف ، والايثار ، والمواساة والتعاون ... وبدون أن يثمر الانسان هذا الثمر يكون طاقة معطلة لارسالة له ... وبدون هذه الفضائل لايكون المجتمع جديرا بأى حظ ... من قداسة أو احترام .

---

(١) سورة الروم : ٢١ .

ولايتأتى ذلك كله على النحو الذى يتوافق مع الفطرة ، ويحمده المجتمع إلا إذا تم الزواج على النمط الذى شرعه لنا الله سبحانه .

وجوب الزواج فى الإسلام

هذا مكان الزواج من فطرة الكائنات ، ومكانه من ضرورة الانسان والمجتمع ، على ما يقرره القرآن الكريم ، ولذا نرى الاسلام يجعله أصلا من أصوله الاجتماعية ، وينوه بأنه سبيل الصفوة الذين يسنون للناس سبل السلام ، ومناهج الخير والصلاح فيقول الله تعالى : **﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾**[1] .

ويقول رسول الله ﷺ : « أربع من سنن المرسلين ... » ويذكر أحداهن الزواج ويجعله النبى ﷺ نصف الدين فى قوله : « إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين » ولكل هذا دعا إليه القرآن الكريم فى مثل قوله : **﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾**[2] ، وقد فسر الإمام القرطبى ذلك بقوله . « زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف » .

ويدعو رسول الله ﷺ الشباب إلى الزواج بقوله : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ... ومن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه له وجاء »[3] . ومعناه : من أحس ثورة الميل الغريزى فى نفسه وكان به قدره على تكاليف الزواج ، ومايعقبه من نفقات المعيشة فليتزوج ، وإلا فعليه بالصوم فإنه يكسر حدة هذا الميل ، ويعين على العفة .

وإزاء هذه النصوص ذهب الإمام ابن حزم وجماعة من علماء المسلمين إلى أن الزواج فرض لازم للمسلم القادر ، فمن تركه . أو تثاقل عنه بدون عذر فهو آثم إثم من ترك فريضة من فرائض الإسلام . وذهب فريق كبير من الأئمة والعلماء إلى أنه واجب .

الزواج كما ينظر إليه رؤساء المسيحية

وبينما يذهب أئمة الإسلام ـ على ضوء ما لديهم من نصوص ـ إلى وجوب الزواج ، بل يذهب الظاهرية وفيهم داود وابن حزم إلى أنه لازم لزوم الفريضة ، نرى بولس الرسول يقول . « إنى أريد أن يكون جميع الناس كما أنا (أى بدون زواج) . أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا » وذلك لأن غير المتزوج « يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم

---

(١) سورة الرعد : ٣٨ .
(٢) سورة النور : ٣٢ .
(٣) متفق عليه .

كيف يرضى امـرأته » ... وكذلك شأن المرأة المتزوجـة وغير المتزوجة ، فالأولى تهتم بـالعالم وتفكر فيما يرضى زوجها ، والأخرى تهتم بالشئون الإلهية وتفكر فيما يرضى الله .

ومع ذلك لا بأس بالـزواج إذا لم يستطع المرء أن يعصم نفسه من الخطيئة ولكن روحه بـالزواج ستكـون فى ضيق « أنت منفصل عن امرأة فـلا تطلب امرأة ، لكن وإن تـزوجت لم تخطىء ، وإن تـزوجت العذراء لم تخطىء ، ولكن مثـل هؤلاء يكـون لهم ضيق فى الجسـد ، وأما أنـا فإنى أشفق عليهم » ... فالزواج ـ أصلا ـ غير مرغوب فيه عند المسيحية ، لأنه يشغل عن الله ـ كما بينه بولس الرسـول ـ ولكن لابأس من مقارفته إذا خيف الـوقوع فى الخطيئة ــ فكان الزواج هو الاجـراء الذى يختار به المرء أخف الضررين ، عند المفاضلة بين شر يخالطه الخير وبين شر محض لاخير فيه ...

الامتنـــاع مـــن الـــزواج

اثم من لم يتزوج وهو قادر :

يؤخذ مما تقدم من النصوص ، أن الاسلام يعتبر الـزواج بالنسبة إلى الفرد ضرورة فطرية لسكن النفس ... وبـالنسبة إلى المجتمع مهـادا يـدرج منه الحب والتراحم والإيثـار ... وبـالنسبة للنـوع البشرى سبيلا إلى حفظه بالتنـاسل ... وبالنسبة إلى هؤلاء جميعا سبيـلا إلى العفة والشرف والكرامة الخاصة والعـامة ... ولهذا كان الامتنـاع منه ، امتناعا من هـذه المزايا جميعا ، وخـروجا على السنن الطبيعية والاجتماعيـة التى سويت فطرة المرء على مقتضـاها ... وكـان الممتنع عنه ـ بـدون عذر ـ إنسانا جهل نفسه ورسالته ، وضل مارسم له من سنن وأهداف كريمة ... ولذلك برىء رسول الله ﷺ من هذا النمط من الناس ، فقال : « من كان موسرا لأن يتزوج ثم لم يتزوج فليس منى » .

رغبـات التبتـل وأثـرها فى الامتنـاع من الـزواج :

ولقـد وقع فى ظنون كثير من المجتمعـات القـديمـة أن الصلات الجنسيـة لاتـرشح صاحبهـا للصفاء الروحى ، والتقرب إلى الله . ولـذا التزم رجال الدين فى تلك المجتمعات بل ـ ألزمـوا ـ لونا من الـرياضـة الروحيـة يتخلـون به عن الـدنيا ، وينقطعـون بـه إلى الله تعالى ، ومن منـاهج تلك الـرياضـة الامتناع من الـزواج ، ليأمنـوا تشوش الخاطـر بلذات الجسـد ، ولتكمل لهم فى زعمهم دواعى الصفاء المنشـود فجاء الإسلام وأبطل ذلك وحـرمه ، وجعل سبيل الصفاء والتطهـر ، هو الـزواج نفسـه لا الامتنـــاع منـه ، وفى ذلك يقـول رسـول الله ﷺ : « من أراد أن يلقى الله طاهـرا مطهرا ، فليتزوج الحرائر »(١) .

---

(١) أخرجه ابن ماجه .

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أن المسيحية السمحة حين ظهرت لم يكن فى تعاليمها أن يمتنع ذوو الوظائف الدينية من الزواج ، لكن كبارهم مالبثوا أن ابتدعوه لأنفسهم ، فأدخلوا به على دينهم مالم يشرع لهم المسيح عليه السلام ... ولكنهم ظلوا على ذلك فى غير عزيمة ملزمة ، من شاء منهم أخذ بهذه البدعة ، ومن شاء أعفى . نفسه منها حتى كان أوائل القرن الرابع الميلادى فأصدر مجمع « الفيرا» فى أسبانيا قرارا يجعل الزواج محرما على كبار رجال الدين ...

وكثر الرهبان مع الأيام ، آووا إلى الأديرة والصوامع فى أطراف العمران وفى رءوس الجبال ، يطلبون الانقطاع إلى الله ، وتصفية النفس . والتخلص من الشهوات بالبعد عن دواعيها ومثيراتها ... وظهر الإسلام وهم على ذلك فبرىء منه لمخالفته طبيعة الإنسان وأسباب العمران ، وأعلن أنه ليس من الله ، ونزل فيه قوله تعالى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** ... ﴾ (١) وقال رسول الله ﷺ « لارهبانية فى الإسلام » وجعل ذلك محظورا على كافة المسلمين ، لايجوز أن يقارفه أحد منهم لأنه نكول عن سنة الحياة الصحيحة ، وكان عليه السلام يقول : « رهبانية أمتى الهجرة ـ أى هجرة الأنانية ـ والمعاصى سعيا لخير الجماعة ـ والجهاد للحق والصوم والصلاة ، والحج ، والعمرة » وقد حدث على أيام النبى ﷺ أن رهطا من المسلمين أرادوا أن يطلبوا مرضاة الله بشىء من التبتل ، فقال أحدهم : أما أنا فأصلى أبدا لا أنام . وقال غيره : وأنا أصوم الدهر كل يوم لا أفطر ... وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ... فعلم النبى ﷺ بأمرهم ، فجاءهم وقال : « أنتم الذين تقولون كذا ، وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأنقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر ... وأصلى وأرقد ... وأتزوج النساء ... وتلك سنتى ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (٢) .

عبدة اللذة ... وأثرها فى الامتناع من الزواج :

وإذ عرضنا حال هذا الصنف الذى يمتنع عن الزواج تحصيلا للصفاء والتطهر ، نعرض حل صنف آخر مناقض له ، يمتنع عن الزواج لأن الزواج قيد يحجزه عن التخوض فيما يشاء من اللذة المتجددة ... فقد أقبلت عوامل التطور الحديث على كثير من المجتمعات الغربية بحريات واسعة فى الفكر ، والقول ، والعقيدة ، والسلوك الخاص ... وأنشأت لهم أهدافا فى المال ، والمنفعة ، واللذة الحسية ، تعارض ما كان لهم من أهداف روحية ، ومقاييس لمعانى العرض والعفة ... وصار لكل منهم حريته الواسعة فى حياته الخاصة يفعل فيها ما يريد ، دون رقابة من قانون ، أو تحرج من عرف ... بل يفعل ما يريد بتحريض من العرف ، وعطف من المجتمع ... وكان من ذلك أن تفجرت الشهوات وسادت عبادة الحس ، وراح جنون اللذة يستبد بألباب كثير من أفراد

---

(١) سورة الحديد : ٢٧ .

(٢) أخرجه الشيخان .

تلك المجتمعات ، فرأوا فى الزواج قيدا يحد من حرياتهم فى ابتغاء ما يريدون ، فنبذوا حياة الأسرة ، وركنوا إلى المخاللة والمخادنة ، كلما فترت رغبة أحدهم فى خليله ، أو فترت رغبتها هى فيه انصرف كل منهما عن صاحبه إلى حيث يجد اللذة فى رغبة جديدة ، وشوق أشد ...

ولاشك أن ذلك يفضى إلى قلة النسل ، أى إلى تناقص عدد السكان ، وضعف الأمة فى مقوماتها العددية ، ومقاماتها المعنوية ... وكما ظهرت آثاره السيئة منذ عشرات السنين فى المجتمعات الأوربية وأخذت فى الازدياد والنمو والاتساع الذى يهددهم هناك بالدمار » وها نحن أولاء نرى كثيرا من علماء الاجتماع يدقون نواقيس الخطر « وينذرون أممهم إذ تهمل حياة الأسرة ـ سوء المصير بانهيار الأخلاق « وانحلال روابط المجتمع ، وانقراض النسل ، ولقد وقف المارشال بيتان غداة احتلال الألمان فرنسا فى الحرب العالمية الأخيرة ، ينادى قومه إلى الفضيلة ويعزو الهزيمة إلى هجر حياة الأسرة ، فكان مما قاله : « زنوا خطاياكم فإنها ثقيلة فى الميزان إنكم نبذتم الفضيلة ، وكل المبادىء الروحية » ولم تريدوا أطفالا ، فهجرتم حياة الأسرة ، وانطلقتم وراء الشهوات تطلبونها فى كل مكان ، فانظروا إلى أى مصير قادتكم شهواتكم » ...

وقديما كانت عبادة اللذة تسرف ببعض الأفراد ــ رجل أو امرأة ـ فى الطلاق والزواج ، فيطلق هذه ليتزوج تلك ... ثم لايلبث أن يطلقها ليتزوج سواها ... وهكذا ... ما يدفعه إلى الطلاق والزواج إلا نشدان لذة جديدة فى فراش جديد ... ، فكره الاسلام أن يكون هذا من همة المرء وأهدافه فقال عليه السلام : « تزوجوا ولا تطلقوا ، فإن الله لايحب الذواقين ولا الذواقات » .

وإذا كان الاسلام يكره للإنسان أن يتخذ الزواج ـ وهو أمر مشروع ـ وسيلة لتحصيل اللذات ، فهو أشد كرها أن تتخذ الخلائل ، والأخدان ، ونحوهن لتحصيل هذه الأغراض الجسدية التى كان من ورائها ما أزعج المصلحين بأوربا على النحو الذى أوردناه ، وإنك لتجد هذه الكراهة الشديدة بل هذا التحريم فى مثل قوله تعالى : ﴿ **ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ (١) .

ومن أجل هذا وصيانة لكرامة الجنس البشرى ، بصيانة تراثه الروحى ومثله الإنسانية العليا ، وصيانة له من الارتداد إلى حياة البداءة الحيوانية بل صيانة له من الانقراض ، سد الإسلام الحنيف كل ذرائع الفساد أمام هؤلاء الذواقين والذواقات الذين عبدوا اللذة ، واتخذوها هدفهم فى الحياة وقرر لكل من يشذ فى علاقاته الجنسية عن النمط المشروع عقوبة رادعة ، تذهب فى بعض الحالات إلى الإعدام على صورة زاجرة تحفظ للمجتمع وقاره وتقمع فى نفوس المستهترين كل نزوات الإفك والمجون ، ناظرا فى ذلك إلى تكافؤ العقوبة مع خطورة العواقب الجسيمة المرتقبة ، لا مع جناية الأفراد بعضهم على أعراض بعض فحسب .

---

(١) سورة الإسراء : ٣٢ .

العامل الاقتصادى ... وأثره فى الامتناع من الزواج :

وكان من أثر ما جاء به التطور الحديث ـ أيضا من حرية واسعة فى السلوك والعقيدة ، وأهداف فى المال والمنفعة ، واتجاه حسى محض يعول على الواقع المادى ، ولايبالى الإيمان بالغيب أو بما وراء الحس ... كان من أثر ذلك أن فقد أكثر الناس إيمانهم بالله ، وفقد المقلون منهم ، أو ذوو الدخل المحدود نفحات ذلك الإيمان التى تطلع على أربابها كل آن بأن الله هو الرزاق الوهاب وأنه يداول الأيام بين الناس يسر وعسرا » ورخاء وشدة ... وأنه يرزق المؤمن من حيث لايحتسب ... أى حرموا ذلك الأفق الروحى الذى كان يطلع عليهم منه الرجاء فى الله ، فيلقى على الفقر ألوانا من الأمل ... ويكسب العيش الخشن روحا من الليونة والرضا ... ويمد العزيمة بالفأل الطيب الذى تستقبل به مع كل يوم رزقها الجديد ... حرموا ذلك كله فإذا هو ظلمات كثيفة دامسة ، يتهددهم منها أشباح الفقر المخيفة ... فهل مثل هذا يقدم على زواج أو يفكر فيه ؟ !

إن هذا مرض نفسانى خطير . لايثنى صاحبه عن الزواج فحسب ، بل يفقده الكثير من معالم إنسانيته » وأسباب صلاحيته للحياة ، فإن عزمات الأمل والتفاؤل مظهر التجاوب مع الحياة وسبيل الإسهام فى بناء الحضارة الصالحة .

وأمراض النفوس جميعا ـ فى منطق الإيمان ومنطق الواقع ـ إن هى إلا أوهام لاتقوم على أساس ، ولاتمت إلى أى حقيقة بصلة ... فالمال كما هو مشاهد ـ غاد ورائح ، لايستقر فى بيئة واحدة ، بل تطوف به الأيام على مختلف البيئات والأفراد ، وفق سنن مقررة ، ومواهب يهبها الله لتهيئة أسباب المغايرة والتداول ... وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾ [(1)] .

وذلك إذا كان هو منطق الإيمان والواقع ، فهو كذلك المنطق الذى ينبعث منه الأمل ، ولا مجال معه لأوهام التشاؤم والتطير ... ولذا نرى القرآن الكريم يعالج عقد التوجس فى نفوس أتباعه الفقراء ، ويحرر عزائمهم من هواجس الضعف والوهم ، فيردهم إلى وعد بالغنى من الله سبحانه إذا أقدم منهم على الزواج من لا روح له ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾ [(2)] أى زوجوا من لا زوج له منكم ، ولاتكن ظروف الفقر داعية إلى تأخيره فإن الرجاء فى الله ، موشك أن يأتى بالسعة والرخاء .

وذلك الوعد الإلهى يتخذ فى نفوس المؤمنين مكانة السنة المنجزة لا محالة لإمكانة النصيحة التى تعلل بالأمانى رجما بالغيب ... ولذا كان أبو بكر خليفة النبى ﷺ يقول ! « أنجزوا ما أمركم به الله من الزواج ، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى » وكان عمر بن الخطاب يقول من بعده . « عجبى ممن لا يطلب الغنى فى الزواج » وقد قال تعالى : ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾ .

---

(١) سورة آل عمران : ١٤٠ .
(٢) سورة النور : ٣٢ .

ولسنا بحاجة إلى تكرار ما أسلفناه من مضار الامتناع من الزواج ولكن الإنسان لايملك نفسه من الاعجاب والعجب بالأسلوب الفطرى الذى يعالج به الإسلام أزمات النفوس فيقى مجتمعه شتى أزمات العقد والانحرافات ويعطينا صورة جميلة للمجتمع المؤمن الذى يحيا فى طهر وعفة ، ويعيش فيه المرء على موعد مع الغنى ... إلى صورة المجتمع الذى يحيا فى دنس وتحلل ، ويعيش فيه المرء على موعد مع الفقر . لنعقد موازنة [1] بين مجتمع الإيمان ، ومجتمع الشيطان ، ونذكر على وحى هذه الموازنة قول الله تعالى : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم** ﴾ [1] .

الاختيار فى الزوجية وأسسه

تعتبر مسألة الاختيار فى الزوجية مشكلة من المشاكل المعقدة التى تواجه الشباب المسلم فى وقتنا الحاضر ، بسبب ما أصاب المجتمعات الإسلامية من انحراف ، وما طرأ على الحياة الإسلامية من عوامل نفسية وثقافية واجتماعية تتحكم فى رغبات الشباب واتجاهاته وميوله فى عملية الاختيار للزواج ابتعدت به عن هدى الإسلام فى هذه المسألة .

هذا إلى جانب مايعترض الشباب من صعوبات فى طريقة الاختيار وفهم كل من الطرفين للآخر ، ومعرفة الصفات والمعايير العامة والخاصة التى تختلف من فرد إلى فرد ومن أسرة إلى أسرة .

ولما كان مستقبل الحياة الزوجية يتحدد من نقطة البدء ، ويتوقف نجاح الزواج أو فشله على الأسلوب الذى اتبع فى اختيار كل من الشريكين للآخر فهذه بعض المعايير من حصيلة العلم النافع والتجارب المفيدة استهدت بتعاليم الإسلام لمن يريد إقامة بيت الزوجية على أسس سليمة .

١ ـ ضرورة رؤية كل من الطرفين للآخر :

إذا كان حسن الاختيار فى الزوجية هو أول الأسس فى بناء البيت واستقرار الأسرة ، فإن رؤية كل من الطرفين المقبلين على الزواج هو الخطوة الأولى وبداية الطريق الصحيح فى جميع الاتفاقات على صورة الحياة الزوجية فى مقبل أيامها . فكيف يستطيع كل من الطرفين أن يفهم صاحبه بدون هذه الرؤية ؟ وكيف يوجد التوافق الروحى والميل القلبى بينهما إن لم يتمكن كل من الطرفين من مشاهدة شريك المستقبل ؟

---

(١) انظر هذه الموازنة بين نظام الإسلام ونظام الغرب من هذا الكتاب نهاية الباب الأول .
(٢) سورة البقرة : ٢٦٨ .

لهذا أجاز الإسلام التحدث والنظر إلى ماهو ضرروى أن ينظر إليه قبل الخطبة حتى لايفاجأ أحد الخاطبين أو كلاهما بصفة فى صاحبه ما كان ينتظرها منه أو لا يحب أن تكون فيه ، فيحدث النفور الذى ينتهى بالتفريق . كما حدث لامرأة ثابت بن قيس ، فلم تكن قد رأته قبل ليلة الزفاف وتحدثت عن سبب نفورها منه وإرادتها الافتراق عنه ، فقالت للرسول ﷺ : « رفعت جانب الخباء فى ليلة الزفاف ، فأقبل فى عدة من الرجال ، فإذا هو أشدهم سوادا ، وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً » وبى من الجمال ماترى ، ولست أعتب عليه يارسول الله فى خلق ودين ، ولكنى أكره الكفر فى الإسلام ، تعنى إذا لم يطلقها تخاف من الارتداد عن الإسلام حتى يفرق بينهما . فقال الرسول ﷺ لثابت : اقبل الحديقة وطلقها تطليقه ... وكان صداقها الحديقة .

فما كان سبب افتراقهما إلا عدم الرؤية ، فلو أنها قد رأته قبل ذلك لما كانت قبلت الزواج منه ، ولما حدث ما حدث ، أو كانت قبلته عل ما هو عليه فلم يكن لها عذر فى طلب الافتراق .

لذا ، فعلى من يريد الزواج ويقصد من ورائه تكوين بيت إسلامى مستقر أن ينظرا ويدرسا فلا يفعلا سبباً من الأسباب التى يمكن أن تؤدى فى المستقبل إلى نزاع أو خلاف يهدد البيت ويزلزل كيانه ، وهذا كله ليكون بناء الأسرة على أساس متين يبقى مدى الحياة قوياً مليئاً بالسعادة والهناءة .

٢ـ الاتفاق فى المبادىء :

ويشمل الاتفاق فى العقيدة والقيم والاتجاهات والميول والأفكار الأساسية والنظرة إلى الحياة بوجه عام .

فإذا لم يكن هناك توافق فى هذه الجوانب فستصير الحياة الزوجية إلى تنافر وشقاق أو إلى نفاق يعود بعواقب وخيمة على الذرية والجيل الجديد ... فإذا افترضنا جدلا أن فتاة مؤمنة من الطلائع الجديدة تزوجت شابا عصريا فإن مراسيم الزواج التى أجريت تكون فى نظر الأخت المسلمة ذات معنى عميق » فهى تشعر أن ثمة ارتباط يباركه الله ، فتواجه ذلك الشعور بخشوع وإيمان . أما بالنسبة إلى الشباب ، فإن كل ذلك لايتعدى فى نظره حدود إجراءات قانونية لعقد مدنى لاتحمل فى ثناياها أكثر من نظرته إلى إجراءات التعاقد على إنشاء شركة تحقق منفعة ، فهو لايشعر بأدنى خشوع أو انطباعات أخرى سوى أنه قام بإجراءات قانونية يتبعها غيره من الناس . وإذا استمرت الحياة الزوجية ورزق الزوجان أولاداً ، فإن الزوجة لاتعتبر وجودهم مجرد نتيجة لغريزتها البشرية » بل إنها تبدأ حينئذ فى محاولة صياغة فرد مسلم جديد ، تأمل أن يقوم فيها بعد بدور فى مطالب الأمة المسلمة وحاجتها إلى قيام مجتمع مسلم ينهض برسالتها كخير أمة أخرجت للناس أما الزوج فإن إحساسه بوجود أولئك الأولاد لايتعدى الإحساس الذى يساور كل إنسان عادى فى حبه للحصول على نسل يرى فيه صورته ويرث ثمار أتعابه فى الحياة ... وإذا ما كبر أولئك الأولاد وأصبحوا يحتلون

مراكز فى المجتمع أو الدولة ، فإن تلك المراكز فى نظر الزوجة ليست مجرد مطامع ، بل إنها واجبات ووظائف تحقق أهدافاً أسمى وأرفع ، هى واجبات الإنسان المسلم المستخلف من قبل الله بمنهج الله الذى يصلح ما أفسده المفسدون ، أما الزوج فإذا لم تقل إنه يعتبر تلك المراكز أهدافاً فى ذاتها تنتهى عندها كل آماله ، فلا أقل من أن يعتبرها متعة لابد من العمل على بقائها والمحافظة عليها .

ومما لاشك فيه أن الاتفاق فى جميع الجزئيات والأذواق والإحساسات من الأمور المستحيلة ، إذ لايوجد شخصان من صورة واحدة » فلا يتفق التوأمان من خلية واحدة فى كل الأمور « فكيف يتفق جنسان من خلايا مختلفة وعاشا فى بيئات وأجواء عائلية مختلفة ، إنما المطلوب هو الاتفاق على المبادىء التى يقوم على أساسها البيت المسلم وتتوجه الحياة فيه على ضوئها وجهة إسلامية هدفها مرضاة الله وتحقيق أهداف الإنسان المسلم فى الحياة وأهداف التربية الإسلامية فى تنشئة جيل مسلم يعيد للأمة المسلمة مجدها وعزتها ... إنه لابد من الاتفاق على هذه المبادىء ، لأنها تؤثر فى حياة البيت المسلم والاختلاف فيها يؤدى يوماً إلى التفرقة ، وإن لم يؤد إلى التفرقة فإنه يؤدى إلى وجود عدم توافق وانسجام على الأقل .

وإذا لم يكن هناك توافق وتكيف وانسجام روحى ونفسى فى الحياة فلا يكون ثمة معنى للحياة بوجه عام ، وللحياة الزوجية بوجه خاص .

٣ـ التوافق الروحى :

هناك قاعدة ندركها من معاشرتنا وعلاقاتنا بالناس ، وهى أننا لانجالس ولانصاحب ولانخالط من الناس إلا من نستريح إليهم روحياً ولانختار الإخوان والأصدقاء إلا منهم ...

هذه القاعدة تنسحب على قاعدة الاختيار فى الزوجية . فالخاطب عندما يرى فتاة لأول مرة : إما أن تهفو إليها روحه وتجد مكاناً فى قلبه أو لايحس نحوها ميلا قلبياً وامتزاجاً روحياً ، وذلك قبل أن يختبرها . وذلك مصداق قول الرسول ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »[١] .

فالأرواح الطيبة تتوافق مع الأرواح الطيبة . والأرواح الخبيثة تنسجم مع الأرواح الخبيثة ، وقد قيل إن الطيور على أشكالها تقع » وصدق الله العظيم ﴿ **الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات . والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات** ﴾[٢] . فذلك عدل الله فى اختياره الذى ركبه فى الفطرة ، وحققه فى واقع الناس . وهو أن تلتئم النفس الخبيثة بالنفس الخبيثة ، وأن تمتزج النفس الطيبة بالنفس الطيبة . وعلى هذا تقوم العلاقات بين الأزواج ، ولقد أحبت نفس رسول

---

(١) رواه الشيخان وأبو داود وأحمد فى المسند .

(٢) سورة النور : ٢٦ .

الله ﷺ عائشـة حباً عظيماً ، فما كان يمكن أن يحببهـا الله لنبيه إن لم تكن الصديقـة بنت الصديق طيبة النفس زكية الروح .

فإذا تم الزواج ، فإنـه لايمكن أن ترفرف عليـه روح البهجة والسرور والسعادة مالم يسبقـه هذا اللقاء الروحى .

٤ـ الاتفـاق علـى نـوع الحيـاة :

إذا كـان الاتفـاق فى المبـادىء ، يشمل الاتفاق فى الجوانـب العقلية والـروحية والنفسيـة من الحياة ، فإن الاتفاق على نـوع الحياة ، يشمل الاتفاق على الجوانب المادية أو الحسيـة من الحياة أو مظاهـر الحياة بوجـه عام . فالاتفاق والاختـلاف هنا يؤدى إلى مـا يؤدى إليه الاتفـاق والاختلاف هناك .

وتظهـر الحاجة إلى هـذا الاتفاق إذا كـان هناك تفـاوت فى مستوى المعيشـة بين أسرتى الفتى والفتاة . فلو كانت الفتاة من أسرة غنية ، والفتى من أسرة رقيقة الحال ، فإن انتقال الفتاة من حياة الـرغد والنعمـة الـواسعـة إلى حياة الشظـف والعيش الخشن يكون صعباً وربما لاتتحملـه ، فإن تحملت هذه الحياة أياما فلا تستطيع تتحملهـا سنين طويلة . أما إذا وافقت مبدئيا على أن تعيش مع زوجها فى السراء والضراء . ففى هذه الحالة تهيىء نفسها للتكيف معه حتى فى أسوأ الظروف ، وهذا التهيؤ والاستعـداد يبعثان فيها قوة التحمل وروح المواجهـة لمصاعب الحياة وجهـادها . هذا وإذا حدث أنها تململت أو تبرمت فى يـوم من هذه الحيـاة لايكون من حقهـا الاعتراض على ما تجد من النفقة القليلة ، لأنها وافقت على هذا وأبدت استعدادها وقبولها من البداية .

٥ـ معرفـة كـل مـن الطرفيـن للآخـر معرفـة جيـدة :

إن معرفـة كل طرف لـلآخر وثيقـة يتوقف عليهـا ـ إلى حد مـا ـ معـرفة صـورة الحياة الـزوجية ومصيرهـا . كما تفيد هـذه المعرفـة فى إيجاد استعداد لتحمل وتقبل مـا يقع من تصرفات من أحـد الطرفين لايرضى عنها الطرف الآخر ما دام قد عرفها وقبلها ...

ومن هنا لايصح أن يخفى أحد الطرفين شيئا من طبيعته ومـزاجه ، وما لديه من ميول ورغبات لأن الذى يخفى مـا عنده ، إنما يخادع نفسـه ، ففضلا عن أنه لاجـدوى من إخفاء صفـة ، فبعد الـزواج والمعـاشرة ينكشف المستـور من الصفـات ، فقـد يجد أن مـا انكشف من حقيقـة بعض الصفات ليست فى طاقة التحمل للطرف الآخـر ، ولامن طباعه الصبر عليها ، فيتسبب بذلك فى النفور والشقاق والاختلاف الذى قد يؤدى إلى التفرقة .

إنه قد تستقيم الحياة الزوجية مع وجود بعض الصفات التى تقع فى حدود القدرة على التحمل والصبر ، إلا أن هناك صفات أساسية وقيم عامة فرضها الإسلام علينا ، لايمكن أن تستقيم الحياة لا فى البيت ولا فى المجتمع بدونها مثل الصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة واحترام الحقوق والمشاعر الانسانية فكيف يعيش الانسان مع الكذاب المخادع الذى لايراعى عهدا ولا ذمة ولايعمل حسابا لمشاعر الآخرين ؟ !

إذن فمن مفاتيح كشف حقيقة الآخر : المفتاح الخلقى ، فإذا عرفنا معاملة الشخص الآخر ومدى ما يتصف به من أخلاق حميدة أو ذميمة استطعنا أن نتوقع ما تكون عليه أخلاقه معنا فى المستقبل ، فإذا عرفت أنه يكذب فى أحد مجالات حياته فلا تقترب منه ؛ لأن الذى يكذب هناك يكذب هنا أيضا ، والذى يخدع الناس يخدعك أيضا والذى يسىء إلى الناس يسىء إليك يوماً ما ، فمهما ربطت بينكما الروابط ، فسىء الأخلاق هنا سىء الأخلاق فى كل مكان وزمان فصاحب الخلق السىء كنافخ الكير تفوح منه رائحته الكريهة أينما ذهب وحيثما حل ، وصاحب الخلق الطيب كحامل المسك يفوح عطره أينما كان ، ولهذا قال الرسول ﷺ ، عندما دعى إلى مصاحبة الصالحين : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء : كحامل المسك ونافخ الكير . فحامل المسك : إما أن يجزيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ؛ ونافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة »[1] .

٦ـ الانتفاع بقانون الوراثة

أرشد الرسول الكريم المقبلين على الزواج بالدقة فى الإختيار والتعرف على صفات الشخص والأسرة التى يريدون الزواج منها ، فقال ﷺ : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس »[2]. حتى إذا ما تبين لهم خلو الأسرة من أى ضعف وراثى جسمياً كان أو عقلياً أقدموا على الزواج وجنبوا أنفسهم وذريتهم عقابيل الصفات والأمراض الوراثية ، فالوقاية خير من العلاج .

إذ من المعلوم أن الأبناء يرثون صفات آبائهم الجسمية والعقلية ، فزواج الأشخاص الأصحاء الأذكياء يؤدى بإذن الله فى الغالب إلى إنجاب أطفال أصحاء أذكياء ، كما أن تزاوج الضعفاء والأغبياء يؤدى فى الغالب إلى أطفال ضعفاء وأغبياء .

هذا ، فضلا عن أن قوة البنية والذكاء يضيفان على الحياة الزوجية الحيوية والنشاط : فقوة البنية يؤهل إلى تحمل أعباء الحياة والقيام بتكاليف الأسرة والزواج ، والذكاء هو سلاح الشخصية الذى يساعد على النجاح ، ويجنب الزوجين كثيراً من المتاعب التى ترجع أصلها إلى عدم نضج

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم والإمام أحمد فى المسند .

(٢) رواه ابن ماجه .

عقلية الزوج أو الزوجة بالدرجة الكافية التى تساعد على حل المشاكل قبل تفاقمها ... والنضج العقلى الذى تعنيه ليس بالضرورة نتيجة تعليم أو حصيلة شهادات ، إنما هو استعداد فطرى مع خبرات وتجارب مكتسبة .

وأخيراً ينبغى أن نلاحظ أنه قلما يجد إنسان الإنسان الذى يتحلى بجميع الصفات التى يرغب فيها ، لأن الإنسان المثالى لايوجد إلا فى الأنبياء والمرسلين ، والكمال المطلق صفة الخالق لاصفة المخلوق .

والذى ينبغى أن نبحث عنه هو الشخص الذى يتمتع بالاستعداد للتكامل وتغيير الصفات غير المرغوبة والعادات غير الصحيحة ، فالاستعداد للتكامل والتفاهم يؤدى إلى التكامل والتفاهم .

وينبغى أن يبحث كل من الشريكين عن الطريقة التى يستطيع بها أن يعامل شريكه كما يحب أن يعامله ، وهذا يقتضى التضحية ببعض المطالب الشخصية ، وهذا ما لابد منه فى الحياة الزوجية لكى ترفرف عليها روح السعادة .

وينبغى على كل من الطرفين أن يحاول أن ينال رضى صاحبه وإدخال السرور فى نفسه وأن ينسى تضحياته ولايمتن بها عليه . إذا أن كلا منهما عندما يرى الآخر متجرداً من أهواء نفسه ومطالب ذاته مضحياً من أجله يزيد حبه له ، وكلما زاد حب كل منهما للآخر زادت بهجة حياتها ، فأساس السعادة هو المحبة ، وأساس المحبة هو الشعور بالرضى والتقبل للهفوات وأن يهنأ بالعطاء كما يهنأ بالأخذ ، فالمحبة تسهل الصعب ، والعمل النابع من القلب لايترك أثراً للتعب فى التنفس .

هذا ، ولقد بين الإسلام صفات الزوجة الصالحة التى ينبغى أن تُختار لبناء البيت الإسلامى .

كيف تختار الزوجة ؟

إذا عرف المرء أن الزواج سنة أزلية ، وأنه هو نفسه فطر على ما يوائم هذه السنن ، فقد وقف على رأس أمره ، وهدى إلى ما يصلحه ، ويسعد عاقبته ... وقد سن الزواج للنسل ، والسكن النفسى ، والالتقاء على ما يثمر المودة والرحمة ومشاعر الخير والتواصل ... ومن البديهى أن أفضل الزوجات هى ما يتوفر لها من خصائص النفس ومزايا الروح ما يجعلها أقرب من غيرها إلى تحقيق مقاصد الزواج الحسية والمعنوية على خير وجه .

وإذا يجب أن تنصرف جهود الانسان العاقل إلى طلب الصفات الكريمة والمعانى الجميلة والخلق الطيب الذى يمثل الانسانية الراقية .

الزوجـة والغنـى :

ولكن من النـاس من جهل قدر الحياة . وحسبهـا مالاً يقتنى ، وتـرفا يـوفر لحواس البـدن ما تشتهى فراح ينشد الغنى شرطا أساسيا فيمن يخطبها .

وذلك انحراف عن طبيعـة الأشـياء ، واتجـاه بالـزواج إلى غير مـا شرع له ... ولذا يقول ﷺ : « لاتزوجوا النساء لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن » (١) .

الزوج واجـاه :

ومنهم من فتنه الجاه ، يجبر به نقصـا أو يرفع خسيسة ، فراح يتحراه شرطـا فيمن يتزوجها ... وهو ـ كما تـرى ـ وثنية تفسد النية ، وتعالج العلـة ، بجرثومة الداء ، فلا يـزيده الجاه المستعار إلا مقت وذلة وفيه يقول ﷺ : « من تزوج امرأة لحسبها لم يزده الله إلا دناءة » .

الـزوجة والجمـال

ومنهم من كـانت همته لـذة الحيـوان ، فأصر أن يكون جمال الحس شرطـا فيمن يتزوجهـا ... وذلك إهدار لمعنى الجمال الحق ، فالمرأة إنسان ، وأجمل ما فى الإنسان إنسانيته ، أى دينه ، وخلقه وصفاته المحببة ، فإذا أوتيت حظها من ذلك فقد أوتيت الجمال الحق ولذا يقول ﷺ لمن جاء يسأله عمن يتزوج : « اظفر بذات الدين تربت يداك » (٢) ... ولقد جاءه رجل فقال : إنى أصبت امرأة ذات حسـب وجمـال ، وإنهالاتلـد ، أفأتزوجها ؟ فقـال عليـه السلام : لا ... ثم أتـاه الرجل ثانية ، فنهـاه ... ثم جـاءه الثالثـة ، فقـال عليـه السـلام : « تزوجوا الودود الـولود فإنى مكاثر بكم » (٣) ... والـودود هنا على مـا قـرره علماء المسلمين ، هى المودودة المحبوبـة لما هى عليـه من حسن الخلق ولطف التودد إلى الزوج .

وعلى هذا :

- فإذا لم يكن إلا الجمال من غير خلق ... فلا ،
- وإذا لم يكـن إلا المال من غير خلق ... فلا ،
- وإذا لم يكـن إلا الدين والخلق ... فنعم ،
- وإذا كان مـع والديـن والخلق مـال أو جاه أو جمال فبالأولى ، ولكن مع ذلك يستهدف الخلق والدين أولا ، قبل المال والجاه والحسب .

---

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى والإمام أحمد فى المسند .

(٣) رواه أحمد وابن حبان .

اختيـار الزوج :

ومادام الزواج هـو اقتران صفات بصفات ، فأساس قبـول من جاء يخطب المرأة أو رفضه يجب أن يكون هو الأخلاق والدين .

ومن التعقيد بـل من الوثنية التى تـأباها السنن ، ولاتستقـر عليها الأوضـاع ، أن ندع تقـدير الدين والخلق إلى ما عداهما من أعراض الغنى ، والجاه ، والمنصب ، والجنس ، واللون ونحوه ... فهو إنسـان وكفى ... وحظـه من الانسـانية هــو الذى يحـدد كفـايته لمن جاء يخطبهـا ... ولقد وضع الاسـلام الحكيــم أسـاس هذه المفـاضلة الانسانية بقولــه تعالى : ﴿ **إن أكـرمكم عنـد الله أتقاكم** ﴾[1] ... وعلى هذا فمن كان ذا خلق جميل ، وثقافـة إسلامية ، ودين عميق ، وشخصية محمودة ، فهو كفء لأفضل امرأة من أى طبقـة ، ومن أى جنس ، ومن أى لون ... وفى مستوى هذا الأفق الـرفيع يقول رسـول الله ﷺ : « إذا جاءكم من تـرضون دينـه ، وخلقه » فـزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير »[2] .

هذا ، ولما كـانت مسألـة زواج البنت مسألة تتعلق بمصيرهـا ومستقبلها كلـه ، فعلى الآباء أن يلتـزموا جـانب الأنـاة والحذر والحيطـة ليبعدوا بنـاتهم عن الشرور والمشـاكل التى تنتج عن سـوء الاختيار ولهذا نبـه الرسـول ﷺ الآباء إلى حسـن الاختيار لبنـاتهم فقال : « النكاح رق ، فلينظـر أحدكم أين يضع كريمته ؟ » .

* * *

الخلاصة : إن الآبـاء وأولياء الأمور مسئولـون عن تزويج أبنائهم ، فأب الفتـاة ينبغى أن يختار لابنته زوجاً صـالحاً أو أن يساعدها فى هذا الاختيار ، ثم عليـه أن يبذل من المال اللازم إن اقتضى الأمر وكان قادراً على تزويج بنته ممن يرى فيه الصلاح .

وإذا كان الأبناء مسئولين عن تصرفاتهم بعد البلوغ بمقدار إدراكهم وإحاطتهم للأمور الحاضرة والمستقبلة ، فإن مسئوليـة الآباء عن تصرفات أبنائهم الخاطئـة أكبر ، لأن خطأهم ناتج عن عدم إرشادهم ومساعدتهم لرؤية الحقائق ولأن جماح الشباب والحب الأعمى قد يجعلان الإنسان أعمى عن رؤية الحقائق والأخطار المحدقة به .

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه .

الخطبـــة

ولكن الإسلام مع هـذا شرع الخطبة قبل الزواج ليتعـرف كل من الخاطبين مدى ما لـلآخر من ملامح النفس أو ملامح البدن الظاهره ، حتى إذا أقـدم على إتمام الزواج ، أقدم وقد وقع صاحبه من نفسه موقعا يرضاه وإلا انصرف عنه وقد كفى كل منهما عاقبة زواج غير مأمون .

وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما أن المغيرة بن شعبة خطـب امرأة فقال له النبى ﷺ : « انظر إليها » فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » أى فإنه أحرى أن تحصل بينكما الموافقة والملاءمة .

ولم يحدد رسول الله ﷺ للمغيرة بن شعبة الذى يراه من مخطوبته ، إذ المعروف أن الإسلام لايجيز للرجل أن ينظـر من المرأة الأجنبية إلى غير الوجـه والكفين ، أما ما عـداهما فلم يجزه إذ لاتتعلق به ضرورة من ضرورات الآداب أو المعيشة ، فضـلا عما فيه من الإثـارة ودواعى الفضول والفسـاد مما لايرضـاه الإسـلام لمروءات أهله ، ولكـن الإسلام استثنى مـن ذلك ظرف الخطبـة ، قـال عليـه الصـلاة والسلام : « إذا خطـب أحدكـم المرأة فقدر أن ينظـر منها بعض مـايـدعوه إلى زواجهـا فليفعل »(١) .

فللخاطب أن يرى مخطوبته فى الملابس التى تظهـر بها لأبيها وأخيها ومحارمها بلا حرج ... بل له ـ فى نطاق الحديث الشريف ـ أن يصحبها مع أبيها أو أحد محارمها ـ وهى بزيها الشرعى ـ إلى ما اعتـادت أن تذهـب إليـه من الـزيـارات أو الأماكـن المباحـة . لينظـر عقلها وذوقهـا ومـلامح شخصيتها ، فإنه داخل فى مفهوم « البعضية » التى تضمنهـا قوله عليه السلام : « فقدر أن ينظر منها بعض ما يدعوه إلى زواجها » وهى بعضية إذا أباحت أن يرى نحو الذراعين والرأس فأولى أن تبيح له معرفة الخلق والفضيلة ، ومدى لباقتها فى بعض أنواع التصرف فإن ذلك أحرى ـ كما يقول الرسول ﷺ أن يؤدم بينهما .

وذلك طرف من سماحة شرع الإسلام فى الخطبة ويسره واعتداله بين الأطراف المتناقضة ، ولكن مايـدعو إلى الأسف ، أن من المسلمين من تـزمت فرفض سنـة رسول الله ﷺ فلم يبح للخـاطب حتى مجرد الرؤية ... ومنهم من قلـد الغربيين فأباح بيته وعرضـه ، فيخلو الخاطب بخطيبته ، أو يخرج معها دون محرم بلا قيد ولا شرط ، ويكون من عواقب ذلك ما يكون ، فقد يرخص العرض ، وتبتذل العفة ، ويسقط عن الفتاة بهاء الكرامة ، وقد تبوء من أمرها بعاقبة مذلة ، وحزن مقيم .

والخير فيما اختار لنـا ديننا ... وعلى العاقل الحكيـم أن يستقبل كل أمره فى ذلك على بصيرة ، وحـذر ، وأناة ، فـلا يمكن خاطبـا من حقه إلا بعـد أن يدرسـه ، ويطمئن إلى دينه ، وخلقـه ، وعقله ، ويستبين جده فى الأمر » وصدق رغبته فيما يريد ... والله الموفق .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن حنبل .

حق المـــرأة فــى اختــيار زوجهـــا :

إذا انتهت الخطبة بإتمام عقد الزواج برضا الطرفين فبها ونعمت ... وإلا فللمرأة ـ ثيبا أو بكرا ـ كمال الحرية فى رفض من لاتريده ... ولا حق لأبيها أو وليها أن يجبرها على مالا تريده ، قال رسول الله ﷺ : « لاتزوج الأيم حتى تستأمـر ، ولا البكر حتى تستأذن ... »[1] والأيم هى الثيب التى طلقها زوجها أو مات عنها ... والأستئمار هو طلب الأمـر ، فلا يعقد عليها حتى تشاور ويطلب الأمر منهـا ... وعن عائشة رضى الله تعالى عنهـا عن النبى ﷺ قال : « البكر تستأذن ، قلت إن البكـر تستأذن وتستحـى ، قال : إذنها صماتها »[2] أى إذا سكتت ولم تعارض فـذلك هو الأذن منها . فإذا زوجـت الثيب دون أن تستأمر فالعقـد باطل وإذا زوجت البكـر دون أن تستأذن فهى بالخيار : إن شاءت أمضت العقد ، وإن شاءت أبطلته .

ومما جاء فى الثيب أن خنسـاء بنت خدام زوجها أبوها وهى ثيـب فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله ﷺ فرد زواجها .

ومما جاء فى البكـر أن فتاة بكرا ذكرت لرسـول الله ﷺ أن أباها زوجها ، وهى كـارهة ، فخيرها عليه السلام ... أى جعل لها الخيار فى إبطال العقد أو إمضائه ...

وجاءت فتـاة إليه ﷺ فقالت : « إن أبى زوجنى ابن اخيه ليرفع بى خسيستـه ... فجعل الأمر إليها » أى أخبرهـا أن أمرهـا بيدهـا إن شاءت أقرت مـا صنـع أبـوها ، وإن شـــاءت أبطلتـه ، فقالـت « قـــد أجـزت ماصنـع أبى ولكـــن أردت أن أعلـم النســـاء أن ليـس للآبـــاء من الأمر شىء »[3] .

وذلك ـ فى بابـه ـ أول وأسمى ما نالت المرأة من الحرية والكرامـة والاعتراف بشخصيتها وحقها فى قبول أو رفض أى خاطب يتقـدم لخطبتها ، فى الوقت الذى كانت تباع فيـه كالسلعة ، وتورث كالمتاع ، وتلعن فى المعابد على أنها أحبولة الشيطان ، ولايرعى لشخصيتها أى اعتبار .

* * *

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه الإمام مالك فى الموطأ .

(٣) رواه النسائى وابن ماجه وابن حنبل .

المهـر

ومن الحقوق التى أوجبهـا الاسلام للمرأة ، أن يدفع لها زوجها مهـرا ، قدرا من المال ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ (١) .

والصدقـات جمع صدقـة ، وهى المهر ... والنحلـة كلمة فيهـا معنى العطاء المفـروض ، قال الإمام القرطبى : « فالصداق عطية من الله تعالى للمرأة » .

وقد كـانت مهور النساء فى الجاهليـة تصير إلى أوليائهن ، دون أن يكـون لهن فيها شىء ، فلما جاء الاسلام جعل هذا المهر حقا خالصا لها ، إذ هـو فريضة الله تعالى لها لا لوليها ، وهو سبحانه يقـول : « **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** » فأضـاف الصـدقـات إلى ضمير النسـاء لا إلى ضمير الأولياء ... وعلى هـذا ، فليس لأبيها أو وليها أن يأخـذه منها كلـه أو بعضه على نحو مـا كان فى الجاهلية ، وكذلك ليس لـزوجها أن يأخذ منه شيئا قل أو كثـر ، بل هو ملك خالص لها من دون الناس جميعا تتصرف فيه بمحض مشيئتها بما تـرى أنه الخير لها ... ولا يلزمها أن تتجهز إلى زوجها بشىء منه إطلاقا إلا أن تفعل ذلك بطيبة من نفسها .

وفى هذا المهر ـ علاوة على أنه حق ـ معنى التكرمة للمرأة ، إذ لم يرض لها الاسلام أن تتحول إلى بيت زوجها إلا بعد أن يبذل من الألطاف ما تقربـه عينها ، ويعبر به هو عن مبلغ حرصه عليها ، ورغبته فيها .

ومما تحسن الإشارة إليـه فى هذا المقام أن المرأة الغربية لم تظفـر بمثل ذلك إلى اليوم ، فإن العرف مازال يجرى عندهم على ماكـان عليه قديما أيام الرومان واليونـان القدامى ، إذ يوجب العرف على والد الفتاة أن يعد لها مهرا « دوطة » يقدم لمن يتزوجهـا ، فتصير تلك الدوطة حقا خالصا للزوج ، ولا حق لها هى فيه ، أو تكون فى بعض النظم أمرا مشتركا بينهما .

هـذا وقد دعـا الاسلام إلى عـدم المغالاة فى المهـر بما يشق على الزوج تحملـه ، ورغب فى اليسر الذى تخف بـه المؤونة ، وترتاح إليـه النفوس ، وفى هذا يقول رسـول الله ﷺ : « إن أعظم الزواج بركة ، أيسره ، مؤونة » (٢) وقال عليه السلام : « خير الصداق أيسره » (٣) .

وسر الصداق أمر اعتبارى يختلف باختلاف ماقسم للمرء من رزق ، فقد يكون مبلغ ما سهلا على شخص ، وشاقا على آخر ، باعتبار درجـة كل منهما فى الرزق ... وقد تزوج النبى ﷺ زوجته

---

(١) سورة النساء : ٤١ .
(٢) أخرجه الامام أحمد فى مسنده .
(٣) رواه أبو داود .

أم حبيبة وهى بأرض الحبشـة ، فأراد النجاشى أن يقـدم مكرمة ، فـدفع المهر لها عن النبى ﷺ ، أربعـة آلاف درهـم ، أو مـائتى دينار ، ولم يـر النبى عليـه السـلام أن ذلك كثير ، لأنـه بالنسبـة للملوك يسير ، ولكنه عليـه السلام حينما جاءه شاب فقير يقول لـه « إنى تزوجت عل مائة وستين درهمااستكثرها ، وقال له : « كأنكم تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل » [1] .

* * *

(١) أخرجه مسلم .

الفصل الثانى

العلاقات الأسرية فى ضوء القرآن الكريم

قداسة الروابط بين أفراد البيت

إن السمة الأولى المميزة لطبيعة أى نظام أو تجمع بشري يقوم على قاعدة الإسلام وأحكامه ، هى خضوع أفراده واستسلامهم الكامل المتمثل فى العمل بأحكام الله جميعاً ؛ وبذلك تتحقق فيهم صفة الإسلام والعبودية لله ... هذه العبودية التى تمثلها وتكيفها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وتتمثل هذه العبودية فى التصور الاعتقادى كما تتمثل فى شعائر العبادة ، كما تتمثل فى الشرائع القانونية سواء .

فليس عبداً لله من لايعتقد بوحدانية الله سبحانه وقال الله : ﴿ **لاتتخذوا إلهين اثنين ، إنما هو إله واحد ، فإياى فارهبون ، وله ما فى السموات والأرض ، وله الدين واصباً ، أفغير الله تتقون** ؟ ! ﴾ (١) والتوحيد هو القاعدة الأساسية التى تنبثق منها كل القيم والموازين ، كما ينبثق منها منهج الحياة كله فى المجتمع المسلم ، وهو الذى يربط كل حركة وكل نشاط ، وكل خالجة وكل انفعال بمعنى العبادة لله ، التى هى غاية كل نشاط إنسانى فى ضمير المسلم وفى حياته كلها .

لهذا ، ليس عبداً لله وحده من يتقدم بالشعائر التعبدية لأحد غير الله ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ (٢) .

وليس عبداً لله وحده من يتلقى الشرائع القانونية من أحد سوى الله ، عن الطريق الذى بلغنا الله به ، وهو رسول الله ﷺ ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾ (٣) ﴿ **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (٤) .

وعلى أساس هذه النظرة الكلية لمعنى العبادة كما تحددها معانى القرآن ، نجد أن معنى الإسلام يتغلغل حاكماً كل لحظة ولمحة من حياة المسلم ، فمهما كان قدر المسلم فى الحياة وحيثما وجد نفسه فى أحوالها وجب عليه أن يخضع وينزل على أحكام الله فيها ، أن يعبد الله بالانقياد والطاعة لله فى كل مجالى حياته .

---

(١) سورة النحل : ٥١ .
(٢) سورة الأنعام : ١٦٢ .
(٣) سورة الشورى : ٢١ .
(٤) سورة الحشر : ٧ .

ولئن كان من العبادة شعائر مفروضة ومسنونة أدعى وأخلص لذكر الله وطاعته ، فهناك وجوه أخرى للعبادة وراء ذلك من خلال اتباع شرع الله فى مختلف أشكال الحياة وأنظمتها : فإذا تكامل إيمان المرء وخلصت عبوديته لله صرت روح الدين فى حياته الأسرية وانتظمت كل عمل من أعماله فيها ، وحملت أعماله إذا ابتغى بها وجه ربه صفة القداسة .

وقد نزلت أحكام القرآن الكريم وتوجيهاته صريحة فى إضفاء القداسة على حياة الأسرة وعلاقات أفرادها ، فلو تأملنا الآية التى تقول فى سورة النساء : ﴿ **واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا** ﴾ (١) ، نجد أنها تبدأ بالأمر بعبادة الله وحده ، والنهى عن إشراك شيء به . تبدأ بحرف عطف يربط بين هذا الأمر وهذا النهى والأوامر السابقة بتنظيم الأسرة فى نفس السورة ، فيدل هذا الربط بين الموضوعين على الوحدة الكلية الشاملة المتكاملة فى هذا الدين إذ يلى الأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك الأمر بالإحسان إلى الوالدين ... إلى تلك المجموعات من الأسرة الخاصة والأسرة الانسانية .

فمن الملاحظ فى طريقة القرآن فى الأحكام المتعلقة بالمعاملات بعامة والأسرة بخاصة والعدل فى المعاشرة ، أنه يربط هذه الأحكام والتوجيهات بالله وملكيته للسماوات والأرض وقدرته على الذهاب بالناس واستبدال غيرهم بهم ـ مما يدل على ضخامة الأمر وعلاقته بحقيقة الألوهية الهائلة ، ومن ثم يستجيش تقوى الله فى الضمائر . فالرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة فى الله ، هى رابطة الأسرة .

لهذا فقد وصف الله هذه الرابطة ، وهذه العلاقة بالميثاق ، فقال تعالى : ﴿ **وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً** ﴾ (٢) . إنه ميثاق النكاح ، باسم الله وعلى سنة الله ، وهو ميثاق غليظ لايستهين بحرمته وقداسته قلب مؤمن ، إذ يخاطب الله الذين آمنوا بصفة الإيمان فيهم ويدعوهم أن يحترموا هذا الميثاق الغليظ .

والذى ينظر فى تشريعات الأسرة فى القرآن والسنة ، فى كل وضع من أوضاعها وكل حالة من حالاتها ، وينظر فى التوجيهات المصاحبة لهذه التشريعات ، وفى ربط هذا الشأن بالله مباشرة فى كل موضع . يدرك إداركاً كاملا ضخامة شأن الأسرة والعلاقات بين أفرادها فى النظام الإسلامى وقيمة هذا الأمر عند الله ، إذ يجمع بين تقواه وتقوى الرحم فى أول سورة النساء حيث يقول : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام . إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾ (٣) ... كما يجمع بين عبادة الله والإحسان للوالدين فى سورة الإسراء وفى غيرها : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**

---

(١) الآية : ٢٦ .

(٢) سورة النساء : ٢١ .

(٣) الآية الأولى .

وبالوالدين إحساناً ﴾(١) ... ويبين الشكر لله والشكر للوالدين فى سورة لقمان : **﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك ، إلى المصير ﴾**(٢) وبعد أن قرن الله سبحانه شكر الوالدين بشكره ـ تعالى ـ جاء التعقيب تذكيراً بيوم القيامة والحساب حيث ينفع رصيد الشكر المذخور .

ومن مظاهر الاحتفال بشأن العلاقات الزوجية والعائلية فى النظام الإسلامى ، هى اتجاه القرآن الكريم ، لرفع هذه العلاقات الإنسانية إلى مستوى القداسة المتصلة بالله ، واتخاذها وسيلة للتطهر الروحى والنظافة الشعورية ، لا كما كان ينظر إليها فى العقائد الوثنية ، وعند أتباع الديانات المحرفة البعيدة عن فطرة الله التى فطر الناس عليها على أنها رجس من عمل الشيطان ! !

وهكذا نجد أن الاسلام يضع الزواج فى مرتبة القداسة ويحيط العلاقات الأسرية بين أفراد البيت بهذه القداسة التى تكفل الاستقرار والاستمرار ، وفى سبيل هذه الغاية يدفعها إلى مقام طاعة الله .

فلو فهمت الزوجة أن طاعتها للزوج طاعة لله ، ولو فهم الزوج أن إسعاده لزوجته وإحسانه عشرتها طاعة لله ، ولو تربى الأولاد على أن طاعة الوالدين وبرهما طاعة لله . ولو تقدم كل منهم بسلوكه فى الأسرة منبثقاً من هذا الفهم لبارك الله لهم وبارك عليهم وجمع بينهم فى خير .

وتظهر أهمية النظرة الإسلامية فى العلاقات الأسرية على أنها روابط مقدسة وما تحققه من نتائج فى تماسك البيت ، فى دراسات بعض علماء الاجتماع للأسرة ، وجدوا أنه لا يسودها الاستقرار والهدوء والثبات إلا إذا قامت العلاقات على أساس الدين ، الذى يعطى للروابط بين الأفراد القداسة التى تربط بينهم بروابط الرحمة والمحبة . أما فى العصر الحديث فقد أدت الحياة المادية فى حضارة الغرب إلى تفكك نظام البيت وتدهور الحياة الأسرية ، فقد أصبحت الروابط الأسرية مجرد عقود مدنية ، الهدف منها تحصيل لذة وقتية ومنفعة شخصية .

وإننا إذ نضع هذه الحقيقة أمام من يريد بناء بيت مسلم ، فعليه أن يبدأ أولا بفهم الأساس الربانى الذى يقوم عليه الزواج والبيت فى نظام الإسلام ، وأن يستشعر بكل جوارحه معانى القداسة فى الأحكام والتوجيهات المنظمة للعلاقات الأسرية وما ينشأ عن قيام الأسرة من روابط ، حتى إذا ما وفقه الله إلى اختيار الزوجة الصالحة استطاع بإخلاص النية وعون الله بعد بنائه بها أن يقيم بيتاً مسلماً تتحقق فى روابطه معانى القداسة والطهارة .

---

(١) الآية : ٢٣ .

(٢) سورة لقمان : ١٤ .

حقـــوق الزوجـــة

﴿ ومن آياتـه أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[1] .

لكى ندرك جمال هذه الآية نذكر أنـه لم يكن للمرأة من الأهلية فى كثير من الحضارات ما يجعلها من أرباب الحقـوق ... بل ضمن عليها رجال بعض الأديان أن تكـون إنسانا ، فاعتبروهـا حيوانا نجسا لا روح له ... أو أنها إنسـان ، لا حيوان ، لكنها إنسان خلق لخدمة الـرجل ... فإذا نظرنا إلى الآيـة الكـريمة مـن زاوية تلك الأحكـام القاسية ، عرفنـا أصالة الإسلام فى تقـرير الحق بشأن المـرأة ... فهى آيـة من آيـات الله ــ لا حيوان نجس ــ خلقت من أنفس الـرجال ، لا من طينـة أخرى ، فهى من الرجل والرجل منها ... وقد خلقها الله لتكون زوجة ، لا لتكون خادمة . وذلك قوله سبحانه **﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجـا ﴾** ... وقد خلق تلك الـزوجة ليسكن إليها الـزوج ... والسكن أمر نفسانى ، وسر وجـدانى يجد فيه المرء السعـادة ، وأنس الخلوة التى لاتكلف فيها ... وقـد ألقى فى كل منهما سر الحنين إلى صاحبـه والاقبال عليـه ، فهو يـدلى إليها بمودتـه ورحمته ، وهى تدلى إليـه بمثل ذلك ، وهو معنى قولـه تعالى : **﴿لتسكنوا إليهـا ، وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾** .

على تلـك الأســس الفطريـة الجميلـة ، حـدد الإسلام مـركز المرأة فى الحيـاة ورسم عـلاقتها بالرجل . وقـرر ما بين الزوج والزوجة من أصـول التعاون على رسالة الـزوجية . ونحن موردون من ذلك ما لابد منه للـرجل المسلم الذى يريد أن يقيم بيته ، وعلاقته بـزوجته على أصول الاسلام إن شاء الله .

هذا وقد جرى أكثر العلماء فى كـلامهم عن حق كل من الزوجين على الآخر بتقديم الكلام على حق الزوجـة ، مما يـدل على مدى اهتمامهم بأمـرهم . ومراعاة أنها الجانـب الأضعف والأحوج إلى العطف والرحمة وحسن الرعاية .

وقد حث القرآن الكريم الرجال على القيام بحقوق أزواجهم سواء أكانت هذه الحقوق واجبة أم مستحبة ، وكـذلك أمر رسول الله ﷺ الـرجال أن يستوصـوا بالنساء خيراً ولـذلك حاول كثير من العلماء حصر حقوق النساء على أزواجهن فيما يلى :

النفقـــة :

لا تلزم الزوجة ـ ولو كانت ذات مال أن تنفق على نفسها شيئا من مالها ـ قليلا أو كثيرا ـ إلا أن

(١) سورة الروم : ٢١ .

تتطوع به عن طيب نفس ، والزوج ملزم بنفقة زوجته من حين عقد الزواج : يعد لها السكن والمتاع ، ويوفر لها الطعام والشراب والكسوة . وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : « ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف »(١) ... وعلم من الحديث :

(أ) نفقة الطعام والكسوة . ولم يذكر الحديث المسكن والفراش والغطاء ونحوها لأنه قد ورد به القرآن الكريم فى قوله سبحانه : ﴿ **أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم** ﴾(٢) أى على قدر ما يطيقه كل منكم . فإذا لزمه السكن فقد لزمه الفراش والغطاء بما يدفع ضرر الأرض والبرد ونحوهما .

(ب) إن نفقة الطعام والكسوة تقدر بطاقة الزوج وقدرته المالية : فالغنى ينفق من سعته والمقل على قدره . لقوله سبحانه : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله** ﴾ (٣) وهو مقتضى قوله عليه السلام : ﴿**رزقهن وكسوتهن بالمعروف** ﴾ .

فإذا قصر الموسر ـ مثلا ـ أن يكسو زوجته الحرير ، حكم عليه بذلك وفاء لما أمر الله ورسوله من حقها . سئل الزهرى عن لبس النساء للحرير فقال : أخبرنى أنس بن مالك أنه رأى على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ برد حرير » .

إحسـان العشـرة :

وفى إحسان عشرة الزوجة يقول الله تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾(٤) ويقول سبحانه : ﴿ **ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن** ﴾(٥) . أى أنه يطلب التوسيع عليهن فى المعاملة ، ويحرِّم ما يضرهن ، فمن استقام على ذلك مع زوجته فهو المسلم المقيم لحدود الله . ومن ضيق عليها وضارها بسوء خلقه وشراسة طبعه ، فليس ذلك من الإسلام فى شىء ... وفى هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ : « خياركم خياركم لنسائهم »(٦) . ويقول فى حديث آخر : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى »(٧) .

(أ) ومن حسن المعاشرة ، ألا يألو جهداً فى الترفيه عنها بما يدخل عليها السرور . قالت عائشة رضى الله عنها : « كنت ألعب بالبنات عند رسول ـ ﷺ ـ فى بيته ، والبنات هى اللعب على هيئة التماثيل الصغيرة ... ولا ريب أن رسول الله ﷺ ـ كان هو الذى يحضر تلك اللعب ويطلع عليها مع ما فيها من مماثلة للأصنام الكبار التى جاء لتحطيمها ، قالت : « كان لى

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والدرامى والإمام أحمد فى مسنده .
(٢) سورة الطلاق : ٦ .
(٣) سورة الطلاق : ٧
(٤) سورة النساء : ١٩ .
(٥) سورة الطلاق : ٦ .
(٦) رواه الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد .
(٧) رواه ابن ماجه .

صواحب يلعبن معى ، وكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن ــ أى يستخفين ــ فيسر بهن إلى فليعبن معى » .

ومن حسن العشرة أن يكون طلق الوجه مع زوجته ، يحسن اختيار الكلمة الحلوة ، ويشكرها على ما تؤديه من خدمة له ولأولادها ، فإنها غير مكلفة شرعاً بشىء من ذلك ويحاول أن يسرى عنها إذا غضبت ويخفف عنها إذا تعبت .

ولو أنك مازحت زوجتك تبتغى إدخال السرور عليها لوجه الله لكان ذلك حسنة توضع فى ميزانك ، لأن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبى وقاص : « وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أُجرت عليها جنى اللقمة تضعها فى فم امرأتك »(١) والمراد هنا المداعبة فوضع اللقمة من الزوج فى فم امرأته لا يليق إلا أن يكون فى مداعبة أو مرض .

وهكذا يستطيع المسلم الفاهم غير المعقد وغير المكبل بأغلال المفاهيم الخاطئة أن يجعل من مخدعه هو وزوجته محراب تعبد باستمتاع بعضهما ببعض ومؤانسة بعضهما لبعض .

وكان النبى يسابق السيدة عائشة فتسبقه أو يسبقها ... وكان عليه السلام يجمع نساءه كل ليلة ، فيتبسط معهن فى الحديث ، ويلاطفهن حتى تنصرف كل منهن إلى مضجعها وهى قريرة العين .

ويستطيع كل إنسان فى ضوء هذه السماحة أن يعرف كيف يلاطف زوجته بما يسرها ، ويرفه عنها . وإذا كان الرسول عليه السلام يدع التحرج فى ملاطفة زوجته باللعب التى تشبه الأصنام ، فأحرى أن تسعنا الملاطفة فيما لاشبهة فيه ، والعبرة بكياسة المرء ولطف حسه وذوقه ووقوفه عند حدود الله .

(ب) ومن حسن عشرتها حسن الظن بها وترك التجسس عليها وعدم تتبع عثراتها ، فمن الأزواج من تذهب به الغيرة إلى سوء الظن الذى يقوده إلى تأويل كثير من كلماتها أو حركاتها تأويلا سيئا يفسد عليه عيشه معها ، ويدعوه إلى التجسس عليها ، ومفاجأتها فى البيت لينظر ما تفعل ، أو لينظر من يكون معها ... وقد نهى رسول الله ــ ﷺ ـ عن ذلك فيما نقل عنه جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : « نهى نبى الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم ، أو يطلب عثرتهم » والتخون أن يظن وقوع الخيانة من زوجته . والمراد ألا يطرقها مفاجأة ليعرف ما تكون عليه من عثرات ، فحسن الظن بها وإشعارها بكمال الثقة أولى .

وهذا من آداب الإسلام التى تفرد بها حسن الظن بالزوجة وعدم الاستسلام لمثيرات الغيرة .

(جـ) هذا ويدخل فى حسن المعاشرة المحافظة على حيائها ، إذ أن جمال المرأة فى حيائها ، وكذلك المحافظة على حقوقها الزوجية من إعطاء حقها فى الفراش .

---

(١) رواه الشيخان .

(د) عدم كشف سرها لأحد ، لأن ذلك ينذر بالقطيعة ويخلق الحقد والضغينة ولأنه يعتبر من سوء الخلق ، ولهذا كلـه فقد منع الإسلام كشف سرها ، فقـال الرسول ﷺ . « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها » (١) .

(هـ) السماح لها بـزيارة أهلهـا إذا أرادت ذلك ، والسماح لأهلها بـزيارتها فى بيتهـا فى أوقات معلومـة ، لأن ذلك من صلة الـرحم وهى واجب فى الإسلام فإذا هى أرادت هـذه الصلة فمعنى ذلك أنها تريد أداء حق من حقوق الإسلام عليها .

(و) مساعـدتها ومعاونتها عند الحاجـة كما كان يفعل الرسول الكـريم مع نسائه ، ولاسيما فى الحالات المرضية .

(ز) احترام ملكيتها الخاصة وألا يتصرف فيها إلا بإذنها .

تعليمهـا ما تحتاجـه من أمور الديـن :

الرجل مسئول عن امرأته أمام الله ، لأنه راعيها وكل راع مسئول عن رعيته كما جاء فى الحديث الصحيح ، فيعلمهـا مالم تتعلمـه من الطهارة والـوضوء وأحكام الحيـض والنفاس والاستحـاضة وأمور الصلاة والصيـام ، وقراءة القرآن وذكر الله ، وواجبها نحـو أهلها وجيرانها وأقاربها ، وكيف تلبس ملابس شرعية ، وكيف تجتنب الخلوة بالرجال ، وكيف تخاطب الرجال وتحادثهم إن دعا إلى ذلك داع إلى آخر ما يطلب منها شرعاً فإن لم يستطع فعليه أن يسأل العلماء ويبلغها ، فإن لم يفعل وجب عليـه أن يأذن لها لتخـرج وتتعلـم ، فإن لم يأذن لها وجب عليهـا الخروج بغير إذنه بـالنسبـة لتعلـم الأمور الواجبة والمحرمة ، فإذا تعلمت الواجب والمحرم فلا تخرج لطلب العلم إلا بإذنه .

الغيـرة عليهـا :

ومن حقوق الـزوجة أن يغار الـزوج عليها فلا يعرضهـا للشبهة ، ولا يتساهل معهـا في كل ما يؤدي شرف الأسرة أو يعـرضها لألسنة السوء ، والتسـاهل في هذا قبيح لايعد من مكـارم الأخلاق في شيء ولايعد من اكرام المرأة أو احترامها ، لما يجره هذا التسـامح من شقاء لها ولزوجها وأولادها ، وما زال النـاس في مختلف البيئات تتأثر سمعتهم وكـرامتهم بسلوك الـزوجات ، فمن أغضى عن زوجته وهـو يرى أو يسمع عنها ما يشين ، فقـد أخرج نفسه من زمـرة الرجال الذين لهم حـرمة في النفوس ومنزلة عنـد الله . وقد قال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من غيرة سعد ـ أحد أصحـابه ـ أنا والله أغيرُ منـه والله أغيرُ مني » (٢) . وكـانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنـه زوجة للـزبير بن

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخاري ومسلم .

العوام ، وكان في بدء أمره فقيراً تنقلُ النوى على رأسها من مسافة بعيدة لتعلف بـه بعيرها . فرآها رسـول الله ﷺ ذات مرة وهي تحمل النـوى فأحب أن يركبهـا معه على بعيره « فـرغبت في ذلك ، ولكنها تذكرت غيرة زوجها الزبير فأعرضت واعتذرت ، ثم حدثت بذلك زوجها حين قدم البيت فقـال لها : والله لحملك النـوى على رأسك أهون علي من ركـوبك مع رسـول الله ﷺ ! قـال ذلك لفرط غيرته « ولم ينكـر عليه رسول الله وهو المأمـون الحبيب ذو الخلق العظيم ... والغيرة المحمودة هي ما كانت في محلها وفي حـدود الاعتدال ... أما ما جاوز الحد وكان ظناً بـاطلاً لا أساس له إلا وسوسة الشيطان « فهو من الغيرة المكروهة التي تحدث عنها رسول الله ﷺ بقوله : « **أن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل ، وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة** »(١) . وقال علي رضي الله عنـه لا تكثر الغيرة على أهلك ... أي بغير داع إلى ذلك ــ فترمي امـرأتك بالسـوء من أجلك ... وكم رأينا من جنايات الغيرة المبغوضة على العائلة وسمعتها ما أدى إلى كثير من الجرائم (٢) .

حقـــوق الـــزوج

عرفنا حقوق الـزوجة على زوجها ، وأدركنا مسئولية الـزوج عن زوجته ، وأن عليه أن يهيىء لها المال والسكن ووسائل الـراحة المادية كما عليه أن يحسن عشرتها ويكـرم صحبتها ، ويكفل لها كل أسباب الراحة النفسية والاستقرار والبهجة والسرور .

فالـرجل فى نظام الإسلام هـو المكلف أن يسعى ويكد ويتعب من أجل زوجته وأبنـائه حاضراً ومستقبلا ، فيتاجر أو يزرع أو يصنع أو يعمل أى عمل آخر يتعيشون منه . وهو المطلوب منه بعد ذلك أن يقوم بـالواجبات الاجتماعية : فيشـارك فى التعمير والبناء وأنواع المجامـلات والمساعدات المالية وعليه ضريبة الدم يزود بها عن حياض دينـه وماله وأهله ووطنه ، وعليه أعباء الحكم وإدارة الأعمال والمنشآت والمؤسسـات والشركات ، والحفاظ على الأمن ومطاردة اللصـوص والقتلة وجميع المجرمين . وهـو المكلف أصلا بالبحث والاختراع والإكتشاف للـوصول بأمته إلى المكانـة العليا . مرفوعة الجانب ، موفورة الكرامة فى رفاهية العيش . إن أحمال الرجل ثقيلة وتكاليفه شاقة ...

والمرأة لم يطالبهـا الشرع بشىء من ذلك كلـه ، إنما المطلوب منها أمـران لا ثالث لهما إن كـانت زوجة :

١ـ أن تعيش لزوجها سكناً ورحمة ووداً ، حتى يجد بجانبها السعادة والاستقرار .

٢ ـ أن تقوم بدور الأم كاملا مع أولادها حتى تسلمهم للمجتمع رجالا صالحين عاملين .

ونفصل هذين الواجبين على المرأة نحو زوجها فى الآتى :

---

(١) رواه أبو داود والنسائى .

(٢) عن كتاب « أخلاقنا الاجتماعية » للدكتور مصطفى السباعى رحمه الله .

معرفة مكانته :

وهذه المكانة التى للرجل على المرأة يقررها القرآن الكريم فى آيتين ، إذ يقول الله تعالى : **﴿ ولهن مثل الذى عليهن ، وللرجال عليهن درجة ﴾**(١) قال القرطبى : درجة : أى منزلة . فزيادة درجة الرجل بعقله وقوته على الانفاق وبالدية والميراث والجهاد . إلى أن قال : « فدرجة » تقتضى التفضيل وتشعر بأن حق الزوج عليها أوجب من حقها عليه ، ولهذا قال عليه السلام : « لو أمرت أحداً بالسجود لغير الله ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » إلى أن قال : « وقال ابن عباس : الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة والتوسع للنساء فى المال والخلق ، أى أن الأفضل ينبغى أن يتحامل على نفسه .

وإذ يقول تعالى : **﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله عليهم بعضهم على بعض . وبما انفقوا من أموالهم ﴾**(٢) قال ابن الجوزى فى زاد المسير فى معنى تفضيل الرجل على المرأة : وفضل الرجل على المرأة بزيادة العقل ، وتوفير الحظ فى الميراث والغنيمة والجمعة والجماعات ، والخلافة والإمارة والجهاد ، وجعل الطلاق إليه إلى غير ذلك . وفى معنى قوله تعالى : **﴿ وبما انفقوا من أموالهم ﴾** يقول ابن كثير أى من المهور والنفقات والكلف التى أوجبها الله عليهم لهن فى كتابه وسنة نبيه ﷺ ، فالرجل أفضل من المرأة وله الفضل عليها والإفضال ، فناسب أن يكون قيما عليها .

ومن هنا تتضح مكانة الرجل كما يقررها الخالق فى كتابه العزيز وهى المكانة والدرجة التى يجب على المرأة أن تحيط بها علماً لتسلك مع زوجها السلوك الذى يرضاه الله ، ولتكون دافعاً فى أن لاتتبرم به ولاتمله ولا تنكر فضله عليها إن كانت مسلمة الوجه لله .

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

وعن حصين بن محصن رضى الله عنه أن عمة له أتت النبى ﷺ ، فقال لها : أذات زوج أنت ؟ قالت : نعم ، قال : فأين أنت منه ؟ (٣) قالت : ما آلوه إلا مع عجزت عنه(٤) قال : فكيف أنت له(٥) ؟ فإنه جنتك ونارك » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ : «أى الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها قلت : فأى الناس أعظم حقاً على الرجل قال : أمه »رواه البزار بإسناد حسن .

وهنا تقابل جميل يعطى المرأة جزاء ما تقدم ، فبينما زوجها أعظم الناس حقا عليها .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٨ .

(٢) سورة النساء : ٣٤ .

(٣) يعنى أين تضعين نفسك منه ؟ هل تتكبر عليه أم تخضعين له .

(٤) لا أقصر فى حقه إلا عند عجزى وعدم قدرتى .

(٥) أى على أى حال تكونين معه ، فإنك تأخذين جزاءك على ذلك .

إذا بها أعظم الناس حقا على ابنها وهكذا العدل الإلهى المطلق .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لـو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » رواه النسائى والبزار .

وعن عبد الله بن عمـرو رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « لاينظر الله تبـارك وتعالى إلى امرأة لاتشكر لزوجها وهى لاتستغنى عنه » [1] .

الطاعــة وحســن العشــرة :

جعل الله سبحانه وتعالى الرجل قواما على المرأة ورئيسا لها ، فطاعة المرأة لزوجها واجبة عليها ، وعصيان زوجها محرم عليها ، وتعذب عليه فى الدنيـا والآخرة إذا لم ترجع عنه وتعتذر لزوجها حتى يسامحها ، وحـالة الزوجة مع زوجها كحـالة الولد مع أبيه بل حق زوجهـا أكبر بنص حديث « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد » والمرأة الصالحة هى التى تـدرك ذلك وتعيه وعيا تاما ، وتخشى الله فى زوجها ، وتراقبه سبحانه وتعالى فى كـل صغيرة وكبيرة مخافة أن يغضـب عليهـا ، ولذا قال تعالى : ﴿ **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ﴾ [2] .

والمعنى أن النسـاء الصـالحات مطيعـات لأزواجهن حـافظـات لغيبتهم إذا غـابـوا فيحفظن أنفسهن ، ويحفظن أموال أزواجهن وأولادهـم حتى يعودوا وذلك بتوفيق الله لهن وحفظه ، فالطاعة للزوج أول صفات المرأة المسلمة الصالحة .

والطاعة شىء يدخل فى حسن العشرة وقد تطيع المرأة وهى لا تحسن العشرة بل تحسن أن تطيع فيما تؤمر به ، ولاتبحث عما وراء ذلك مع أن حسن العشرة هام جدا فى الحياة الزوجية .

وحسن العشرة ذوق وفن وتربيـة اجتماعية عاليـة . وبه دوام المحبة والألفة والـرحمة ، وكثيراً ما تحل المشكلات المستعصيـة بالبسمـة الحانية ، والنظـرة الودود ، والمجـاملة الـرقيقة ، والأسلـوب المهذب ، والخضوع اللين .

والمرأة التى تطيع زوجهـا وتحسن عشرتـه تكسب ثقته ودوام حبـه وشعـوره بـالسعادة معهـا ، فيعطيهـا أضعـاف أضعـاف ما تعطيـه حتى يصل الأمر إلى أن الـزوجة فى الحقيقـة هى التى تجعل زوجها ملبياً كل رغباتها ، بل سعيدا كل السعادة وهـو يلبى هذه الرغبات فيئول الأمر إلى أن الزوج هو الـذى يطيع زوجته . وكلما أسبغت المرأة على زوجهـا من عواطفهـا ورقتها وحسن اهتمامهـا به ملكت عليه قلبه وأشعرته بأن سعادته الحق لا تكون إلا معها . وقليل من النساء من يفهمن ذلك ومن يفهمن لايعملن غالبا . ولذلك يهرب الرجل .

---

(١) أى لا يرحمها إن لم تشكر زوجها وتعترف بفضله .

(٢) سورة النساء : ٣٤ .

والطاعة أمر عام يدخل تحته تنفيذ كل أوامر الزوج ـ فى غير معصية الله ـ والابتعاد عن كل شىء لايرضاه أو ينهى عنه ويمنع منه .

فلا تدخل أحدا بيته إلا بإذنه ولو كان أقرب الناس إليها أو إليه .

ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ، ولو كانت ذاهبة لأبيها وأمها .

ولا تتصرف فى ماله إلا بإذن خاص أو إذن عام ، كأن يقول لها : تصرفى كيف تشائين فيما تحت يدك من مال . هذا فى الأمور الكبيرة والمبالغ المرموقة ، أما فى التوافه فلا شىء عليها . كأن تعطى سائلة أو جارة قليلا من الطعام أو المال أو الملابس القديمة ونحو ذلك .

ولايجوز أن تصوم نفلا إلا بإذنه ، ولو صامت فاحتاجها جنسيا وجب أن تستجيب له وتفطر ، وكذلك لاتعتمر نفلا ولا تحج إلا بإذنه .

أما العمرة والحج الواجبان فإنها تستأذن مجاملة فقط ، فإن لم يأذن حجت واعتمرت بدون إذن ، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وإليك الأدلة على ذلك كله . وما لم يذكر تابع لما ذكره .

جاء فى الوصايا التى أوصى بها النبى ﷺ فى حجة الوداع أنه أوصى بالنساء خيراً إلى أن قال : « ألا أن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن ، ألا يوطئن فرشكم (١) من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها ، وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أى أبواب الجنة شاءت » . رواه ابن حبان فى صحيحه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لايحل لإمرأة أن تصوم وزوجها شاهد (٢) إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه (٣) فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » متفق عليه .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « اثنان لاتجاوز صلاتهما رءوسهما : عبد آبق (٤) من مواليه حتى يرجع ، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع » رواه الطبرانى فى الأوسط .

---

(١) ألا تسمح لأحد أن يتمتع بالأمور الخاصة بزوجها كالسرير واللحاف والبيجاما إلا بإذنه .
(٢) شاهد : حاضر ، أما إن كان غائباً فلها أن تصوم .
(٣) من أجل الاتصال الخاص بها .
(٤) آبق : هارب من سيده ومالكه .

وعنـه رضى الله عنـه قال . سمعت رسـول الله ﷺ يقـول : « إن المرأة إذا خـرجت من بيتهـا وزوجها كاره لعنها كل ملك فى السماء » وكل شىء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع » .

أن تتزيـن لزوجهـا :

إن الطفل النظيف المرجل الشعر ، المهندم الثياب ، الطيب الرائحة يحبه كل من يراه .

والحجرة المنسقة ، المزينة بالزهور والصـور الطبيعية ، والكراسى الوثيرة ، والبساط اللين تريح الأعصاب ، وتجعل الجلوس فيها نوعاً من المتعة .

والبقعة الخضراء حين يجرى فيها جـدول الماء ، وتتدلى عليها أغصان الأشجـار ، وتسمع فيها تغاريد الطيور هى مكان شاعرى يبعث الحب ، ويجعل للحياة طعم النعيم .

والزوجـة التى يراها زوجها متـزينة له ، متعطـرة من أجله ، منظفة بيتها ودارهـا ، منظمة كل شئونها ، تستقبلـه ببسمتها » وترطب وجدانـه بحلاوة مقابلتهـا وكلامها » تمسح متاعبـه بعطفها وحنانها وحسن تصرفهـا ، وتهيىء له الجو الهادىء المناسب لوقت راحتـه ، وتوفر له مطـالبه التى اعتادهـا حين يدخل وحين يخرج سواء بنفسها أو بمسـاعدة الخدم ... إن مثل هذه الزوجـة متاع الدنيا وحوريتها ، وبهجة الحياة وبلسمها ، ونـور البيت وجماله ، ولو وقفت الدنيا كلها فى جانب ووقفت هذه المرأة فى جانب لاختار جميع الرجال هذه المرأة ، لأن بيدها مفاتيح السعادة وكنز الحياة وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة »[(١)] .

والمرأة الصالحة فسرت صفـاتها فى حديث آخـر بأنها التى إذا نظرت إليهـا سرتك وإن أقسمت عليها أبرتك ، وإن غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك .

وقد كـانت المرأة المسلمة حريصة كل الحرص على التـزين فى كل جزء من جسمها وشعـرها ، ومن تترك الزينة يعرف الناس أنها فى حالـة حزن إما لموت زوجها أو نفوره منها ، أو إهماله لها ، أو لموت أحد أقاربها .

والله تعـالى أخبر فى القرآن أن المرأة تعشق الـزينـة من صغـرها وتنشأ فيهـا فترك الـزينة ينـافى طبيعتها . قال تعالى : ﴿ **أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين** ﴾[(٢)] .

فالله يرد على الكفار الذين يقولـون : إن الملائكة بنات الله فيقول لهم ألم تجدوا إلا هذا الصنف لتنسبوه إلى الله وهـو الصنف الضعيف الذى ينشأ فى الـزينة والحلية ولا هم لـه سواهـا ؟ ... وهو ضعيف أيضاً عنـد المخاصمة . لا يستطيع أن يحج غيره من الـرجال ويفحمه الرجـال ... وهذه شهادة من الله العالم بطبيعة المرأة والخالق لها .

---

(١) رواه مسلم والنسائى والإمام أحمد .

(٢) سورة الزخرف : ١٨ .

سألت امرأة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى تزين المرأة لزوجها فأجابت : إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعى مقلتيك فتضعيهما أحسن مما هما فافعلى .

وكانت رضى الله عنها تكره أن تلقى امرأة زوجها فى كآبة الحداد ، فتروى الحديث الشريف : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تحد فوق ثلاثة أيام إلا على زوج » .

وفى حديث رواه البخارى خلاصته : أن سلمان الفارسى كان أخا فى الله لأبى الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فلم يجده ووجد امرأته متبذلة بغير زينة على غير المعهود من المرأة المتزوجة فسألها عن السبب فأخبرته أن أبا الدرداء لايهتم بالدنيا ولا بالنساء إنما هو صوام قوام ، فلما وصل أبو الدرداء أعد طعاماً لسلمان فلم يأكل منه حتى أفطر أبو الدرداء وأكل معه ، ولما جاء الليل أراد أن يقوم أول الليل فمنعه سلمان حتى الثلث الأخير من الليل ثم قال له : إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذى حق حقه . فذهب أبو الدرداء إلى النبى ﷺ وأخبره بقول سلمان فقال ﷺ « صدق سلمان » .

وهذه امرأة عربية تنصح ابنتها ليلة زفافها . فروى عنها أنها قالت لها : إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه .

فكونى له أرضا يكن لك سماء . وكونى لها مهاداً يكن لك عمادا وكونى له أمة يكن لك عبداً ، ولاتلحفى به فيقلاك[1] . ولاتباعدى عنه فينساك ، إن دنامنك فادنى منه ، وإن نأى فابعدى عنه . واحفظى أنفه وسمعه وغيبته ، فلايشمن إلا طيباً ، ولايسمع إلا حسناً ، ولايرى إلا جميلا واعلمى أن أطيب الطيب الماء .

وقال الأصمعى : رأيت فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى مختضبة وبيدها سبحة ، فقلت : ما أبعدها هذا من هذا « يعنى السبحة لاتتفق مع التزين والتجميل » فقالت :

ولله منى جانب لا أضيعه ... وللهو عندى والبطالة جانب .

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له .

ومن حق الزوج على زوجته :

أن لا تشتط عليه فى طلب مالا يقدر عليه من النفقة ، ولاتمن عليه إن كانت تنزل عن مالها بشىء فى نفقة البيت ، فقد روى أن رسول الله ﷺ قال : « أيما امرأة أدخلت على زوجها فى أمر النفقة وكلفته ما لايطيق ، لايقبل الله منها صرفاً ولا عدلا إلا أن تتوب وترجع وتطلع منه على

(١) لا تلحى عليه فى المطالب فيبغضك .

طاقته »[1] وروى عنه أيضـا أنه قال : « لـو أن جميع ما فى الأرض من ذهب وفضـه حملته المرأة إلى بيت زوجها « ثم ضربت على رأس زوجها يومـاً من الأيام تقول : « من أنت ، إنما المال مالى حبط عملها ولو كانت من أهبد الناس « إلا أن تتوب وترجع وتعتذر إلى زوجها »[2] .

ونحب أن لانختم هذه العجالة عن هدى الاسلام فى حقوق الزوج على زوجته « قبل أن نضع هذه الملاحظات أمـام نظر كل زوجة مسلمة تتشـوف إلى معرفة مالها ومـا عليها من واجبات حتى تلزم حدود الله فى علاقتها بزوجها وحتى تتقدس هذه العلاقات ويباركها الله .

١ ـ المرأة قبل الزواج مسئول عنها أبوها وأمها وأخوها ومن يعولها بعد الزواج تنتقل هذه المسئولية إلى الزوج . فإن عصت الله قبل الزواج وجب على أبيها وأمها وأختهـا نهيها عن المنكر ومقاطعتها إن أصرت على المعصية كترك الصلاة والتبرج ، ووجب على زوجها تأديبهـا وإجبارها على ترك المعصية حسب الترتيب السابق من الوعظ ثم الهجر فى المضاجع ثم الضرب[3] .

٢ ـ إن المرأة بعـد الـزواج لايجوز شرعاً أن يتـدخل أبوهـا وأمها وأقاربها فى الشئـون الخاصة بها مع زوجها على سبيل الافساد بينهما فإن ذلك حرام ، ولو صـدر أمر من أبيها وأمر من زوجها فإن الواجب عليهـا تنفيذ أمر زوجها لأنها انتقلت إليـه وصارت الولايـة له عليها وأمرهـا بيده دون أهلها .

٣ ـ خـدمة المرأة لنفسهـا ولزوجها تـابعة لعـرف البيئة ، ومهما يكن من أمـر فإن أحداً لم يقل : إن الزوجة عليهـا أن تخدم أهل زوجها ، وإجبارها على خدمتهم حرام وظلم سـواء كان المخدوم والد الزوج أو أمه أو أخاه أو اخته . وكثيراً ما نرى الزوجة تخدم عائلة زوجها ومع ذلك نجد أم الزوج تحرض زوجها عليها وتدبر المكائد لها .

٤ ـ مـن حـق الزوجـة أن تسكن فى بيت ومسكن لايشاركها فيـه أحد لأن حريـة المرأة مع زوجها وحياتها معـه شىء يخصها فليتنبه الأزواج وأهلهم لـذلك ، فإن أكثر النـاس يعيش فى خطأ وبُعد كبير عن الإسلام .

٥ ـ احترام الزوجة أهل زوجهـا أمر واجب عليها مثل أبيه وأمه وجده وعمتـه وخالته ، وهم شرعاً أحق بماله وأولى بـه من أهل زوجته فمحاولة الـزوجة إقحام أهلها على زوجهـا ، وإبعاد أهله عنه يعتبر جريمة تعـاقب عليها الزوجة فى الدينا والآخـرة ، وعلى الزوج أن يكون فى كل أموره رجلا لاتركبه المرأة ولاتسخره فيما يغضب الله ، ويجعله سخرية بين الناس .

٦ ـ وعلى الزوجة أن تترك لزوجها وقتا خارج البيت لـدعوته وواجباته الاجتماعية ووقتا داخل البيت يفرغ فيه لنفسه ولفكـره ، فإن كان عابداً تركت له وقتا تطمئن فيـه نفسه إلى عبادة الله بخشوع

(١) ، (٢) مكارم الأخلاق للطبرسى ص ١٥٧ .

(٣) مثل ضرب الأب لابنه للتعليم والأدب .

وحضور قلب . وإن كان عالماً تركت له وقتاً يقرأ فيه أو يكتب أو يؤلف أو يفكر ... إن اللذة التى يجدها العابد فى خلوته ، والعالم فى قراءته والأديب فى هدأته ، لاتعدلها لذة فى الحياة ، وقد لاتشعر الزوجة بهذه اللذة فلا تفهم لها معنى ، وقد تؤولها على معنى الكره والبعد عنها ... وهى فى ذلك متجنية على زوجها ومتجنية على نفسها ... فإذاأبت إلا أن تعكر عليه صفو هدوئه ولذته الروحية والعلمية فقد أجبرته على أن يكره جو البيت ، وأن يفر منه إلى مكان ينجو فيه من مضايقتها وإزعاجها . وقد تمتد النفرة من البيت فتصل إلى حد النفرة منها هى ، فلا يطيق رؤيتها ولايحب معاشرتها ، وهنا تكون الكارثة على الزوج والزوجة والأولاد والبيت بأجمعه ...

* * *

تنظيم علاقة الآباء والأبناء

إذا كان تنظيم العلاقات بين الزوجين يعتبر أساس البيت فإن تنظيم علاقة الآباء بالأبناء يعتبر بمثابة النتيجة من المقدمة فكما أولى الإسلام عنايته الخاصة بالتنظيم الأول ، فقد اهتم بالتنظيم الثانى حتى تقوم الأسرة المسلمة مستقرة الدعائم قوية البنيان ...

فكلما كان الزوجان صالحين موفقين فى الحياة الزوجية . متحابين متعاونين ، نشأ الأولاد مباركين من الله ، محفوظين من همزات الشياطين ، بعيدين عن أسباب النكد والضغط النفسى ، والعقد والانحراف ، والزيغ والأخلاق الذميمة ، لأن صلاح الأبوين يعود بالخير على الأولاد ولو مات الأبوان والأولاد صغار .

والعلاقة بين الآباء والأبناء تقوم على تبادل الواجبات ، فلكل واجبات نحو الآخر ، فهناك واجبات على الآباء نحو الأبناء ، وهناك واجبات على الأبناء نحو الآباء ، ولنبدأ بواجب الآباء نحو أبنائهم ، فقد أدى جهل الوالدين بالمبادىء العامة للاسلام وأهدافه الخاصة فى بناء الحياة ، إلى سوء التوجيه ، وفساد التقدير ، الذى أخرج إلى المجتمعات الإسلامية أجيالا فاسدة لاتمت فى أخلاقها وسلوكها وأهدافها فى الحياة إلى الإسلام بصلة ... ولما كنا فى مرحلة إعادة بناء المجتمع المسلم ، وكان الشباب هو عصب أى مجتمع وروحه الدافقة وبسواعده يقوم لنا البناء ، فقد أصبح الواجب الأول للأسرة المسلمة هو تكوين جيل مسلم ينهض بأعباء البناء وتتحقق به الآمال .

١- واجب الآباء نحو الأبناء

اهتم الإسلام كثيراً بالأبناء ، فهم ثمرة الحياة الزوجية وأمل الأمة ، فوجه الآباء إلى إحسان تربيتهم والعناية بهم ، وحضهم على ذلك فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾ (١) ، وقال رسول الله ﷺ : « ما نحل والد ولده من نحلة أفضل من أدب حسن » ، والنحلة هى العطية .

ولما كان الأولاد هم فى الآخرة شفعاء لآبائهم وأمهاتهم إن ماتوا صغاراً وحسناتهم يوضع مثلها فى ميزان آبائهم وأمهاتهم إن كبروا صالحين وعاشوا مؤمنين ، ولهم شفاعتهم إن ماتوا شهداء مقربين إلى الله رب العالمين ...

فقد قرر الإسلام لهم حقوقاً : بعضها واجب ، وبعضها مستحب ، أهمها النفقة والتسوية بينهم فى المعاملة ، والتربية والتعليم .

---

(١) سورة التحريم : ٦ .

النفقـة

نفقـة الأولاد ذكـوراً كانوا أم إناثـاً واجبة على الوالـد حتى يشتد عود الذكـر ويستطيع أن يعول نفســه ، وحتى تتزوج الأنثى ... والأب الـذى يقصر فى الانفـاق على أولاده آثم ، لأنه يعـرضـهم بذلك إلى الضياع والتشرد ، لقول الرسول الكـريم : كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » وقوله : عليـه السلام : « إن الله ســائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع حتى يسأل الـرجل عن أهل بيته »[1] . وهذه الأحاديث يجمعها قوله ﷺ : « كلكم راع ومسئول عن رعيته »[2] .

وقد جعل الإسلام نفقة الرجل على أسرته وأهل بيتـه مقدمة على أى نوع آخر من أنواع النفقة ، فقال ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول »[3] .

وحرصاً من الإسلام على عفة المرأة وحيائها ورقتها وجمالها ، فقد جعل ثواب الآباء فى النفقة على الإنـاث عظيماً ، فقال ﷺ : « من عـال جاريتين حتى تبلغـا جاء يـوم القيامـة أنا وهـو ، وضم أصابعه » وفى رواية أخرى قال : « من عال جارتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه : السبابة والتى تليها »[4] . والمراد من الحديث أن من قام برعاية بنتين أو أختين أو غيرهما ، فأنفق عليهما وأحسن أدبهما جعله الله يوم القيامة فى منزلة الجار الملاصق للنبى ﷺ فى الجنة . وهذا دليل رفع درجاته عند الله بسبب ذلك .

التسـوية فـى المعاملـة :

إن إيثار بعض الأبناء على البعـض يعود على الأولاد بأسوأ العواقب ، لما يـولده من روح الحقد والحسد فى نفـوسهم ، وما ينزعه من عـواطف الحب والمودة فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين الآباء من جهة أخرى ؛ هذا إلى جانب مـا قد تسببه التفرقة فى المعاملة من إصابـة بالعقد والأمراض النفسية التى تعرضهم للانحراف .

إن إيثار بعض الأبنـاء على البعض لاسيما إيثار البنين على البنات كما يحدث عادة فى مجتمعـاتنا بعـد أن حادت عن أخـلاق الاســلام إلى أخلاق الجاهليـة من أقبح الفعـال وأرذل الخلال . التى حاربها الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « اتقوا الله وأعدلوا فى أولادكم » .

والأصل فى هذا الموضوع ما رواه النعمان بن بشير ، فقـال « إن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال : « إنى نحلت ابنى هذا غلاماً[5] كان لى ، فقال رسول الله ﷺ : « أكل ولـدك نحلته مثل هذا ؟ فقال : لا . فقال رسول الله ﷺ فأرجعه » .

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الطبرانى وهو فى الصحيحين بنحوه .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) نحلت : وهبت ـ غلاماً : المراد به عبد مملوك شاب .

وجاء فى رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال لـه : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ قال : لا ، قال : « اتقوا الله وأعدلوا فى أولادكم » قال : فرجع أبى فرد تلك الصدقة .

وفى رواية قال : « فلا تشهدنى ، إذا فإنى لاأشهد على جور » .

وجاء فى شرح الإمام النووى للحديث قوله : « وفى هذا الحديث أنه ينبغى أن يسوى بين أولاده فى الهبـة ، ويهب لكل واحـد منهم مثل الآخـر ولا يفضل ، ويسـوى على الـراجح بين الـذكـر والأنثى ... وهذا هو الصحيح المشهور لظاهر الحديث الذى لم يفرق بينهما » .

وإذا رجعنا إلى الأحاديث الـواردة فى الموضوع لأدركنا أن الرسول ﷺ ؛ قـد لمس جانبا خطيراً فى علاج المفاضلـة بين الأولاد » حيث بين أن الأب فى حاجة إلى برهم جميعاً ، وأن المفـاضلة نوع من الجور الذى يسبب البغضـاء بين الأولاد » كما أنه يسبب قطيعـة الرحم ، وقـد يسبب عقوق الأب ومعلوم أن الإسـلام حرص حرصاً كبيراً على تـوفير أسباب الوئام فى الأسرة الـواحدة ، فحض على صلة الرحم وجعل القطيعة من الكبائر » وحض على بـر الوالدين ، وجعل العقوق من الكبائر ، فكل شىء يؤدى إلى القطيعـة والعقوق يأخذ حكمهما ، لذلك لايشك إنسـان فى أن تفضيل أحد الأولاد إذا كان سيؤدى إلى القطيعـة أو العقوق ، أو إليهما حرام وظلم وخروج عن أصـول الواجب نحـو الأسرة الواحـدة . وكثيراً ما يحدث التمـزق فى الأسرة والتناحـر والتقاتل أحيـاناً بسبب وقـوع الأبوين أو أحدهما فى غلطـة التفضيل ، سواء التفضيل فى العطف أو التفضيل فى العطا المادى . وقصة إخوة يوسف مع يوسف ومع أبيهم معلومة وهم الذين تربوا فى بيت رسول من سلالة الأنبياء والمرسلين .

أما إذا كـان التفضيل يسيراً غير مؤثر ، أو كان بـرضى باقى الأولاد رضاء حقيقياً ، أو كـان له سبب ومبرر مثل عجز أحد الأولاد لمرضه ، أو شدة ضعفـه ، أو عزوف الناس عن التزوج بإحدى البنات ، أو كان أحد الولـدين باراً والآخر عاقاً ، أو كان أحدهما متـديناً والآخر فاسقاً مستهتراً ، هنا يقال : إن التفضيل مكروه أو مباح .

وهذا كله فى الهبة والعطاء المتميز الواضح فى حال حياة الواهب الصحيح ، أما إن كان العطاء لا أثر له كما يعطى الوالد مصروفاً لأحد أبنائه قـرشين مثلا ويعطى آخر ثلاثة وأخرى أربعة حسب اعتبارات السن أو الحاجة ، أو كثـرة الغياب فى المدرسة ونحو ذلك فلا شىء فيـه ، لأنه ليس مما يؤثـر فى النفوس ويولد الحقـد . فإن كان مما يؤثـر فعلى الوالد أن يتصرف التصرف الذى لايـؤثر ، وليحذر الأب والأم كل الحذر من تدليل الذكور على حساب الإناث ، ومن إعطائهم أكثر بشكل مؤثــر فى نفـوس البنـات ، فإن ذلك حـرام كما سبق ولا يـدخل فى ذلك تـربية الأولاد والانفـاق عليهم ، فإن الواجب على الوالد إعداد البنين والبنـات للحياة حسب قدرتهم والدور الذى ينتظره كل منهم فى المستقبل » فإذا استطاع تعليم ولد تعليماً عالياً وعجز عن تعليم الآخر ، أو كان الآخر غير مستعد للسير فى خط التعليم إلى آخره فلا شىء على الأب ، ولا يقـال له » إن هذا له حق فى

المال بقدر ما نقص من نفقة بسبب عدم تعليمه ، لأنـه تراعى حالة الأب وحالة الابن أو البنت ، فما دام لم يقصر فلا شيء عليه .

كما أن هذا الكـلام لاعلاقة له بما يـوصى به الأب لأحد أبنائه أو إحـدى بناته بعد مـوته ، لأن الشرع أبطل الوصية للوارث إلا إذا أذن بها الورثة (١) .

التربيـة والتعليـم :

إن تربية الأولاد وتعليمهم فى مرحلة مبكرة تربية صحيحة من أهم واجبات الآباء ، أو واجبات البيت عموماً نحو الأولاد والمجتمع ، باعتبـار أن البيت هو مدرسـة الأطفال الأولى ، فإذا لم يقم بوظيفتـه فلا تعوضهـا أية مدرسـة أو مـؤسسة أخـرى . فليست المهـارة كل المهارة فى إنجـاب الأطفال ، بل المهـارة كل المهارة فى تـربيتهم وتكوينهم رجـالا تنتظرهم أمتهم ، وإذا كـانت كثرة النسل من المطالب الحيوية للأمة فإن صناعة الرجال من هذه الكثرة من أشد هذه المطالب إلحاحاً على أمة تريد استئناف رسالتها كخير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان التربويون قد تواضعـوا على أن الطفل يتقبل من آبائه أكثر مما يتقبل من معلمه ، وأن ما تربى عليه واكتسبه من عادات فى صغـره من الصعب إزالته عنه فى كبره ، ولذلك يجب الاعتناء به والحرص على تعليمه بحيث لايلقن إلا العقائد والأفكار الصحيحة ، ولايفعل والداه بمرأى منه مايخالف الدين والأخلاق الكـريمة وآداب المعاشرة السليمة . إذا كان التربويـون قد تواضعوا على ذلك ، فإن الإسلام قـد سبق وجعل من التربية حقاً للطفل على والديـه ، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾ (٢) .

فالتربية الحسنة حـق للأبناء على الآباء . والتربية الحسنة كما يعنيها الاسـلام هى التربية المتفقة مع المنهج القرآنى وأهـدافه فى صياغة الشخصيـة المسلمة وهى أمانة فى عنق الـوالدين ، إن قصرا فيها ووقع الأبنـاء فى المعاصى ، وانحرفـوا عن طريق الله ، فإنهم يعـذبون على ذلك يوم القيـامة ، فعلى الوالدين أن يعرفـا أبناءهم بربهم وبنبيهم وبكتاب الله ، وباليوم الآخـر وما فيه ، وبرسل الله وكتبه ، ليؤمنوا بذلك ، وعليهم أن يغرسـوا فى أنفسهم تقديس وتعظيم شعائر الله تعالى ، وكل ما جاء بـه الدين من عبـادات وأخلاق ومعـاملات وعليهم أن يعلمـوهم التطهر من النجـاسات ، والوضـوء ، والصـلاة ويجبروهـم عليهـا بالكلمة وهم أبنـاء سبع ، ويضربوهم عليهـا وهم أبناء عشر ، فقد قال الرسول ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » رواه أبو داود بإسناد حسن .

---

(١) عن كتاب « السلوك الاجتماعى فى الإسلام » للشيخ حسن أيوب ص ٢٤٣/ ٢٤٥ بتصرف .
(٢) سورة التحريم : ٦ .

وعليهم أن يؤدبوهم بآداب الشرع ، ويغرسوا فى نفوسهم حب الله ، وحب رسوله ﷺ ، وحب الصالحين ، وعليهم أن يمنعوهم من الوقوع فى المنكر وما حرمه الله تعالى ونهى عنه كتاب الله وسنة رسوله . فعن أبى حفص عمر بن أبى سلمة ربيب [١] رسول الله ﷺ قال : كنت غلاما فى حجر[٢] رسول الله ﷺ وكانت يدى تطيش [٣] فى الصفحة [٤] ، فقال لى رسول الله ﷺ : « **يا غلام ، سم الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك** » ... فما زالت تلك طعمتى [٥] بعد .

وعلى الآباء أن يتدرجوا فى التعليم حسب سن الأولاد ، ويبدأوا بالأهم ، والأفضل أن يكون التعليم عن طريق القصة ، وعن طريق التقليد فى الأمور العملية كالوضوء والصلاة .

وللبنت أن تتعلم الأمور الخاصة بالنساء مثل الحيض والنفاس وأمثالها من أمها .

وعلى الوالدين تعليم أبنائهم ما يعتبر من الأمور الضرورية حسب تطور العصر الذى يعيشون فيه وحسب طاقة كل منهم مثل القراءة والكتابة والسباحة والرماية والتخصص فى صنعة أو مهنة تؤهلهم للعيش الحر الكريم .

وعلى الآباء أن يوجهوا أبنائهم ويرشدونهم فى تخير أصدقائهم ولايدعوهم يصاحبون الأشرار والفاسدين والعصاة ، فإن الأخلاق تعدى ، والمرء على دين خليله ، وصاحب السوء لا خير فيه لنفسه فلا يكون فيه خير لغيره والوقاية خير من العلاج .

٢- واجب الأبناء نحو الآباء

ليت الأبناء قدروا حق الآباء وعرفوا فضلهم عليهم حق معرفته وواجبهم نحوهم حتى يقابلوا الإحسان بالإحسان ، والفضل بالفضل ، والواجب بالواجب ، ولكن أنى لهم ذلك ، إن أقل الواجب عليهم ، الطاعة والبر والإحسان مقابل إنعامهم عليهم وتعبهم من أجلهم وهم صغار ، وكيف لايجب على الإنسان أن يطيع والديه وقد حملته أمه وهنا على وهن ووضعته وهنا على وهن ، وحملته حين كان جنيناً فى بطنها . وحملته بعد أن وضعته فى حضنها أيام وشهور ، وكم سهرت عليه لراحته واستيقظت من نومها لصياحه ، ومرضت لمرضه ، وبكت لبكائه . والأب كم كد وجد وتعب من أجل ولده رعاية لنموه ومحافظة على صحته وحياته ...

فإذا كان الأمر كذلك ، أليس من الواجب معاونتها ودفع الأذى عنها والانفاق عليها ، ولاسيما إذا كانا قد ضعفا وعجزا « أو مرضا وشاخا ، وأخذا ينظران إليه نظرة من يطلب الوفاء ورد

(١) ابن زوجته أم سلمة رضى الله عنها .
(٢) أى فى كنفه وحمايته .
(٣) يعنى لا يأكل من موضع واحد .
(٤) إناء الطعام .
(٥) طعمتى : بكسر الطاء يعنى صفة أكلى وهيئته بعد ذلك .

الجميل ، فهل يقابل النعمة بالنعمة والاحسان بالاحسان ، أم يسيء إليهما بعد إحسانهما إليه ؟ !

إذن فلا غرو ، أن شرع الله واجب الإحسان إليهما والبر بهما بعد واجب توحيده وعبادته ، وجعل الإحسان إليهما قضاء وإلزاماً فقال تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿**واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا** ﴾[2] .

لقد جعل الله مرتبة الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده وعبادته ، ولم يقدم على الوالدين مخلوقا ، ولذلك قال الإمام النيسابوري في تفسيره : وإنما جعل الإحسان إلى الوالدين تالياً لعبادة الله لوجوده منهما :

١ ـ أنهما سبب وجود الولد ، كما أنهما سبب التربية ، فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين .

٢ ـ ومنها : أن إنعامهما يشبه إنعام الله تعالى من أنهما لايطلبان بذلك ثناء ولا ثواباً .

٣ ـ ومنها : أنه تعالى لايمل من إنعامه على العبد وإن أتى بأعظم الجرائم ، فكذا الوالدان لايقطعان عنه مواد كرمهما وإن كان غير بار بهما .

٤ ـ ومنها : أنه لا كمال للولد إلا ويطلبه الوالد لأجله ويريده عليه ، كما أنه تعالى لايرضى لعباده إلا الخير ، ومن غاية شفقه الوالدين : أنهما لايحسدان ولدهما إذا كان خيراً منهما ، بخلاف غيرهما ، فإنه لايرضى أن يكون غيره خيراً منه .

ولهذا حكم رسول الله ﷺ بأن الولد وماله ملك لأبيه . فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله ، إن لي مالا وولداً ، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي ، فدعا أباه ، فهبط جبريل عليه السلام فقال : إن الشيخ قد قال في نفسه شيئاً لم تسمعه أذناه .

فلما قدم ، فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا . فسأله النبي ﷺ عما ادعى ولده .

فقال : سله يا رسول الله ، هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو إحدى خالاته ؟

فقال رسول الله ﷺ : دعنا من هذا ، وأخبرني عن شيء ، قلته في نفسك ، ولم تسمعه أذناك !

قال الرجل : لايزال الله يزيدنا بك بصيرة ويقينا ، نعم .

قال : هات ... فأنشأ الرجل في خطاب ولده :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً   تعل بما أحنو عليك وتنهل[3] .

---

(١) سورة الإسراء : ٢٣ .
(٢) سورة النساء : ٣٦ .
(٣) تسقى اللبن مرة بعد مرة .

إذا ليلة نابتك بالسقم لم أبت   لسقمك إلا ساهراً أتململ
تخاف الردى نفسى عليك وأنها   لتعلم أن الموت حتم مؤجل
كأنى أنا المطروق دونك بالذى   طرقت به دونى فعينى تهمُل [1]
فلما بلغت السن والغاية التى   إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة   كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذا لم ترع حق أبوتى   فعلت كما الجار المجاور يفعل
فأوليتنى حق الجوار ولم تكن   علىَّ بمال دون ذلك تبخل

فبكى رسول الله ﷺ وقال : ما سمع بهذا حجر ولا مدر إلا بكى ؛ وأخذ بتلابيب الولد ـ أى بمجامع ثيابه ؛ وقال : أنت ومالك لأبيك .

من معانى البر والعقوق :

قال الإمام القرطبى : بر الوالدين : موافقتهما على أغراضهما ، وعلى هذا إذا أمر أحدهما ولده بأمر وجبت طاعته فيه إذا لم يكن ذلك الأمر معصية .

وعن سعيد بن أبى برده قال : سمعت أبى يحدث أنه شهد رجلا يمانياً يطوف بالبيت وقد حمل أمه وراء ظهره ويقول :

أنا لها بعيرها المذلل   إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثم قال يا ابن عمر : أترانى جزيتها ؟ قال : لا ، ولا بزفرة واحدة ! !

وروى أن أبا هريرة رضى الله عنه أبصر رجلين ، فقال لأحدهما : « ما هذا منك ؟ فقال : أبى . فقال أبو هريرة : لاتسمه بأسمه ، ولا تمش أمامه ، ولاتجلس قبله » .

وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين ، فقال : ألا تقوم إلى خدمتهما وأنت كسلان ، وقيل : ألا ترفع صوتك عليهما ، ولا تنظر إليهما شزراً ولا يريا منك مخالفة فى ظاهر أو باطن ، وأن تدعو لهما ما عاشا ، وتترحم عليهما إذا ماتا .

ومن البر الانفاق عليهما إذا احتاجا إلى نفقة ، والتوسعة عليهما إن كانت حالتهما أقل من حالة ابنهما أو بنتهما ، وأن يرحم أباه وأمه من الأعمال الوضيعة ، ويكفيهما النفقة .

وعقوق الوالدين : هو إهمال حقوقهما والخروج عن طاعتهما ، وفعل مالا يرضيهما ، وإيذاؤهما ولو بكلمة مرة ، أو نظرة شرزة ... فمن فعل شيئاً من هذا استحق سخط الله تعالى ؛ وحرم تأييده

---

(١) تبكى لأجلك .

وتوفيقه ، وارتكب إثماً من أكبر الكبائر قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأكبر الكبائر قالوا : « بلى يارسول الله . قال : ألا الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور والزنا » وقال ﷺ : « من الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا : وهل يسب الرجل أباه ، فقال . نعم ، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه » . . .

حق الأم فى البر أكبر من حق الأب :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال أمك : قال ثم من ؟ قال : أمك قال ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

قال الإمام القرطبى : فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغى أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب . وذلك أن صعوبة الحمل ، وصعوبة الوضع . وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم دون الأب ، فهذه ثلاث مشقات يخلو منها الأب .

من بر الوالدين استئذانهما للجهاد :

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى نبى الله ﷺ فاستأذنه فى الجهاد « فقال أحى والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد » .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه أن رجلا من أهل اليمن هاجر إلى رسول الله ﷺ فقال : هل لك أحد فى اليمن ؟ قال : أبواى . قال : أذنا لك ؟ قال : لا . قال : فارجع إليهما فاستأذنهما ، فإن أذنا لك فجاهد ، وإلا فبرهما .

ويستدل الإمام القرطبى من هذه الأحاديث وغيرها على قوله : من الإحسان إليهما والبر بهما إذا لم يتعين الجهاد ألا يجاهد إلا بإذنهما .

وهذا دليل على وجوب استئذان الأبوين للجهاد إذا لم يتعين الجهاد عليه ، لأنه حين يتعين يصير فرض عين لا فرضاً كفائياً ، وهو يصير فرض عين فى الأحوال الثلاثة الآتية :

١ ـ أن يهاجم العدو بلده .　　　٢ ـ أن يختاره الإمام المسلم للقتال .

٣ ـ أن يكون الجيش الذي يدافع عن بلد إسلامى غير كاف ويستطيع أن يساعد هذا الجيش .

بر الوالدين بعد وفاتهما :

ولا يقتصر البر بالوالدين على حياتهما ، فلهما هذا الحق على أولادهما بعد موتهما أيضاً ، وذلك

بالاستغفار لهما والدعاء لهما بالرحمة والعفو ودخول الجنة ، والنجاة من عذاب القبر ومن نار جهنم ؛ فقد قال تعالى : **﴿ وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾** [(١)] ، وقد ورد في حديث رسول الله ﷺ الذي ذكر أن عمل المرء ينقطع بموته إلا من ثلاث ، ذكر منها الولد الصالح الذي يدعو له ، ويصل الوالدين بعد الموت ثواب صدقة الأبناء عنهما ، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله : « إن أبي مات ولم يوص أفينفعه أن أتصدق عنه ؟ قال : نعم » كما ينفعهما الصلاة لهما ، وقراءة القرآن ، والصيام ، وجميع الطاعات عند أهل السنة ، فذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى ذلك .

ولا يخفى على الأبناء أن من الواجب عليهم سداد الديون عن الوالدين بعد موتهما ...

ومن البر بالوالدين بعد موتهما صلة أقربائهما وأصدقائهما ، فعن أبي بردة رضي الله عنه قال قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال أتدري لم أتيتك ؟ قال : قلت : لا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ومن أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده » ، وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذاك ... وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله يقول : إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه [(٢)] .

وعن أبي أسيد بن مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال : يارسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ « قال : نعم ، الصلاة عليهما [(٣)] والاستغفار لهما [(٤)] ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما [(٥)] وصلة الرحم التي لاتوصل إلا بهما [(٦)] ، وإكرام صديقهما » [(٧)] .

* * *

(١) سورة الإسراء : ٢٤ .

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي .

(٣) الدعاء لهما بالرحمة .

(٤) طلب المغفرة لهما من الله .

(٥) العمل بوصيتهما .

(٦) صلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما مثل الأجداد والأعمام والأخوال وغيرهم .

(٧) رواه أبو داود .

خاتمـــة

ونختم هذا الفصل بكلمـة موجزة للإمام الشهيـد حسن البنا ، يلقى فيها الضـوء على المكانة العـالية للبيت فى الاسـلام ، ويحدد فيها أدوار الأفـراد فيه (الـزوج والزوجـة والأبناء) ومـالهم من حقوق وما عليهم من واجبات نحو بعضهم البعض ... يقول رضى الله عنه :

قيمـة البيـت :

إذا كـان الإسلام قـد أصلح القلوب ، ونظم الأوقـات ، وطهر الأمـوال ، فإنه تعـرض للبيت بالإصـلاح ونفذ إليـه بالتنظيم ، ورفرف عليـه بالسعـادة ، فجاء يـرغب المسلمين فى حياة الأسرة ويحضهم على الاستقرار ، ويحببهم فى البيت ومن فيه ، ويصفه بأنه نعمة كبرى من نعم الله .

جاء سيـدنا معاذ رضى الله عنـه إلى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يـوصيه ، فقال عليـه الصلاة والسلام : « يا معاذ أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » .

وليسعك بيتـك :

هذا المكان الطيب الآمن الذى فيه الزوجة والأبنـاء والأمهات والآباء ، فيه الراحة بعد التعب ، والسكون بعد الاجهاد ، وإن متاعب الحياة لتزول فى البيت المنتظم السعيد ، وإن جراح الأحداث لتمر عليها يـد المواساة الرحيمة فى البيت المسلم ، الذى هو عش الهنـاءة ومنبت الطهر ، ومكان الوفاء ومهد العطف والتراحم ، وقد تناول الاسلام تنظيم البيت بتنظيم الصلة بيـــن أهلـــه .

الـزوج :

يقول الرسـول ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمـام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهـل بيته ومسئول عن رعيتـه ، والمرأة راعية فى بيت زوجهـا ومسئولـة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيـده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئـول عن رعيته » (١) . فمسئولية الـزوج كـراع فى أهل بيتـه وهو مسئـول عن رعيتـه تلقى عليه تبعـات مـادية وأدبيـة داخل البيت وخارجه .

ففى خارج البيت : السعى على كسب ما يسد احتيـاجات البيت عن طريق شريف حلال ، وبقدر يضمن الحياة الكريمة لمن فى البيت .

وفى داخل البيت : التوجيـه والنصح ، والتقويـم والاشراف الكامل بحيث يلتـزم جميع من فيه تعاليم الاسـلام بكل جدية وصـدق ، وبهذا الالتزام وحده يسعـد كل من فى البيت ، ولاتتم هذه السعادة دون القدوة الحسنة من الأب والأم ، ففاقد الشيء لايعطيه .

---

(١) متفق عليه .

الزوجــة :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ (١) . ويقول النبى ﷺ : « **ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة** » (٢) . فـالزوجـة الصالحة روح البيت ، إليهـا تسكن النفس ، وبها تنتظم الحياة . تقـوم بتنظيم البيت ، وتربية الأبناء وتنشئتهم على الفضيلة والحق والخير ، وإن فى أمانتها استقرار الحياة وفى عنقها طمأنينة الزوج ، وفى فضيلتها نجابة الأولاد وصلاحهم ، وفى جمالها ونظافتها زينة الحياة والمتاع الحلال .

فرض عليهـا الاسلام من الواجبـات ما لايثقل النفس الكـريمة ، ولايبهظ الطبيعة المعتـدلة ، وسوى بينهـا وبين الزوج فى أمور الـدين ، فهى مطالبة بسـلامة العقيدة ، وطهـارة الذيل ، وأداء الفرائض ، وأبدلها خيراً من السعى والعمل خارج البيت مملكة هى أساس كل ملك ، ودعامة كل مجتمع ، « وإن المرأة التى تهز مهد الطفل بيمينها ، لتهز العالم بيسارها » ، وكفل لها من الحقوق ما خلصها من العبودية ، وانتشلها من الجور ، فهى إنسـان حر كريم ، لا يهضم له حق ولاتهدر له كرامـة ، وإن ما حققه الاسلام للمـرأة ليزرى بهذه الأباطيل التى يتشدق بها أولئك الفسقـة الذين يدسون لها السم فى الدسم ، ويلبسون الحق بالباطل .

وإن هـذه النداءات المغـرضة الصـادرة من وحوش هم أعـداء المرأة فى الحقيقة ، إنها أصـوات تدعـو المــرأة للعمـل واحتمال تبعات الحيـاة فى الخارج فتفقد بـذلك الحياء والخجل ، وهما رأس مالها ، وتتعـرض عفتها وكـرامتها للانهيـار ، فالـرجل الذى يدعـو لذلك عـدو للمرأة ، حليف للشيطان ، والمرأة التى تصدق ذلك وتعمل له ، لهى عدوة لنفسها ومنساقة وراء الشهوات .

فكرامة المرأة فى صيانتها ، وعزتها فى خدرهـا ، ومكانها اللائق بها والذى خلقت من أجله هو البيت ، ومهمتها الحقيقيـة التى هيأها الله لها هى تربية الأبنـاء ، وتكوين الرجال ، ومـا أعظمها مهمـة لـو فطنت لها المرأة ﴿ **وقـرن فى بيـوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهليـة الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله** ﴾ (٣) .

ومن طاعة الله ورسوله أن تفهم المرأة مهمتها ، وتقوم بها خير القيام كما يريد الله ورسوله .

الأبنــاء :

وفى البيت أبناء ، هم ثمـرة الحياة ، ومعقل الآمـال كفل لهم الاسلام عطف الـوالدين فى أنبل الصور ، وأقـوى الحالات ، وأمر الأم أن تحسن الحضانـة وتكمل الرعـاية ، وأمر الـوالد أن يحسن التربية ، وكفالة السعادة .

---

(١) سورة الروم : ٢١ .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) سورة الأحزاب : ٣٣ .

« دخل رجل على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فوجد أبناءه يركبون ظهره ويلعبون معه ، فقال يا أمير المؤمنين : أنت سيد الناس ويهابك الملوك ، فكيف بك وأنت فى هذه الحال ، وإن لى عشرة من الأبناء إذا دخلت البيت جلس قائمهم ، ووقف قاعدهم ، وسكت متكلمهم وكان الخليفة قد ولاه عملا فقال له رضى الله عنه : إنك غير رحيم بأبنائك ، فكيف ترحم المسلمين ؟ ! وجرده من عمله .

هذا هو الاسلام يجعل الأبوة رحمة وعطفاً على الأبناء ، ويجعل السعى عليهم من خير أنواع الجهاد .

وكان الرسول ﷺ فى جماعة من أصحابه فأشاروا إلى شاب قوى جلد فقالوا : حبذا لو كان هذا الجلد القوى فى سبيل الله ؟ فأجاب الرسول ﷺ ما معناه : « إن كان خرج يسعى على ضعيفيه فهو فى سبيل الله » وإن كان خرج يسعى على نفسه يقيها السؤال فهو فى سبيل الله » .

وقد فرض الاسلام على الأبناء أن يكونوا بررة طائعين لآبائهم وأمهاتهم **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً ﴾** (١) .

تشرد وإهمال :

وعندما ترك المسلمون العمل بينهم فى كل شىء ، أخذ البيت نصيبه من الإهمال ، فأصبح مكاناً بغيضاً يرى الإنسان فى كل مكان إلا فيه ، ويقطع وقته فى التسكع على المقاهى ودور اللهو ، واستبدل المؤانسة بالزوجة والأولاد بإخوان السوء ، وزملاء الشهوات والشر ، وأصبح شريداً يعمل على ضياع وقته ، وقد قيل : « الوقت هو الحياة » ، كذلك يعمل على ضياع ماله وترك زوجته مسهدة منكوبة مجروحة الكرامة ، وأبناءه بلا رعاية أو عطف أو رقابة ، فيتطرق الفساد إلى البيت ، وتتعرض الزوجة للخيانة ، ويقودها الشيطان ، وينشأ الأبناء أعضاء فاسدين ، فيكونوا جناية على الأوطان والمجتمعات .

أساس الخير :

علينا أيها الإخوان أن نأخذ أنفسنا بالحياة الصحيحة ، وأن نبدأ فى بناء مجتمعنا على أسس إسلامى خالص ، فنؤدى واجبنا نحو البيت بالإخلاد إليه فى وقت الفراغ واستغلال الفرصة لإسعاد الزوجة بالعطف وطيب العشرة ، ورعاية الأبناء والإشراف على تربيتهم لأن البيت الصالح هو أساس المجتمع الكامل والأمة القوية الناهضة .

(١) سورة الإسراء : ٢٣ ، ٢٤ .

الفصـــل الثالـث

قوانيــن الأسـرة القرآنيــة

قوانين الأسرة القرآنيـة التى نطرحها فى هذه العجالة ، ليست قـوانين الأحوال الشخصية حيث يطلقون عليها أيضا قوانين الأسرة ...

قوانين الأسرة القـرآنية قواعـد تربية وليست نصـوصا للتحـاكم بها أمام المحاكم وفى سـاحات القضاء ... هى تركيـز وتحديد لقواعد السلوك تضبط علاقـات وتصرفات أفراد الأسرة المسلمة كما وردت فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فغياب الأدب الاسلامى عن علاقات الأسرة نوع من الشقاء فى الوقت الذى يجب أن تقوم فيه هذه العلاقات على الرحمة ...

ولايسعنا فى هذا المقام إلا أن ننسب الفضل لذويه ، فقد استعنا فى معالجة هذا الموضوع بالمادة العلمية التى احتوتها الرسالة التى كتبهـا فضيلة الشيخ سعيد حوى رحمه الله بعنوان (قوانين البيت المسلم) .

القانــون الأول

فــى النظــافة والطهــارة

وتشمل نظافة وطهارة النفس وطهارة الثياب ، وطهارة ونظافة البيت .

١ ـ وتتحقق طهـارة البدن والثياب بـالتزام السنة ، بإزالـة النجاسات ، وأن المسلم على وضـوء ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

٢ ـ وتتحقق طهارة البيت ونظافته بالمحافظة على نظافة أدواته وطهارة أثاثه والعناية بمكان الصلاة فيه ويخص الحمام والمرحاض بمزيد عناية .

قـال رسول الله ﷺ : (إن الله طيب نظيـف يحب النظافـة ، كـريم يحب الكرم ، جـواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم ولاتتشبهوا باليهود) [١] ! !

* * *

(١) أخرجه الترمذى ـ حديث حسن .

القانــون الثانــى

فى الترتييب وحسن الهندام والهيئــة

إن أدب الرجل فى داخل بيتـه وخارجه هو حسن الترتيب وحسن الهنـدام ... فلا يجب أن يقع بصره عـلى شـىء مستنكـر أو مستقبح ؛ فمن المستقبح أن تترك الطاولـة بغير نظام والمكتبـة بغير نظام ، والملابس مبعثرة وليست فى محلهـا ، وبقاء المرأة بملابس نومهـا بعد الاستيقاظ والطفل فى أوساخـه ، ومن المستقبح كذلك عدم التفـريق فى المضاجع بين الأولاد وخـاصة الذكـور والإناث فيراعى لتحقيق حسن الترتيب وحسن الهندام ما يلى :

١ ـ أن يكون كل شىء فى البيـت مرتبا ، وأن يرتب كل شىء بعد نـوم أو عمل ، وأن يكون لكل شىء محله الخاص به ، وإذا استعمل فإنه يرجع إلى محله بعد الاستعمال .

٢ ـ يعــود كـل أفــراد الأســرة على عدم بعثرة أدواته وكل مـا يستعمله من كتب أو أوراق أو مفروشات .

٣ ـ يســارع أفــراد الأسرة بعـد الاستيقاظ إلى لباسهم المعتاد ، وأن يرتب أمـام الأولاد مما يعودهم الترتيب وحسن الهيئة والهندام .

القانــون الثالث

فى خفض الصــوت وعـدم الإزعــاج وكتمــان الأســرار

إن رفع الصوت بالنقاش أو بالضحك والقهقهة أو بإحداث أى نوع من الضوضاء إيذاء للغير وأثـر عن رعونــة النفس ودليل على أنها لم تتهـذب ولم يستطع صـاحبها أن يضبطهـا بـالضـوابط الشرعية .

١ ـ فبـالنسبة للكلام يـراعى أهل البيت المسلم : خفض الصوت وعدم رفعـه أكثر مما يحتـاج إليه السامع ، ويراعى ألا تنادى المرأة أحداً مـن رجال البيت أثناء وجوده مع ضيفه إلا فى ضرورة ويكتفى بقرع الباب ... وإذا قـرع باب البيت فلا يجب أن تتولى النسـاء الرد وإذا خلا البيت من الرجال واضطرت للرد فبصوت يخلو من أثر لضعف وبالقليل من الكلام .

٢ ـ وبـالنسبة لأنـواع الازعاج الأخـرى : كالصـوت المرتفع للـراديو أو التليفـزيون أو الضـوضاء والضجيج الذى يحدثـه الأطفال سواء عنـد بكائهم أو لعبهم أو عبثهم ، والـذى يحدث عند

استعمال أدوات البيت ... فيجب على أفراد البيت أن يتجنبوا ذلك فإن فى ذلك إيذاء وتشويش على بعضهم البعض وعلى جيرانهم .

٣ ـ ومما ينبغى أن يعتاده أهل البيت المسلم كتمان الأسرار ، فكل ما يجرى فى البيت لاينبغى أن يتحدث به أهله ، فإن من يفعل ذلك هو من شرار الناس كما ذكر الحديث النبوى الشريف .

القانون الرابع

فى تنظيم العلم والعبادة

إن ارتقاء الإنسان المسلم فى التزامه مرهون بارتقاء أهل بيته معه ، وينبغى لتحقيق هذه الغاية ، أن يكون لأهل البيت ـ أطفال ورجال ونساء ـ جلسات علمية تفقيهية داخل البيت أو خارجه فى بيوت أخرى وفى المساجد .

أ ـ تنظيم العلم ويشمل :

١ ـ جلسات أسبوعية لكل أفراد البيت والأطفال والرجال والنساء داخل البيت وخارجه فى بيوت أخرى وفى المساجد .

٢ ـ تنظم هذه الجلسات وفق مناهج محددة الأهداف بحيث يحصل كل فرد فى البيت على ثقافة إسلامية وثقافة معاصرة وثقافة تخصصية .

ب ـ تنظيم العبادة ويشمل :

١ ـ الصلاة ، تعويد أفراد البيت وبخاصة الأطفال على صلاة الفريضة جماعة بالمسجد والسنن بالبيت ، والتبكير إلى صلاة الجمعة .

٢ ـ الأذكار وتلاوة القرآن ، تعويد أهل البيت على الذكر فى كل حال والورد اليومى من القرآن الكريم .

٣ ـ الصيام ، تعويد أهل البيت على صيام النوافل ؛ كصيام الإثنين والخميس من كل أسبوع وصيام يوم عرفة وتاسوعاء وعاشوراء .

٤ ـ يستحسن ربط العبادة بالعلم الخاص بكل مناسبة .

القانــون الخامــس

فـى الإقتـصـاد فـى المعيشة

فالمسلم مكلف بالنسبة للطعام والشراب بالآتى :

١ ـ عدم الإسراف ... والاعتدال .

٢ ـ ألا يأكل ويشرب المحرمات وكل ما يضره .

٣ ـ أن يعــود أهــل البيـــت على مجاهدة النفس فى الطعـام والشراب ، فلا يجوز أن يكـون المسلم منهوما لا هم لحياته إلا الأكل والشرب .

٤ ـ تنظيم الرياضة فهى المكمل لدور الطعام والشراب .

وبالنسبة للملبس وكل مطالب المعيشة فالمسلم مكلف بالآتى :

١ ـ عدم تكديس الملابس وكل ما هو غير ضرورى من متغيرات (الموضة) .

٢ ـ التعامل الحسن مع الثياب والستائر وأدوات البيت عامة .

٣ ـ ويجب أن يعتـاد أهل البيت جميعا على أن يحاسب بعضهم بعضا على كل مـا هو إسراف بأدب ولطف .

القانــون الســادس

فـى العلاقـات وأدب التعامــل

ينبغى أن يعتنى داخل البيت المسلم بأدب العلاقات وحسن العشرة ...

فالأدب مع الوالدين وبرهما وتخصيصهما بمزيـد عناية ، وحسن العشرة بين الزوجين بأن يكون تعاملهما بـالحلم والحكمة وغض الصوت وتـرك الجدال والخصومة والطاعـة للزوج ورعايـة الأبناء وإحسان تأديبهم .

وبالنسبة لأدب التعامل يراعى ما يلى :

١ ـ لايسكت على سوء خلق أو سوء تصرف فى البيت ، ويراعى العلاج الأمثل .

٢ ـ ينبغى على كل فرد من أفراد البيت أن يخفض جناحيه ويتواضع للآخر ، وأن يعتاد على الكلمة الطيبة وإحسان استقبال الضيوف وإكرامهم .

٣ ـ الخدمة فى البيت واجب ذكوراً وإناثا .

٤ ـ يراعى مع الأطفال : كفهم عن العبث فى أى موطن ، وتعويدهم على احترام الكبار وعدم الإيذاء وغض الطرف والصوت ، ويعود الطفل منذ الولادة على ألا يفعل فعلا أو يقول قولاً إلا وقد حسن له الحسن وقبح له القبيح ، ذلك أن الطفل يولد وعنده نوع إدراك .

القانون السابع

فى العناية بالصحة والرياضة

أ ـ تدبير الصحة :

١ ـ فى البيت تراعى رتبه تهويته وتعريضه للشمس وتوالى تنظيفه .

٢ ـ فى العلاج يراعى تنفيذ أوامر الطبيب بدقة وعناية ويحسن العرض الدورى عليه .

٣ ـ فى الغذاء يراعى ألا يكون ناقصاً وغير ضار .

ب ـ العناية بالرياضة :

ينبغى أن يكون لكل فرد فى البيت رياضته الخاصة ، ويحسن الجمع بين الرياضة وشىء من الأذكار والدعوات .

القانون الثامن

حماية البيت من المظاهر المخالفة للشريعة

والمخالفة للأمن

من أهم ما ينبغى للأسرة المسلمة أن تعتاده :

١ ـ التفريق بين دائرتين من النساء : دائرة المحارم ودائرة غير المحارم ، فالدائرة الأخيرة لاتصح مصافحتها ولا لمسها ولا الخلوة لأفرادها ولا التكشف أو التبرج أمامها ، ولا ينبغى التساهل فى معرفة الحكم الشرعى فى هذه الناحية والانضباط به .

٢ ـ داخل البيت عورة يجب أن تصان من نظرة الآخرين ، كما يجب الاحتياط مما يتنافى مع الذوق العام ، ولا تكشف العورات حتى بالنسبة للصغار حتى يعتادوا على الستر .

٣ ـ ينبغى تعويد البنات فى سن مبكرة على عدم الظهور أمام الرجال .

٤ ـ يحمى البيت من تيارات الانحلال التى تبثها البرامج الإذاعية والتليفزيونية وأشرطة الفيديو أو المسجلات والصحف والكتب والمجلات الماجنة الفاسدة .

٥ ـ ينبغى أن تغلق الأبواب ويحترس من اللصوص والجواسيس ، وكل ما يهدد أمن البيت ويجعله معرضاً للشبهة ، كما ينبغى تأمين حركة الأطفال داخل البت فلا تترك أدوات أو آلات أو أدوية أو مواد كيماوية خطرة ، كذلك تأمين أمكنة لعبهم ولايتركوا خارج البيت فى أوقات الغروب .

القانون التاسع

إكرام الضيف وإحسان الصلة بالأرحام والجيران

أ ـ إكرام الضيف : البيت المسلم بيت مضياف كريم ، فالمسلم يهيىء نفسه وبيته وأهله لاستقبال الضيف وإكرامه ، وإكرام الضيف بلا كلفة مالية ولامشقة على الأهل هو أدب المسلم ، فالكلفة هى مقدمة البخل .

ب ـ صلة الأرحام : والبيت المسلم يزور الأرحام ويزوره الأرحام ، ويقوم بحق الأرحام بالإكرام والهدية والرسالة والاحترام وحسن الاستقبال .

جـ ـ حسن الجوار : جيران البيت المسلم آمنون مرتاحون معه ، حريصون عليه ، محبون له ... لأنه بيت يرعى حقوقهم ويكف الأذى عنهم ، من ذلك :

١ ـ تفطنه للقيام بحقوق المناسبات من أفراح أو أحزان .

٢ ـ رعايته لأولادهم وعدم التشويش عليهم .

٣ ـ أداء حقوق الشركة معهم كاملة .

القانون العاشر

فى آداب الدخول والخروج

١ ـ ينبغى على أفراد البيت المسلم تطبيق السنة عند الدخول ، وعند الخروج من البيت فعند الدخول تقدم الرجل اليمنى وعند الخروج تقدم الرجل اليسرى ، كل هذ مصحوباً بذكر المأثور من أدعية الرسول ﷺ .

٢ ـ يـراعى كـذلك ، قبل أن يخرج النية والـوجهة وتفقـد الهندام ، فـالمرأة تتفقد هنـدام زوجها ، وكذلك هى مسئـولة عن هندامها وحجـابها ، مع مراعاة تجنب ما هـو محرم عليها فى الخروج كعدم الاستئذان من الزوج وكذلك رائحة العطـر وصوت الحذاء وكل ما يلفت النظر إليها فى الطريق .

٣ ـ والأولاد يعَوَّدون الاستئذان قبل الخروج والانضباط فى مواعيد الدخول والخروج من البيت .

* * *

الفصل الرابع
من أسرار التربية السليمة

الطفل هو أعظم ثروة تملكها الأمم الناهضة ، والآباء هم الأمناء على هذه الثروة ... فالطفل يولدعلى فطرة الإيمان والتوحيد ، ويملك أبواه أن يستقيما به على جادة الاسلام أو ينحرفا به إلى الشرك والكفر ...

فالولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع يربيه البيت والأسرة ، وهو مدين لأبويه فى سلوكه ، ومن معجزات الإسلام فى علم التربية أنه سبق إلى هذه الحقيقة قبل أربعة عشرة قرنا حين قال ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو يمجسانه »[١] ، وهذا صريح فى أن اتجاه الولد الفكرى والخلقى والاجتماعى متأثر أولاً وقبل كل شيء ببيئة الأبوين وأفكارهما وأخلاقهما وأسلوب تربيتهما ...

ومن أجل تقديم العون للوالدين فى مهمتهما التربوية لإخراج جيل مسلم قوى بإيمانه وأخلاقه قادر على تحقيق آمال أمته واستعادة قوتها وعزتها ... نقدم فيما يلى بعض الخبرات التربوية المستهدية بحقائق الاسلام ونور الايمان .

أسس التربية السليمة

يبدأ العمل التربوى الإسلامى فى تكوين الشخصية المسلمة فى وقت مبكر : منذ اللحظة الأولى فى أفناء البيت المسلم حيث تنبت الناشئة وتدرج ، بل منذ اختيار الزوجين ، إذ من أصلابهما ومن دمائهما يجيء الطفل ومعه وراثات واستعدادات ، ومنهما تتكون بيئة الأسرة التى يجد فيها الطفل عالمه ومقومات سلوكه ، فلا يقع سمعه أول ما يقع إلا على ما يصدر منهما ، ولايشاهد أول ما يشاهد إلا صورتهما ولا يستقى أول مايستقى من قيم واتجاهات إلا من معين روحهما وفكرهما . وقديماً قال بعض السلف : « لولا المربى ما عرفت ربى » .

لهذا يحث الإسلام على حسن اختيار المرء لزوجته لأن الولد فرع لها ، وللفرع حكم الأصل ، وإن الفرع بأصله يطيب ، فقال تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض** ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ، وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين** ﴾[٣] .

---

(١) رواه الطبرانى والبيهقى .
(٢) سورة آل عمران : ٣٣ ، ٣٤ .
(٣) سورة الطرور : ٢١ .

كما يحث على أن يأكل المسلم من الحلال ، ويطعم زوجته من الحلال أيضاً ، لأن النطفة تنشأ من الدم ، والـدم ينشأ من الغذاء ؛ وكل لحم نبت من حـرام فالنار أولى بـه ، ومن خلق للنار ؛ عمل عمل أهل النار ؛ ولا تربية حينئذ تفلح ولا تهذيب ينفع ... ويحض المسلم على الدعاء عند الجماع بأن يجنب الله ما يرزقانـه الشيطان وأن تعلق الأم رجاءها بالله تعالى ـ عنـد شعورها بالحمل ـ أن يكون جنينها فى المستقبل تقياً صالحاً ... ويستحب أن تخالف الأم هواها فى مشتهياتها أحيانا فى أثناء الوحم ؛ فالجنين جزء منها ؛ ويتأثر مما تتأثر منه من قوة الإرادة أو ضعفها .

ويسن الاسلام الأذان بصوت خفيض فى أذن الوليد اليمنى و إقامة الصلاة فى أذنه اليسرى ...

ولما كان اسم المرء كالزى له إيحاءاته وأثره على دينه وسلوكه وخلقه ، فقد حرص الرسول ﷺ أن يتسمى أبنـاء المسلمين بأسماء جميلة ومعبرة عن عقـائد الاسلام وقيمـه ، فكان عليـه السلام يغير الاسم القبيح ، فغير اسم العاصى وعـزيز و الحكم وغيرها من الأسماء القبيحـة ... قال العلماء . أما العاصى « فإنما غيره لمعنى العصيان » وإنما سمة المؤمن الطاعة والاستسلام لله . وأما العزيز ، إنما غيره لأن العزة لله » وشعار العبد الذلة لله والاستكانة له . وأما الحكم ، هو الحاكم الذى لا رد لحكمه ، وهذه الصفة لاتليق إلا بالله تعالى ، فمن أسمائه الحسنى : الحكم .

ولكى تحقق التربية أهدافها ، لابد من أن تقوم على الأسس التالية :

١ ـ أن تخضع لقـاعدة النمو : فنحن لانسـتطيع أن نعلـم الطفـل كل شىء فى أى مـرحلة أو أن تطالبه بأى سلوك فى أى سن ، إذ من الضرورى مراعـاة مسايرة النمو الطبيعى للطفل . ذلك أن نمو الطفل يمر بمراحل ، لكل مرحلة طبيعتها وخصائصها ، الأمر الذى يقتضى اختلافاً فى أساليب التربيـة والتعليم بحسب كل مرحلـة ، فمثلا الأساليب والـوسائل التى ينبغى أن تستـعمل فى مرحلـة الطفولـة غير الأسـاليب والـوسـائل التى يجب أن تستعمل فى مرحلـة المراهقـة ، إذ أنها يجب أن تكون حسيـة بقدر الإمكـان فى المرحلـة الأولى ، وأن تكون عقليـة إداركيـة فى المرحلة الثـانيـة ، وقد يقتضى الأمـر الجمع بين الـوسيلتين فى بعض الموضوعـات التعليمية .

٢ ـ أن تراعى الفـروق الفردية بين الذكـور والإناث من جهة ، وبين أفراد الجنس الـواحد من جهة أخرى . هذه الفروق قد تكون فى الإحساس وقد يكون فى القدرات العقلية وقد تكون فى الميول وغيرها .

٣ ـ أن يراعـــى تكامـل الطبيعـة الإنسانيـة ومكونـاتها النفسية والعقليـة والجسمية ومـا بينهما من تفاعل . فالضعف فى جانب من هـذه الجوانب يؤدى إلى ذبول الجوانب الأخرى ، فهناك من الآباء من يهتمون بتربية الأجسام ويهملون مطالب النفس والعقل والروح ، فيكون نتاج التربية حينئذ عبارة عن حيـوانات تخرج إلى المجتمع بكل ما عندها من أثرة وشهـوانية لا تملك عطاء ولاتقدر على بناء إن لم تكن عوامل هدم وتخريب .

٤ ـ مراعاة أن الطبيعة الإنسانية ليست خيراً محضاً وليست شراً محضاً ، فقد خلق الله الإنسان مستعداً للخير والشر معاً ، فقال تعالى : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ (١) ، وقال : ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ (٢) وقال الرسول ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (٣) . فالصبى كما يقول الإمام الغزالى رضى الله عنه : « أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش فيه ، ومائل إلى كل مايمال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه ، وسعد فى الدنيا والآخرة ، وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب . وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم : شقى وهلك « وكان الوزر فى رقبة مربيه والمقيم عليه » .

٥ ـ الاستفادة من مرونة الطبيعة الإنسانية ، فالإنسان قابل لتكوين عادات جديدة وإزالة عادات قديمة ، وسهولة ذلك تختلف بحسب عمر الإنسان ومدى قابليته للتشكيل من جهة وبين أساليب التغيير من جهة أخرى .

٦ ـ التربية الاجتماعية يجب أن تتم فى بيئة ووسط اجتماعى ، فيجب تخير البيئة الصالحة للطفل . لتتوفر له فيها القدوة الطيبة ، كما يجب أن لا نتركه لإخوان السوء ، وندله على الأخيار الأبرار ليجد منهم عونا على الاستقامة والصلاح والبر والتقوى .

مبادىء الصحة النفسية للطفل

إذا كنا لانغفل بناء أجسام أطفالنا بناء صحيا ، بتحرى شروط التغذية الكاملة وإعطائهم حقهم فى الأنشطة الرياضية والترويحية ، وتعويدهم على النظافة وإبعادهم عن الأماكن الموبوءة .

إذا كان ذلك كذلك فلا يجب أن نغفل هذه المبادىء فى الصحة النفسية للطفل :

أولا : سلامة الجو العائلى من الخصومات المستمرة ، إذ أن الخصومة المستمرة بين الوالدين تؤثر تأثيراً كبيراً فى نفسية الطفل . فإذا أحس أحد الوالدين أو كليهما بأن الحياة الزوجية أصبحت لاتطاق لأى سبب من الأسباب ، فهذا الشعور يؤدى إلى السخط والضيق من الحياة المنزلية الذى يمنعه من إضفاء حنان الأبوة وعواطفها على جو البيت ، عندئذ لايجد الأبناء حباً ولا عطفاً بل يشعرون بالنبذ والإهمال والسخط « فيتكون لديهم شعور بالحرمان من عاطفة الأبوة قد يتسبب فى العقد النفسية التى تؤدى إلى اضطراب الشخصية .

---

(٢) سورة البلد : ١٠ .
(١) سورة الشمس : ٧ ، ٨ .
(٢) رواه الطبرانى والبيهقى .

ثانياً : تحقيق الحاجات النفسية الأولية للطفل : ومن أهمها الشعور بالأمن ، الذى يجده الطفل فى الحب والتقبل من الوالدين واستقرار معاملاتهم له .

ثالثا : تجنب الأساليب الخاطئة فى التربية وأهمها :

١ ـ الحرمان من رعاية الأم ، وغيابها عنه لأى سبب من الأسباب .

٢ ـ شعور الطفل بأنه غير مرغوب فيه أو منبوذ ، وذلك نتيجة الإهمال وعدم تحقيق رغباته والتهديد المستمر بالطرد من البيت أو عقابه للأمور التافهة ، وهذا هو السبب فى بعض الحالات المرضية التى نجدها عند بعض الأطفال مثل الثورة والعناد والعدوان والخروج على النظام .

٣ ـ إفراط الأبوين فى التسامح والتساهل والصفح ، وهذا يؤدى إلى عدم النضج الانفعالى للأولاد ، وعدم أخذهم الأمور بجدية وتحملهم نتائج الفشل فى الحياة لأنهم ينتظرون من الناس أن يكونوا كالأبوين فى الصفح وعدم العقاب والحساب .

٤ ـ التدليل والافراط فى رعاية الأطفال وحمايتهم أو الصرامة والقسوة من جانب الوالدين .

٥ ـ الطموح الزائد من الآباء ، فقد يرغب بعض الآباء فى أن يحتل ابنه مركزاً معيناً دون مراعاة لاستعدادته وإمكانياته وميوله وقدراته ، ونتيجة لهذا يضغط الوالد على ابنه فى العمل والمذاكرة فيضجر الطفل ويتكون لديه انفعال مضاد لهذا الاتجاه .

* * *

مبادى التربية العقلية

العقل فى الانسان هو مناط التكليف ، لذلك اهتم المنهج القرآنى بتنمية القدرات العقلية وإيقاظها ، لأن تقدم المسلمين العلمى والحضارى متوقفان عليها .

والتربية العقلية فى عمومها هى تنمية القدرات العقلية المختلفة بحسب ما تسمح به الاستعدادات الفطرية والوراثية لدى كل فرد ، ولكى تحقق هذه التربية أهدافها يراعى ما يلى :

١ ـ أن يخضع تقديم المعلومات لقاعدة النمو ومستوى الإدراك ، لأنه إذا كانت المعلومات أو طريقة تقديمها للطفل فوق مستواه ، أدى ذلك إلى عدم فهمه لها ، وإعاقة نموه العقلى ، وإلى عدم ثقته بنفسه .

٢ ـ ألا نتركه بعد تقديم المعلومات إلا بعد أن نتيقن أنه قد أدركها واستوعبها حتى أصبحت واضحة فى ذهنه ، فإن التفريط فى هذا يؤدى بالطفل إلى عدم القدرة على التمييز بين المعلومات والخلط بينها ، فلا يستطيع استخدامها فى مواضعها عند اللزوم .

٣ ـ استخدام الطريقة النقدية ، وذلك ببيان أوجه الكمال والنقص فيما يقدم من معلومات ، وتشجيع الطفل على تحديد ذلك بنفسه .

٤ ـ تقديم المعلومات الصحيحة الموثقة ، ليكون بناء الثقافة فى ذهن الطفل سليماً من أساسه . وذلك بالرجوع إلى مصادر أهل الثقة .

٥ ـ بيان طرق التفكير الصحيح للوصول إلى الحقائق ، والتمييز بين التفكير العلمى والتفكير الخرافى .

٦ ـ تدريب الأبناء على تطبيق المعلومات وحل المشكلات فى الحياة العملية ، فالمجهود الذى نبذله فى عملية تعليم الأبناء إن لم يظهر أثره فى حياتهم يعتبر مجهوداً ضائعاً .

٧ ـ إثارة انتباه الأبناء إلى الطبيعة وظواهرها المثيرة ... هذه الإثارة تدفع عقولهم إلى البحث عن الحقيقة وعن السنن التى تجرى بها هذه الظواهر المدهشة ، وهذا بدوره ينشط العقل ويوقظه من سباته ونومه وغفلته .

٨ ـ تشجيع الطفل على البحث عن الحق بطريقة موضوعية ليقوم التزامه به واتباعه له على أساس وطيد لا يتزعزع أمام شكوك المبطلين .

٩ ـ توجيه نشاط الطفل العقلى وتركيزه فى أعمال عقلية باستمرار وأن يكون هذا التوجيه خاضعاً للأسس التربوية ويتعلق بهذه النقطة تخليص الطفل من القلق والصراع النفسى والتشتت الذهنى والمشكلات الأسرية والنفسية الأخرى ، وكل ما يشكل عائقاً أمام فاعلية الذكاء

ونشاطـه وتركيـزه ، وكل ما يتسبب فى تعـويق نمـو عقل الطفل نمواً سلبياً و إرهـاقه وتبـديد حيويته ونشاطه .

ويجب أن يعلم الآباء والأمهـات أن التعليم فى الإسلام لايقتصر على علم معين مـن العلوم ولا ناحيـة من نواحى الحيـاة ، بل يشمل كـل علم وكل خبرة دينية ودنيويـة تتصل بحياة الأولاد المختلفة .

* * *

مبــادىء التربيــة الروحيــة

لا يبلغ الإنسان رقيـه ، ولا يبلغ حقيقة الإنسـانية فى كيانـه إلا بصحوة روحه وتـزكية طـاقاتها وعقد الصلة الدائمة بينها وبين الملأ الأعلى .

وفى الإسلام ليس من العسير اتصال البشر بعالم الغيب ، ففى روح الإنسان طاقة ربانية تصله بهذا العالم ... فلقد نفخ الله من روحه فى الإنسان ، فكـان ذلك الروح سر امتيازه وتفضيله وتعدد آفاقه ومواهبه ، هذا التكوين فيـه إشارة إلى أفق آخر من آفاق الغيب يتصل به الإنسان ويتجاوب معه ويتعرض لما شاء الله من رحماته ونفحاته القدسية .

وقصة نشـأة الإنسـان وغاية وجـوده تنص على أن الأرض إن هى إلا مستقر مؤقت للإنسان : ﴿ **ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ . هبط إليها من الملأ الأعلى وعما قليـل سيرحل عنها إلى حيث يشـاء الله : ﴿**وقال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**﴾ ، ﴿ **وإن إلى ربك المنتهى** ﴾ .

فإذا تمثل وجدان المسلم ذلك استطـاع أن يتبين دستور الإقامـة المؤقتة ومنهجها الذى التـزم به سيدنا رسـول الله ﷺ وأوصى به صحبه وأمته ، إذ أخـذ بمنكبى عبد الله بن عمر يومـاً فقال له : كن فى الدنيا غريب أو عابر سبيل » ... بحضـور هذه الحقيقة فى وجدان المسلم دوماً وعيشه فيها يكون على صلة لاتنقطع بالملأ الأعلى .

وعلينا دائماً أن نركز هذه الحقيقة فى قلـوبنا وقلوب أولادنا ، وسبيلنا إلى ذلك هو العمل بمنهج القرآن ، والحياة فى أجوائه وآفاقه .

ومنهج القرآن فى تزكية الروح وتربيتها يقوم على ما يلى :

١ ـ البـدء بتأصيل الإيمان بالله الواحد ، تأصيل معـرفة وحب وتقوى وثقة وطمأنينـة . ولا تدرك الروح هذا الزاد إلا بفتح نوافذ التفكر فى آيات الخلق ، فإذا معالم الجلال والجمال بادية فى آثار القدرة مـن العلم والحكمة والحق والمجـد ، والعظمة والإحســان والعدل والكـرم والود والبر والخير والرحمة إلى غير ذلك .

٢ ـ هذه العقيـدة السليمة تتقاضى صاحبها أن يحقـق فى ذاته معانى العبودية الحقـة لله بالصلاة والذكر والصوم والحج والزكاة . فالعبادة صلـة مباشرة بين العبد وربه ، وتربيه على الإحساس بقرب الله وحبه : فـالصلاة لقاء دعاء وذكـر ومناجاة ، والصوم هجـر لما تحبه النفس إيثاراً لما يحبـه الله ، والحج زيـارة لبلد الله وبيتـه ، وإحسـاس بـالضيـافـة والقرب ، والـزكـاة تطهير وإحساس بالفضل والنعمة . هذه الحياة الروحية لابد أن ينشأ عنها وجدان قوى لاينفك عنها بحـال : يحـب الإيـمان ، ويكره الكفـر ، يلهم الإنسـان غايته العليا التى يجب أن تتعلق بها

همته ، وأن تنعقد بها جهوده ، فلا يرى باطلا إلا جرد نفسه لمجاهدته ، ولا يرى حقاً إلا جرد نفسه لدعمه وتأييده » فهو عامل للخير مكافح للشر مادام قد أوتى حظه من معرفة الله .

وهذه الطريقة يسوقها لنا القرآن الكريم فى منهج تربية لقمان لابنه ، إذ بدأ أولا بغرس عقيدة التوحيد فى نفس ابنه . وذلك بنهيه عن الشرك بالله فقال تعالى : **﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾** [1]، ويتبع ذلك بذكر أوصاف يصور بها له عظمة الله وعلمه وقدرته وقوته تصويراً يرتجف له الوجدان البشرى فقال : **﴿ يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير ﴾** [2] .

وبعد انتهائه من أمر العقيدة يأمره بتحقيق معانى العبودية لله : بالصلاة وعمل الخير والأمر به ، والنهى عن المنكر ، واتباع الآداب الاجتماعية الحميدة ، والصبر على ما يصيبه فى سبيل ذلك من نصب ووصب وجهد وتعب ، فقال : **﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولاتصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، إن الله لايحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾** [3].

ونلاحظ هنا ميزة رئيسية فى التربية الإسلامية ، وهى أنها تربط بين التربية الروحية وبين التربية الأخلاقية والاجتماعية أو بين العقيدة وبين سلوك الانسان بوجه عام .

مبادىء التربية الخلقية

لاتستقيم الحياة الإنسانية ولايستمر للمجتمعات البشرية بقاء ولا وجود بغير الأخلاق إذ لو سادت فى الحياة الاجتماعية الخيانة والرشوة والفاحشة والكذب والظلم وعدم الإخلاص والتعاون والمحبة والرحمة ، فكيف تستقيم حياة الجماعة والحالة هذه ؟ ! وكيف يشعر الناس بالأمن والسكينة ؟ ! وكيف يستريح بعضهم إلى بعض فى المعاملة والمصاحبة ؟ ! لا شك أنها لاتستقيم بأى حال من الأحوال .

لذلك بعث الله الرسول الكريم ليعلن على الناس كافة . « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ... وبهذا يحصر الرسول ﷺ هدف الرسالة كله فى إتمام مكارم الأخلاق » التى اتسع جمالها ليشمل الكون كله : فدخل فى نطاق الأخلاق الإسلامية علاقة الإنسان بالله وتنظمها العبادة ، وعلاقة

(١) سورة لقمان : ١٣ .
(٢) سورة لقمان : ١٦ .
(٣) سورة لقمان : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

الإنسان بالإنسان ، وتنظمها الشريعة ، وعلاقته بالكائنات الحية وتدخل فى قسم الآداب العامة ... لأن الإسلام يأمر بالأدب مع الله ، ومع الناس ، ومع الحيوانات ، ومع الملائكة .

وإذا كانت التربية الأخلاقية تهدف إلى بناء شخصية خلقية أو شخصية إنسانية كاملة ، فإن خطورة شأن هذا الهدف تظهر بوضوح فى تربية الأطفال وهم صغار لأن بناء الشخصية ينبغى أن يبدأ مع بناء الجسم واللحم ويتطور معه ويكتمل حتى تصبح الأخلاق طبيعة ثانية للطفل فى كبره .

ومن هنا يبدو بوضوح دور الآباء فى بناء هذه الشخصية ومسئولياتها إزاءها .

وهناك مبادىء فى التربية الأخلاقية لابد من قيام الآباء بتطبيقها وهى :

١ ـ بث روح الثقة فى نفس الطفل ... الثقة فى نفسه وبغيره من المؤمنين ، ولاسيما بالمربى . والثقة بأن الإنسان صانع سلوكه ويستطيع تغييره وتبديله إذا شاء .

٢ ـ بث روح الحب والتعاطف بين الطفل وبين أفراد البيت من جهة وبينه وبين الناس من جهة أخرى وخاصة أهل العلم والتقوى والجهاد .

٣ ـ تكوين شعور لدى الطفل بأن المبادىء الخلقية نابعة من داخل الإنسان أصلها الدين وليست قوانين مفروضة عليهم من الآباء أو المجتمع ، لأنها مبادىء إنسانية ميز الله بها الإنسان عن غيره من الحيوانات ، وأنها ضرورة اجتماعية لاتقوم للمجتمع قائمة بدونها .

٤ ـ إن التربية الخلقية لاتتم ولاتقوم لها قائمة بدون تربية قوة الإرادة فتكوين قوة الإرادة هو المبدأ الأساسى فى التربية الأخلاقية ، فلا يستطيع الإنسان أن يكون له موقف فى الحياة يليق بمكانته فى الوجود بدون أن يملك قوة الإرادة ، ومظاهر قوة الإرادة هى الشجاعة فى مواجهة الحياة وضروبها المختلفة حلوها ومرها ، والثبات على مبادىء الخير التى يؤمن بها مهما كلفه ذلك من تضحيات .

٥ ـ خلق إحساس خلقى فى نفس الطفل ، باحترام إنسانيته وعدم زجره وعقابه على كل صغيرة وكبيرة ، وإذا كان لابد من الزجر والعقاب ، فينبغى أن يكون بأخف ما يمكن حتى لاتتبلد أحاسيس الطفل .

٦ ـ تطبيع الطفل تطبيعاً خلقيا ، يجعل الأخلاق طبيعة ثانية وعادة لايستطيعون مخالفتها لأن النفس لاتخالف عاداتها بسهولة .

طرق التربية الأخلاقية :

أولا : القدوة الحسنة . يتميز الطفل بقدرة فائقة على التقليد والمحاكاة ، فينبغى أن يكون الكبار قدوة حسنة يحاكيها الأطفال ، حيث يتعلم الأطفال فى المرحلة الأولى من حياتهم سلوكهم عن

طريق تسجيلهم لكل ما يرونـه من سلوك الوالدين وما يلاحظونه من حـركاتهم . وقد يظن الكبار أن الأطفال لا يدركون معانى أعمالهم حقاً لايدركون مغزى ما يفعلون ، إلا أنهم سيفسرونه فيما بعد ويدركون ما فيه من معانى الحسن والقبح .

ثانياً : تقديم الحقائق الموضوعية عن المبادىء الخلقية ، بالاعتماد على الاقتناع النظرى للأطفال والنتائج العلميـة والحقائق التـاريخية فى عـواقب الانحراف ومضار سـوء الخلق . كيف أن الغش والكذب والرشـوة تصيب المجتمعات بالانحلال ، وكيف أن عدم اتقان العمل والبطـالة يعودان على صاحبهما بـالفقر والإفـلاس وعلى المجتمع بالتخلف والضعـف ، وكيف أن شيوع الفـاحشة والخمر يضر النسل ويصيب العقل . وفى قصص القرآن عبرة .

ثالثاً : طريقـة الممارسة والتدريب العملى ، بإتاحة الفرص والمواقف الأخـلاقية التى يختار فيها الأطفال تطبيق مبادىء خلقية معينة ، ويكافأون على ذلك إما بالتأييد والتشجيع أو بوسائل مادية مناسبة لكل طفل .

مراتـب التربيـــة الأخلاقيـــة :

وتبدأ بتحديد الصورة الأخلاقية فى ذهن الأطفال ، ثم بث الوعى بالمبادىء والصور الأخلاقية على أسـاس المعايير العقليـة للسلوك الأخـلاقى وتنتهى بخلق الشعـور العاطفى والانسجـام بين المبادىء الخلقية وبين الجانب النظرى من جهة وبين التطبيق العملى من جهة أخرى .

* * *

التميـــز

ثمـرة التربيـة القرآنيـة

من أخص خصائص التربيـة القرآنية ، أنها تـؤصل روح التميز التـام للأمة المسلمـة فى القول والعمل وكل نـواحى السلـوك ... تميـزاً يبتعد بها عـن كل تشبه بغيرهـا من الأمم المخـالفـة لها فى العقيـدة والخلق والاتجاه ، فى كل شـأن يمس وجـودهـا المتفـرد وأوضـاعهـا الاجتماعيـة وطـابع شخصيتها العامة ...

إن الشعور بالتميز يصون فى الأمة مقومات وجـودها ، ويقيم لها كياناً راسخاً صلباً ، لايعتريه تصدع ، أو ينفذ إليـه ضعف أو خلل ، مادام هذا الشعور مستنداً إلى الحق ، منبثقـاً من جوهر العقيدة وأصولها الثابتة ، متصلاً بالشريعة وأحكامها بأوثق صلة ...

والشعور بالتميز ، فى آثاره الفكريـة والنفسية ، يؤصل ويعمق ما ينبغى أن يكون عليه المسلم من كراهية للكفر والشرك ونوفر منه ، وتجنب لطريقه المنحرف وسيره الشاذ وأهدافه الهابطة .

فالمسلم الحق يتميز بعلـوه ... سنداً ومصدراً ، فمن الله يتلقى ، وإليه سبحـانه يرجع ، وعلى منهجه يسير .

والمسلم الحق يتميز بعلوه ... إداركاً وتصوراً لحقيقة الوجود .

والمسلم الحق يتميز بعلـوه ... تصوراً للقيم والموازين التى توزن بها الحياة والأحـداث والأشياء والأشخاص .

والمسلم الحق يتميز بعلوه ... ضميراً وشعوراً ، وخلقاً وسلوكا .

خلاصـة القـول :

إن المسلم الحق ، إنسان متميز تميزا تاماً عن غيره فى كل شىء فهو متميز منذ البداية فى عقائده وعباداته ومناهج حياته ، وفى هدفه النهائى وهدفه القريب .

تميـز المسـلم فـى أهدافـه وغاياتـه :

إن الهدف الأخير للتربية القـرآنية ، هـو إعطاء الجماعة المسلمـة خصائص الأمـة المستخلفة ، وشـخصيتها المستقلـة بقبلتها ، وبشرائعهـا المصدقة لشرائع الـديانـات السماوية قبلهـا والمهيمنة عليها ، وبمنهجهـا الجامع الشامل المتميز كـذلك ... وقبل كل شىء بتصورها الخاص للـوجود

والحياة ولحقيقة ارتباطاتها بربها ، ولوظيفتها فى الأرض . وما تقتضيه هذه الوظيفة من تكاليف فى النفس والمال ، وفى الشعور والسلوك ، ومن بذل وتضحية وتهيؤ للطاعة المطلقة للقيادة الإلهية ، الممثلة فى تعليمات القرآن الكريم ، وتوجيهات النبى ﷺ ، وتلقى ذلك كله بالاستسلام والرضى ، وبالثقة واليقين .

فإذا كان هدف غير المسلم هو الحياة الدنيا ، فى لهوها ولعبها ، وزينتها وتفاخرها وتكاثرها ، وذهبها وفضتها ومتاعها ، فإن هدف المسلم النهائى هو الآخرة وهو من الدنيا على حذر .

و إذا كان هدف غير المسلم فى الحياة الدنيا من عمله الاجتماعى أو السياسى أو الإصلاحى ـ فى زعمه ـ هو تحقيق تقدم مادى ، أو تعميم شهوة ، فإن الهدف العام للمسلم فى عمله العام ، إقامة دولة الإسلام وحمايتها حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله .

يقول الإمام البنا رحمه الله : إن القرآن حدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيها ، فبين أن قوماً همهم من الحياة الأكل والمتعة ، فقال تبارك وتعالى : **﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾** (١). وبين أن قوماً آخرين مهمتهم الزينة والعرض الزائل ، فقال تبارك وتعالى : **﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب ﴾** (٢) . وبين أن قوماً آخرين شأنهم فى الحياة إيقاد الفتن ، وإحياء الشرور والمفاسد أولئك الذين قال الله فيهم : **﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد﴾** (٣) . تلك مقاصد الناس فى الحياة نزه الله المؤمنين عنها وبرأهم منها وكلفهم مهمة أرقى ، وألقى على عاتقهم واجباً أسمى . ذلك الواجب هو : هداية البشر إلى الحق ، وإرشاد الناس جميعاً إلى الخير ، وإنارة العالم كله بشمس الإسلام ، فذلك قوله تبارك وتعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾** (٤) .

ومعنى هذا أن القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة ، ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصاية النبيلة ، وإذن فذلك من شأننا لا من شأن الغرب ولمدنية الإسلام لا لمدنية المادة .

---

(١) سورة محمد : ١٢ .
(٢) سورة آل عمران : ١٤ .
(٣) سورة البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(٤) سورة الحج : ٧٧ ، ٧٨ .

ثم بين الله تبارك وتعالى أن المؤمن فى سبيل هذه الغاية قد باع نفسه وماله فليس له فيها شىء ، وإنما هى وقف على نجاح هذه الدعوة وإيصالها إلى قلوب الناس وذلك قوله تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ (١) . ومن ذلك نرى أن المسلم يجعل دنياه وقفاً على دعوته ليكسب آخرته جزاء تضحيته (٢) .

هذه هى الصورة المتميزة للانسان المسلم ، يطالعنا بها القرآن الكريم كثمرة لمنهجه فى التربية ... إنها صورة الإنسان الربانى « الذى يعيش فى رباط دائم وجهاد مستمر مع نفسه ومع الناس حتى يستقيم الجميع على منهج الحق .

فهو فى جهاد مع النفس : يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق ، يجاهدها للعمل بالهدى ودين الحق ، يجاهدها للدعوة إلى الهدى وتعليمه لمن لايعلمه وتربيته عليه ، ويجاهدها للصبر على مشاق الدعوة إلى الله والصبر على أذى الخلق وهو يقوم بمهام الدعوة .

وهو فى جهاد مع الشيطان : يجاهده على دفع ما يلقى إلى الانسان من الشبهات والشكوك القادحة فى الإيمان حتى لايصل المؤمن إلى اليقين الذى تنتج عنه الاستقامة الكاملة على منهج الله ، يجاهده لدفع ما يزينه للمؤمن من أنواع الأعمال المنحرفة ليقع فيها ويبوء بإثمها ، ويكون هذا الجهاد بالصبر على الاستقامة على منهج الله ، وعدم الانحراف إلى غيره .

وهو جهاد مع الظلمة ، وأصحاب البدع والمنكرات فى المجتمع الإسلامى لتقويمهم .

وهو فى جهاد مع الكفار والمنافقين : لهدايتهم ، ويكون بالقلب واللسان والمال والنفس (٣) .

تميز المسلم فى طريقه :

والمسلم عندما يتميز فى أهدافه القريبة والبعيدة ، فالطريق الذى يسلك لتحقيق هذه الأهداف طريق متميز مستقل ، أرشده الله عز وجل إلى هذه الحقيقة فى سورة الفاتحة ، أول سورة القرآن التى يكررها فى صلاته سبع عشر مرة فى كل يوم وليلة على الحد الأدنى : ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ .

فطريق المسلم المتميز « هو طريق الأنبياء والمرسلين ، ولايرضى أن يسلك طريق غيرهم ، سواء كانوا أهل الكتاب يهودا أو نصارى أو أهل الملل والفلسفات والمذاهب والأديان الكافرة الأخرى . إن طريق المسلم هو طريق الله الذى دل عليه كل نبى لله وكل رسول ، ووضحه كاملا خاتم الرسل محمد ﷺ : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة ، أنا ومن اتبعنى ، وسبحان**

---

(١) سورة التوبة : ١ .

(٢) رسالة : « إلى أى شىء ندعو الناس » . للإمام حسن البنا .

(٣) زاد المعاد : للإمام ابن القيم ـ جـ ٢ ص ٣٩ وما بعدها .

الله وما أنا من المشركين ﴾ [١] ، ﴿ قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ [٢] .

سأل رجل سيدنا عبد الله بن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد فى أدناه وطرفه فى الجنة وعن يمينه جواد [٣] ـ طرق ـ وثم رجال يدعون من مر بهم ، فمن أخذ فى تلك الجواد ـ الطرق ـ انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة ثم قرأ **﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل ، فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾** [٤] .

وعن النواس بن سمعان قال ؛ قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى ضرب مثلا صراطاً مستقيما على كتفى الصراط دار ان ـ وفى رواية سوران ـ لهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور ، وداع يدعو على رأس الصراط ، وداع يدعو فوقه ، والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

« فالأبواب التى على كتفى الصراط حدود الله ، فلا يقع أحد فى حدود الله تعالى حتى يكشف الستر ، والذى يدعو من فوقه واعظ ربه » أخرجه الترمذى .

وفسره رزين فى حديث رواه عن ابن مسعود :

أن الصراط هو : الإسلام .

وأن الأبواب : محارم الله .

والستور : حدود الله .

والداعى على رأس الصراط : القرآن .

والداعى فوقه : واعظ الله فى قلب كل مؤمن .

فهذا طريق متميز ، لايشبه طريقاً ولايشبهه طريق : طريق الله المستقيم .

مخالفة الكفرة والمشركين :

إن تقليد المسلمين ـ سواء كان فردياً أو جماعياً ـ لطريقة حياة المشركين والكفرة ، لهو بلا ريب من أقوى الأسباب التى أدت إلى ضعفهم وانحلال شخصيتهم ، لهذا جاء نهى الله قاطعاً للمسلمين عن التشبه بالكافرين فى كل مايصدر عنهم من قول أو عمل ، لأن من تشبه بقوم فهو

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .
(٢) سورة الأنعام : ١٦١ .
(٣) جواد « جمع » ومفردها جادة ، أى السبيل أو الطريق .
(٤) سورة الأنعام : ١٥٣ .

منهم ، وكيف يتشبه المسلمون بهؤلاء الأعداء ؟ ! من الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، وهم ينطوون فى صدورهم على أشد العداوة والبغضاء ، ولا يضمرون للمسلمين إلا الحقد والضغينة ، ويكرهون ـ حسداً واستكبارا وتعصباً ـ أن يختارهم الله لحمل رسالة الحق والخير والسداد ، وأن يعدهم لقيادة البشرية وتحريرها وإخراجها من جور الأديان إلى عدل الإسلام .

إن أصل كل شر حاق بالمسلمين ، وما أدى بهم إلى الانسلاخ عن دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصى فيهم ، وانفصام عرى الاسلام فى مجتمعاتهم عروة عروة ... إن أصل هذا الشر كله بسبب تشبههم بالكافرين وتبعيتهم لهم فى العقائد والنظم والشرائع . وهو الأمر الذى حذرنا الله تعالى منه ، وحذرنا منه الرسول الكريم حتى لاتذوب الشخصية الاجتماعية للأمة المسلمة فى غيرها من الأمم ، ولا يفقد الفرد المسلم تميزه .

يقول تعالى فى سورة البقرة : **﴿ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم ، قل : إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ، مالك من ولى ولا نصير﴾** (١) . وهكذا يضعنا المولى جلا وعلا وجهاً لوجه أمام الهدف الحقيقى لأهل الكتاب من اليهود والنصارى . إنه تحويل المسلمين عن دينهم إلى دين أهل الكتاب ولن يرضوا عن النبى ﷺ حتى يتبع ملتهم ، وإلا فهى الحرب والكيد والدس إلى النهاية ! .

« إنها العقدة الدائمة التى نرى مصداقها فى كل زمان ومكان . إنها هى العقيدة . هذه حقيقة المعركة التى يشنها اليهود والنصارى فى كل أرض وفى كل وقت ضد الجماعة المسلمة ... قد يتخاصمان فيما بينهما ، وقد تتخاصم طوائف الملة الواحدة فيما بينها ، ولكنها تلتقى دائما فى المعركة ضد الإسلام والمسلمين . إنها معركة العقيدة فى صميمها وحقيقتها . ولكن المعسكرين العريقين فى العداوة للاسلام والمسلمين يلونونها بألوان شتى ، ويرفعان عليها أعلاما شتى ، فى خبث ومكر وتورية إنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة . ومن ثم استدار الأعداء العريقون فغيروا أعلام المعركة ... لم يعلنوها حربا باسم العقيدة ـ على حقيقتها ـ خوفا من حماسة العقيدة وجيشانها . إنما أعلنوها باسم الأرض والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية (٢) . وما إليها وألقوا فى روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لامعنى لها ! ولا يجوز رفع رايتها ولا خوض المعركة باسمها . فهذه سمة المتخلفين المتعصبين ! ذلك كى يأمنوا جيشان العقيدة وحماستها . وبينما هم فى قرارة نفوسهم . اليهودية العالمية بإضافة الصليبية الدولية جميعاً يخوضون المعركة فى فلسطين وغيرها من أوطان المسلمين ... يخوضونها أولا قبل كل شىء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التى نطحوها طويلا فأدمتهم جميعا ... صخرة العقيدة .

---

(١) سورة البقرة : ١٢٠ .

(٢) كانت حرب الخليج مثلاً واضحاً على هذا اللون من المكر والخداع ، حيث غيرَّ الأعداء صليبيين ويهود ـ أعلام المعركة .

ومن بـاب الحض على مخالفة الكفـرة والمشركين ما جـاء فى حـادث تحويل القبلة من المسجـد الأقصى إلى المسجد الحرام قوله تعالى فى سورة البقرة أيضا : **﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين . الذين آتيناهم الكتاب يعرفـونه كما يعرفـون أبناءهم وإن فـريقـا منهم ليكتمـون الحق وهم يعلمـون . الحق من ربك فـلا تكونـن من الممترين . ولكل وجهـة هـو موليها فـاستبقـوا الخيرات أينما تكونـوا يأت بكم الله جميعاً ، إن الله على كل شىء قدير . ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ، وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون . ومن حيث خـرجت فـولِّ وجهك شطـر المسجـد الحرام وحيث ما كنتم فـولُّوا وجوهكـم شطـره ، لئلا يكـون للنـاس عليـكم حجـة إلا الذيـن ظلمـوا منهـم فـلا تخشـوهم واخشونى ... ﴾** [1] .

قال غير واحـد من السلف : معناه لئلا يحتـج اليهود عليكم بالموافقـة فى القبلـة ، فيقولـوا قد وافقونا فى قبلتنا ، فيوشك أن يوافقونا فى ديننا ، فقطع الله بمخالفتهم فى القبلة هذه الحجة .

فبين سبحانه أن من حكمـة نسخ القبلة وتغييرها : مخالفة الكـافرين فى قبلتهم ، ليكون ذلك أقطع لمايطمعون فيه من الباطل ، ومعلوم أن هذا المعنى ثـابت فى كل مخالفة وموافقة ، فإن الكافر إذا اتبع فى شىء من أمره كان له من الحجة مثل ما كان من اليهود من الحجة فى أمر القبلة .

ويعلق صاحب ظلال القـرآن رحمه الله على حادث تحويل القبلة بقولـه : ولم يكن بد من تميز المكـان الذى يتجـه إليه المسلم بـالصلاة والعبـادة وتخصيصه كى يتميـز هو ويتخصص بتصـوره ومنهجه واتجاهـه ... فهذا التميـز تلبية للشعـور بالامتيـاز والتفرد ، كما أنـه بدوره ينشـىء شعوراً بالامتياز والتفرد .

« ومن هنا كـذلك كان النهى عن التشبـه بمن دون المسلمين فى خصائصهم ، التى هى تعبير ظاهـر عن مشاعر بـاطنة كالنهى عن طريقتهم فى الشعـور والسلوك سواء . ولم يكن هـذا تعصباً ولاتمسكا بمجرد شكليات . وإنما كان نظرة أعمق إلى مـا وراء الشكليات . كان نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة وهذه البـواعث هى التى تفرق قوما عن قوم ، وعقلية عن عقلية ، وتصوراً عن تصور ، وضميراً عن ضمير ، وخلقا عن خلق ، واتجاها فى الحياة كلها عن اتجاه .

يقول ﷺ فيما يرويه البخـارى : « لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القـرون ـ الأمم ـ قبلها شبراً بشـبر وذراعـاً بـذراع » فقيـل يارسـول الله : كفـارس والـروم ؟ فقال : ومن النـاس إلا أولئك ؟ ! . وفى حـديث أبى سعيـد الخدرى عن الرسـول ﷺ أنـه قـال : « لتتبـعن سـنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى ولو دخلوا جحر ضـب خرب لتبعتموهم قلنا : يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن غيرهم ؟ ! » .

---

(١) سورة البقرة : الآيات من ١٤٥ ، ١٥٠ .

وجحر الضب كناية عن العادات المخربة لسعادات الشعوب والأفراد . وقد اختلف الجواب بحسب المقام ، فحيث قيل : فارس والروم ، كان هناك قرينة تدل على أن الأمر يتعلق بنظم الحكم والسياسة والاجتماع . وحيث قيل : اليهود والنصارى ؟ كان هناك قرينة على تعلق الأمر بما هو من قبيل الديانات والعبادات [١] .

وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، فى حقيقة التميز ومعناه ، مبيناً أن سبيل المسلم فى تميزه هو بمخالفة الكفار والمشركين ، وأن هذه المخالفة ضرورة للمسلم وحاجة إلى هداية الصراط المستقيم . محذراً من الانحراف إلى طريق المغضوب عليهم أو الضالين [٢] . وأوضح أثر التمييز فى نفس المسلم وسلوكه وأحواله كلها ، مشيراً إلى ما تورثه المشابهة والمشاركة من تناسب وتماثل بين المتشابهين يقود إلى الموافقة فى الأخلاق والأعمال .

قال : ثم إن الصراط المستقيم ، هى أمور باطنة فى القلب : من اعتقادات وإرادات وأمور ظاهرة وغير ذلك من أقوال وأفعال قد تكون عبادات ، وقد تكون أيضاً عادات : فى الطعام واللباس والنكاح ، والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك .

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ـ ولابد ـ ارتباط ومناسبة ، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة ، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً .

وقد بعث الله عبده ورسوله محمدا ﷺ بالحكمة التى هى سنته ، وهى الشرعة والمنهاج الذى شرعه له .

فكان من هذه الحكمة ، أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين ، وأمر بمخالفتهم فى الهدى الظاهر ؛ وإن لم يظهر لكثير من الخلق فى ذلك مفسدة ، لأمور :

منها ، أن المشاركة فى الهدى الظاهر ، تورث تناسباً وتشاكلا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة فى الأخلاق والأعمال . وهذا أمر محسوس ، فإن الملابس لثياب أهل العلم ـ مثلا ـ يجد من نفسه نوع انضمام إليهم ، والملابس لثياب الجند المقاتلة ـ مثلا ـ يجد فى نفسه تخلق بأخلاقهم ، ويصير طبعه مقتضياً لذلك إلا أن يمنعه من ذلك مانع .

ومنها ، أن المخالفة فى الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب ، وأسباب الضلال ، والانعطاف إلى أهل الهدى والرضوان ، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين ، وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام الذى

---

(١) المرأة فى التصور الاسلامى : للأستاذ عبد المتعال الجبرى .

(٢) المغضوب عليهم والضالين : اليهود والنصارى فى رأى كثير من المفسرين .

هو الاسلام ــ لست أعنى مجرد التوسم به ظاهـراً أو باطنا بمجرد الاعتقـادات التقليدية من حيث الجملة [1] كان إحســاسه بمفـارقة اليهـود والنصارى بـاطنا وظـاهراً أتم ، وبعُده عـن أخلاقهم الموجودة فى بعض المسلمين أشد .

ومنها ، أن مشاركتهم فى الهدى الظاهر ، توجب الاختلاط الظـاهر حتى يرتفع التمييز ظاهرا بين المهديين المرضيين ، وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية .

هذا إذا لم يكن ذلك الهدى الظاهر إلا مباحاً محضاً ، لو تجرد عن مشابهتهم ، فأما إن كان من موجبـات كفرهم ، فإنـه يكون شعبة من شعب الكفـر ، فموافقتهم فيه مـوافقة فى نـوع من أنواع ضلالهم ومعاصيهم .

فهذا أصل ينبغى أن يتفطن له . « والله أعلم » [2] .

تحليــل عمليــة التقليــد :

فى ضوء ما تقدم من كلام شيخ الإسلام ابن تيميـة ، وعندما نحاول أن نحلل عملية التقليد ، نستطيع أن نلمس الحقائق التالية :

١ ـ إن عملية تقليد المسلم لأى حضارة أخرى وبخاصة الحضارة الغربية المعاصرة تتضمن إعجاباً وتقديراً و إيثاراً لهذه الحضارة .

٢ ـ إن عمليــة تقليـد المسلم لأى حضارة أخرى غير حضـارته تتضمن إحساساً بـالنقص وعدم اعتزاز منه بحضارته الاسلامية .

٣ ـ حين يتقبـل المســلم مظاهر السلوك الخارجـى لأمة أخرى غير مسلمة ، فى لبـاسها وعاداتها وأسلوب حياتها ، فإنه يبدأ فى التوفيق بين روحه وحياته العقلية وبين هذه الأمور المستحدثة ، وبذلك يبتعد تدريجياً ودون أن يشعر عن ذوق أمته وروحها .

ولانظن بعد ذلك أن مسلماً يندمج بهذه الصورة فى القوالب السلـوكية لحضارةليس للدين فيها مكان ثم يبقى بعد ذلك مسلماً صحيحاً ! !

واجبنــا فــى العــادات واللبــاس والمظهــر

كتب الإمام البنا رحمه الله مقالاً نشرته جريدة « النذير » الأسبوعية فى عددها رقم ٢٣ بتاريخ ٧ جمادى الثانيـة سنة ١٣٥٨ هـ ، بعنوان « واجـب الإخوان فى العادات واللباس والمظهـر » . وكان

---

(١) يقصد شيخ الإسـلام : الالتزام بـالإسلام على الحقيقة ... الإسـلام الصادق ، المجرد عن الالتـزام الشكلى سواء كـان فى السلوك الأصم والاعتقاد الأجوف .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم : لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١١ ـ ١٢ ط / السنة المحمدية .

ذلك فى السنوات الأولى من قيام الجماعة ، وفى الفترة التى طغت فيها على البلاد موجة تقليد عارمة للغرب فى عاداته وتقاليده وأزيائه وكل سلوكياته ... وهو مقال قديم يتناول مسألة جديدة تتعلق بالثوابت التى لايلحقها تغير ولاتطور وتتعلق بتميز الأمة المسلمة ، رأينا أن نجعله مسك الختام فى موضوع التميز .

يقول رضى الله عنه : تقوم فكرة جمعية الإخوان المسلمين على أصل ثابت يعرفه كل منتسب إليها : هو العودة إلى تجديد الفكرة الإسلامية فى الأمة الإسلامية ، هو الرجوع إلى هدى رسول الله ﷺ وأصحابه الغر الميامين ، هو التمسك بتعاليم القرآن والسنة المطهرة . هذا المعنى ظل قائماً قوياً فى نفوس المسلمين فكانوا يصدرون عنه فى كل أعمالهم ويلاحظونه فى كل شئونهم وأحوالهم وكانت كل أمة تتصل بالمسلمين حين ذاك تندمج فيهم وتتأدب بآدابهم وتسير وراءهم إذ كانوا أصحاب الحول والسلطان ، إنها كانت تترك فيهم أثراً من حضارتها وعلومها ومعارفها وعاداتها ، ولكنه أثر ضئيل لايتعدى بعض المظاهر ولايصل إلى صميم الفكرة وكثيراً ما يجرفه التيار الغالب فيتشكل بشكل إسلامى عربى .

اتصل الفرس فى الشرق بالعرب فتعربوا وهم أولو مدنية قديمة ومجد تليد ولم يستعجم العرب ولم يستغلق القرآن .

واتصل الفرنجة بالعرب فى الأندلس فساروا سيرتهم ونطقوا بلغتهم بل نبغ كثير من شبابهم يكتب به النثر البليغ ويقرض الشعر الرائع كما حكاه دوزى المؤرخ عن بعض قساوستهم . وهكذا اتصلت بالاسلام مدنيات وحضارات وأمم وشعوب فأسلمت له القياد وتعربت جميعا وتأثرت بتعليمه أشد التأثر ولم تؤثر فيه أثرها الضئيل حتى تزيت بزيه وتشكلت بأقرب الأشكال إليه .

حتى غفا العرب والمسلمون وناموا على مهاد الراحة وصادف ذلك يقظة الغرب وأخذ أممه بوسائل الجد والعلم والعمل والكفاح ، ووافق ذلك فتحاً علمياً مادياً زاخراً استغاضت به المتع وازينت به الحياة الدنيا فغلب الغرب على مقدرات الإسلام والمسلمين فتجمعت عليهم ثلاث قوى كل واحدة تهزم عالماً بأسره .

١ ـ الجهل بأحكام دينهم وفقدان روحانيته الأولى فى نفوسهم .

٢ ـ الضعف السياسى الذى قيد حرياتهم وجعلهم تبعا لسواهم .

٣ ـ زخرف هذه المدنية المادية وما تجملت به من متع وشهوات .

فكان عن ذلك أن بدأوا ينسلخون من فكرة الاسلام ومن مقتضيات هذه الفكرة فى كل نواحى الحياة بأيدى أعدائهم الذين يرهبون عودتهم إلى الاسلام وبأيدى زعمائهم وقادة الفكر فيهم ، الذين تتلمذوا لهذه التعاليم فلم يجدوا فى غيرها جمالاً ولا صلاحاً وهم مخطئون .

تغير التعليم وما ننكـر أن يتغير من فوضى إلى نظام ولكنـه تغير ليتجرد من الروح الاستقـلالية وليبتعد عن الفكرة القومية [1] ولينشأ أبناؤنا كما يريد السادة الغـاصبون . وتغير القانون وما نكره أن يتغير فى شكليات التنظيمات الـلازمة والترتيبات والاجـراءات التى تضمن العدالـة ولكنه تغير ليبيح زنا تمتد بإباحتـه يد الأجانب وعيونهم إلى حرماتنا وليبيح ربا يستلبـون به أموالنا وخمراً يبيدون بها عقولنا وليبدو القانون فى مظهر رخو خليع لايحارب جريمة ولايستأصل شراً .

تغيرت العادات فى الطعـام والشراب واللباس والمشى والكلام وكل شىء من مظـاهر المجتمع وما ننكـر ـ علـم الله ـ أن يتغير إلى ما هـو خير ، ولكنها مع الأسف تغيرت إلى مـا يضر ويؤذى ويؤلم . كنا نتحرى الحلال الطيب فى طعامنا فإذا بنا نأكل ولاندرى أهو حرام أم حلال بل منا من يأكل الحرام وهـو يعلم فلا يأبـه لشىء من هذا ، وكنـا نلبس الثوب الفضفـاض الذى يعين على الصلاة ويغرى بالجلوس فى المسجـد فإذا بنا نلبس الثوب الضيق الموثق من كل مكان فيتهاون غير المتدين بـالصلاة وكثيراً ما يجمعها المتـدين لغير عذر شرعى وإنما هو حكم اللبـاس ، ليست هذه نظرات سطحية ولاعابثة ولكنها حقائق يجلبها الواقع الملموس وإن كابر المكابرون ، كنا ننصرف إلى النوم عقيب العشاء فنصيب الراحة العاملة ونماشى ناموس الكون كله ونستيقظ لصلاة الفجر على أتم ما يكـون من الراحة فإذا بنـا نسهر إلى ما بعـد نصف الليل وينام المسلم حتى تضرب الشمس رأسه ولما يؤد فـريضة الله ... كنا نتحدث باللسان العـربى المبين فيشعر أحدنا بعزة لغتـه وقومه ، فأصبح المهذبون منا يلوكون ألسنتهم برطانة أعجمية تشعر بالرضا بالذلة والاعجاب بالاستعباد .

وهكذا تغير فينا كل شىء وانسلخ المسلمون عن دينهم وهم لايشعرون .

إن فكرة الإخوان المسلمين لبهـا وصميمها أن يعود الناس إلى مظاهر الحيـاة الاسلامية ، ولكن من العقول المصرية التى لبست رداء أوربيـا بحثاً من يضحك منا ويهزأ بنا ويقابل هذا بـالسخرية والدهشـة معاً ويعجب لعقـولنا الجامدة (! !) التـى مازالت تفكر فى الصـورة إلى مظاهـر الحياة الاسـلاميـة فيرى من المستحيل أن يأتى على مصر ذلك اليـوم الـذى تتغير فيه هـذا التغير ويـرى مستحيلاً على هـؤلاء الفتية المجـاهدين الجامـدين من الإخوان المسلمين أن يستطيعـوا تحطيم هذه القيود والعودة بالناس إلى الاسلام .

معذورون هؤلاء ، لأنهم لم يؤمنـوا بعد بما يزكيه الإيمان من قوة وجبروت ولم يذكـروا ما فعل هذا الإيمان بالأمة من قبل ومن بعد .

يا هـؤلاء ، إن مهمة الـرسالات فى كل عصر قلـب النظم دائماً وتغيير الأوضاع عـامة وتـوجيه الناس إلى شىء جديد وانتشالهم من كل ما هم فيه .

وهى رسالـة الإسلام التى أداها رسول الله ﷺ أكمل الأداء وائتمن عليهـا المجددين المصلحين

---

(١) بالمفهوم الإسلامى ، وليست بالمفهوم الغربى الوثنى العلمانى الذى يجعل العصبية صنما يعبد من دون الله .

من أمته وسنقـوم بقسطنا من هذا التجديـد إن شاء الله وسيغير الله بنا هـذه النظم وتلك الأوضاع ولتعلمن نبأه بعد حين .

أما واجب الأخ المسلم إن كـان جاداً فهـو أن يتخطى حدود النصح إلى حـدود العمل فقد آن أوان الجد .

يتصور الإخوان المسلمون أوان الجد هذا بأنه الاشتبـاك مع الحكومات وهو ما يعبرون عنه دائماً بنزول الميدان .

لا أيها الإخوان اشتبكوا مع أنفسكم أولاً وانزلوا منها ميـدان الخصومة واشتبكوا مع هذا بالنظم الفردية التي درجتم عليهـا وهي تخالف الإسلام ، سأدعوكم في القريـب إلى تغيير الزي لنقرب من مظهر الإسلام .

سأدعـوكم إلى تربيـة اللحية لنخـالف الخواجـات ، وسأدعوكم إلى تغيير الأوقـات فننام بعـد العشـاء ونستيقظ قبل الفجـر أو قبيلـه دائماً ، وسأدعـوكم إلى تأثيث البيت أثـاثـاً إسـلاميـة ، وسأدعوكم إلى تأديب الزوجات والبنات والأخوات تأديباً إسلامياً وأخذهن بتعاليم الاسلام .

سأدعـوكم إلى هـذا ولكن بطريق منظم وبخطـة واضحـة ، وسأدعـوكم إلى اتقان الصلـوات والحرص على الجماعات .

سأدعوكم إلى هذا وإلى كثير من أمثالـه فمن انتصر منكم على نفسه فسينتصر على كل حكومة طاغية ، وسيكتب الله للجماعة النصر ، ومن عجز عن قيـادة نفسه فهو أعجز عن قيادة الناس ، سأوافيكم ببيان كل ذلك مفصلاً في القـريب ، وسيكون عامنا هذا القادم إن شـاء الله عام جهاد عنيف مع النفس والبيت والعادات فأعدوا أنفسكـم والله معكـم . ا . هـ .

* * *

القســـم الثالــث

الأخــوات المســلمات
مكانــة ودوراً

- الفصـــــل الأول : نظرة تاريخية
- الفصـل الثانــى : واجبات الأخت المسلمة
- الفصل الثالــث : حسن البنا فى بيته
- الفصل الرابـــع : الأخوات المسلمات مواقف فى سبيل الله
- الفصل الخامــس : منهج تكوين الأخت المسلمة ثقافياً وروحياً

الفصل الأول

نظرة تاريخية

وددت لو أبلغ هذه الدعوة للطفل
فى بطن أمه ـ حسن البنا

نشأة فرقة الأخوات المسلمات

تقديراً لمسئولية الدعوة إلى الله ، وخضوعا لأمر الله تبارك وتعالى ، صدع الإمام الشهيد حسن البنا بأمر ربه ، وكانت صيحته المدوية ؛ داعيا إلى الله . إلى الإسلام كمنهج حياة .

فكان أول عمل قام به عندما استقر به المقام كمدرس بمدينة الإسماعيلية مهد دعوة الإخوان المسلمين الأول ، وهو فى صدر شبابه ، وكان عمره ٢٢ اثنين وعشرين عاما ـــ أن نادى فى الناس جميعا أن يعودوا إلى الإسلام الصافى الذى جاء به محمد ﷺ .

وتكونت أول شعبة للإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ .

وما من شك فى أن دعوة الإخوان المسلمين هى صدى الدعوة الأولى ، ونداء موجه إلى الرجل والمرأة على السواء .

ولهذا كان واضحاً لدى الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله أن دور المرأة فى الاسلام جد خطير ، له أثره البعيد فى تكوين الرجال والدعائم الأساسية التى ارتكزت عليها دعوة الإخوان المسلمين هى :

تكوين الفرد المسلم ، والأسرة المسلمة ، والمجتمع المسلم ، ثم تخرج من هذا المجتمع المسلم الحكومة المسلمة .

وفى شهر رمضان المبارك ١٣٤٨ وفى ليلة ١٧ منه وتفاؤلا بغزوة بدر الكبرى تم افتتاح أول مسجد للإخوان المسلمين فى الاسماعيلية . ثم تبعه بناء مدرسة فوق المسجد سميت « معهد حراء الإسلامى » . ولما استقر العمل بالمعهد تم إنشاء مدرسة للبنات أطلق عليها اسم : « مدرسة أمهات المؤمنين » .

ووضع لهذه المدرسة منهاج إسلامى ، يجمع بين أدب الإسلام وتوجيهه السامى للفتيات والأمهات والزوجات وبين علوم نظرية وعملية تقتضيها ظروف العصر ومطالبه .

وقد أدت هذه المدرسة رسالتها على خير وجه ، الأمر الذى استتبعه إنشاء قسم للأخوات

المسلمات ، يتألف من نساء الإخوان المسلمين وبناتهن وقريباتهن ، ويقوم بالتدريس فيه مدرسات المدرسة ، أطلق عليه الإمام الشهيد حسن البنا فى هذا الوقت اسم « فرقة الأخوات المسلمات » .

ووضع لهذه الفرقة لائحة خاصة تنظم العمل وطرائق السير والنشاط الذى يهدف إلى نشر الدعوة الاسلامية بين السيدات والفتيات المسلمات من بيوت الإخوان وغيرهن . وقد جرى العمل بهذه اللائحة فى الاسماعيلية ثم فى القاهرة بعد ذلك ... وتعتبر هذه اللائحة الأولى فى تنظيم العمل النسائى فى صفوف الإخوان المسلمين ، ونورد فيمايلى نص هذه اللائحة :

(فى غرة المحرم ١٣٥٢ الهجرية الموافق ٢٦ من أبريل ١٩٣٢ م تألفت فى الاسماعيلية فرقة أدبية إسلامية تسمى « فرقة الأخوات المسلمات ») [١] .

(أ) الغرض من تكوين هذه الفرقة :

التمسك بالآداب الإسلامية ، والدعوة إلى الفضيلة ، وبيان أضرار الخرافات الشائعة بين المسلمات .

(ب) وسائل الفرقة :

الدروس والمحاضرات فى المجتمعات الخاصة بالسيدات ، والنصح الشخصى ، والكتابة والنشر .

(جـ) نظام الفرقة :

١ ـ تعتبر عضوا فى الفرقة كل مسلمة تود العمل على مبادئها ، وتقسم قسمها وهو :

« على عهد الله وميثاقه أن أتمسك بآداب الإسلام ، وأن أدعو إلى الفضيلة ما استطعت » .

٢ ـ رئيس الفرقة هو المرشد العام لجميعات الإخوان المسلمين ، ويتصل بأعضائها وكيلة عنه تكون صلة بينهن وبينه .

٣ ـ كل أعضاء الفرقة ، ومنهن الوكيلة أخوات فى الدرجة والمبدأ . وتوزع الأعمال التى تستدعى تحقيق الفكرة عليهن ، كل فيما يخصه .

٤ ـ يعقد أعضاء الفرقة اجتماعاً أسبوعيا خاصا بهن ، يدون فيه ما قمن به من الأعمال خلال الأسبوع الماضى ، وما يرونه فى الأسبوع الآتى ، وفى حالة ما إذا كثر عدد الأعضاء ؛ يصح أن يقتصر هذا الاجتماع على المكلفات بالأعمال منهن .

٥ ـ تحصل اشتراكات مالية اختيارية حسب القدرة ، وتحفظ فى عهدة إحدى الأخوات للإنفاق منها على مشروعات الفرقة .

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص ١٥٦ .

٦ ـ يصح تعميم هذا النظام فى غير الاسماعيلية ، فى حدود هذه اللائحة .

٧ ـ يعمل بهذه اللائحة بمجرد التصديق عليها من أعضاء الفرقة التأسيسية والتوقيع منهن بما يفيد ذلك . أ هـ .

الأخــوات المسـلمات فــى القاهــرة

يعـد انتقال إدارة الاخـوان المسلمين إلى القاهـرة ، والتى نشرت جـريدة الاخـوان نبأه بعددهـا الثلاثين فى الخميس ١٥ من ذى القعدة ١٣٥٢ الهجرية الموافق ١٩٣٢ تقـريبا تكـونت فى القاهرة « فرقة الأخوات المسلمات » .

يتحمل عبء العمل فيها نساء بيوت الاخوان وقريباتهن .

واختيرت السيدة الصالحة الحاجة « لبيبه أحمد » رئيسـة لها ولفرق الأخوات فى الاسماعيلية وبور سعيد .

وقد وجهت بعد اختيارها كلمة طيبة نشرتها المجلة جاء فيها :

أخواتـى وبناتــى :

أحمد إليكن الله الـذى لا إلـه إلا هو ، وأصلى وأسلم على سيـدنـا محمـد وعلى آله وصحبـه ، وأحييكن بتحية الإسلام ، فـالسلام عليكن ورحمة الله وبركاتـه . كم أنا سعيدة مسرورة بأن أتقبل هذه الدعوة من حضرة المرشد العام للاخوان المسلمين للتشرف بخدمة مبادئكن ، والتقدم لرياسة فـرقكن وإنى مع ضعفى عن احتمال هـذا العبء وعجـزى عن القيـام بهذه المهمـة ؛ أعتقـد أنى سأجد من غيرتكن ومعـاونتكن ما يجعلنا نصل إلى الغـاية التى ننشدها من نشر تعـاليم الإسلام ، وبث آدابه ومبادئه فى نفس الفتاة المسلمة ، والأسرة المسلمة ، والله المستعان .

ومضت الحاجة لبيبة أحمد فى ندائها للأخوات تقول :

إن الأمة كما ترون فى تدهور خلقى ، وخلل اجتماعى ، بدت أعراضه فى كل مظاهر الحياة ؛ فى المنزل وفى الشارع وفى المصنع والمتجر ، وفى كل بيئـة ، وفى كل وسط ، ودوام هذا الحال يؤدى بنا إلى أوخم العواقب ، وأحط النتائج .

وأساس إصـلاح الأمة إصلاح « وأول إصـلاح الأسرة إصلاح الفتاة ، لأن المرأة أستـاذ العالم ، ولأن المرأة التى تهز المهد بيمينها « تهز العالم بيسارها .

وإن على الفتاة المسلمة أن تفهـم أن مهمتها من أقدس المهمات وأن أثرها فى حيـاة أمتها أعمق الآثار ، وأن فى مقدورها أن تصلح الأمة ، إذا وجهت عنايتها لهذا الاصلاح .

لهـذا نحـن نريـد أن نصلح أنفسنا وأعتقد أن فى تعاليم الإسلام وأحكامـه إن علمناها وعملنا بها ؛ مايكفل هذا الإصلاح المنشود .

وإذا : فهيا يا أخواتى وبناتى نصلح أنفسنا لنفهم الإسلام ونعمل به ، ونبث تعاليمه فى نفس المرأة المسلمة ، فإن صلحنا صلحت بصلاحنا الأسرة ، وكان ذلك صلاح أمتنا جمعاء .

ذلك ما أردت أن أبينه لكُن منهاجا لعملنا الذى ألزمنا أنفسنا به والله أسال أن يوفقنا إلى ما فيه الخير لأمتنا العزيزة المفداة « لبيبة أحمد » .

السبب فـى اهتمـام الإخـوان بالمـرأة المسـلمة :

السبب الرئيسى هو السبب الـذى من أجله بايع رسول الله ﷺ الرجال والنسـاء فى بيعة العقبة الأولى والثانيـة ؛ هذه واحدة ، أمـا الثانية فهى المسـاواة الكاملة فى الثـواب والعقاب على العمل الذى وضحته الآيـة الكريمة فى قولـه تعالى : **﴿من عمل صـالحا من ذكـر أو أنثى وهـو مـؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** .

ولكى يسير العمل سليما ومتمشيا مـع آداب الاسلام وأحكامـه ، كان لابـد من أن يكون قسم الأخـوات المسلمات منفصلا بمكـانه وإدارتـه وكل شئـونه عن شئـون وإدارة الإخوان ، ولكنـه فى النهاية يخضع لنظم الاخوان المسلمين . كفرع من فروع النشاط التى تحكمها أنظمة الاخوان .

وقد اقتضت ظروف الحاجة لبيبة أحمد ـ الرئيسة العامة للأخوات أن تقيم بالحجاز ؛ مما أدى إلى فتـور نشاط الأخـوات المسلمات ، ثم تعددت الهيئـات النسويـة الإسلاميـة الأخرى تعمل كلهـا جاهـدة فى سبيل الغايـة الإصلاحيـة المشتركة ؛ كل ذلك حدا بلفيـف من الأخوات المسلمات إلى احيـاء الفكرة من جـديـد ، والنهوض بها تحت إشراف المركـز العـام للاخـوان المسلمين ؛ ووافق مكتب الإرشاد العام على ذلك .

وتكونت أول لجنـة تنفيذيـة للأخوات المسلمات فى ١٢ من ربيـع الآخر ١٣٦٣ الموافق ١٤ من أبريل ١٩٤٤ ، واتخذت مقراً لها بالمنزل رقم ١٧ بشارع سنجر الخازن بالحلمية الجديدة بالقاهرة .

وبعد أن انتشرت فكـرة الأخوات المسلمات بالقطر المصرى ، ووثبت أو كـادت تثبت إلى خارج القطر بفضل الله ، واتسعت تبعا لـذلك نواحى النشاط رأى المركز العام لـلاخوان المسلمين إعادة تنظيم قسم الأخوات المسلمات على أساس يضمن نهوضه برسالته فى حدود بنود اللائحة الداخلية للنظام الأساسى للأخوات المسلمات كما يلي :

١ ـ المساهمة فى المشروعات الاجتماعية النافعة بالقدر الذى يتناسب مع ظروفهن وجهودهن ، وفى محيطهن ، ومن هذه المشروعات :

المستوصفات ، ودو الطفولة ، ورعاية اليتامى ، والمدارس ، وتنظيم مساعدة الأسر الفقيرة . الخ .

٢ ـ المشـاركة فـى حـدود ظـروف الأخوات المسلمات وجهودهن فى تحقيق البرنـامج الاصلاحى الأساسى لهيئة الإخوان المسلمين العامة ، ولازالت بعض هذه المؤسسات حتى الآن ، بعد أن استولت عليهـا الحكومة الغاشمـة وقتئذ عقب حل الاخوان والأخـوات سنة ١٩٥٤ مثل دار التربية الاسلامية للفتاة بشارع بستان الفاضل بالمنيرة بالقاهرة .

٣ ـ وفى ٢ من صفر ١٣٧١ الهجـرية الموافق ٢ من نوفمبر ١٩٥١ أعيد اعتماد اللائحـة الداخلية لقسم الأخوات المسلمات ومما جاء فيها زيادة عما سبق :

١ ـ يحسـن كلمـا أمكن ذلك أن يكون مقر شعب الاخـوات المسلمات ودروسهن هو دور شعب الاخوان المسلمين أو بيوتهن أو المسـاجد التى يشرفون عليها ، بشرط أن يـلاحظ إخلاء الدور من الاخوان تماما كلما كان هناك اجتماع أو درس للأخوات .

٢ ـ يسند الاشراف على هـذا القسم للمرشد العام للاخوان المسلمين رأسـا ، ولفضيلته أن ينتدب من الاخوان العاملين سكـرتير اتصال لتنظيم الأعمال الادارية بالقسم ، وتتصل الهيئـة العامة بالمركز العام للإخوان المسلمين عن طريق سكرتير الـذى انتدبه فضيلة المرشد العام بالأخوات عن طريق الشعب .

وحتى تاريخ اعتماد هذه اللائحة المعدلة سنة ١٩٥١ كانت شعب الأخوات المسلمات وفروعها فى كل أنحاء القطر المصرى أكثر من ١٥٠ شعبة .

بعـض ذكريـات قسـم الأخـوات مـع الامـام الشـهيد :

تـرجع أولى هذه الـذكـريات إلى تكـوين أول مجموعـة من المثقفـات من خريجات الجامعـات والمعاهد وطالباتها ، وعدد غير قليل من الموظفات كالمدرسات والطبيبات وغيرهن .

وكان اهتمام الإمام الشهيد بهذه المجموعة بالغا ؛ باعتبارها نواة صالحة لقيادات قسم الأخوات المسلمات ، وركيزة طيبة لفهـم الإسلام والعمل على نشره بمضـمونه السليم بين النساء .

وتعهد الإمـام الشهيد هذه المجمـوعة بالـدروس والمحاضرات التى كان يلقيهـا بنفسه عليهن بشكل دورى أسبوعى تقريبـا ، حرصا منه على نشر الوعى الإسـلامى الصحيح بين هذه الفئة من النساء ، واستمر ذلك فترة تقارب العام واستمـر قسم الأخوات المسلمات يؤدى رسالته على أكمل وجه ، حتى أعلنت الحكـومة المصريـة سنة ١٩٤٨ الحرب على الإخوان وأصـدرت قرارهـا المشئوم بحل الإخوان المسلمين والأخوات المسلمات ، وكان الحل بداية لمؤامرة اغتيال الإمام الشهيد حسن البنـا وبتدبير من رئيس الحكـومة محـمود فهمى النقراشى والطـاغية فـاروق وفق مخطط استعمارى صهيونى صليبى .

ومن الـذكريـات الطيبـة التى لاتنسى ، أنى رافقت الإمـام الشهيد رضـى الله عنه مـدة ست

سنوات تقريبا ، وسافرت معه فى بعض رحلاته بالوجه البحرى والأسكندرية لتنظيم فروع قسم الأخوات المسلمات ومنشآته .

وأذكر مرة أنى قدمت لفضيلته مذكرة أرجو فيها إعفائى من العمل بقسم الأخوات المسلمات لأتفرغ للنشاط الاخوانى على اعتبار أن بقسم الأخوات المسلمات من العناصر ما يسد مكانى . فأخذ المذكرة ولمح ما يبدو على وجهى من الجدية فى الطلب ، فابتسم ابتسامته المشرقة وكتب على المذكرة بالمداد الأحمر هذه العبارة :

« الأستاذ محمود الجوهرى سكرتير الأخوات المسلمات حتى المات » ووقع بإمضائه وأعطاها لى .

ولم أملك وقتها إلا التسليم والرضا وأجبته « حاضر يا فندم » .

أثر الأخوات المسلمات على المرأة المصرية

يتضح ذلك من اتساع نشاط قسم الأخوات المسلمات ، فى حدود لائحة نظام القسم ، واستمرار هذا الاتساع ، والاقبال المتزايد الملموس فى القاهرة والأسكندرية ، وجميع محافظات الوجه البحرى وبعض محافظات الوجه القبلى ، والنداء المنشور بمجلة الاخوان المسلمين بالعدد الصادر فى أواخر شوال ١٣٦١ الموافق أواخر ١٩٤٢ من الأخت المسلمة منيرة محمد نصر ثم الرد عليه من الأخت المسلمة نعيمة محمد وصفى المنشور بالعدد السادس من مجلة الاخوان المسلمين الصادر فى ٢٨ شوال ١٢٦١ الموافق ٧ نوفمبر ١٩٤٢ .

والنداء المنشور بالعدد ٤٨ من نفس المجلة فى ١٦ من ذى الحجة ١٣٦٣ الموافق ٢٨ ديسمبر ١٩٤٤ ، للسكرتيرة الثانية لقسم الأخوات المسلمات تدعو فيه كل مسلمة للعمل مع الأخوات المسلمات حتى تجتمع نفوس الأمة رجالا ونساء على غاية واحدة ، ومنهاج واحد هو القرآن الكريم ، ولا يزال هذا الأثر باقيا ، وسيستمر استمرار الحياة لأن منهاجهن وهو القرآن الكريم باق بقاء الحياة .

يضاف إلى ذلك الجهد الجبار الذى بذلته لجنة الزيارات المكونة من الأخوات :

(١) زينب الشعشاعى حرم فضيلة الشيخ عبد اللطيف الشعشاعى رحمه الله واعظ قسم الأخوات .

(٢) فاطمة عبد الهادى حرم الشهيد محمد يوسف هواش .

(٣) أمينة على الشهيرة بأمينة الجوهرى حرم محمود الجوهرى .

زارت هذه اللجنة معظم فروع الأخوات المسلمات بالوجه البحرى والأسكندرية وبعض مدن الصعيد ، عدة مرات من أجل هدفين :

الأول : إلقاء المحاضرات التى تشرح دعوة الأخوات المسلمات .

والثانى : الوقوف على مدى نواحى النشاط الأخرى كالمؤسسات وغيرها .

وفى ٣٠ من المحرم ١٣٦٥ الموافق ٤ من يناير سنة ١٩٤٦ أقام قسم الأخوات المسلمات حفلا بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية الشريفة بدار المركز العام للاخوان المسلمين بالحلمية ووجه الدعوة إلى عدد غير قليل من النساء ، وكان فناء الدار غاصا بعدد كبير شهد الحفل .

وفى مجلة الاخوان المسلمين الصادرة فى أول ربيع الآخر ١٣٦٥ الموافق « مارس ١٩٤٦ نشر احتجاج قسم الأخوات موجها اللوم إلى المندوب السامى البريطانى بالقاهرة وقتئذ على اعتداء جنود الجيش البريطانى المحتل على المصريين الآمنين .

المعرض السنوى الخيرى لقسم الأخوات المسلمات

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الاخوان المسلمين اليومية بالعدد رقم ٧٧١ بتاريخ الاثنين ٧ من المحرم ١٣٦٨ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٤٨ ما يلى :

يفتتح قسم الأخوات المسلمات المعرض السنوى الثالث لدار التربية الإسلامية للفتاة إبتداء من يوم الأربعاء ٩ من المحرم ١٣٦٨ الموافق ١٠ من نوفمبر ١٩٤٨ ويستمر أسبوعا ، ويخصص إيراده لتنفيذ أغراض الدار الخيرية .

الوصايا العشر

تحت هذا العنوان فى صفحة الأسرة بجريدة الإخوان اليومية كتبت إحدى الأخوات عجالة عن « دعائم البيت المسلم » متضمنة وصايا عشر موجهة إلى الزوجة حتى ترفرف على البيت المسلم السعادة وموجزها .

(١) الاتجاه إلى طاعة الله ورسوله ومحبتهما .

(٢) الأدب الكامل قبل الجمال ، وعدم التصرف فى مال الزوج إلا بإذنه .

(٣) يجب أن ينحصر اهتمام الزوجة فى واجبات بيتها وإصلاح شأنه .

(٤) دوام الحياء من الزوج وطاعته ، والسكوت عند كلامه والاستماع إليه واحترامه .

(٥) إكرام أهل الزوج وأقاربه .

(٦) القناعة بما وهب الله الزوج من رزق .

(٧) تقديم حق الزوج على كل الحقوق بعد حق الله ورسوله .

(٨) ألا تمن عليه بمالها أو جمالها ، أو حسبها .

(٩) ألا تخرج من البيت إلا بإذنه .

(١٠) أن تغار على زوجها وتحافظ على شعوره وكرامته .

ونشرت مجلة الاخوان على فترات متتابعة مقالات وأراء للأخت المسلمة فى الشئون المختلفة ، وصد حملات الجمعيات النسائية العاملة بتوجيه استعماري لإخراج المرأة المسلمة من رسالتها .

وقد امتد أثر قسم الأخوات وذاع أمره حتى وصل إلى أمريكا فقد جاء بالعدد رقم ٧٤٤ من جريدة الاخوان المسلمين اليومية الصادر فى غرة ذى الحجة ١٣٦٧ الموافق ٤ أكتوبر ١٩٤٨ ما يلي :

نداء عام للأخوات المسلمات

الاحتفال بالعيد السنوى الأول للأخوات المسلمات فى أمريكا :

إخواتى وأخوانى :

حول إلينا خطاب من سكرتيرة الأخوات المسلمات « بنيويورك » تخبرنا فيه بفتح اكتتاب عام فى أمريكا والقاهرة لإنشاء مقبرة هناك للمسلمين والمسلمات حتى يكون هناك مكان خاص لدفن المسلمين ، كما ستنشأ مدرسة لتعليم الأطفال المسلمين اللغة العربية والدين . وسيقوم بعض الطلبة المصريين بهذه المهمة هناك .

وسيكون الاكتتاب على صفحات جريدة الاخوان المسلمين باسم رئيس التحرير وتحت عنوان : العيد السنوى الأول للأخوات المسلمات بأمريكا .

« سعاد الجيار »

وكانت الوفود تأتى من البلاد الإسلامية ، ويتم الاتصال بالمسلمات من هذه الوفود بمعرفة الأخوات المسلمات ، ثم تعود هذه الوفود إلى بلادها حاملة معها منهاج العمل للإسلام وفق أهداف الأخوات المسلمات ومن هذه البلاد : الباكستان والأردن وسوريا وغيرها .

وكان التعاون بين قسم الأخوات المسلمات وبين الجمعيات النسائية المصرية الأخرى منعدماً نظراً لاختلاف النظرتين والهدفين ، فقد كانت قبلة الأخوات هى حضارة الإسلام وطاعة الله

والانقياد لحكمه ، وقبلة الجمعيات النسائية هى حضارة الغرب و إيثار الأهواء والشهوات ... الأخوات يعملن على صد غارات العدو عن حصون الأمة ، والنسائيات يعملن مع العدو لدك حصون الأمة ... الأخوات يدعون إلى الأصالة والتميز ، وأولئك يدعون إلى التبعية والتميع ... الأخوات يجدن جمال المرأة فى تقواها و إيمانها العميق وشرفها الرفيع وعفافها الطاهر ، والمتفرنجات يجدن جمال المرأة بتهتكها وتبرجها وخلاعتها وميوعتها وتكشفها واختلاطها ووقاحتها ... فكيف يلتقى الضدان » كيف يجتمع الداعيات إلى الجنة والداعيات إلى النار ؟ ! !

جهود الأخوات المسلمات
نحو الإخوان المسلمين فى السجون

كان لقسم الأخوات المسلمات نشاط مشكور تجاه الإخوان المسجونين وأسرهم ينبع من إيمانهن بالمنهج الاسلامى والعمل على استئناف الحياة الاسلامية :

فقد تكونت لجنتان فى هذه الظروف القاسية :

اللجنة الأولى : ومهمتها إعداد الطعام والملابس للاخوان بالسجون ، وكانت مسئولة عن هذه اللجنة الأخت الكريمة « زهرة السنانيرى » .

واللجنة الثانية : ومهمتها زيارة أسر الإخوان المسجونين بصفة مستمرة وتقديم كل ما تحتاجه هذه الأسر ماديا وأدبيا . بالإضافة إلى تقديم الشكاوى والتظلمات والاحتجاجات إلى الجهات المسئولة عن الظلم الفادح الواقع على الاخوان والأخوات وأسرهن .

* * *

وصايـــا قســم الأخـوات

وصايـــا عامـــة :

١ ـ العمل للاسلام واجب مقدس ، بـل هو فى نظر الأخوات المسلمات الآن فرض عين على كل مسلمة ملتزمة وخاصة بناتنا طالبات الجامعة والمعاهد .

٢ ـ يتحتم الآن على طالبـات الجامعة والمثقفات أن يفهمن رسالـة الإسلام من منبعها الأصيل : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن طريق القائمين بنشرها والعمل لها ، وممن ضحوا فى سبيلها ولا يزالون .

٣ ـ ونظــراً لخطورة دور المـرأة والفتـاة بصفـــة خاصـة لأنها أم المستقبل ، ومربية القـواد والزعماء المصلحين ، يصبح لزاما عليها أن تحمل هذا العبء فى الـوقت الذى اتفقت وتعاهدت كل قوى الشر والبغى على حرب الاسلام ، كما أصبح لـزاما عليها أن لاتخدع فيمن يلبس ثياب الغيرة على الاسلام والأدعياء العاملين لصرفها عن المنهج القويـم وجماعة الحق .

٤ ـ على كل راغبـة فى هذا الخير التعاون مع الأخـوات المسلمات على حمل هذا العبء ، ونشره ، على أن تكون كل داعية إلى هذا الحق قدوة صالحة ونموذجاً طيباً لما تدعو إليه .

٥ ـ وإذا كان الأمر كذلك ، فهذه يد الأخـوات المسلمات تصافح كل من تعاهد الله وتبايعه على العمل لدينها تحقيقا لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** ﴾ .

ونستطيع أن نقـول مطمئنين أنـه بين الأخـوات المسلمات فى مختلـف ظـروف المحن التى مـرت بالاخـوان المسلمين والأخوات المسلمات نماذج صدق فى القـرن العشرين أمهات وزوجـات وبنات وأخوات تجسدت فيهن سيرة نساء السلف فى العهد الزاهـر للاسلام فهما وعملا وصبراً ابتغاء وجه الله فكان بين الأخوات أمهات وبنات وأخوات لشهداء ممـا هو معروف على المستوى العالمى ، وما تناقلتـه وكالات الأنباء وشهدت بـه المحاكم التى حاكمت أعوان فـرعون مصر فى العصر الحديث عدو الاسلام جمال عبد الناصر .

فقد كانت معظم الأسر تعتقل عن آخرها رجالا ونساء وصبيانا ومن بين هذه الأسر :

أسرة المرحوم الأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام لـلإخوان المسلمين وأسرة المرحوم الشهيد سيد قطب .

وقد حوكمت الأختـان حميدة قطب وحكم عليها بعشر سنوات والسيـدة الحاجة زينب الغزالى وحكم عليها بخمسة وعشرين عاما .

ومن المواقف الخالدة الدالة على الفهم السليم المتسم بالشجاعة موقف السيدة الجليلة المرحومة حرم المرحوم الأستاذ حسن الهضيبى ، حينما كانت تحمل إليه بالسجن بعض المأكولات والملابس فى الزيارة ؛ أن تقدم أحد الضباط للتفتيش ، كأنه يقود حملة حربية ، فقالت له السيدة الفاضلة رحمها الله بكل الهدوء والحزم :

يا بنى إن مكانك ليس هنا ، وليست هذه مهمتك ، إن مكانك الطبيعى هو جبهة القتال ، ومهمتك حمل السلاح لدفع العدو وتخليص الوطن من عار الاحتلال . وليس تفتيش الخبز والبطاطس وغيرها .

فما كان من الضابط أمام هذا الجد ، إلا أن التفت إليها ، وكأنه أفاق من غشية ألمت به ، وكل ملامحه اعتذار ومرارة ، وكف عن عمله الصغير وتركها وانصرف قائلا : هذا حق يا سيدتى .

* * *

الحاجة زينب الغزالي :

إبنتي ...

هذه السطور إليك

كتبت الأخت الكبيرة ، والمجاهدة العظيمة ، رائدة العمل النسائي الاسلامي المعاصر : الحاجة زينب الغزالي هذا التوجيه الصغير لبناتها من الجيل الجديد ...[١] .

تقول أكرمها الله :

إن الواجب الحتمي على الفتاة المسلمة أن تحافظ بحرص ودقة على أداء الصلوات في أوقاتها وأن تحرص على بر والديها وحسن معاملتهما لأن طاعتهما من طاعة الله سبحانه ، وكذلك أن تتزيا بزيها الشرعي الذي تقرر في شريعتها ... وفي المدرسة أو الجامعة تكون القدوة الحسنة لزميلاتها تحرص على أن تنال الدرجات الأعلى في دروسها فتصبح قدوة في التحصيل الإيماني وفي التحصيل العلمي .

فهي في صلواتها تتأمل وجودها بين يدي الله وأنه سبحانه يرقبها في سجودها وركوعها وقراءتها فتعمل على تخلية القلب من غير الله ويكون كل انشغالها بأنها أمة لله وبين يديه ينظر إليها سبحانه وتعالى ، فكيف لاتنصرف بكلياتها إلى ذلك الخالق العظيم المدبر لأمر خلقه . وبتلك اليقظة في الصلاة تعيش إحساسها بالقلب والنفس والجوارح مع الله سبحانه فتستغفر من كل عمل غفلت فيه عن مراقبتها لله وتعامل الحق بالإحسان والتسامح لأنها مادامت المسلمة فيجب أن تتخلق بأخلاق الله ومن صفات الله وأسمائه المحسن الكريم .

كذلك كانت المسلمات يقتدين برسول الله ﷺ يلتمسن من أخلاقه وقوله وعمله طريقهن إلى الله فكانت بهن الأمة المسلمة التي غرست في أمهات الجيل الأول أخلاق الإسلام ومتطلباته من الأمومة الراعية للأبناء والبنات فكان جيل الغزو والفتح والجهاد الذي كان وارثاً لجيل الصحابة .

نعم جاء جيل التابعين رجالاً شامخين ، ونساء على زكاة وطهر وعفة ، فسعيد بن المسيب ذلك التابعي علم من أعلامهم ، هل كان بغير أم داعية واعية راعية حافظة لكتاب ربها وسنة نبيها .

نحن نرجو جيلاً من النساء يبني الرجال من سني طفولتهم على أن الإسلام غائب وهم رجال المستقبل الذين سيرفعون الراية ويقودون المسيرة إلى الحكم بالكتاب وبالسنة ليعود العالم إلى رشد الرجال ورجاحة عقول الأمهات البانيات لجيل جديد يمسك كتاب الله بيمينه ومعه سنة نبينا عليه

---

(١) مجلة « لواء الاسلام » في إصدارها الإخواني العدد التاسع ، السنة الثالثة والأربعون (جمادى الأولى سنة ١٤٠٩هـ = ديسمبر سنة ١٩٨٨ م .

الصلاة والسلام ثم يرفـع بكلتا يديه سيفه للجهاد في سبيل الله وقد احتضـن بقلبه سطور الكتاب والسنة .

ذلك هو الأسـاس لنبني جيلاً يطالـب بالخلافة ويـدعو إليها على بصيرة ويقـود مسيرة الجهاد والأمر بـالمعروف والنهى عن المنكر وتذكير المسلمين بأنهم في غير دائرة الحق وحتماً لابـد أن يعودوا إليها ليقودوا العالم من جـديد إلى أحكام الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الـذين كفروا ونافقوا ودلسوا على الإسلام والمسلمين هى السفلى .

ذلك واجب حتمى يجب أن تسعى إليـه الأخـت المسلمـة حتى تجنى ثمار البـذل الـذي بـذل باستشهاد البنا ، وشجرته المباركة التى سبقت بدماء زكية طاهرة لشهداء ١٩٥٤ ... شهداء قافلة العمل والجهاد والبعث والتربية .

وأولئك الرجال العظام الـذين استشهدوا في سنة ١٩٥٧ وقافلة التجديـد للدعوة والبذل التى كان لها شرف الاستشهاد في عام ١٩٦٥ .

وذلك العلم الخفاق الـذي لازال نور يضىء للمجـاهين في أفعانستان ذلكم هـو الشهيد الأخ كمال السنانيري الذى استشهد في السجن سنة ١٩٨١ م .

وتلك الدمـاء المقدسـة الغالية التى أريقت على أرض أفغـانستان وفلسطين وسـوريا والفلبين وكثير من أرض التوحيد .

تلك سطور قليلة أقدمها لبناتى ليقرأن فى دعوتهن سطور تاريخها المجيد وتجديدها للأمر الذي يعـود بنا إلى نـــداء الحـــق تبـارك وتعـالى ﴿ **والذيـن جـاهـدوا فيـنا لنهـدينهـم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ .

* * *

السيدة علية الهضيبى :

على الأخوات أن تواجه المؤامرة بحرب مضادة ووسائل فعالة ...

فى حديث صحفى أجرته الأخت ليلى سالم ، وجهت الأخت الكبيرة السيدة علية الهضيبى هذا الحديث للأخوات المسلمات ...

قدمت الأخت ليلى سالم السيدة علية الهضيبى للقراء بما يلى [1] :

لفت نظرى تواجدها فى كثير من الندوات الإسلامية والتى كثيرا ما تفتقد تواجد المرأة بها ... كانت حريصة على متابعة ما يدور حولها ، فلها اهتمامات تربوية وثقافية وفكرية ... محدثتنا هى السيدة / علية الهضيبى . الابنة الصغرى للإمام الممتحن حسن الهضيبى ... عاشت محنة الإخوان أيام عبد الناصر وواجهت مع أسرتها ظلم وعدوان الطواغيت ... تخرجت من المعهد العالى للثقافة والذى كان تابعاً لكلية البنات بالزمالك فيما مضى وكان يخرج فتيات مؤهلات تربويا ولغويا وثقافيا ... لديها أولاد وأحفاد ... ومهتمة كثيرا بقضايا المرأة المسلمة وتربية الطفل ... وفى حوار لنا معها نصل الماضى بالحاضر ... لنتعرف على جانب من تاريخ المرأة المسلمة والقضايا التى تشغلها الآن .

الحديث :

● ماذا يمثل لك الماضى ؟ وكيف استفدت من التجربة القاسية التى مر بها الإخوان فى عهد عبد الناصر وخاصة من أسرتك ؟

ـ لقد عاصرت ووعيت حادث مقتل الإمام الشهيد « حسن البنا » ... وكان لاستشهاده أثر بالغ فى حياتنا فهو الإمام والقدوة ... وكان مفهوم التعرض للمحن والمشاكل وارداً فى أذهاننا جميعاً ... وكنا نعمل على تأهيل أنفسنا لمواجهة هذه المتاعب .

فهذا هو ديننا الذى يحتم ويفرض علينا هذا الجهاد ... أما والدتى فكانت رحمها الله نوعية فريدة من السيدات ، كانت تملك مقومات فائقة من الشجاعة وحسن التصرف ... فواجهت الأحداث التى مرت بنا وبالإخوان بحزم وصبر وفطنة ...

كانت معظم أسر الإخوان قد تم القبض عليهم وألقى عائلهم فى السجن وواجهت هذه الأسر كثيراً من المشاكل المادية والمعنوية وعندما استولت الحكومة على الأموال التى تكافل بها الأسر فيما عرف بقضية الجهاز المالى ، اجتمعت والدتى ومعظمهن يعيش فى ضيق مادى ، فطلبت منهن أن

---

(١) مجلة « لواء الاسلام » فى الإصدار الإخوانى العدد الثانى ـ السنة الخامسة والأربعون (شوار سنة ١٤١٠ هـ = ابريل سنة ١٩٩٠ م) .

يعملن فى منازلهن ... كل حسب مؤهلاتها وما تستطيع وتجيد عمله ... من حياكة وتطريز ومشغولات ... الخ . وقالت إن كل امرأة بالتأكيد لديها خصائص ومواهب تؤهلها للقيام بأى عمل تتقنه وتتكسب منه ... حتى لو وصل الأمر أن تقوم من لاتجيد أى عمل بطهى الفول المدمس بطريقة جيدة وتبيعه للجيران ... وهذا طعام تتناوله معظم الأسر ... المهم أنها كانت تتصرف بوعى تلقائى وبصورة عملية فى مواجهة هذا الكم الهائل من المشاكل والمحن ويكفى أنها تحملت بصبر وجلد تواجد أولادها الخمسة وزوجها فى السجن .

● ما هى فى رأيك حدود مشاركة المرأة المسلمة فى الحياة العامة وفى الحركة الإسلامية فى هذه المرحلة ؟

- أرى أن مشاركة المرأة على مستوى الحركة الإسلامية يجب أن لا تكون بلا حدود وهى تختلف من امرأة إلى أخرى ... وكل حسب مؤهلاتها ولما يُسرت له ... والمرأة المسلمة فى عهد الرسول ﷺ بايعت ، وهاجرت ، وحاربت ، وانتقدت الحاكم ، وقرضت الشعر ، وتاجرت وطببت .

وفى المرحلة التى تعيشها الحركة الإسلامية الآن .

يجب على المرأة أن تشارك بأقصى درجة المهم أن تكون مشاركتها في الإطار الإسلامى ... إلى جانب أن هناك تأثيرا مهما تشكله المرأة فى حياة أسرتها ويعتبر مشاركة عامة وهو مدى تأثيرها الإيجابى على زوجها أو اخواتها أو أطفالها .

● ما هو تقييمك للمرأة المسلمة اليوم ؟ وهل تعتقدين أنها تشارك بصورة إيجابية مع الرجل فى إطار الحركة الإسلامية ؟ وما هى المعوقات التى تقابلها ؟

- محن الاعتقال والحصار الذى فرض على الحركة الإسلامية أثر على المرأة المسلمة إلى حد كبير أكثر من الرجل ... فهى واجهت المحنة فى الخارج ومع الحياة والمجتمع .

وتحملت مسئولية الأسرة ماديا ومعنويا سنين طويلة فأثقلت هذه الأعباء كاهلها ، فى حين أن تجربة السجن لدى الرجال كانت بمثابة بوتقة صهرتهم ونهلوا من خلالها زادا روحيا وثقافيا وقد استمروا فى تجمعهم والتعرف على بعضهم البعض .

ونحن لا نختلف أن هذه المحن كانت مؤلمة وفتنت البعض ولكنها فى النهاية غربلت الجماعة . أما المرأة فقد صارعت المجتمع فى الخارج وأثقلتها هذه الظروف القاسية التى أدت إلى انعزالها فترة معينة إلى جانب أن هناك عوائق أخرى منها ما هو أمنى ومنها أنها لم تعط الفرصة الكافية للمشاركة ولم يهتم الرجل كثيراً بأن يؤهلها معه لكى تكون رفيقة الكفاح فى الداخل والخارج .

السيدة أحلام حسن :

رسالة الأخوات ...
أساسية ، وليست فرعية !

فى حديث صحفى قامت به الأخت هناء محمد [(١)] ، تكلمت السيدة أحلام حسن ، وهى من الأخوات العاملات اللائى لهن قدم راسخة فى الدعوة ... تكلمت عن دور الأخوات وضرورته فى العمل الاسلامى ، وأنه فريضة تأثم الأخت بإهمالها أو إخضاعها لظروفها وأحوالها ... وقدمت الأخت هناء الحديث بتعريف سريع لمحدثتها بما يلى :

البيت هو مملكة المرأة ، وإسعاد الزوج وتهيئة الجو المناسب له للعطاء والانتاج هو واجب الأخت المسلمة فى بيتها ، وخدمة المرأة لمجتمعها وبنات جنسها واجب إسلامى .

ولعلّنى عندما تعرّفت على الأخت أحلام حسن وجدت فيها نموذج الأخت المسلمة المعاصرة التى ينبغى أن يُحتذى به ... بيتها الصغير عبارة عن مملكة هادئة وادعة ، أثاثه غاية فى البساطة ومع ذلك فهو غاية فى الجمال والنظام والنظافة ، وإذا صح القول بأن وراء كل داعية ناجح أخت مسلمة فهى امرأة تقف وراء زوجها الأستاذ بالجامعة تهيىء به ما يعنيه فى عمله الجامعى ، وما يعنيه على أداء واجباته نحو دعوته التى يؤمن بها ويضحى من أجلها .

وإيماناً منها بدور المرأة المسلمة فى خدمة مجتمعها فقد خرجت للعمل ـ رغم أنها ليست فى حاجة إليه ـ لتسهم فى توجيه بنات جنسها وتعليمهن ، وها هى تعمل فى إحدى ثانويات البنات بالتدريس .

وجدتها مثال الأخت التى تؤدى واجباتها نحو زوجها وبيتها وعملها ، لايطغى واجب على واجب ، وقبل كل ذلك فقد وفقها الله للطاعة .

سألتها كيف توفقين بين طاعة الله ، وواجبات الزوج ؟ قالت : كل ذلك بفضل الله أولا ثم بفضل زوجى الذى يعيننى على الطريق .

ولذا أحببت أن أقدم الأخت « أحلام » للأخوات المسلمات ، وأن أطوف داخل فكرها بعدد من التساؤلات عسى أن يكون فيها مايفيد بمشيئة الله .

الحديث :

● كيف تتصورين دور الأخت المسلمة كزوجة وداعية ؟

---

(١) مجلة « لواء الاسلام » فى فترة إصدار الاخوان المسلمين العدد العاشر ، السنة الثانية والأربعون (جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨ هـ = يناير سنة ١٩٨٨ م) .

●● دور الأخت كزوجة معروف ، ويدخل فى نطاق واجبات الزوجية من حسن التبعل للزوج وأداء حقوقه على الوجه الأكمل الذى بينه لنا الإسلام ، وحفظ زوجها فى بيته وماله وأولاده وعرضها ، وألا تأذن فى بيته لمن يكره ، أو تنشغل بأمر عن أداء حق من حقوقه . وهى بهذا تسهم فى تزويد زوجها بزاد يعينه على الطريق .

إلا أن ما يجب التركيز عليه هنا هو أن كل زوجة يجب أن تعلم أن وقوفها بجانب زوجها تعينه وتشد من أزره فى سبيل الله هو مشاركة كاملة معه فى الثواب ، وأن رسالتها معه هى رسالة أساسية وليست فرعية أو تبعية ، إنما هى له نصيرة ومعينة على الحق الذى التقيا عليه وتعاهدا على الجهاد فى سبيله ، وهو تحقيق عبودية الله فى الأرض .

● وما رأيك فى القصور أو الفتور الذى يعترى نشاط بعض الأخوات خاصة بعد الزواج ؟

●● فتور نشاط الأخت ربما يرجع إلى زوجها خاصة وأنه المتغير الذى طرأ على حياتها ، فقد يكون انشغاله عن البيت ، وعدم مداومة التوجيه لزوجته سبب رئيسى ، ولايصح للزوج أن يرجع تقصيره فى توجيه زوجته وإرشادها إلى انشغاله بأمور الدعوة أو مشكلات الحياة فهذا ادعاء باطل .

● أليست هناك أسباب للفتور تعود إلى الأخت نفسها ؟

●● نعم قد تكون أسباب فتور النشاط من الأخت نفسها خاصة إذا كانت تجعل الزواج غاية وليس وسيلة فإذا كانت كذلك فهى تظن أنها بالزواج من أخ مسلم ملتزم قد حققت غايتها فى بناء بيت مسلم ، مع أن الزواج ينبغى أن يكون بداية لنشاط أوسع فى سبيل الله . كذلك فإن بعض الأخوات (وهن قليلات) قد تضع كل همها فى متاع الدنيا الزائل كالمال والولد أو المظهر والزينة تحت دعاوى كثيرة قد يزينها الشيطان لها .

● ما هى الكتب المفيدة للأخت المسلمة . هل الكتب التى تركز على شرح العقيدة والشريعة أن تلك التى تهتم بالحركة الإسلامية وتاريخها ، أم الكتب التى تركز على التربية الروحية ؟ وبأى الكتب تبدأ الأخت ؟

●● الأخت المسلمة تحتاج إلى الكتب الإسلامية التى تغطى جميع نواحى العمل الإسلامى ، علماً وسلوكاً وعقيدة وحركة معاً ، إلا أن الاستفادة من هذه الكتب لابد أن تتم وفق المراحل الآتية حتى يتم النفع ولا يحدث مالا يحمد عقباه :

أولاً : التركيز على كتب العقيدة سواء فيما يتعلق بحقيقة الإيمان وما يترتب عليه ، أو فيما يتعلق بعقيدة الجزاء ترغيباً وترهيباً .

ثانياً : كتب الفقه بالقدر الذى يتناسب مع واجبات الأخت المسلمة واستعدادها ورسالتها

(الكتب الخاصة بالأسرة المسلمة عامة مثل حقوق الزوج - تربية الأولاد - آداب الأسرة - صلة الرحم . وهكذا) .

ثالثاً : كتب الحركة والثقافة الإسلامية العامة .

● كثير من الرجال يعتقدون أن المرأة ينحصر دورها فى المنزل فقط ، ولاتصلح كداعية فهل هذا صحيح ، وما رأيك ؟

●● تصلح الأخت المسلمة فى العمل خارج المنزل كداعية فى إطار الضوابط الشرعية ودون إخلال بواجبها تجاه الزوج والأولاد ، فلابد من التوازن الدقيق بين هذا وذاك ، مع العلم أن هذا المستوى قليلاً ما تجده بين الأخوات وهو أمر طبيعى ، فلم نسمع مثلاً عن عشرات مثل عائشة (أم المؤمنين) بين المؤمنات فى الصدر الأول وسمعنا عن آلاف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم .

● لقد أفرزت المحن التى مرت بالإخوان المسلمين والأخوات المسلمات كثيراً من الأخوات المسلمات ذوات المعدن الأصيل ، وبرز منهن داعيات مثل الأخت زينب الغزالى والأخت أمينة قطب وغيرهما ، ترى لماذا لاتتكرر نماذج مثل هذه الأخوات ؟

●● نحن بإذن الله أملنا فى الله كبير أن يتكرر عشرات مثل زينب الغزالى وحميده قطب وأمينة قطب وأخريات لايعلمهن إلا الله وحده ، والله لايعجل بعجلة أحدكم ، والخير فى وفى أمتى حتى قيام الساعة . وشكر الله لك ...

* * *

السيدة وفاء مصطفى مشهور :

البيت المسلم ...
أهم ما تقدمه الأخت المسلمة للحركة الاسلامية

فى حوار أجرته الأخت هناء محمد مع السيدة وفاء مصطفى مشهور حول قضايا تشغل الأخوات حول مراتب العمل الاسلامى وأهمها بالنسبة للأخت المسلمة ... قدمت الأخت هناء الحوار ، بهذه المقدمة [1] :

فى لقائنا بالأخت وفاء مصطفى مشهور وجدنا الفرصة مناسبة ليكون الحوار حول بعض القضايا التى تدور فى أذهان كثير من الأخوات حيث أولويات العمل المطلوبة من المرأة لتسهم بدورها فى مسيرة الحركة الاسلامية ، وبعض المشكلات التى تواجه كثيراً من الأمهات فى تربية أطفالهن فى ذلك الجو الذى تسهم فيه كثير من معاول الهدم لإفساد ذلك الجيل ... وتجىء أهمية هذا الحوار مع الأخت وفاء لأنها إحدى الأخوات اللائى يمارسن الدعوة بجوار الواجبات المنزلية والزوجية والعمل فى مجال التربية ، ونحسبها بفضل الله موفقة فى كل ذلك .

الحديث :

دور الأخت فى بناء الأسرة

●سألت الأخت وفاء : ما هى الأولويات المطلوبة من الأخت سواء الزوجة أو الطالبة ؟ وكيف يمكن أن تؤدى دورها فى الحركة الإسلامية ؟

●● فأجابت : الأولويات المطلوبة من الأخت إذا كانت زوجة ... عليها أولاً أن تؤمن فى قرارة نفسها بدورها الكبير وأثره الفعال فى بناء الأسرة والذى يبدأ من فهمها للزواج على أنه عبادة تتقرب بها إلى الله تعالى ، وأنها بحسن سلوكها وحكمتها ومراقبتها لله تستطيع أن تجعل بيتها جنة يستروح فيها زوجها من متاعب الحياة خارج البيت ، كذلك عليها أن تهتم بزادها الروحى حتى إذا كثرت عليها المسئوليات والأعباء لاتنشغل عن صلتها بالله تعالى وتجتهد أن تُحَوِّل كل عادة إلى عبادة وتستفيد من كل دقيقة من وقتها وتذكر فيها الله ليبارك لها فى الوقت .

كذلك على الأخت أن تعد نفسها الإعداد الجيد لأن تكون زوجة مسلمة بحيث تتعرف على دورها فى البيت سواء واجبات وحقوق الزوج والأولاد أو الاطلاع على فقه النساء ليساعدها على

---

(١) مجلة « لواء الاسلام » فى فترة إصدار الإخوان المسلمين العدد السابع ، السنة الثالثة والأربعون (ربيع الأول سنة ١٤٠٩ هـ = أكتوبر سنة ١٩٨٨ م) .

أداء ما عليها من طاعات ، وأن تتقن الإدارة المنزلية وتتعلم بعض المهارات التى تحتاجها فى بيتها وأن تحرص على ضبط مناخ البيت وتنظيم الوقت وترتيب أولويات الأعمال المطلوبة منها .

وترى الأخت وفاء أن دور الأخت المسلمة فى الحركة الإسلامية يبدأ عندما تهيىء المناخ لزوجها وتعينه على أداء رسالته تجاه دينه ودعوته ، كما أن حسن معاونتها لزوجها ورعايته وتربية الأولاد على الأسس الإسلامية هو من صميم العمل الإسلامى لأن أهم دور تقدمه للحركة الإسلامية هو بيت مسلم قدوة .

أما إذا كانت الأخت طالبة فعليها أن تفهم أن الغاية الأساسية من التعليم هى إفادة الإسلام ، والمسلمين بهذا العلم والإسهام فى بناء مجتمع مسلم وبهذا يتحول العلم إلى عبادة متقرباً به إلى الله .

وتضيف الأخت وفاء قائلة « على الطالبة المسلمة أن تطلع على المخطط الاستعمارى وأهدافه حتى يتكون لديها الغيرة على الإسلام فإذا علمت أن الاستعمار يهدف إلى تحطيم خلق الشباب والفتيات عن طريق وسائل الإعلام وشغل الفراغ بأشياء تافهة فغيرتها على الإسلام تدفعها إلى الابتكار وطرح البديل النافع لشغل فراغ أخواتها المسلمات .

● قلت من الملاحظ على بعض الأخوات أن ممارستهن للدعوة أحياناً تكون على حساب واجبات البيت والزوج والأولاد ؟ كذلك يرجع تقصير بعضهن تجاه الدعوة إلى اهتمامهن البالغ بواجبات البيت والزوج ، فكيف يمكن للأخت أن توفق بين واجباتها نحو الدعوة والبيت ؟ .

● ● إذا اتفقنا أن شخصية الأخت المسلمة لابد أن تتربى على الجوانب الثلاثة الثقافى والسلوكى والحركى وأن الكل مطلوب إذن فسلوك الزوجة يظهر فى معاملتها لزوجها وأولادها وثقافتها تظهر عند القيام بواجباتها وطاعتها ، أما حركتها فهى إعداد البيت المسلم ومعاونة الزوج على أداء واجبة الدعوى بجانب مساهمتها فى توصيل دعوة الله لبنات جنسها . إذن فدورها تجاه الدعوة والبيت مطلوب دون إهمال لأى منها ولايجوز للأخت أن تفرق بين دورها هنا وهناك وحتى لايكون هناك تقصير فإنه ينبغى للأخت أن تراعى .

● الحرص على كسب خبرات الأخريات فى الإدارة المنزلية وأمور الطهى وسرعة الأداء .

● الحرص على أداء واجبات ورغبات الزوج بحيث لا يؤثر عملها فى الدعوة على أداء هذه الواجبات . ولابد أن تعرف الأخت الزوجة أنه كلما زادت المودة والصلة بين الزوجين كلما تيسر لها أداء واجبات الدعوة دون استياء الزوج .

● التركيز على تربية الأولاد خاصة فى الفترة الأولى من عمرهم وتعويدهم الاعتماد على النفس فى بعض التصرفات البسيطة .

التعامـــل مـــع الأطفـــال

● هنـاك بعض الأمهـات يشتكين من عـدم الانضبـاط عنـد أطفـالهن ، فكيف يمكن لهن التعامل مع هؤلاء الأطفال ؟

●● أحب أن أنبـه أختى الأم التى تشتكى من كثـرة الحركة وعـدم الانضباط عنـد الطفل إلى أهميـة استخدام وسيلـة التربيـة بتفريغ الطـاقـة وشغل وقت الفـراغ حيث لا ينتبه إليهـا كثير من الأمهات فتذهب الأم لأداء عمل منزلى قد يستغرق ساعات وتترك أطفالها دون أن ترشدهم إلى لعبة معينة أو ممـارسة هوايـة معينة أو تحديـد شىء يشغل وقت فراغ الطفل فى هـذه الساعات فبـالتالى يعتاد الطفل على اللعب الارتجالى فينطلق فى البيت يميناً ويساراً وفى هـذه اللحظة تشعر الأم بعدم انضباط الطفل في حين أنها لم تساعده أو توجهه إلى الطريق السليم .

وهذه بعض الارشادات العامة حول شغل فراغ الأولاد وتفريغ طاقاتهم :

ـ على الأم أن تحرص على اختيـار اللعبة التى تتناسب مع سن طفلهـا وتجلس معه الفترة الأولى عند تقديم اللعبة حتى يفهمها ويتعلق بها ليجلس أمامها بعد ذلك وحده .

ـ على الأم أن تكوّن لـه مكتبة صوتية من الشرائط الإسـلامية سواء أناشيـد إسلامية أو قصص إسلامى مسجلة بصوتها أو صوت والده ليتوفر لديك البديل الإعلامى الإسلامى .

* * *

فضيلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب :

صورة البيت المسلم

في كتابه القيم « مفاهيم إسلامية » الجزء الأول ، في الصفحات من ١٦٧ إلى ١٧٢ حدد شيخنا ملامح البيت المسلم بما يلي (*) :

١ - الزواج مؤسسة اجتماعية لها أواصر وروابط ، على أساسها تقوم سعادة البيت ، والمستشارون في هذه المؤسسة هم : أعضاء الأسرة ، عمادها الزوج ، وأمين السر المخلص الغيور هو الزوجة فهي صاحبة السلطان بحكم منصبها في البيت ، سلطان المسئولية لا القهر والاستبداد ، وقد استشار النبي ﷺ أم سلمة في الحديبية .

٢ - الزوجة الحكيمة فعلاً : هي التي تنصر الرجل على نفسه فتذكره بالله دائماً لاستمرار نجاح المؤسسة ، كما كانت أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن ، يقلن لأزواجهن عند الخروج من البيت « بالله عليك لاتدخل علينا حراماً ، واتق الله فينا » .

٣ - البيت المسلم بيت يعرف الله ورسوله ويحبهما ﴿ **والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾(1) ، ومن أحب شيئاً ذكره وتعلق به ، ففيه صلاة وقنوت ودعاء وفيه قرآن يتلى ، وفيه حديث يحفظ ، كما جاء في الأثر « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » وقالت النساء لرسول الله ﷺ « غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً ، لقيهن فيه فيه فوعظهن وأمرهن » (2) .

٤ - البيت المسلم من سماته الأصيلة أنه يرد أمره إلى الله ورسوله عند كل خلاف ، وفي أي أمر مهما كان صغيراً ، وكل من فيه يرضى ويسلم بحكم الله ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً** ﴾ (3) ، ﴿**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ (4) .

٥ - الزوجة المسلمة : هي التي تحذر شيطان الإنس فإنه أشد خطراً على النفس من شيطان الجن ، ويجب أن تتنزه المسلمة عن السفاسف وترتفع فوق الدنايا وتضع في اعتبارها أن الخطأ

(*) هذه النصائح موجهة للإخوان والأخوات معاً .
(1) سورة البقرة : ١٦٥ .
(2) رواه البخاري
(3) سورة الأحزاب : ٣٥ ، ٣٦ .
(4) سورة النور : ٥١ .

فوق أنـه يضر بصاحبه فـإنه يعم فوق ذلك على كل الملتـزمات وهـذا مالا نرضـاه لأنفسنا » ولايفوتك أن تذكرى دائماً أن هناك من يرصد الهفوات ويتصيد الأخطاء لا من أجل تصويبها وإنما من أجل النيل منك ومن أخواتـك ، يجب أن تحذرى فى كل تصرف يصدر عنك ، وأن تتجنبى مواطن الشبهات » ووزن أى أمر قبل الإقدام عليه بميزان الإسلام الدقيق ، والالتزام بالإسلام لايتحقق إلا بتطبيق كل جوانبـه دون نقص ، والإسلام كل لايتجزأ « خذوا الإسلام جملة أو دعوة » .

والإسلام بنيان متكامل فترك أى ركن منـه يسقط باقى الأركان ، ولذلك تفتن من تفتن وتهوى من تهوى وتضل من تضل أما المسلمة صاحبة الإرادة القوية الصلبة والوعى الصحيح فتبقى ثابتة ملتزمـة بالسمت الإسـلامى وحسن الخلق وحسن المعاملة ولاتفسح المجـال أبداً لأعـداء الإسلام بتشويه وجهه المضىء .

٦ ـ البيـت المسـلم يقـتدى برسـول الله ﷺ فى التعاون فى تقسيم العمل ، فقد كان ﷺ يسـاعد أمهـات المؤمنيـن فى خدمة البيت وقضـاء حاجاتـه ، وقد سئلت السيدة عـائشة رضى الله عنها : ماذا كان يصنع الرسول فى البيت ؟ فقالت : « كما يصنع أحدكم ، يشيل هذا ويحط هذا ويخدم فى مهنة أهله » ، وفى روايـة : « يخدم فى مهنة أهله ، ويقطع لهم اللحم ، ويقم البيـت ـ أى يكنسـه ـ ويعين الخادم فى مهنته » وفى روايـة : « كان يخصف نعلـه ، ويخيط ثوبه ، ويعمل فى بيتـه كما يعمل أحدكم فى بيته »[١] ، ولقد اقتدى به الصحابة رضوان الله عليهم فكـان الإمام على رضـى الله عنه يـوزع العمل بين أمـه وزوجته ، فيقـول لأمـه اكفى فاطمة سقاية الماء والذهاب فى الحاجة ، وهى تكفيك الداخل الطحين العجين .

٧ ـ البيـت المسـلم لايجرى وراء فتنة الموضة والتبرج والانحلال والاختـلاط وتقليد غير المسلمين فلقد حذرنا المصطفى ﷺ فقـال : « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلـوا جحـر ضب خـرب لسـلكتموه قلنـا : يـا رسـول الله اليهود والنصـارى قال : فمن ؟ ؟ »[٢] ، ولتعلم المسلمة أن الذى يدعوهـا إلى جحر الضب الخرب ويزينه لها واحد من أربعة :

(١) مراهق لايفكر إلا فى أهوائه الجنسية ، فهو شيطان يزعم الإصلاح وهو المفسد الحقيقى **﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾**[٣] .

(٢) وكاتب يريد أن يتملق المرأة ويرضيها ، ويتقرب إلى المراهقات ليشتهر ويبيع كتابه ويثرى من وراء هذا **﴿ خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾**[٤] .

---

(١) رواه حمد فى المسند .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) سورة البقرة : ٢٢٠ .
(٤) سورة الحج : ١١ .

(٣) وسياسى يهمه كسب أصوات الناخبين والناخبات يبيع دينه إن كان له دين بثمن بخس وسيبوء بكل سيئة يفعلها وعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

(٤) وطاغية مستكبر على الله يتقرب إلى أعداء الله بإظهار أنه مجدد يكره التعصب للدين والأخلاق ، وينادى بالتحرر والانطلاق ، وكأن طاعة الله عز وجل أصبحت تساوى الجمود والتعصب ، ففى بعض البلاد الإفريقية مر بعضهم وكان زائراً على طلاب مدرسة فوجد الأولاد يتناولون طعامهم بمفردهم ، والفتيات فى مكان آخر ، فغضب وقال هذا عمل رجعى ومظهر تخلف « ولابد من الاختلاط والجمع بينهما ، وسارع المشرفون إلى تنفيذ الأوامر فجمعوا الأولاد مع البنات ، ولما رأى ذلك انبسطت أساريره وقال هذا عمل تقدمى حضارى اشتراكى ! ! .

٨ - البيت المسلم له موقف محدد من تارك الصلاة ، والطفل الذى يفتح عينيه فيجد كل من حوله يصلى سيسير بلاشك فى هذا الطريق ويعتاد هذا الأمر ، ولذلك فمن الضرورى ألا يسمح لأحد فى البيت مهما كان بترك الصلاة أو التهاون فيها .

سمع شاب فى المدرسة من أستاذه « أن تارك الصلاة ملعون » وحين عاد إلى البيت قرر ألا يأكل مع والده لأنه لايصلى ، وعند الطعام نودى عليه فقال : لا أذوق طعاماً لأنكم عصاة لله والله أمرنا أن نقاطع أهل المعصية .

وشاء الله عز وجل أن يشرح صدر والده فقال : يا بنى أنت على حق ، وما قلته هو الصواب ، وأمر برفع الطعام ثم قام وتوضأ وصلى الظهر وعاهد الله ألا يترك الصلاة أبداً ، وهكذا استطاع الابن أن يرد والده إلى طاعة الله .

٩ - البيت المسلم بابه مفتوح للتوجيه وهو مكان للهداية ، وتقديم العون والخير للجميع ، فهو بيت لايعيش لمن بداخله فقط ، فما استحق أن يولد من عاش لنفسه ، ولذلك فالبيت المسلم لاينعزل عن المجتمع ، بل هو مفتوح يحل مشاكل الآخرين ويعطف عليهم وييسر الأمور ، وهو بيت يحبه الجميع لأن كل من فيه متواضع لا يعرف التكبر ولا الخيلاء لأن الله عز وجل لايحب كل مختال فخور ، بيت فيه تقوى وخشية لله فيه ورع وعفة كل من فيه يخشى الحرام ، ويبعد عن الشبهات .

١٠ - الزوج فى هذا البيت : كل من فيه يرتاح إليه ويجد الحرية فى الكلام معه ولن يتأتى هذا إلا إذا كان من ألين الناس وأكرم الناس ، تصف أم المؤمنين عائشة رسول الله ﷺ بأنه كان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضاحكاً بساماً ، وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله .

حدث أن النبى ﷺ كان يجلس مع المؤمنات فى بيته من نساء قريش يكلمنه بأصوات عالية ،

فلما استأذن عمر ودخل ، دخلت النساء واحتجبت ، فضحك النبى ﷺ فقال له عمر : أضحك الله سنك يارسول الله ، فقال : « ضحكت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك بادرن بالحجاب ، فقال عمر : يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » .

وكان ﷺ يقبل مراجعة أمهات المؤمنين ولا يغضب ، يقول عمر : صحت على امرأتى فراجعتنى ، فأنكرت أن تراجعنى ، فقالت : لم تنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه .

وروى ابن سعد « أن سبعين امرأة اشتكين إلى رسول الله من ضرب رجالهن ، فغضب وقال : إنه لايحب أن يرى ذلك أبداً ، وقال يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد ، ثم يظل يعانقها ولا يستحى » ، وكان ﷺ يلتقى مع أمهات المؤمنين كل ليلة فى البيت الذى سيبيت فيه ، وأحياناً يتناولن العشاء مع رسول الله ، ثم يتحدثن بعض الوقت ثم تنصرف كل واحدة إلى بيتها ... هذا هو البيت المسلم ... فأين نحن من هؤلاء ؟ ؟ .

١١ ـ قضية أخرى هامة وضرورية سبق الحديث عنها لكنًّا نؤكدها لضرورتها وهى تدور حول البيت المسلم فجرتها أسماء بنت يزيد الأنصارية ، حين حددت أمام النبى ﷺ ما امتاز به الرجال على النساء : ١ ـ الجماعات . ٢ ـ وشهود الجنائز . ٣ ـ والجهاد . فرد عليها الرسول ﷺ قائلاً : « انصرفى يا أسماء وأعلمى من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال » .

إذن حسن التبعل للزوج وطلب مرضاته يعدل الجماعات وشهود الجنائز والجهاد .

هذه رسالة الإسلام الخالدة وتقديرها للأسرة ونظرتها للبيت ، تحسن المرأة معاملة الزوج فتنال أجر المجاهد وهى فى خدرها ، وتنال ثواب الجماعة وهى فى حجرتها ، إن الإسلام هنا يربط مصيرها بمصير زوجها ورضاها برضاه ، إنه يدخل البيت مثقلاً بهموم قد لقى العنت فى المجتمع خاصة إذا كان من الدعاة إلى الله ، فتترك همومها لهمومه ، وتوفر له جو الأمن والطمأنينة .

الأخت المسلمة إذن : ليست جارية فى البيت للخدمة ، وليست حيواناً للعلف ، وليست كماً مهملاً ، وطاقة معطلة ، كما يحاول أعداء الإسلام أن يصوروها ، إنها إنسان سوى لها رسالة وشرفت بحمل عقيدة يوم أن حملتها مع الرجل .

الأخت المسلمة : هى التى تبتغى رضاء زوجها لا التى يبغى رضاها هو ، فمن ماتت زوجها عنها راض دخلت الجنة ، والأصل فى طاعة الزوج هى طاعة ربك ، فإذا تعارضت طاعة زوجك مع طاعة ربك ، فاحفظى طاعة ربك .

الفصـل الثانـي

واجبـات الأخـت المسـلمة
لدينها ، وعقلهـا ، لبيتهـا ، لمجتمعهـا
القـدوة الحسـنة ، بنشـر الدعـوة

إذا أرادت الأخت المسلمة أن تعـرف قدرهـا ومركزهـا فلابـد أن تعرف واجبـاتها في الحياة التى خلقها الله من أجلها . . ولابد أن تعمل على إعداد نفسها ثقافياً وأخلاقياً للقيام بهذه الواجبات ، وفيما يلي نضع تصوراً مـوجزاً لهذه الواجبات ، كما وردت فى الـرسالة التى أصدرهـا قسم الأخوات المسلمات سنة ١٩٥٢ .

أولا : لدينهـا

١ ـ أن تـؤمن بالله . . والإيمان بالله طمأنينـة يقينية تحل بالقلب ، ومنطق روحى يـوجه العقل ، ومن شأن هذه الطمأنينة أن يكون الله فى حياة صاحبها هو كل شيء . . فهو وحده الكبير المتعال وهو القوى الذى له جنود السموات والأرض . . وهو الغنى وما عنده خير وأبقى . . قسـم الأرزاق ، وحـدد الآمـال ، فما أخطأك مـا كان ليصيبك ، ومـا أصـابك مـا كـان ليخطئك ، جفت الأقلام وطويت الصحف . فمن آمن بذلك وسرى فى يقينه التصديق به صرف رجاءه إلى الله فى كل حال ، وأنـزل بساحته حاجته ، ووجـد أثره فى قلبه : غنى بغير مـال ، وأنسـاً بغير أهـل ، وعـزاً بغير عشيرة ، وعلماً بغير معلم ، وذلك من أكـرم ثمار الإيمان .

٢ ـ وأن تؤمن بـالآخرة ، فتضع بين عينيها أنها آتية لا ريب فيهـا ، وأنها فى تلك الدنيا إنما تصنع بيديها ما تكون عليه فى الآخرة .

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التى بالأعمال يبنيها

فعلى كل منا أن يجعل دنياه على وفق ما يريد لنفسـه فى الآخرة من مثوبة الله وعظيم رضوانه . . عليه أن يتحـرى موقع كل عمل مـن آخرته قبل أن يعملـه . . عليه أن يجعل كل قـول وكل عمل مؤسسا على نية رصده للآخرة ، حتى اللقمة يأكلها والثوب يلبسه . . ولنعلم أن الله لا ينظر إلى ما أريد به وجهه والفوز فى الآخرة ، لا ما أريد به وجه الناس وهوى النفس فى متاع الحياة الدنيا .

٣ ـ أن ترعى كل مـا أنزل الله من أمر ونهى حق رعايتـه فى غير غلو يجاوز ما أراد الله من اليسر ، ولا ترخص يفسد همة المرء عن تعظيم حرمات الله .

ثانيـاً : لعقلهـا

ويجب عليها نحو عقلـها :

١ ـ أن تزوده بأصح الحقائق ، وأقوم المعانى وأصدق المعارف ، فإن العقل بذلك ينضج ، وتزداد طاقات إدراكه ، وتتسع آفاقه ، ويسمو مستواه .

وليس من قبيل التعصب الأعمى أن نذكـر : أن القرآن الكريم هـو بحق خزانة هـذه المعارف والحقائق . . ولا يوجد كلام يليه فى هذه المرتبة ـ على وضوح وسهولة مأخذ ـ إلا صحيح ما أثر عن رسول الله ﷺ .

فعلى الأخت الكريمة أن تتـأمل فيما تقرأ من نصوص الإسلام . . وأن تستخلص مـا يرد عليها من أصول المعانى ، وأن تعرف موقع كل أصل فى هـذا الوجود ، أو ما يتناوله كل أصل من تنظيم المجتمع ، أو تهذيب الخلق ، أو تثبيت العقيدة أو إمداد العقل بالمعرفة ، بالمعرفة السليمة . . ثم تثبيت ما تدركه فى ذهنها بمختلف الوسائل ، فإنها إنما تثبت أهدى المصابيح وأضوأ السرج ، وقد خاطب القرآن الكريـم أمهات المؤمنين بذلك حين قال : ﴿ **واذكرن ما يتلى فى بيـوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيراً** ﴾ [1] .

٢ ـ والتاريـخ الإسـلامي : تاريـخ المعـارك ، والسياسة ، ونشـاط العقل ، ومجاهدة النفس ، وارشاد الخلق هو التطبيق العملى لما فهم سلفنا الصـالح من أحكام الإسلام الحنيف ، فعلى الأخت المسلمـة أن تجبل ذهنها فيما يطبـق من آفاق هـذا التـاريخ ـ ولاسيما مـا يتعلق بسير الرجال والنساء ففيه بعد معرفة حقائقـه التاريخية وإنشاء الصلات بيننا وبين ماضينا ، كثير من ألـوان القـدوة الحسنـة التي تنهـض الهمم إلى خير العمل ، وكلهـا ألـوان نقلهـا قـدوة المسلمين الأول ﷺ .

٣ ـ وعليها أن تثقف نفسها بما تستطيـع من معارف العصر فى الاجتماع والاقتصاد ، والصحة ، ومبادىء العلوم وما يضطـرب فيه الناس سياسيا واجتماعيا وخلقيـا من غى ورشدٍ ، ورذيلة وفضيلة ، وانحراف واستقامة بحيث تعود نفسها أن تحكم على ما ترى وتسمع وتقرأ ، حكما يستهدى مقاييس الاسلام .

والصحف اليومية ـ إن وجـدت ـ والمجلات الأسبوعية والشهريـة ، المستهدية بحكم الإسلام والكتب السهلة ، والنشرات العلمية والأدبية كلها مراجع تيسر لقارئها سرعة التحصيل ، وتسعفه بقدر لا بأس به مما يريد .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٣٤ .

ثالثاً : لبيتهـــا

١ ـ أن تؤسسه على التقوى من أول يوم ، وأن تشيع فيه روح الربانية العاطرة ﴿ **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً** ﴾ (١) . وأن تجعل كل مـا فيه من أثاث ونحـوه يلهم الخير ، ويشرح الصدر بحسـن تنسيقه ، ونظـافته ، وبساطتـه التى لا تسقطه من عين الله .

٢ ـ وأن تجعل كل مطالبها فى حدود الكفاية ، ومن مواريثنا الصالحة أنه « لا خير فى السرف ولا سرف فى الخير » والعبرة بالاعتدال فهو الخطة المثلى « ومن أرادها تفاخرا وزهو أعرض الله عنه وتولته شياطين السرف والتهلكة .

٣ ـ والبيت مملكتها الصغيرة . . وهى لـه بالطبيعة ، « والمرأة راعية فى بيت زوجهـا وهى مسئولة عنـه » علـى ما جاء فى الحديث الشريف ، ولن يتسنى لها أبـدا أن تحسن تدبيره والإشراف عليه ، وأن تكـون جديـرة به ، إلا إذا فرغت لـه قلبها وعقلها ، وآثـرته على كل مـا سواه « واستقرت فيه معرضة عن الخروج للأعراض الصبيانية ، والبواعث التافهة الرخيصة .

ولو تأملت الأخت الكريمـة فى الأمومة وحدها لألفتها شرفا رفيع الجوانـب جديراً بكل وقتها وعنايتها . فكيف بما وراء الأمومة من مسؤوليات ومهام لها وزنها ؟

٤ ـ وعليهـا أن تطبع نفسها منذ اللحظـة الأولى على المفهوم الصـادق لقوله سبحـانه ﴿ **الرجال قوامون على النسـاء** ﴾ (٢) ﴿ **وللرجال عليهن درجة** ﴾ (٣) وأن تدرك أن المساواة بين إنسانية الرجل والمرأة ، لا تستتبع أبدا التكافؤ فيما يلقى على كل منهما من أعباء ، فذلك ما لا تطيقه المرأة فى كل حال ، وهو ما يفسد عنصر الضعف فيها أو عنصر الوداعة والرقة الذى هو سر من أسرار جمالها النفسانى ، ولعله سر السكينة التى يفىء إلى ريحانها وجدان الرجل كلما عاد محروباً من لفح الحياة ومنافسة الأقران ، والويل للرجل إذا آب إلى بيته فلم يجد فيه إلا قرينة من طراز منافسيه الجبـارين فى الخارج تطاوله إرادة بإرادة ، وتصاوله بشوكـة ، ولأمر ما كان ذلك السر اللطيف من أجل شـواهد رحمة الله بعبـاده إذا امتن به عليهم فى قـوله : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ (٤)

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٣٤ .
(٢) سورة النساء : ٣٤ .
(٣) سورة البقرة : ٢٢٨ .
(٤) سورة الروم ٢١ .

رابعـاً : لمجتمعهـــا

وليس المجتمع تلك الأندية والمجالس والحفلات التى يختلط فيهـا الرجال بالنساء فى غير ورع أو قيـود بل المجتمع هو البيئـة التى تحيط بك ، والتقاليـد التى تنظم علاقـة كل شىء فيه بعضـه ببعض . . فعلى الأخت المسلمة الكريمة أن تساهم فى بناء المجتمع على التقاليد الصالحة والعرف الذى يحرس الفضيلة ويثمر التعاون على البر والتقوى .

(١) عليها أن تقاطع كـل ما فى المجتمع من مساوىء التبرج واللقاء فى حفـلات الرقص والخمر والميسر والملاهى الماجنة وما يسمى بحفـلات الإحسان تلك التى ينثر فيها الـرجال تبرعاتهم تحت تأثير ما يسلط عليهم من سحر المرأة وزينتها فيما يشبـه الغزل والمعابثة . . ذلك ونحوه رجس من عمل الشيطـان يجب عليهـا مقـاطعتـه والعمل على تطهير المجتمع من وصمته المخزية بالتنفير منه ، وبذل النصح والموعظة لمن تغشينه .

(٢) أن تعمل على بث الأفكار النـاضجة ، والمبادىء القـويمة فى أذهان بنات جنسهـا مثقفات كن أو غير مثقفات .

فأولئك المثقفات اللائى يجرين وراء الاشتغال بالسياسة ونحوها ، تافهات مقلدات ، وهن فى مجتمعنـا كـالفقاعـات الحائرة الفارغة لا أثـر لها إلا خفة الثـوب هنا وهنـاك فى ألوان الطيف التى تزينهـا . ولو أن كـلا منهن فقهت رسالتهـا الخطيرة ، وامتلأ ذهنهـا بالحقـائق الصادقـة والمعانى السديدة لوجدت فى محيطها النسوى من الأعمال الجليلة ما يعلى ذكرها بين أهل الأرض والسماء .

وفى محيط غير المثقفـات مـلايين من نساء الطبقـة الشعبيـة فى أشـد الحاجة إلى من يـرشـدهن ويثقف عقـولهن وقلوبهن ، بما يطهـر النفـوس ويزيل الجهـل والخرافة ، وتعلم قـواعـد النظافـة والصـــحة ومبادىء التمـريض وتفصيل الملابس وإعدادهـا ، وتدبير ميـزانية البيت ، على وجه سديد ، وكيفية التغلب على أزمات الغلاء والدخل الصغير وبطالة الزوج أو الكفيل . هذا ونحوه لا ينهض به إلا جماعات من الفضليات ، فعلى الأخت الكريمة أن توليه أكبر قسط من عنايتها ما وجدت إليه سبيـلا . وحبذا لو فقهت المثقفات أن ذلك خير وأنفع وأكرم من تـدبير المظاهرات ، والتزاحم على منصات الخطاب لوعظ الرجال فى الوطن والوطنية .

خامسـا : القـدوة الحســنة

ونريد للأخـت المسلمة أن يكون سلوكها العام والخاص ، وتصرفها فى كل شـأن صورة صادقة لمبادىء دينهـا ودعوتها ، وكـان من حق هذا المعنى أن يلحق بـالواجب السـابق ولكن لا بأس أن يفرد بكلام خاص فإن التحقق بشرائط القدوة آيـة الإخلاص ، وسبيل التأثير فى نفوس الآخرين ، فعليها أن يكون حالها أفصح دلالة وأقوى أثراً فى النفوس من مقالها ووعظها .

ولا نعنى بذلك استكمال أوصاف الملبس الوقور والمظهر العفيف فحسب ، بل نعنى معه أن يكون كل عمل وكل حركة وكل إشارة صادرة عن تقيد بالمثل العليا ، ورغبة فيها ، وحب لها ، حتى يصير العمل بها والتزام نهجها عادة مألوفة يجرى عليها المرء دون أن يلقى إليها باله .

تلك هى القدوة الصالحة التى تلهم ، وتؤثر ، وتنهض عزائم الآخرين ، وتخلق بيتا مثاليا ، وبيئة فاضلة ومجتمعاً كريما ، ولو لم تعمد إلى وعظ محض أو نصح مقصود .

إنها القدوة الأولى للطفل ، وهو سريع التقليد ، قوى التأثير بما يكون من حالها ، وهو من أعز الأمانات التى أكرمت بها بعد دينها ، ولن نقول لها اطبعيه على الخير ، بل أطبعى نفسك أنت على مبادىء هذا الخير ومثله فإنما تصنعين المثال الذى يكون عليه ولدك .

ولتعلم الأخت الكريمة أنها لن تبلغ أن تكون مؤثرة فى مجتمعنا إلا إذا كانت قوية الشخصية ، وإنما تقوى شخصية المرء وتعظم إذا ترك هذر القول ، وفارغ الحديث وأقام صلب نفسه على الحق فى جد ووقار ، بقوله ولو على نفسه ، ويسيغ جرعته ولو كان مرا ، وينتصف هل من نفسه دائماً . وليس أهيب فى نفوس الناس من ذلك الذى أضنى نفسه برعاية الحق والصبر على تكاليفه حتى عظمت حرمته لديهم ، وعلت منزلته فى نفوسهم فأخذوا عنه وتأثروا به ، واستجابوا له فى غبطة ورضا ، وليس لقوة الشخصية معنى أصدق من هذا فعلى الأخت الكريمة رعاية هذا الجانب فإن المجتمع يصح به ويعتدل ميزانه .

سادسا : نشر الدعوة

والدعوة إلى الله مرتبة الأنبياء والرسل ، وأشرف ما شغل المرء نفسه والله سبحانه يقول : **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾**(١) .

فلتدع الأخت المسلمة إلى الله ما استطاعت إليه سبيلا .

١ - فلتدع كل من فى محيطها الخاص ، وكل من استطاعت من أترابها إلى الإيمان بالله والدار الآخرة على النحو الذى يذكرنا بعض معالمه فى صدد هذا الكلام .

٢ - ولتذكر بالله فإنه يجلو صدأ الغفلة من القلوب ، ويورثها وجلا وخشية ويكسبها نزولا على أمر الله ، ويفتح لها أبواب الجنة .

٣ - ولتأمر بالخير ، ولتنه عن المنكر ، ولتفقه المسلمات فى دينهم وفرائضهم وما جاء به الإسلام عن حقوق المرأة وسياسة الأسرة ما استطاعت .

٤ - ولتبشر فى المسلمات بما جاء به الإسلام من أسس العدالة ، والحرية والتكافل الاجتماعى

---
(١) سورة فصلت : ٣٣ .

وأصول التشريع الصالح ، والسياسات الوافية بكل خير . . ليبشر بذلك كله أو بما عرفت منه .

٥ ـ ونحن نعمل على إيجاد المجتمع الإسلامي الفاضل ، وأخص خصائص هذا المجتمع الإخاء والحب فى الله ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [1] والغيرة على الإسلام والاعتزاز بـه ، والاستمساك القوى بآدابـه وتعاليمه ، وكل تلك صفات قد يجدى فى كسبها الـوعظ والارشاد ، ولكنا لا نرى وسيلة أعمق أثرا وأوعب لما نريـد من تأليف الجماعات الصغيرة التى نسميها أسرا حينا وأحيانا كتـاب ، فعلى الأخت المسلمة أن تعمل على تأليف تلك الأسر أو تلتحق هى بأسرة مؤلفة فإن الذكر والمدارسةفى جماعة أنشط لحوافز النفس ، وأعون على الإخاء و إحكام روابط المودة ، وتوثيق قوى الإيمان و إزكاء الغيرة على محارمه .

ونسأل الله أن يشرح صدورنا للخير ، وأن يـرزقنا الإيمان ، وينير قلوبنا بمعرفتـه ، ويوفقنا إلى طاعته وحسن عبادته ويجعلنا من السابقين إلى الخيرات ، المقربين فى الدنيا والآخرة . . آمين .

* * *

(١) سورة الحجرات : ١٠ .

الفصـــل الثالـــث

حســن البنــا .. فى بيتـــه
دعــاء . . معــه الاجابـــة

تحدث فضيلة الشيخ أحمد عبـد الرحمن البنـا (الساعـاتى) عن نشأة ولده الإمـام حسن البنا ـ رحمهما الله ـ فقال :

روى الترمذى عن أيـوب بن موسى عن أبيه عن جـده أن رسول الله ﷺ قال : « مـا نحل والد ولدا من نُحْل أفضل من أدب حسن » .

ولقد تمنيت منـذ بنيت أن يهبنى الله ولدا صـالحا أحسن تربيته وأدبـه ، ليكون نسـلا صالحاً ، وخيراً جارياً وأثرا باقيـا ، فاستـجاب الله دعوتـى وحقـق أمنيـتى ، ووهبنـى غلامـاً ذكياً سـميته « **حســن البنا** » .

ولهذا الدعاء الخالص قصته التى تبدأ منذ دخول الوالد المسجد للصلاة ، ورأى غلاما فى نحو العاشرة من عمره يصلى ، ووجد نفسه يتأمل الغلام فى صلاتـه وينتبه إليه ، فاستدار مندفعا نحو القبلة ، وإذا به قائم يدعو فى المحـراب . . . . اللهم ارزقنى غلاماً صالحاً ينشأ على التقوى حتى أراه يصلى كهذا الغلام . . . . . غلام صالح ينشأ على التقوى ويصلى كهذا الغلام ، ويوجه وجهه للذى فطر السموات والأرض حنيفا . هو نداء من إلهام الفطـرة ، ودعاء من توجيه الروح الصافية استجابة الله إذ علم سبحانـه صدقه وإخلاصه فرزقه غلامـا ولد فى ضحى يوم الأحد لخمس بقين من شعبان سنـة ١٣٢٤ هـ (١٤ أكتوبـر سنة ١٩٠٦ م) ، فسر به وأذن فى أذنـه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى عملا بالسنة المطهرة .

إن فى دورة الأصلاب الكـريمة ، وتنقل ثروة الدم النقى فى الأعـراق الطاهرة التى زكا فيهـا هذا النبت حتى انحـدر سلالـة طيبة من محتـده العريق والتقى بـالبيئة القـرآنية ففعل فعلها وأخـرجا الشخصية القـرآنية الربانيـة التى تحمل لهذه الدنيا أمـلا باسما وضياء ينير لها الطـريق ويخرجها من التيه والحيرة .

الوالــد المكافــح

الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ، الذى استجيبت دعوته وخرج من صلبه مجدد الدعوة الإسلامية فى القرن الرابع عشر الهجرى .

إذا دخلت عليـه مكتبه فى المحمـوديـة أو بعد انتقـاله إلى القـاهـرة ، تراه مستـويا على مكتبـه المتواضع تلتئم عليه علامات المهابة السابغة ، وتسطع فى وجهه خصائص العلماء ، وتلمع نضارة

الصلاح ووسامة . . . . نفس هادئة تغذيها شعلة الفكر المتزن المستقر ، وتسيطر عليها روح الكفاح المنتظم المستقيم وانتظار النتائج بصبر وإيمان ، وانصراف مطلق إلى أداء الواجب ودأب على العمل ، واعتماد على النفس ودقة لا يختل ميزانها ونظام ثابت وتقدير للوقت لا يتخلف ، ولذلك فلا تقع لك زيارته إلا بموعد . ولو جازفت فذهبت إليه بلا موعد سابق لوجدته مشغولا بعمل لا يتخلى عنه ، فيرجئك بلطف إلى موعد آخر يحدده . . . . وهذا العمل الذى يشغله لن يكون فى أى يوم أو أية ساعة من ليل أو نهار إلا مجهودا علميا لا يقطعه إلا بعض وقت يقضيه فى تصليح الساعات مهنة اختارها لا تتعارض مع أهدافه العلمية . . . فقد نزعت نفسه ومالت إلى علوم السنة فأقبل عليها يدرسها بإفاضة وعمق ، وعكف على البحث فيها لا يفتر عن ذلك ، فقرأ الكتب الستة وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام الشافعى وسننه . . . . إلخ ، وتوج جهاده العلمى الطويل بأثر باق . فعمد إلى مسند الشافعى فرتبه على أبواب الفقه مع حذف المكرر وتمييز أحاديث السنن من المسند فوفقه الله إلى ذلك وأخرج فيه كتابا سماه : « بدائع المنن فى جمع وترتيب مسند الشافعى والسنن » وعلق عليه شرحا لطيفا ولكنه لم يتمه ، ذلك أنه انتحى ناحية أوسع وأعظم فائدة ، فأقبل على مسانيد الأئمة الأربعة : مسند الشافعى وموطأ مالك ، ومسند أحمد ، . . . ومسند أبى حنيفة وقرأها جميعا فوجد مسند أحمد بحرا لا تنفد ذخائره ، . . . وموسوعة كبرى لكل راغب ، شهد له علماء السلف أنه أجمع الكتب الستة للحديث وأصحها بعد الصحيحين ، ولكن كانت تحوطه صعوبات شديدة فى الانتفاع به . . . فكان لا يستطيع باحث أو عالم أن يستفيد بفرائده وجواهره إلا قليلا .

وقف الشيخ أمام المسند بعد أن أتم الاطلاع عليه سنة ١٣٤٠ هـ وهى نهاية الحلقة الرابعة من عمره يقول : (وجدته بحرا خضما يزخر بالعلم ويموج بالفوائد بيد أنه لا فرضة — ميناء — له ولا سبيل إلى اصطياد فرائده واقتناص شوارده فخطر بالخاطر وناجتنى نفسى أن أرتب هذا الكتاب ، وأعقل شوارد أحاديثه بالكتب والأبواب وأقيد كل حديث منه بما يليق به من باب وكتاب . . . . فاستصغرت نفسى هنالك واستعجزتها عن ذلك ولم يزل الباعث يقوى والهمة تنازعنى والرغبة تتوافر وأنا أعللها بما فى ذلك من التعرض للملام والانتصاب للقدح ، والأمن من ذلك جميعه مع الترك . . . ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، فتحققت بمعونة الله تعالى العزيمة وصدقت النية وخلصت بتوفيقه الطوية فى العمر ﴿ **وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ .

وبدأ الرجل تحفة عناية الله مجهوده العلمى الضخم الذى يحتاج إلى عصبة من الفقهاء أو إلى مجمع علمى رغم كل العقبات والتحديات . . . . فالرجل محدود الموارد ، مغمور الذكر ، ليس له إيراد خاص وها هو يعيش على ما ييسره الله له من رزق يوما فيوما ، وعليه إعالة أسرة كبيرة . إن رجلا فى هذه الأوضاع لا يمكن أن يتصدى لعمل يستغرق السنوات الطوال ، ويتطلب التفرغ والتركيز ، وقد عجز عن أن يقوم به أئمة الأمة منذ أن وضعه الإمام أحمد فى القرن الثالث الهجرى حتى القرن الرابع عشر ، وقد حاول الإمام ابن كثير هذه المهمة دون توفيق ، وقال كلمة تصور

فدائية من يتصدى لها (ما زلت أنظر فيه والسراج ينونص حتى كف بصرى معه) فكيف يتصور أن يتصدى هذا الرجل القادم من شمشيرة والذى يشتغل بتصليح الساعات لهذا العلم الذى عجز عنه ابن كثير ولم يتصدى له أحد من الأئمة ؟ ولكن ما قيمة هذه المثبطات أمام هذه النفس التى ألفت الكفاح والصبر ومرنت عليه لن يثنيها عن هذا العزم عبء مهما كان جسيما . . . ما قيمة هذه المثبطات أمام عناية الله ورعايته وتوفيقه ، فقد رزقه الله بالابن البار الذى وقف بجانبه طوال حياته منذ اشتد عوده . . . .

بهذا العزم الماضى الذى تحفه عناية الله شرع الشيخ فى مهمته العلمية الخطيرة سنة ١٣٤٠ هـ ولم يفرغ منها إلا فى الأيام الأخيرة من حياته سنة ١٣٧٨ هـ فرتب السند وسماه : « الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى وشرحه وخرج أحاديثه وأبان درجاتها ورواتها ، وذكر فى آخر كل باب الأحكام والحكم التى تستفاد منه وسمى الشرح : « بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى » وهو فى ٢٤ جزءا منشورة الآن .

الابــــن البـــار

تصدر التشريعات والتوجيهات فى المنهج الاسلامى من العقيدة فى الله وترتكز على التوحيد المطلق سمة هذه العقيدة . . . .

من العقيدة فى الله تنبع كل التصورات الأساسية للعلاقات . . تلك التصورات التى تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسة والأخلاقية والدولية ، والتى تؤثر فى علاقات الناس بعضهم ببعض فى كل مجالات النشاط الإنسانى ، والتى تكيف ضمير الفرد وواقع المجتمع ، والتى تجعل المعاملات عبادات (بما فيها من اتباع لمنهج الله ومراقبة الله) والعبادات قاعدة للمعاملات (بما فيها من تطهير للضمير والسلوك) والتى تجعل الحياة فى النهاية وحدة متماسكة تنبثق من النهج الربانى ، وتتلقى منه وحده دون سواه ، وتجعل مردها فى الدنيا والآخرة إلى الله .

هذه السمة الأساسية فى العقيدة الاسلامية ، وفى المنهج الاسلامى ، تبرز فى القرآن الكريم آيات الإحسان إلى الوالدين بعبادة الله وتوحيده : **﴿ لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا﴾** . . . . . . [1] .

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ﴾ . . . . . [2] .

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ﴾ . . . . . . [3] .

(١) سورة البقرة : ٨٣ .
(٢) سورة النساء : ٣٦ .
(٣) سورة الأنعام : ١٥١ .

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ . . . . . [1] .

إن هذا الاتصال بعبادة الله وتوحيده والإحسان إلى الوالدين جعله الله واسطة ما بين دستور الأسرة القريبة ودستور العلاقات الإنسانية الواسعة ليصلهما جميعا بتلك الآخرة التى تضم الأواصر جميعا ، وليوحد المصدر الذى يشرع . . . أنها رابطة الأسرة تقوم بعد الرابطة فى الله ووحدة الاتجاه ولقد علم الله سبحانه أنه أرحم الناس من الآباء والأبناء ، فأوصى الأبناء بالآباء وأوصى الآباء بالأبناء وربط الوصية بمعرفة ألوهيته الواحدة ، والارتباط بربوبيته المتفردة .

إن الاسلام ينشىء عاطفة الرحمة ، ووجدان المشاركة ، حيث يبدأ أولا فى البيت . . . فى الأسرة الصغيرة ، وقلما ينبعثان فى نفس لم تذق طعم هذه العاطفة ولم تجد مس هذا الوجدان فى الأسرة . . . . ويتفق المنهج مع طريقة التنظيم الاجتماعى الاسلامية : من جعل التكافل يبدأ فى محيط الأسرة ثم يتسع فيشمل محيط الجماعة ، فالأسرة أقدر من المؤسسات الأخرى حكومية وأهلية على تحقيق هذا التكافل : فى وقته المناسب ، وفى سهولة ويسر ، وفى تراحم وود .

والتشريع الاسلامى بعد أن يضع القاعدة ويقيم الأساس بتوحيد المعبود يأتى التكليف . . . فالرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة ، هى رابطة الأسرة ومن ثم يربط القرآن بر الوالدين بعبادة الله ، إعلاءاً لقيمة هذا البر عند الله .

فى ظل الفهم السامى للمنهج الاسلامى نشأ **حسن البنا** ، وجاهد من أجل تربية الأمة عليه ، حتى لقى الله شهيدا فى سبيله . . . . .

ولما كنا لسنا فى موضع الكلام عن **حسن البنا** الداعية ومجدد الدعوة فى العصر الحديث ، إذ نحن بصدد الكلام عن ناحية خاصة فى حياة هذا الإمام وهى علاقاته الأسرية . . . . فالاسلام يفترض فى قادته التأدب بآدابه . وإن كل تصرف يقومون به فيما بينهم وبين أنفسهم أو ما بينهم وخاصة أهلهم يمكن أن يهدى الناس إلى التصرف السليم فى إقامة البيت المسلم .

كيف كان موقف **حسن البنا** بعد أن اشتد عوده وأمضى فترة الطفولة من هذه المسئوليات الجسام التى يتحمل تبعتها الوالد الكريم ؟ . . . . .

- أسرة كثيرة العيال ، تحتاج إلى النفقة !!
- مشروعات علمية طموحة ، تحتاج إلى التفرغ !!

لم يقف **حسن البنا** بحكم تربيته وبحكم ما وهبه الله تعالى من نفس كريمة أبية رحيمة ، موقفا سلبيا ، بل شارك أسرته كل همومها وتحمل النصيب الأوفى من مسئولياتها وخفف عن والده عبء تربية أشقائه والانفاق عليهم ، فقد كان من أعظم آماله إسعاد أسرته ، حيث سجل ذلك

(١) سورة الإسراء : ٢٣ .

فى موضوع إنشاء كتبـه فى امتحان التخرج من دار العلوم عندما طلب الأستـاذ منه ومن زملائه أن يشرح كل منهم أعظم آماله بعـد إتمام الدراسة مبينا وسـائل تحقيق ذلك . . . يقول رضى الله عنه بعد أن بيّن أنه يريد أن يتخذ طريق التعليم والإرشاد :

(. . . . . وأعتقد أن النفس الإنسانيـة محبة بطبعها ، وأنه لابد من جهة تصرف إليهـا عاطفة حبها ، فلم أر أحدا أولى بعاطفة حبى من صديق امتـزجت روحه بروحى ، فأوليته محبتى ، وآثرته بصـداقتى . . . كل هذا أعتقـده عقيـدة تأصلت فى نفسى جذورهـا وطـالت فروعهـا واخضرت أوراقها ما بقى إلا أن تثمر ، فكان أعظم آمالى بعد إتمام حياتى الدراسية أملان :

خـــاص : وهو إسعاد أسرتى وقـرابتى ، والوفـاء لذلك الصديق المحبـوب ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، إلى أكبر حد تسمح به حالتى ، ويقدرنى الله عليه .

وعـــام : وهو أن أكون مرشدا معلما . . . .

وقـد أعددت لتحقيق الأول معـرفة بـالجميل ، وتقديـرا للإحســان ، وهل جزاء الإحســان إلا الإحسان ؟ . . . . ولتحقيـق الثانى من الـوسائل الخلقيـة « الثبات والتضحيـة » وهما ألزم للمصلح من ظله ، وسر نجاحه كله . . . . .)[1] .

... لقد كان حســـن البنـــا يعرف حق أسرته عليه عرفانا بـالجميل كما كانت مشاعره نحو والديـــه جياشـــة ، نلتـــمس الدليـل على ذلك مـــن خطـــاب أرسلـه إلى أبيـــه يقـول فيه بعـد الديباجة[2] :

(فقـد ورد خطابكم الكـريم وأن اليـوم الـذى أستطيع فيه ارضـائكم هـو أسعـد أيامى حقـا وعقيـدتى أننى ما خلقت إلا لارضـائكم وليس لى من الحق فى كل مـا يقدره الله لى بعض مـا لكم ذلك ما أعتقده وأقوله بإخلاص ويقين .

والذى أريده فقط أن تغتبطـوا بذلك وتعلموه وأن تخفف سيدتى الوالدة من ألمهـا لعدم التوفير فإن هذه ضرورة لابد منها ستنفرج عما قليل .

والله أننى لأقضى ساعـات طوال فى ألم لتألم والـدتى وفى تفكير كيف أرضيها وكيف أسعـدها وكيف أجعلها هانئة مغتبطة فهل يوفقنى الله إلى هذه الأمنية ؟

خطـر لى أن أزوركـم كـــل شـــهر مـرة لا لشـــىء إلا لأراكـــم وأشرف بتقبيل يديكم ويـدى والدتى وأحظـى بدعـوة صالحـة مـن دعواتكم لى وعـسى أن يكون هـذا مرضـيا لوالدتى بعـــض الرضا . . . .) .

---

(١) انظر الموضوع كاملا فى « مذكرات الدعوة والداعية » .

(٢) أرسل هذا الخطاب فى فترة عمله بالاسماعيلية بتاريخ ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ الموافق ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م (انظر ص ١٢٤ من كتاب خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه » للأستاذ / جمال البنا .

وما من خطاب كهذا يصور الإيمان بفضل الوالدين ، والعمل للوفاء به وليس هناك مبالغة إذا قلنا إنه مثال لما يجب أن يكون عليه احساس الابن نحو والديه وعلاقته بهما .

وربما يحلو لقائل أن يقول إ نها مجرد عواطف تحتاج إلى برهان فى السلوك العملى والمواقف الحياتية .

لقد كان **حسن البنا** ينطلق فى سلوكه نحو أسرته من مشاعر ودوافع رب الأسرة وليس مجرد فرد فيها ، وسنسجل فيما يلى بعض السلوكيات التى تلقى الضوء على هذا الجانب المهمل من حياته رضى الله عنه .

* كان الوالد الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا كثير الأعباء والمشاغل بالنسبة لمشروعه العلمى الخالد وهو ترتيب المسند ، وبالنسبة لعمله فى تصليح الساعات حتى يتمكن من توفير ما تحتاجه أسرته الكبيرة من احتياجات ونفقات ، وكانت واجباته أكثر من الأوقات ، ولكن ابنه حسن كان بجانبه دائما يلازمه كظله فى فترة المحمودية وفى فترة دار العلوم بالقاهرة . . . كان ساعده الأيمن فى قضاء لوازم الأسرة الاستهلاكية أو فى متابعة مصالحهم التى يسافر إليها خارج القاهرة فى المحمودية أو فى شمشيرة ليحصّل إيجار منزل ودكان أو لتسوية حساب العوايد .

* كان **حسن البنا** يحرص على صلة الرحم ، دائم الزيارة لأقارب الوالدين يزور خالاته فى شمشيرة ومرفص وأبناء خال أمه فى سنديون ، ففى أحد خطاباته إلى والده نقرأ : (عدت إلى سنديون وقابلت الشيخ سيد أحمد وقضيت أول ليلة ولم أتمكن من النوم إلا بعد الفجر تقريبا لتقاطر الناس ، ثم أردت الاستئذان صباحا فلم أتمكن وهكذا مكثت فى دوشة بسنديون يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ولم أتمكن من السفر إلا بعد جهد) ، . . . . فالبأساء والأزمة لم تمنع سنديون من أن تحتفى بأحد أفراد أسرتها النابهة وأن تحتجزه ثلاثة أيام كاملة ، فمن المعلوم أن البلاد كانت تعانى فى هذه الفترة من أزمة اقتصادية طاحنة ، وثمة خطاب وجد بين أوراق الشيخ من موظف بالمجلس القروى فى المحمودية يقول : (مطلوب من الشيخ أحمد الساعاتى عشرون مليما كمالة رخصة رسوم التنظيم فإذا سمحت بالسداد أرجو تسليمه لدافعه لإمكان استخراج الرخصة) ! !

* كان **حسن البنا** إبنا وثيق الصلة بأبيه ، فقد كان بالنسبة لوالده كتاباً مفتوحاً يطلعه على كل شاردة وواردة فى مجريات حياته . . . وهكذا يجب أن يكون الأبناء بالنسبة للآباء ، ذلك أن معرفة الأب لكل أحوال ابنه ، واحاطة الابن والده بكل شئون حياته ونشاطه عمل من أعمال البر الذى ينال به رضا ربه ويحقق تماسك الأسرة وتفاعلها . . . . .

انتقل **حسن البنا** إلى الاسماعيلية بعد تخرجه من دار العلوم فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٧ ليتسلم عمله الجديد بها ، حيث عينته وزارة المعارف وقتئذ معلما بمدرسة الاسماعيلية الابتدائية وتعتبر هذه المرة الأولى لاغترابه عن القاهرة ، لذلك كان كثير المراسلة لوالده يقص عليه من أنباء

حياته الجديدة فى الاسماعيلية . . . حقبة حافلة بالأمل وللحماسة ، فلمس ذلك من خطاباته رضى الله عنه إلى الوالد التى تعبر عن الأمل والثقة فى المستقبل ، كما تعبر عن أن صحته على أفضل ما يرام وأنه يعمل بهمة ونشاط جم وأنه ينام نوما عميقا ، وكل شىء ينبىء بالاقبال ، فقد نال الإمام الشهيد حب واحترام وتقدير كل أهل الاسماعيلية ، عبر عن ذلك السيد الوالد فى خطاب أرسله من الاسماعيلية إلى ابنه محمد بالقاهرة قال : (ولدى العزيز محمد ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أخيك عبد الرحمن وباقى الأسرة وبعد : فقد أبرقت لكم اليوم بحضورى باكر السبت ٤ مساء ، وذلك لما ضاق صدرى من كثرة عزومات أهالى الاسماعيلية ، وأنى حاضر إن شاء الله فى الميعاد المذكور وعسى أن تكونوا متمتعين بكامل الصحة والهناء والسرور وأنا ما تأخرت هذا التأخير إلا قهرا منى وحفظا لمركز حسن مع الناس ولولا ذلك لكادت تحصل خصومة شديدة بين الناس بسببى والحمد لله أرضينا البعض المهم عبد الباسط وحسن بغاية الصحة التامة والسرور . . . . . .) .

* من أدب الاسلام ألا ينادى الابن أباه باسمه مجردا ، وإنك لترى هذا الأدب العالى فى خطابات حسن البنا إلى والده ، فللوالدين عنده هيبة وإجلال واحترام . . . . انظر إلى ديباجة خطاباته جميعا تجدها تبدأ بعبارة : (سيدى الوالد الجليل أو سيدى الوالد المبجل أو سيدى الوالد المحبوب ، وإذا ذكر الوالدة يقول : (سيدتى الوالدة) . . . هكذا يجب أن تقوم العلاقة بين الأبناء وآبائهم ، ويجب أن تقوم على الاحترام والمودة والمحبة والتراحم ﴿ **وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾[1] . . .

* كان **حسن البنا** يعرف أن لوالديه الحق فى نفسه وماله وكده وسعيه ، وفاء لبعض جميلهما عليه وعلى تربيته ورعايته صغيرا . .

ـ فمنذ استلم عمله فى الاسماعيلية وصرف أول راتب له وهو المسئول عن الانفاق على الأسرة . . . . والديه وكل أشقائه ـ وتحمل أعبائها المعيشية ، فكان يرسل لوالده حوالة شهرية بكل احتياجات الأسرة المعيشية ، هذا وقد استقدم أشقائه محمد وعبد الباسط وفاطمة وجمال إلى الاسماعيلية ليكون مسئولا عنهم مسئولية كاملة فى النفقة والتربية ، يقول فى خطاب لوالده بهذا الشأن : (. . . . لا أدرى موقفكم إزاء ارسال الأولاد ، فى إرسالهم مصلحة لى فإنهم سيوفرون كثيرا من النفقات الذاهبة هباء منثورا وسينظمون أوقاتى ويريحوننى من عناء كبير ومصلحة لهم هى تدريبهم وتهذيبهم وتربيتهم تربية أراها راقية جيدة تحجزهم عن أولاد الشوارع وعطلة السبل وإذن سيكون ارسالهم من صالح الطرفين) .

ـ بل كان من أدب **حسن البنا** مع والديه ، من ذلك أنه كان يرى أن لوالده حقا فى التصرف

---

(١) سورة الإسراء : ٢٤ .

على انفاقه لمرتبه ولم يكن فى ذلك عنـده أية غضاضة ، ولذلك كان يرسل لوالـده بيانا بتوزيع راتبه الشهرى على كل بنود انفاقه .

بمثل هذه المواقف يكون العرفان بـالجميل . . . . وهكذا يجب أن يكون الأبناء مع آبائهم ، لا ينسـوا فضلهم عليهم . . لا ينسـوا كم تألمت أمهـاتهم من أجلهـم ، وكم سهـرن وكم أرقن وكم جزعن ، ولا ينسوا آبائهم كيف كـدحوا فى الحياة من أجل تربيتهم وتعليمهم وتطبيبهم . . . يجب أن يكون الأبناء على يقين أن الحياة جزاء ومكافأة ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « بروا آبائكم تبركم أبنائكم » (١) .

* كانت مسألة تربية الأشقاء تربية صالحة ، من المسائل التى يضعها **حسـن البنـا** فى قائمة مشاغله ومسئولياته وشارك والداه رحمهما الله فى هذا الشأن .

. . . . فهذا خطاب لوالده يقول فيه بعـد الديباجة : (ورد خطابكم والحمد لله على صحتكم واطمئنانكم ، أمـا جمال فهو مسرور كل السرور ، وقد أدخلتـه مدرسة أولية فهـو يتعلم بها ويحبه أساتـذتها ويكرمـونه جـدا ، أما فـاطمة فأنا أوصيهـا كلما سنحت الفرصـة الوصـايا التهـذيبية ، وسـأشرع معها فـى القـراءة . . . والكتابة بحول الله وقوته ، عبد البـاسط ، كذلك أهتم بتهذيبه جدا ، وبالجملة فآمل بعون الله أن أوفق إلى ارشادهم خير ارشاد إلى ما ينفعهم فى المعاش والمعاد ، ولهم درسان فى الأسبوع بعد العشـاء يحفظون فيه الحديث ، وكم يكون سروركم عظيما إذا سمعتم جمال الدين وهـو يقرأ الأحاديث التى حفظهـا بتجويـد واتقان ، فمثلا : (يـامعاذ أمسك عليك لسـانك وليسعـك بيتك ولتبك على خطيئتك) ، وحـديث : (صل مـن قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك) . . . . إلخ . . . . . وكذلك الجميع .

وأنا الآن لا أسهر فى الخارج قطعيا ، وفقط سـأجعل ليلتين فى الأسبوع أدرس فيهما بعد العشاء فى مسجدين الساعة الثامنة والنصف على الأكثر ثم أعود إلى المنزل .

ولنا جـدول منظم يشمل الـرياضـة والمذاكرة والمسر والطعام فـاطمئنوا من هـذه الوجهـة كل الاطمئنان ومن الغريب أن أهل البلد عرفوا جمال وعبد الباسط وهم يحبونهما ويكرمونهما ويحترمونهما كل الاحترام متى سارا أو جلسا .

وزارنا بعض الإخوان المدرسين والموظفين فكان لتلك الزيـارات أثر فى نفس عبد الباسط جعله يتعلم كيف يتأدب ويقابل الناس وهكذا .

وقد فصلت لكل منهما جـلابيتين من اليابانى ، وحتمت عليهما النظـافة وعدم السير بـالحفاء ودوام الصلاةوالنظام والغسل ونحـو ذلك فأصبحا يسران الناظرين وأسأل الله التـوفيق والإعانة ، والذى أرجوه أن تؤدبوا محمدا وفوزية كما أؤدب أنا عبد الباسط وجمال .

---

(١) أخرجه الحاكم والطبرانى .

سيدى الوالـــد . . . . . .

الآن عرفت أن الأولاد إذا شعـروا بالنظـام فى المنزل نظمـوا كل أعمالهم ولذلك أرجـو أن تنظموا المنزل نظاما حسنا ، فمثلا تجعلون الصالة لسفرة الأكل وحجرة للجلوس والمذاكرة وحجرة لنومكم وحجرة لنوم محمد وعبد الرحمن ، وتضبطوا مواعيد الطعام والنوم بقدر الامكان [1] .

ونختم الكلام عن هذا الجانب المشرق المضيء فى حياة **حسن البنا** جانب بره بوالديه ورعايته لشئون أشقـائه كبيرهم وصغيرهم ، بكلمة الأستاذ عبـد الرحمن البنا شقيقه ورفيق صبـاه يتحـدث عن حظه فى هذه الرعـاية فيقول : (لئن كان **حســن البنــا** أستاذ العصر ، وإمـام الجيل ، فلقد كانت أستاذيته مزدوجة فهو أستاذى مرتين :

مرة ونحـن صبية يحتضننى بأسـاتذيته ، ويفيـض علىّ من علومـه ، ويبادلنى وجـوه الرأى ، ويبصرنى بكثير من المسائل ، نتلـوا كتاب الله معا ، ونقرأ الحديث ـ ومـا وعيت كما وعى ـ ونجنى آمال أمة مسلمة ، ونشيد لها المساكن والأربعاء ، ومرة يسلكنى مع الآلاف من جنوده ، ويحملنى ما أستطيع حمله من أعلامه وبنوده ، ويدفع بـى من يدفع خيرة أبنائه وتلامذته إلى آفاق الأرض ، فيقول : هزوا جنباتها هزا ، وأمّنوا دعاة الخير ، وابتغـوا بجهادكم لدين الله عزا ، وروعوا بغاة الشر فقد ركبتهم شياطينهم تؤزهم أزا .

ولقد كـانت له جـولات ورحلات ورياضـات روحية ، وتغريـب عن البلاد فى طلب العلم ، وتطواف بالمدن فى طلبه الكتـب ، كما كان يطوف علماء قرطبة بأسواق الـوراقين فيها ، ويقصدها العلماء فى جميع الأقطار بحثا عن مسألة أو تنقيبا عن مخطوط أو كتاب .

ولئن نسيت فما أنسى رحلتنا من (المحمودية) إلى (دسـوق) فى زيارة عالم وطلب كتاب ، أما العالم فـأستاذ جليل يدعـى الشيخ الأخضر ، وأما الكتـاب فسفر نفيس هو : (إيقـاظ الهمم فى شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى لابن عجيبة الحسنى) .

وعدنا بالكتاب عودة الظافرين فى موقعة حربية ، وكان الطريق إلى بلدتنا بحرا ، فركبنا السفن فى النيل من دسوق إلى المحمـودية ، وجلسنـا حلقة نتلقى العلم ، وأخـذ أستاذى **حســن البنـا** يتلوا احدى حكم ابن عطاء الله حيث يقول : (إذا فتح الله لك وجهة فى التعرف فلا تبال معها إن قل عملك ، فإنـه ما فتحهـا لك إلا وهو يـريد أن يتعرف إليـك ، ألم تعلم أن التعرف هـو مورده عليك والأعمال أنت مهديها إليه مما هو مورده عليك ؟) .

وأخـذ أستـاذى يشرح وقـد أشرق وجهـه بنـور الله ، وتـوالت عليـه الـواردات ، . . وكثـرت الفتوحـات ، وجال فى إيضاح المعـانى وصال ، وسرت فيـه روحانية عجيبـة واشتدت الروحـانية

(١) (خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه) ... للأستاذ جمال البنا ص ١١١ ـ ١١٢ .

بأحدنا ـ وكان يكبرنا سنا ويكاد يكون لنا شيخا وهو الأخ الشيخ محمد أبو شوشة أكرمنا الله وإياه ـ فتمايل من الوجد ، وكاد من شدة وجده أن يقذف بنفسه فى النيل !!

لقد كان **حسن البنا** أستاذى فى كل شىء ، أتابعه فى خَطْوه وأراقبه فى شَدْوه : فإذا خطا إلى دار العلوم سرت فى أثره ، وإذا قرأ المعلقات السبع رددت من شعره ، وإذا عكف على الدرس عكفت معه ، فيقرأ الأشمونى ، وأحفظ معه أبياتا من ألفية ابن مالك ، ويدعونى إلى السبق فأقف عند حدى وأقول لست هنالك !!

حتى زيه كلفت به فكنت ألبس عمامته وجبته وقفطانه ، وأذكر مرة ذهبت فيها لزيارة أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب ـ المدرس بدار العلوم والشاعر البدوى الراوية ـ وكنت ألبس العمامة ، وكان رحمه الله ـ يرانى فى أكثر الأوقات بالزى الأفرنجى ، فقال : حدثنى : أأنت أفندى تلبس العمامة أم شيخ يلبس الطربوش ؟ .

فقلت أنا الأول ، قال : ياعجبا أنت الأول فعلا ، فكل الناس أراهم الثانى .

ونقلنى **حسن البنا** فى فصول مدرسته العجيبة ، فزاملت الدعاة من إخوانى ، وعاصرت الجيل الذى رباه على قواعد الدعوة ، فلقد أنشأ حسن البنا مدرسة ، وربى جيلا ، ودفع بأبنائه إلى أبعاد الأرض ، فدوت أصداؤهم بالرنين وارتفعت حناجرهم بآيات الكتاب المبين ، فوقعت الخارقة ، وأصغت جموع الناس منصتين : أيها الناس من لم يدرك رسول الله ﷺ فليسعَ إلينا فقد مشينا فى ركابه ، ومن لم يتشرف بالمثول بين يديه فليأتنا فلقد وقفنا طويلا على أبوابه ومن لم يقرأ سيرته المطهرة فليسمع ما نتلوه عليه من صفحات كتابه) (١) .

الزواج

عندما حان وقت الزواج ، وحان وقت إقامة سنة من سنن الفطرة والإسلام وتيسرت القدرة عليه ، طلب حسن البنا الزواج . . ولكن من هى تلك الفتاة التى تقترن برجل مثله ؟!

رجل شغفته دعوته حباً فهام بها وطار بها فى كل قرى ومدن مصر ، يوقظ النيام ، ويطرق أبواب الغافلين حتى يفيقوا ، فهو مرتحل دائماً بهذه الدعوة . . فأين الاستقرار الذى يتطلبه البيت ؟! . . إنه رجل آثر دعوته ، وزهد فى كل شىء من زخرف الحياة الدنيا . . زهد فى المال والجاه والمنصب وهو كل ما تطلبه النساء فى شريك الحياة !!

رجل حياته كلها أسفار ومحن وابتلاءات . . فمن هى تلك العروس التى تناسبه ؟ لابد أن تكون فتاة من نوع خاص : تعرف كيف تصبر على تكاليف الدعوة ، زادها الإسلام والإيمان الذى يجعلها تتسامى باستمرار فى خضوع لله ، وتصديق به وبرسوله . وطاعة لله ورجوع إليه بالند

(١) (حسن البنا : الداعية الإمام والمجدد الشهيد) ، للأستاذ أنور الجندى ص ٢٤ ، ٢٥ .

والاستغفار ، لا تفتر عن الـذكر والتوجـه إلى الله وهى تقول : (« خشع لله سمعى وبصرى ومخى وعظمى ، ومـا استقلت بـه قـدمى » ، « اللهم لك أسلمت ، وبك أمنت ، وعليك تـوكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، اغفر لى مـا قدمت وما أخرت ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ») .

فالفتـاة التى يطلبها حسن البنا من ذلك النوع الـذى يطلب الآخرة ويتسامى على بريق الـدنيا وبهرجها وزينتها فما عند الله خير وأبقى ، ويعرف كيف يضحى ويجاهد ويبذل فى سبيل الدعوة ، ويعرف كيف يصبر على طريق أصحـاب الدعوة ، فهو طريق ليس مفروش بـالورود والريـاحين ، بل محفوف بالأخطار مزين بالدماء والأشلاء ، ويعرف أن زينة الحياة الدنيا قد يفوته ، ولكن يبقى له وجه ربك ذو الجلال والإكرام . .

ورزق الله حسن البنا العروس المناسبة . . كيف ؟

كان رضى الله عنه يتفاءل ويستبشر خيراً بكل ما يأتيه عن طريق والديه ، فهو المحب لهما البار بهما الواثق فى صلاحهما . . حدث أن كانت والدته فى زيارته بالاسماعيلية ، وكان من عادتها زيارة بيوت الإخوان هنـاك ، وفى إحدى زياراتها لبيت الحاج حسين الصولى ، سمعت صوتاً نـدياً يتلو القرآن فى خشـوع ترق لـه القلوب ، وتهفـو إليه النفـوس والأرواح . . لفتها هـذا الصوت النـدى فسألت عن صـاحب التلاوة ومصـدرها ، فأجـابتها حـرم الشيخ حسين : إنها ابنتنا « لطيفــة » تصلى . . وبعـد أن فـرغت « لطيفـة » من صـلاتها حضرت إلى والـدتها وجلست بعـد أن رحبت بالضيف ، وكـانت جلسة تجاوبت فيهـا القلوب وتعارفت فيهـا الأرواح . . كانت والـدة الأستاذ البنا تنظر فى وجه الفتاة فتجده مشرقاً بالإيمان فداخلها شعور بصلاح الفتاة وأعجاب بها . .

وعادت الأم من زيارتها إلى ابنها وحدثته بما رأت وأعجبت به من هذه الفتاة الصالحة ابنة الحاج حسين الصولى ، وأشـارت عليه بـأن صفاتها الإيمانيـة والخلقية تجعلها جـديرة بـأن تكون الـزوجة المنشودة له ، وتلقى حسن البنا قول والدته كأمر فى تنفيذه السعادة والخير والبركة .

كان الأستاذ البنـا رحمه الله فى هذه الظروف مهموماً يعيش فى جو فتنـة أرقته كثيراً زاد من وقعها الأليم على نفسه أن نار الفتنة كان يشعلها نفر من أخلص من كان يعتمد عليهم فى دعوته يغذيهم من يعيشون فى ظل الدعوة ومنشأتها . .

وما أن سمع مشورة والدته فى الزواج حتـى توجه على الفور إلى بيت الحاج حسين الصولى أحد أعيان الاسماعيليـة ، ومن المحبين والمعجبين بـالأستاذ البنا ، وأحـد الذين يقفـون بجانبـه فى كل شئون الدعوة هو وأولاده الذين كانوا جميعاً ينتمون إلى الاخوان المسلمين . .

وتقـدم يطـلب الفتـاة زوجـة لـه . . وكان حـادثـاً سعيـداً تلقـاه الجميع بـالقبـول مبتهجين مستبشرين ، وتكاملت الألفة بالمصاهرة . .

يقول الأستاذ فى مذكراتـه عن هذا الزواج المبارك : (. . كأنما أراد الله أن يخفف عن نفسى وق هذه الفتن ، فأتاح لى فرصـة الزواج ، وتم الأمر فى سهولة ويسر وبساطة غريبـة : خطوبة فى غر رمضان تقريباً[1] . . فعقد فى المسجد فى ليلة السابع والعشرين منه . . فزفاف فى العاشر من ذى القعدة بعده ، وقضى الأمر والحمد لله رب العالمين)[2] .

بعد الزواج شعر الأستـاذ البنا رحمه الله بأن رسالته فى الاسماعيلية قد اكتملـت وتمت ، فالدعو مؤسسة والمنشآت قائمة والأهلـون الكرام كلهم إخوان وتم نصف الدين الثانى ، فطلب النقل إلى القاهرة ليبدأ مرحلة جديدة فى دعوته ، وحقق الله رغبته واستجيب لطلبه ، وانتقل بالبيت والأهل فى أكتوبر سنة ١٩٣٢ .

وبانتقـال الأستاذ إلى القاهـرة بدأ عهد جديـد لدعوة الاخـوان اتسم بالتوسع والانفتـاح فقوى المركز العام وتعـددت أنشطته وزاد عدد شعب الاخوان فى طول مصر وعرضهـا ، وانتقلت الدعو إلى البلاد العربية والاسلامية ، وحملت زوجة المرشد العام نصيبها من المسئوليات ، فالبيت لا يخلو يوما من الاخوان الذين جاءوا لمرشدهم ، فتقوم الزوجة الكريمة بواجبات إكرام الزائرين ، ويرتحل المرشد ليـال وأسابيع يبيتها خـارج منزله ليبلـغ دعوته ويبـاشر شئونها وهو مطمئن على أهلـه فقا استودعهم الله الذى لا تضيع ودائعه وترك وراءه من إذا غاب عنها حفظته فى أولاده ودعوته ، فهى الزوجة التى تشاركه جهاده وهموم دعوته وتعرف أن هذا هو الطريق فلا سأم ولا ضجر . .

ـ الصابـرة المحتسـبة :

لقد كـانت رحمهـا الله تقدم دائماً مصلحـة الدعـوة على مصلحة نفسهـا وبيتها ، تقـول ابنته الدكتـورة ثناء البنا : (كانت تقـوم على رعايتنا حق الرعـاية ، وتهيىء جو البيت لاستقبال الـوال المرهق من كثرة الأعباء والأعمال ، فيجـد راحته فى بيته لمدة سويعات قليلة ينطلق بعـدها ثانية إلى شئون الدعوة . . وممـايذكر لوالدتى رحمها الله أنـه عندما قام والدى بتأسيس المركـز العام للإخوا المسلمين طَلَبت منه أن يأخـذ كثيراً من أثاث البيت عن طيب نفس لِيَعْمُر به المركـز العام ، فنقل السجاجيد والستائر والمكتبات وكثيراً من الأدوات ، وكانت سعيدة بذلك غاية السعادة . .

لقد كانت رحمها الله تعتبر أى فـرد من أفراد الجماعة هو أحد أبنائها ، وأذكر أنـه عندما كانت تأتى أخت من الأخـوات لتشتكى من زوجهـا كـانت أمى تنـاقشها وكأنها أمهـا وفى نفس الـوقت حماتها ، وتبادرها بالسؤال : ماذا فعلت فى ابنى فلان حتى تصرَّف معك هذا التصرف ؟!

(١) سنة ١٣٥١ هـ = سنة ١٩٣٢ م .
(٢) مذكرات الدعوة والداعية ص ١٤٤ .

ولقد كانت تشارك الإخوان أفراحهم وأحـزانهم ، فكانت فرحة أى بيت من بيوت الإخوان هى فرحة بيتنا ، وكانت مصيبة أى بيت هى مصيبة فى بيتنا أيضاً(١) . .

ويدخل الإخـوان فى طور المحنـة ويزج بهم سنـة ١٩٤٨ م فى المعتقلات والسجـون ، فلا يجد النوم سبيلاً إلى عين هذه الأم المجاهدة ، فقد تشارك المرشد همومه فى هذه الأيام الحالكة من تاريخ مصر . . لقد كان بكاء الأطفال وتوجع الزوجات والأمهات يعتصر قلبيهما . . وتهدأ نفسها بعض الهدوء عنـدمـا يقدم الـزوج المرشـد مـائة وخمسين جنيهـا كان قـد اقترضهـا للشيخ عبـد اللطيف الشعشاعى واعظ قسم الأخوات المسلمات ليتولى توزيعها على أسر الاخوان المعتقلين . .

وفى ليلة حزينة مـن ليال هذه المحنة ، وهى مثقلة بحملها وبالقلـق على الزوج الذى خرج إلى جمعية الشبان المسلمين وهو أعزل مجرد من السلاح وأعداء الدعوة يتربصون به . . وفى صبيحة ليلة ١٢ فبراير سنـة ١٩٤٩ لا يعد لها من الزوج الحبيب إلا جثمانه الطـاهر وسط مظاهـرة مسلحة من القتلة والسفاحين ، الذين يشهرون أسلحتهم فى وجه امرأة وشيخ عجوز . . المرأة هى هذه الزوجة المؤمنة الصابرة والشيخ العجوز هو الوالد . .

وفرضت الحراسـة على قبر الزوج الشهيـد عدة سنـوات وحرِّم على أسرته وأقـاربه زيـارته ، ولم يسمح لأحـد من أفـراد الأسرة بمغـادرة البيت لمدة عـامين ، ولم يسمح لأحـد من خـارج البيت بـالاتصال بهم إلا عن طـريق الشرطـة . . لقـد ضرب حصار شـديـد على البيت ، ومنع الجيران الاتصال بهم ، وقطع خط التليفون الخاص بالبيت . . كل شىء حولهم كان مراقباً ، حتى الأبناء يروحون إلى مدارسهم ويجيئون منها تحت رقابة الشرطة !!

وعاشت الوالدة وأبنـاؤها تحت الحصار والتهديد والترويع بالقتل واستئصـال كل فرد من أفراد البيت الصابر .

وتصل الخسة والنذالـة أقصاها عندمـا يوعز المجرمون أصحـاب السلطة فى مصر إلى مصلحة التنظيم بإزالة البيت الـذى تسكن فيه الوالدة الثكلى وأبنـاؤها . . وتطرد الأسرة من بيتها بـالإخلاء الإدارى ، وتضطر الأسرة الممتحنة إلى تأجير مسكن آخر يكلفها أجـراً أضعاف المسكن القديم مما أثقل كاهلها وزاد من همومها . .

وتمضى محنـة العهد الملكى المظلم وتجىء محنـة عهد العسكـر المظلم ، حيث صدرت أحكـام بالإعدام على قيـادات الاخوان ، فيرسل الشهيد عبد القـادر عودة وهو ممن صدرت ضـدهم هذه الأحكام المجرمة أخـاه الدكتور عبد الملك عودة إلى الوالدة الكـريمة وإلى ابنها الأستاذ أحمد سيف الإسلام البنا ليسلمها وصيته التى كتب فيها : (إن عبد القادر عوده سينفذ فيه حكم الإعدام غداً

---

(١) مجلة « لواء الاسلام » ، عدد ١١ فبراير سنة ١٩٨٨ ، بـاب الأخوات المسلمات ص ٥١ ، « حديث صحفى أجرته الأخت هناء محمد مع الدكتورة ثناء البنا » .

الخميس ويتمنى لو يدفن فى قبر الإمام الشهيد حسن البنا بجواره ، وهو يريد أن يعرف ردّ اليوم ، وترحب الأسرة الصابرة المحتسبة بطلب الشهيد الجديد . . وكان بصحبة الدكتور ع الملك عند توصيل الوصية عدد من ضباط المباحث الذين عرفوا بالأمر مما جر على الأسرة متاع ومضايقات كثيرة بعد ذلك) .

وتجتمع عليها عدة أمراض مبرحة منذ سنة ١٩٦٥ م ، فتزيد من آلامها ومعاناتها ، حتى تفيض روحها الطاهرة فى سنة ١٩٦٨ بعد هزيمة دولة الظلم والطغيان وسقوط أعلامها بنكسة سنة ١٩٦٧ م ، لتلحق بركب زوجها الكريم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

حسن البنا .. الزوج

يقول الإمام النبا رحمه الله : إذا وجد الرجل المؤمن وجدت معه عوامل النجاح . . . ويعلق ابنه الأستاذ سيف الاسلام على هذه العبارة ، بقوله : إن أشد ما تنطبق هذه الجملة على الإمام نفسه لأن وقته رضى الله عنه كان فيه بركة كبيرة ، إن العمل الذى يستغرق ساعات كان الله ييسره له فى دقائق ، ومع توفر الإخلاص يستطيع كل أخ أن يقوم بأعمال جمة فى وقت يسير .

كان رحمه مثلاً أعلى فى ما يصدر عنه من تصرفات فى جميع نواحى حياته ، وهذا يرجع لاتقان وحسن دراسته للقرآن الكريم ووضعه لآياته فى وضعها كروح ونص موحى به ، ولتمسكه الشديد بسنة رسول الله ﷺ فى كل دقائق حياته منذ نشأته الأولى فى بيئة دينية وعلمية خدمت حديث الرسول ﷺ ، وكأنما هيأه الله سبحانه وتعالى للدور الذى رسمه له فى حياته بعد ذلك .

لم تشغل الدعوة حسن البنا أو تصرفه عن واجباته كزوج مسلم يتمثل قول رسول الله ﷺ [1] « خيركم خيركم لأهله ... » ، يقول الأستاذ سيف : لقد كان والدى رحمه الله يحرص على تطبيق السنة تطبيقاً متناهياً ، وحينما تزوج حرص رضى الله عنه أن يعرف أقارب زوجته فرداً فرداً ، وَ من يرتبط بزوجته بصلة رحم ، وأحصاهم عدا وزارهم جميعاً ووصلهم جميعاً رغم بعد أماكنهم أو بعد بعضهم عن البعض بسبب الظروف العائلية المتوارثة ... ولكن الوالد رحمه الله كان يفاجئ والدتى بأنه اليوم قد زار (فلانا) وهذا يمت لها بصلة القرابة عن طريق (فلان) لأنه (ا فلان) وهذا يرجع إلى دقته المتناهية فى الالتزام بسنة رسول الله ﷺ .

كذلك كانت عناية حسن البنا بشئون بيته عناية كاملة غير منقوصة ، كان يكتب بنفسه الطلبات وكل أنواع المواد الاستهلاكية التى يحتاجها المنزل شهريا ، ويدفعها فى أول كل شهر أحد الإخوان وهو (الحاج سيد شهاب الدين) صاحب محل البقالة الشهير ليوفرها كل شهر .

---

(١) مجلة لواء الاسلام .

وكان رضى الله عنه يشعر بثقل التبعات الملقاة على زوجته ، فعمل على أن يكون بجوارها دائماً خادمة تساعدها فى أعمال بيت ...

ويصف الأستاذ سيف رقة والده ودقة مشاعره ، يقول : كان يعود للمنزل دائماً فى وقت متأخر بعد انتهاء العمل مع الاخوان ، وأذكر أن مفتاح المنزل كان طويلاً ، وكنت أسهر فى بعض الليالى للقراءة ... فكان رحمه الله يفتح الباب بالمفتاح الذى معه بمنتهى الحرص والهدوء لكى لايزعج أحداً من النائمين ، فكنت أفاجأ بدخوله !

وتقول ابنته الدكتورة ثناء : لقد كان رحمه الله هادىء الطبع واسع الصدر هيِّناً ليناً ، لم أذكر أن صوته ارتفع على أحد فى البيت لأى سبب من الأسباب ... كان يعاون والدتى فى بعض أعباء البيت رغم انشغاله بأعباء الدعوة ... لقد كان الوالد رحمه الله ملماً بكل صغيرة وكبيرة فى البيت ، فكان يومياً يكتب مذكرة صغيرة بكل احتياجات البيت الوقتية حتى يحضرها بنفسه أو يكلف من يحضرها ... وكان يعرف كل شىء يخص البيت لدرجة أنه كان يعرف موعد تخزين الأشياء كالسمن والبصل والثوم ... الخ .

حسن البنا

الأب ... والإنسان

علاقات متوازنة مع الأبناء :

الجانب الوجدانى من أهم محددات الشخصية ... فإذا نحن أشبعنا عواطف الطفل بشكل متوازن نشأ إنسانا سوياً . نافعاً لدينه ثم لأمته ، وإذا اختل هذا الإشباع بالزيادة أو بالنقصان أصيب بالعقد النفسية التى تؤثر فى سلوكياته تأثيراً سلبياً ، فالزيادة تجعله مدللاً عاجزاً عن القيام بتكاليف الحياة بجد ونشاط ، والنقصان يجعله إنسانا قاسياً على كل من حوله ...

لهذا كان للبناء الوجدانى ، أهمية خاصة فى تربية نفس الطفل وتكوينها ، وهذا البناء يقوم فيه الوالدان بالدور الأكبر ؛ إذ هما النبع الذى ترتوى منه عواطف الطفل وتتغذى ، وهما الركن الركين الذى يحس عنده بالأمن ، وينعم فى ظله بدفء العاطفة وحنان الأمومة والأبوة .

وليس كالرحمة والحب عواطف تشيع فى نفس الناشىء المسلم ، فيجعلانه رجل الجهاد والدعوة ، لذلك كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال ، روى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : جاءت امرأة إلى عائشة رضى الله عنها ، فأعطتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل صبى لها تمرة ، وأمسكت لنفسها تمرة ، فأكل الصبيان التمرتين ونظرا إلى أمهما ، فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبى تمرة ؛ فجاء النبى ﷺ ، فأخبرته عائشة ، فقال ﷺ : وما يعجبك من ذلك لقد رحمها الله برحمتها صَبِيَّيْها ...

وهـذا سيدنـا عمر يقـول : ينبغى للـرجل أن يكون فى أهلـه كالصبى ـ أى فى الأنس والبشـ
وسهولـة الخلق والمداعبة مع أولاده ـ فإذا التمس ما عنده وجـد رجلاً ... حتى إنـه رضى الله عنـ
يعزل أحد عماله عن الإمارة لأنه وجد منه دليلاً واضحاً على قسوة قلبه نحو أولاده ، فعن محمد بـ
سلام قال استعمل عمر بن الخطاب رجلاً على عمل ، فرآه الرجل يقبل صبياً له ، فقال الرجل
تقبلـه وأنت أمير المؤمنين ، لو كنت أنـا ما فعلتـه ، قال عمـر : فما ذنبى إن كان نُـزع من قلبكـ
الرحمة ! إن الله لايـرحم عباده إلا الرحماء ، ونزعـه عن عمله ، فقال : أنت لاتـرحم ولدك فكيفـ
ترحم الناس ؟ !

تقول الدكتورة ثناء البنا إبنة الامام الشهيد عن والدها : كنا لانحس فيه الغلظة أبداً ، بل كا
يغمرنا بالمودة والرحمة والعطف ... وكان ينادينا بأحب الأسماء إلينا ...

ويذكر الأستاذ سيف ، أن والـده كان عطوفاً إلى أقصى درجة يراعى مشاعـر الطفولة فى أبنائـ
بشكل كبير ، وكان لـديه القدرة على جعلنا نطيعه دون حـاجة إلى أمر ، وكنا نعتبره بـلا شىء
هيبة دون رغبة فى مخالفته ...

وكان يدخل البيت فيطمئن على غطـاء كل الأبناء ، وقد يتناول عشاءه الـذى يكون معداً علـ
المائدة ومغطى ، دون أن يحرص على إيقاظ أمى أو أحـداً من أهل البيت لحضوره فى هذه السـاعـ
المتأخرة من الليل ...

كما كان رحمه الله كـريماً مع أبنائه ، يذكـر الأستاذ سيف ، أنـه وكل واحدة من شقيقاتـه يأخـ
مصروفاً فى سنة ١٩٤٣ م ثلاثة قروش ، وهذا مبلغ كان يعتبر كبيراً فى هذا الوقت ، لأن زملائى فـ
المدرسة لم يكن الواحـد يأخذ مصروفاً إلا ربع قرش أو نصف قرش ... تذكـرت هذا حينما قرأت فـ
احدى المجلات واسمها (مسامرات الجيب) الحديث الذى أجرته مع والدى ، فقد سألته : هـ
تدخـر شيئاً من مرتبك ؟ فقال : إنى لا أدخـر شيئاً لأننى أنفق كل مرتبى ، فسألـه المحرر : كـ
تعطى لأبنائك من مصروف ؟ فقال : ثلاث قروش للواحد .

مـع الخـدم ...

علاقـات إنسـانية تقـوم علـى المسـاواة :

الخادم فى البيت المسلم فرد من أفـراده يتساوى مع الجميع فى الحقوق والواجبـات ... يأكل
يأكلون ويشرب ممـا يشربون ويلبس مما يلبسون ولـه من فراش النوم مثلهم تمامـاً ، وله مثلهم حـ
العلاج والرعاية إذا مرض أو أصابه أذى . قالت السيـدة عائشة : عثر أسامة بن زيد بعتبة البا
فشج فى وجهه ، فقـال لى رسول الله ﷺ : أميطى عنـه الأذى ، فتقذرتـه ، فجعل رسول الله ﷺ
يمصّ الدم ويمجه عن وجهه وهو يقول : « لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته » .

وقال عطاء بن يسار ، كان أسامة بن زيد قد أصابه الجدرى أول ما قدم المدينة وهو غلام ، مخاط يسيل على فيه ، فتعذرته عائشة ، فدخل رسول الله ﷺ فطفق يغسل وجهه ويقبله ، فقالت عائشة : أما والله بعد هذا فلا أقصيه أبداً .

وللخادم حق المعاملة الحسنة والتلطف فى الحديث ، عن أنس رضى الله عنه ، قال : خدمت النبى ﷺ عشر سنين ، والله ما قال لى أف قط ، ولا قال لشىء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا [1].

يذكر الأستاذ سيف أنه كان بالبيت خادمة صغيرة وكان والده رحمه الله يعاملها على قدم المساواة مع أبنائه ، فكان لكل منا سرير مستقل ودرج مستقل فى دولاب واحد ، وكان للخادمة أيضاً سرير مستقل ودرج فى نفس الدولاب ... وكان أبى يكلف الشقيقة الكبرى الأخت وفاء بأن تعلم هذه الخادمة فى المساء القراءة والكتابة ، وأن تعلمها الصلاة ... كما أخبرهم الوالد ذات مرة أنه زار (فلانه) إحدى الخادمات بمنزلها بعد زواجها ، وكانت قد خدمت بمنزلنا فترة من الزمن وذلك حينما كان يزور بلدتها فى المنوفية .

وتذكر الدكتورة ثناء أنها عاملت الخادمة ذات مرة معاملة غير لائقة ، فأفهمها الوالد أن ما فعلته معها خطأ لأنها أختها فى الاسلام ، وكان عقابه لها أن أمسك بقلم رصاص وضربها به على يدها ، وكان هذا كافياً ليشعرها أنه غاضب عليها ، وكان درساً لم تنسه طوال حياتها .

حسن البنا ... المربى

أهمية التربية

فى بناء الأفراد والأمم :

فى محاضرته التى ألقاها فى جمعية الشبان المسلمين سنة ١٩٣٠ م عن (أنجح الوسائل فى تربية النشء تربية اسلامية خالصة) [2]، استهل هذه المحاضرة ببيان أهمية التربية وأثرها فى تربية الانسان ... قال رحمه الله : (أرأيتم بقعة من أديم الأرض أهملت فأنبتت الشوك والسعدان وصارت قفراً بوراً لاتنبت زرعا ولاتمسك ماء ، وأخرى تعهدها زارع ماهر بالإصلاح والحرث فإذا هى جنة يانعة تنبت من كل زوج بهيج ! !

ذلك مثل الأفراد والأمم إذا أهملها رجال التربية ولم يعنوا بوسائل إصلاحها ورقيها ، وهذا مثلها إذا قاموا عليها بالرعاية وساروا بها إلى غاية .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود .
(٢) نشرت مجلة الشبان المسلمين فى العددين الثانى والثالث (نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣٠) .

فالتربية الصحيحة تهيىء الفرد للعيشة الكاملة وتصل بجسمه وروحه إلى الكمال الانساني وترشده إلى حقوقه وواجباته ، وهى لهذا أكبر مؤثر فى حياة الأمم وعليها يتوقف مستقبلها وعنها تنتج عظمتها وسقوطها .

فى الكون كل وسائل السعادة للبشر أودعها الله فيه يوم أبدعه ، ولاينقص الناس إلا أن يتعرفوا هذه الوسائل ويهتدوا إلى الطريق الموصل إلى استثمارها على وجهها ليحيوا حياة طيبة فى الدنيا والآخرة .

علمت ذلك الأمم الحديثة ، فكان أول ما تهتم له فى مناهجها الإصلاحية « التربية » تحدد غايتها وتعرف أقرب الوسائل للوصول إلى هذه الغاية ...

وما أبعد نظر ذلك الطبيب الذى ترك الطب واشتغل بأمور التربية ومعالجة مسائلها ، فلما سئل عن ذلك كان جوابه : وجدت بالاستقراء الدقيق أن معظم أسباب العلل الانسانية الجسمية والنفسية يرجع إلى نقص فى التربية ، فآثرت أن أستأصل الداء من جذوره باستئصال سببه الأول على أن أقضى الوقت فى علاج ما ينجم عن هذا السبب والوقاية خير من العلاج ، ولا أشك أنى بذلك أقوم بخدمة أعظم للإنسانية بقدر ما بين طب الأمم وطب الأفراد .

وقديما قال الإمام الغزالى : « وكما أن البدن فى الابتداء لايخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء ، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم ... والصبى مهما أهمل فى ابتداء نشوئه خرج فى الأغلب ردىء الأخلاق كذابا حسوداً سردقاً نماماً لجوجا ذا فضول وضحك وكياد ومجّانة ، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب »[1] ...

غايـــة التربيـــة التـى نرجوهـــا لأمتنـــا :

يجب أن نحدد غايتنا من تربية النشء تحديداً دقيقاً واضحاً حتى يمكننا معرفة الوسائل المؤدية إلى هذه الغاية ، ومالم نحدد غاية فإننا نسير بالأمة على غير هدى ...

وبما أن هذا الدين يأمر بالعناية بالشئون الدنيوية ويحث على السبق والتبرير فيها مع عدم إغفال أمر الآخرة على حد قوله تعالى ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾[2] ، وعلى حد قوله تعالى : ﴿ **فلنحيينه حياة طيبة** ﴾[3] ، فليست التربية الاسلامية تربية دنيوية عملية كما كانت عند اليونان مثلاً ، وليست دينية محضة كما كانت عند الاسرائيليين قديماً ، وإنما هى جماع بينهما ، كما مدح جرير عمر بن عبد العزيز :

---

(١) انظر مجلة الشبان المسلمين ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ العدد الثانى ـ نوفمبر سنة ١٩٣٠ .

(٢) سورة القصص : ٧٧ .

(٣) سورة النحل : ٩٧ .

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ونزيد ذلك تفصيلاً فنقول : غاية التربية المنشودة :

١ ـ تحبيب الاسلام إلى النفوس والغيرة عليه .

٢ ـ تهيئة السبيل للنجاح فى الحياة .

٣ ـ الدفاع عن المصلحة الدينية والدنيوية وتنمية الشعور بالغيرة (١) ...

البيت ودوره فى التربية :

ويقول الإمام البنا رحمه الله على البيت « فيقول مبيناً أثر البيت كوسيلة من وسائل التربية .

الطفل أول ما يرى من الوجود منزله وذويه فترتسم فى ذهنه أول صور الحياة مما يراه من حالهم وطرق معيشتهم ، فتتشكل نفسه المرنة القابلة لكل شىء المنفعلة بكل أثر بشكل هذه البيئة الأولى ، يقول الإمام الغزالى : « الصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عُوِّد الخير وعلمه نشأ عليه ، وسعد فى الدنيا والآخرة أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له » .

ويقول رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه ، وإلى هذا أشار أبو العلاء فى قوله :

وينشأ ناشىء الفتيان ... على ماكان عوده أبوه

ومادان الفتى بحجى ولكن ... يعوده التدين أقربوه

وإذا كان للمنزل كل هذا الأثر فى حياة الطفل وجب أن يحاط بكل مايغرس فى نفسه روح الدين والفضيلة (٢) .

* * *

(١) المصدر السابق ص ٩٢ .

(٢) « الشبان المسلمون » : عدد نوفمبر سنة ١٩٣٠ ص ٩٣ .

أساليب تربوية
مارسها الإمام البنا فى بيته

أساليب علمية :

الملاحظة العلمية التى تقوم على مراقبة السلوك ومتابعة نمو الطفل الجسمى والنفسى والعقلى فى مختلف مراحل حياته وتسجيل ما يحدث منهج علمى مارسه الإمام البنا فى بيته مع أولاده .

ذكر الأستاذ سيف : كان لكل منا حينما يولد (دوسيه) خاص به يكتب فيه الوالد بخطه على وجه الدقة تاريخ ميلاده ورقم قيده ، وتواريخ تطعيمه .

ويحتفظ بجميع الشهادات (الروشتات) الطبية التى تمت معالجته بها ، بحيث إذا أصيب أى منا بمرض استطاع أن يقدم للطبيب المعالج هذه الشهادات مسلسلة بتواريخها ، ويرفق مع كل شهادة ملحوظة عامة » ثم ما أخذه من دواء ولمدة كم يوم ، وكم استغرق هذا المرض » وهل أكمل الدواء أم لم يكمل .

وكذلك الشهادات الدراسية كان والدى رحمه الله يضعها أولاً بأول فى هذا الدوسيه مسجلاً عليها بعض الملاحظات مثل : سيف يحتاج إلى التقوية فى كذا وضعيف فى كذا ... وفاء تحتاج إلى المساعدة فى مادة كذا ... وهكذا وبالجملة كل ما يختص بأحد أبنائه ...

ويقول الأستاذ سيف أيضاً : ولعلى أدركت بعد مرحلة مُعينه من السن أنه رضى الله عنه وأرضاه كان يتابع كل تصرفاتى متابعة دقيقة ، ولكن دون أن ألحظ هذا إلا عندما كبرت ، فعندما أستعرض بعض تصرفات الوالد أعرف أنه يتابع تصرفاتى ...

إثابة الطفل على العمل الصالح :

مدح الطفل والثناء عليه ومكافأته على أى عمل يجيده أو أى سلوك صالح يسلكه له أثره التربوى فى تأصيل هذا السلوك لديه » وتكراره ونموه ...

إن التشجيع الحسى والمعنوى أسلوب ضرروى من أساليب التربية لاغنى عنه ، فالتشجيع له دور كبير فى نفس الطفل وفى حركته الايجابية وفى كشف طاقاته الحيوية ، كما أنه يفيد فى رفع العمل قدماً نحو الأمام بنتائج ممتازة » ويفيد كذلك فى رفع همة الطفل ونشاطه ... أخرج أحمد عن عبد الله بن الحارث رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثيرا بنى العباس رضى الله عنهم ثم يقول : من سبق إلىّ فله كذا كذا . قال فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم ... وفى موقف آخر أثنى رسول الله ﷺ على غلام ناشىء تعلم العربية والسريانية لخدمة النبى ﷺ فيقول له يوم الخندق : « أما إنه نعم الغلام » .

يذكر الأستاذ سيف البنا ، أنه سأل والـده مرة سؤالاً صريحاً : وماذا سنفعل مع الانجليز إذا لم يخرجوا من مصر ؟ فقال رحمه الله : سنرسلك مع كتيبة لإخراجهم بالقوة ، وقد رددت عليه حينئذ ببيت شعر لعنتره بعد أن غيرت فيه الضمير وقلت له :

وسـيفك كـان فـى الهيجـا طبيباً يـداوى رأس مـن يشـكو الصـداع

وقد نلت منه فى ذلك الوقت قبلة على جبينى لازلت أتحسس موضعها حتى الآن .

الحـزم فـى مواجهـة الأخطـاء :

فى حالـة تكرار الخطأ وعدم الانصيـاع للتوجيه ، أو كانت المخـالفة من النوع الـذى يحتاج إلى موقف حاسم من المربى تنشأ الحاجة إلى عـلاج بالتأديب أو الضرب ، لكى يحس الطفل بأن الأمر جد لا هزل فيه ، فيذوق ألم التأديب فيعرف قيمة العطف والحنان ويشعر بضرورة الانقياد والطاعة وحسن الخلق وطيب السيرة ...

يقول الإمـام الكاسانى فى « بـدائع الصنائع » : (إن الصبى يعـزر تأديباً لا عقوبـة ، لأنه من أهل التأديب ، ألا ترى ما روى عنـه عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « مروا صبيـانكم بالصلاة إذا بلغـوا سبعاً واضربـوهم عليهـا إذا بلغـوا عشرا » وذلك بطريق التأديب والتهـذيب لا بطـريق العقوبة لأنها تستدعى الجناية ، وفعل الصبى لا يوصف بكونه جناية ... » .

لقد مر بنـا ما قالته الـدكتورة ثناء البنا عن مـوقف والدها عندمـا أساءت إلى الخادمة ، حيث ضربها بقلم رصاص تـأديباً لكى تحس بفداحـة خطئها فـلا تعود إليـه ، وتعلق على هذه الـواقعة فتقول : إن الوالد كـان يغمرهم بالمودة والرحمة ، ومع ذلك فقد كان يـؤمن بسياسة العقاب [1] ، ولكن عقابه كان يتراوح بين إشاحة الوجـه أو إيماءة الرأس أو إشارة اليد ، وكان أقصى ما عاقبني به أن ضربنى بالقلم الرصاص .

ويقول الأستـاذ سيف : كان أقصى ما يعـاقب به الواحـد منا هو قـرص الأذن ، ففى إحدى المرات قرص أذنى وهذا أكبر عقاب وقَّعـه علىّ رحمه الله ... قرص أذنى فى الصباح لخطأ ارتكبته ، لكنه اتصل بى تليفونيـا فى الساعة الحادية عشرة صباحاً ليطمئن علىّ ويصـالحنى ، وكان لهذا أثر كبير فى نفسى .

وشد الأذن هى أول عقـوبة بـدنية للطفل ... إذ بهذه المرحلة يتعـرف على ألم المخالفـة وعذاب الفعل الشنيع الذى ارتكبه واستحق عليه شد أذنه ، فقد أورد النووى فى « الأذكار » فقال : روينا فى كتـاب ابن السنى عن عبـد الله بن بُسرْ المازنى الصحابى رضـى الله عنه قـال : بعثتنى أمى إلى

(١) يستعمل التربويون والنفسيون مصطلح العقاب ، لكن الفقهاء لايستعملونه كما رأينا عند الإمام الكاسانى .

رسول الله ﷺ بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن أبلغه أياه ، فلما جئت أخذ بأذنى وقال : يا غُدر [١] .

القدوة فى البيت :

مهما يكن من أمر إيجاد منهج تربوى متكامل ، ورسم خطة محكمة لنمو الإنسان وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والوجدانية واستنفاد طاقاته ، فإنه لا غنى عن وجود واقع تربوى يمثله إنسان مُربٍّ يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوى كل الأسس والأساليب والأهداف التى يراد إقامة المنهج التربوى عليها .

فالطفل لابد له من قدوة فى أسرته ، ووالديه هم خير قدوة له ، فعن طريقهما يتشرب منذ طفولته المبادىء الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع .

ولعل ما أودعه الله فى طبيعة النفس الإنسانية من استعداد للتقليد ، هو ما جعل علماء التربية يضعون التربية بالقدوة فى صدارة أساليب التربية ... ولنا فى رسول الله أسوة حسنة ، فقد كان ﷺ مربياً عظيماً ذا أسلوب تربوى فذ ، يراعى حاجات الطفولة وطبيعتها . ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ، أى يراعى الفروق بينهم ، كما يراعى مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم ...

ويلفت الإمام البنا نظر الوالدين فى البيت إلى أن : (يكونا خير قدوة لإبنهما فى احترام شعائر الدين والمسارعة إلى أداء فرائضه وبخاصة أمامه وعند حضوره يؤدون الصلاة ويقصون عليه نبأ الصالحين ، فأيقظ غرائزه فى هذه السن غريزة التقليد ، والمثل الأعلى أمامه أبواه ومن يحيط به من ذويه ، فعليهم أن يكونوا كما كتب عمر بن عتبة لمؤدب ولده : « ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت ») [٢] .

لهذا كان حسن البنا يربى بالموقف داخل بيته وخارج بيته ، ويحرص الحرص الشديد على تطبيق سنة رسول الله ﷺ ، وهذا ما جعل ابنه الأستاذ سيف يقول : إن الإمام حسن البنا خلق ليكون قدوة فى كل أمر من أموره بما أخذه على نفسه من اتباع سنة رسول الله ﷺ ولا أتزيد أو أبالغ أنه رضى الله عنه كان رب أسرة مثالياً ، منذ أن وعيت لم أشعر يوماً سواء فى طفولتى أو صباى بأنه قصر فى العناية بنا أو الاهتمام بأمورنا ، بل لعلنا نعجب حينما نشعر أننا لم نصل إلى درجته فى مثل هذه العناية ...

---

(١) عن كتاب « منهج التربية النبوية للطفل » للأستاذ محمد نور سويد ص ٣٦٦ .
(٢) مجلة الشبان المسلمين / عدد نوفمبر سنة ١٩٣٠ ص ٩٥ .

تنميـــة الفكـــر والمعرفـــة :

تعتبر فترة الطفولة أخصب فترة فى البناء العلمى للشخصية الإنسانية ، حيث يخرج الطفل من بطن أمه جاهلاً لايعلم شيئاً ، ولكن الله زوده بوسـائل التعليم والمعرفة ، ووهبه الاستعداد الكامل لتلقى العلم عن طريق السمع والبصر والعقل والالهام والوحى حتى ينهض بمهمة الاستخلاف فى الأرض .

والقـراءة كـانت أول تكليف نـزل به الـوحى على قلب رسـول الله ﷺ ، لأنها من أهم وسـائل المعرفة ، ومن هنا يرى الإمام البنـا رحمه الله : (ضرورة احتواء المنزل على مكتبة مهما كانت يسيرة ، إلا أن كتبهـا تختـار من كتب التـاريخ الاســلامى . وتـراجم السلف وكتـب الأخـلاق والحكم والرحلات الإسلامية والفتوح ونحوها .

ولئن كانـت صيدلية المنـزل ضرورية لـدواء الأجسام ، فـالمكتبة الاسـلامية ضروريـة لإصلاح العقول . وما أجمل أن أذكر هنا قول سعد بن أبى وقـاص رضى الله عنه « إننا لنروِّى أبناءنا مغازى رسول الله ﷺ كما نرويهم السورة من القرآن » .

ولايجوز للأب المسلم أن يهمل ابنه ولا يراقبه ويدعه دون توجيه لما يقرأ ، لهذا : (يجب أن يحول الأبوان دون تسرب الكتب الهازلة والصحف الماجنة إلى ابنهما لا بالمنع والتهديد ، فإن ذلك مما يزيد شغفه بها وإقبـاله عليها ، ولكن بصرفه إلى كتب نـافعة مغريـة ، وإثارة الميل فيه إلى هذه النـاحية الصالحة ... وهنـا أذكر شـدة حاجتنا إلى كتب فى القصص الاسـلامى العام لـلأطفال تجمع بين تشـويقهم إلى المطالعـة وملاءمتها لمداركهم وقـواهم العقليـة وتزويـدهـم بـالشعور الاسـلامى ، والقصص الاسلامى غنى بسير الصحابة والتابعين وأمثالهم رضوان الله عليهم) (١) .

يذكر الأستاذ سيف عن والده : أنه فى إحدى السنوات نقل جزءاً من مكتبة البيت إلى مقر مجلة « الشهـاب » ، واشترى عدة مكتبـات جديـدة للمنزل ، وكـان نصيبى من هذا التغيير أن فـزت بمكتبة صغيرة أهداها إلىّ الوالد ، ومنحنى زيادة فى مصروفى قدرها خمسون قرشا كل شهر ، لشراء الكتب بمعرفتى وتكوين مكتبة خاصة بى ... وبحكم سنى فى ذلك الوقت ، اشتريت عدة كتب من درب الجماميز ومنهـا روايات عن المغامرات البـوليسية لأرسين لوبين وشارلـوك هولمز وغيرهما ، وحينما جاء الوالد متأخراً بالليل وجدنى ساهـراً أقرأ فى هذه الروايات باهتمام شديد ... وتركنى ولم ينهنى عـن قراءتها ، ولكن حينما انتهيت من قـراءة هذه الروايـات قال : سأعطيك شيئـاً أحسن منها . وبدأ يغذينى ببعض الكتـب منها سيرة الأميرة ذات الهمة ، وسيرة عنترة بن شداد ، وسيف بن ذى يزن وبعض روايـات البطولة الإسلاميـة ، ثم بعد ذلك دفع إلىّ بكتاب سيرة عمـر بن عبد العزيز رضى الله عنه وأرضاه وغيره من الكتب المفيدة ... وشعـرت فى هذه الأثناء أنه يتابع قراءاتى بدقة رغم انشغاله بأمور الدعوة (٢) .

---

(١) مجلة الشبان المسلمين ـ عدد نوفمبر سنة ١٩٣٠ ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) مجلة لواء الإسلام .

حلقـــة القــــرآن :

يقول الرسول المربى : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ...

فينبغى لولى الطفل أن يبدأ بتعليمه القرآن منـذ الصغر ، حتى تسرى روح القرآن فى قلبه وتشع أنـواره فى أفكاره ومـداركه وحـواسه ، وحتـى يشب على حب القرآن والتعلق بـه والإنصياع لأمـره والانتهاء عند نهيه والتخلق بأخلاقه والسير على منهاجه ...

تذكر الدكتورة ثنـاء البنا ، أن الوالد رحمه الله كان يجمعنا حوله ويعطينـا المصاحف ويقرأ علينا القرآن ويطلب مـن وفاء وسيف الإسلام أن يتـابعاه بحجـة المراجعة ، وكـان يتعمد تقـديم آية أو تلاوة آيـة شبيهة ليختبر مدى انتباههما إليـه ، لم أفهم هذا الأسلوب التربـوى إلا بعد أن اشتغلت بالتدريس ، فقد يتعمد المدرس الخطأ أو النسيان ليختبر مدى استيعاب طلابه وانتباههم ...

ويذكـر الأسـتاذ سـيف : كـان مـن عادتـه رحمـه الله الاعتماد فى تربيتنـا على الأسلوب غير المبـاشر ... أسلوب التعـريض والتلميح لا التصريح ... وكان فى كثير من الأوقـات ، إذا حضر للمنزل واستراح قليلاً يستيقظ قبل المغرب بساعة تقريبا ويدعونى أنا والأخت الكبرى وفاء بدعوى أن نسمع لـه القرآن الكـريم ... فكنـا نمسك المصحف وننظر فيـه ووالـدى يسـمعنا ... وكـان أحيانـا يسـهو علـىّ أن أتابعه ، فكـان يشيـر إلى الصفحـة التـى يقـرأ فيهـــا ، ويقـول : أنا أقرأ هنا ... (١) .

المؤمـــن المحتــرف :

إن الله يحب المؤمن المحترف ... المحترف لصناعة مثل أعمال الكهرباء والإلكترونيات والسباكة والنجارة وميكانيكا السيارات ... الخ .

وهذا مما جعل رسول الله ﷺ يمسك بيد عامل ويقـول : هذه يد يحبها الله ورسوله . نعم ، إن الله يحب المؤمن المحترف ، فســواعـد المحترفين هـى التى تقيم الحضـارات وتبنى الأمم وتنهض بالشعوب .

ولعلنا نتذكر أن إمامنـا الشهيد قد تعلم حرفة تصليح الساعات فى دكان أبيـه ليوفر دخلاً يسد به مطالبه ويخفف العبء عن والده ...

ليت المسلمين يتنبهون إلى هذه الناحية التربوية الهامة التى سادت بها أمم الكفرُ

ولعل هذا ما يفسر لنا سر اهتمام الأستاذ بتعليم ابنه سيف حـرفة منذ نعومة أظفاره ... ويقول الأستاذ سيف : أذكر وأناصغير فى المرحلة الابتدائية أن والدى رحمه الله قال : على كل فرد أن يتقن

---

(١) مجلة « لواء الإسلام » فى إصدارها الإخوانى ، حديث أجراه الأستاذ صلاح عبد المقصود .

حرفة ، وكان رحمه الله يتقن إصلاح الساعات ، فأخذنى فى إحدى الإجازات الصيفية ، ودفع بى إلى مطبعة الإخوان المسلمين ، وطلب من مديرها الأخ سيد طه أن يتولانى برعايته ويعلمنى شيئاً ، وذلك لحرصه على تطبيق السنة « إن الله يحب المؤمن المحترف » ، ولا أتجاوز إذا قلت إن هذه الفترة القصيرة نفعتنى كثيراً فى حياتى العملية بعد ذلك .

لقد كان العمال وأصحاب الحرف فى جماعة الإخوان المسلمين من أحب الفئات إلى الإمام البنا ، وكان يعول عليهم كثيراً فى دعوته وينصح الإخوان ، ويقول : عليكم بأصحاب الأيدى الخشنة ! !

ربط الطفل بالأندية والأنشطة الإسلامية

وتجنيبه أماكن اللهو والفسق والفجور :

الأندية فى الأمة المجاهدة وسيلة من وسائل التربية لإخراج أجيال جادة عاملة مجاهدة ... هذه الأندية لها أيضا أثر عظيم فى صرف الناشىء عن كل ما يضم مفاسد الدين والخلق ، كالمسارح الهازلة والمراقص الخليعة والقهاوى الموبوءة .

يذكر الأستاذ سيف بأن والده عرَّض له بأن دخول السينما أمر لا يليق بالمسلم ، ولذلك لم يحاول أن يدخل السينما قط بل ظل حتى اليوم لم يدخلها ، وهذا من قوة تأثيره ...

ولا يترك الطفل دون شغل فراغ نفسه ، ولذلك يوجه إلينا رضى الله عنه أولياء الأمور ، فيقول : ويجب على ولى أمر الناشىء أن يصحبه إلى الجمعيات الإسلامية والاحتفالات البريئه ، تلك التى تتجلى فيها مشاهد جلال الإسلام وروعته كالجمعة والعيدين وأحفال الذكريات الإسلامية .

لذلك تذكر الدكتورة ثناء أن والدها رحمه الله كان يصحب معه دائماً شقيقتهم الكبرى وفاء زوجة الدكتور سعيد رمضان فى جميع المناسبات واللقاءات التى بها نساء ، وكان يأخذها معه أيضا إلى مقر الأخوات المسلمات ، وهى أول من ارتدت الحجاب وكان سنها صغيراً ...

كما تذكر ، أنه رحمه الله فى شهور الأجازة الصيفية والتى كان يقضيها مع الإخوان فى محافظات الصعيد والوجه البحرى كان لاينسانا أو يتركنا بلا رعاية بل كان يصطحبنا إلى بيت جدى وأخوالى بالإسماعيلية لنقضى أجازتنا هناك فنستمتع ونمرح حيث المزارع الخضراء والحدائق الفيناء ، وكان أخى سيف يمارس رياضة ركوب الخيل .

وبذا كان يعطينا رحمه الله حقنا فى قضاء أجازة لطيفة وممتعة وإعطاء الدعوة حقها بسفره إلى الصعيد فى أشهر الصيف الحار (١) .

(١) مجلة « لواء الإسلام » فى اصدارها الإخوانى : حديث أجرته الأخت هناء محمد .

التربيـــة الاجتماعيـــة والوطنيـــة :

الطفل المسلم يجب أن تتكامل تربيته فلا يهتم بجانب دون جانب ، ذلك أن الشمول من أهم خصائص التربيـة الإسلامية ... فيجب أن يـدعم الوالـدين فى ابنهما روح التعاون وحب الخير فى نفسه ، والعطف على الفقراء والمساكين ، والمشاركة والانـدماج فى الحياة الاجتماعية ، فتعتاد نفسه على البـذل ويده على العطـاء ، وحب الإيثـار والـرغبة فى التضحيـة والفـداء ، حتى يحقق معنى التكافل الاجتماعى ، ويؤكد فى نفسه روح التضامن والتعاون مع أبناء مجتمعه ووطنه ...

يذكر الأستـاذ سيف البنا ، أن الوالد رحمه الله كان يعطيهـم مبالغ غير المصروف اليومى فى كل يوم جمعـة ويطلب منهم توزيعها على بعـض الفقراء فى المسجد ، وقـد يكون هذا خمسـة قروش أو عشرة قروش ... وفى ذلك تعويد لهم على حب العطاء والعطف على الفقراء ...

ويقول الأستاذ سيف أيضاً : لقد عاصرت والدى الإمام الشهيد رحمه الله لمدة عامين وأنا طالب بالمرحلة الثانوية وكان دخول المرحلة الثانوية هو الميلاد السياسى للشاب فى ذلك الوقت [1]، لأنه يستطيع أن يشترك فى الجمعيات أو الأحزاب وأن يطبع كارت يكتب عليـه اسمه وتحته لقب طالب ثانـوى ! وأن يشترك فى المظاهرات الوطنيـة ... وقد التحقت بقسم الطلاب فى جماعـة الإخوان فى هذه المرحلة ، وأذكر أن الذى كان يرأسه فى ذلك الـوقت الأستاذ فريد عبد الخالق ، وكان زملائى فى القسم مجموعـة من طلاب مـدرسة بنبـاقادن الثـانوية ، وكـان مقرهـا بشارع إلهامى بـالحلمية بالقرب من المركز العام للإخوان المسلمين ، وكنت بطبيعة الحال أشارك مع الإخوة فى هذه المدرسة فى نشاط قسم الطـلاب . وكنا نذير بـالمدرسة مناقشات حول قضـايا معظمها فى المسألـة الوطنية وقضية وادى النيل وإخراج الإنجليز من مصر والسودان ، والوحدة بين مصر والسودان .

وحينما كنت أعود للمنزل وأتناول الغداء مع الوالد كنت أسأله عما يجرى ويحدث فى المدرسة من مناقشات . وسبق أن ذكـر الأستاذ سيف إجابة الوالد عن سـؤال وجهه إليه بخصوص الاستعمار البريطانى ، وماذا سيكون العمل إذا لم ترحل قواتهم عن أرض الـوطن ؟ ؟ ... كانت إجابة الوالد أنه سيرسلـه مع كتيبة لإخـراجهم بالقـوة ، ولما تهلل الأستاذ سيف شجعـه الوالـد بطبع قبلة على جبينه ...

ويكمل الأستاذ سيف ذكرياته بقولـه : كنت على وعى تام بما يجرى فى هذا الوقت من أحداث وأمور سيـاسية ، من واقع النضج السياسى الـذى كانت تعيشه المدرسـة الثانويـة آنذاك ، والتى كانت تتمثل فيهـا كافة طـوائف الأحزاب الموجـودة على الساحة فى ذلك الـوقت وأبرزهم الإخوان والوفد ... لقـد كان طلاب المدارس الثانـوية فى ذلك الوقت يتجاويـون بشدة مع الأحداث التى

---

(١) أصبحت الساحة الآن فى ظل حكـم العسكر للمرتزقة والمتـاجرين بالعمل الوطنى والانتهـازيين والوصوليين ، **الذين ﴿ إذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض ، قالوا : إنما نحن مصلحون ! ! ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ﴾** (سورة البقرة : ١١ ، ١٢) .

تجرى فى مصر والعـالم الإسلامـى ... فما إن يقع حدث إسـلامى حتى تسـارع المدرسـة الثـانويـة بالتجاوب معه بالإضرابات والمظاهرات .

فى هـذا القـــدر المحـدود الذى كشف فيه النقـاب عن بعض جوانب من حياة الإمـام البنا فى بيته ... عـرفنا أنـه رحمه الله قد وازن بين حقوق دعـوته وبين حقـوق بيته عليـه . فلم يطغ اهتمامه بدعـوته على إحســان الرعايـة لبيته ، فقـد وضع لبيته نظـاماً يكفل قيام العـلاقات فيـه على الود والحب والرحمة ، ويضمن متابعته له فى كل الأوقات ، ففى الليل مثلاً وكثيرا ما كان يعود متأخرا ، فيجد الأهل قد ناموا ، تكون الابنـة الكبرى (وفاء) فى انتظاره فيسألها عن جميع من بالبيت ، فقد كانت بمثابة سكرتيرته فى البيت تعويداً لها على تحمل المسئولية ...

... لقد كـانت عين حسن البنـا التى لاتنام عن دعـوته ، ساهـرة أيضاً على بيتـه لاتغفل عن شىء فيه ... ! !

* * *

عمـــر التلمســـانى ...
والأســرة السـعيدة

الأستاذ عمـر التلمسانى رحمه الله المرشد العام الثـالث للإخوان المسلمين ، والذى قـاد سفينة الدعوة فى فترة دقيقة من تاريخها ، ولم يكـن أحد غيره يصلح لهذه التبعة ، فقد صنعته يد الله لهذه اللحظة من حياة الدعوة ، فكان خير خلف لخير سلـف ، وأدى الأمانة وسهر على دعوته وتحمل تكاليفها فى صبر وحلم واحتساب حتى مضى إلى ربه مرضيا ...

وفى نهاية حياته المباركة كتب ذكـرياته التى نشرتها جريدة « الشرق الأوسط » وجمعت بعد ذلك فى كتاب نشرتـه « دار الاعتصام » ... هذه الـذكريات أعلن فيهـا ـ رحمه الله ـ عن مختلف مراحل حياته بكل شجاعـة وصراحة لم يخف شيئاً منها إذ ليس هناك فى حياته مـا يخجل من ذكره وطرحه على الناصية ...

ومن هذا الذى ذكره قصة حياته الزوجية السعيدة ببركة رضا والديه سردها بنفس الصراحة ... هذا النموذج للـزواج المبارك السعيد والحياة الهانئـة الرغيدة تشع سطـورها نوراً يهدى المتطلعين إلى حياة زوجيـة وادعة تغمـرها المودة والرحمة ... هـذا النموذج بضـوئه نضعه كما ورد فى ص ١٨ من ذكرياته بنصه ... يقول رحمه الله :

(فى السنة الـرابعة الثـانوية ، فكـر أبى أن يزوجنى ليحفظ على نصف دينى ، كـان لى أخوان أكبر منى فلم يفكـر فى زواجهما ، ولكنه فكر فى زواجـى أنا ، لأنى كنت أثيرا عنـده ، وأقرب إلى قلبه من غيرى . وكانت قصة زواج عجيبة .

مما قـرأت فهمت أنه من حقى أن أختـار شريكة حيـاتى ، وأن أختارهـا دون وساطـة فى هذا الاختيـار . ولكنى كنت واهما وكـان الـواقع أبعـد أثرا ، وأعمـق فاعليـة من الأوهـام والقـراءات والتصورات .

ففى يوم بعد عودتى من المدرسة ، قـالت لى والدتى : إن أباك طلب منى أن أخبرك أن تذهب إلى منزل الشيخ « فلان » بعد صلاة مغرب الغـد ، فسألتها ألا تعرفين السبب يا أمى ؟ . قالت : إنهم سيكتبون كتابك على ابنة الشيخ الذى ستذهب إلى منزله بعد مغرب الغد .

وللحق كـان للخبر وقع طيب على نفسى ، لأنى كنت فى سن العشرين وكـان نـداء الطبيعـة ينادينى بقضاء لبانته . وحانت الفرصة ، وفى الحلال ولكن تمرد الشباب فى داخلى ، وتسلط فكرة حرية الاختيار جعلانى أبدو فى صورة الثائر ـ الثائر أمام أمى فقط !

فقلـت لهـا فى عنفـوان : إننى لن أذهب ، ولن أتزوج إلا من التى أختـارها بنفسى . فـردت قائلة :

لاشأن لى بهـذه اللخبطـة التى تتحـدث بها ، وسأخبر أباك بهذا الخروج على طـاعته ليتـدبر الأمر .

وجاء أبى فأخبرته أمى بما كـان منى . فقابل الأمر بهدوء كامل . وقال لها : « إن شـاالله ما عنه راح . أنـا حبيت أعمله راجل وأجلسـه مع الرجـال . سأزوجه رغم أنفـه فأنا ولى أمـره وسيكتب الكتاب هذه الليلة » .

غيـرة زوجيـة

أخبرتنى والدتى بما حـدث . ولما كنت أعرف إصرار والدى على رأيه . خضعت لـلأمر الواقع بين راغب فيه وزاهد . وكان الخير فيما ألهم الله به أبى ، فقد توفى بعد زواجى بستة أشهر فى يناير (كانون الثانى) ١٩٢٤ . حفظ الله لى نصف دينى بهذا الزواج ، وأقامنى على الصراط المستقيم ، فلم ترق امرأة فى نظرى بعد هذا الـزواج . ولم أفكر فى غيرها ، واقتصرت عليها ، ودام هذا الزواج الهنى ثلاثـة وخمسين عامـا ، حتى توفيت تلك الزوجـة الوفية فى رمضـان ١٣٩٩ هـ ـ الثامن من أغسطس (أب) ١٩٧٩ ، بعد أن تسحرنا وصلينا الفجر معا ، وبعد مرض لازمها الفراش حوالى سبع سنوات . مـازلت أبكيها بحـرقة من كل قلبى إلى اليـوم ، كلما مرت ذكـراها بخـاطرى ، أو ذكرها أحد أمامى . فقد كانت زوجـة مثالية ، تطهو أشهى الطعام ، وتساعد من تغسل الملابس يدا بيـد ، وتقوم على نظافـة المنزل مع الخادمة ـ لم تسألنى فيما أفعل لِمَ فعلت ؟ . ولا فيما تركت لِمَ تركت ؟ . لم تطالبنى بشىء لنفسهـا لأنى كنت أوفر لها كل ما تطلبه الـزوجة من زوجها . وظلت بعد الزواج ملازمة للبيت حوالى سبعة عشر عاما لاتخرج لزيارة أهلها أو حضور عزاء أو تهنئة إلا فى سيارة ، ولم تـركب طوال تلك السنين تـراما ولا أتوبيسـا أو تمشى فى الطريق على قـدميها ، لأنى كنت شـديـد الغيرة عليها ... أغـار عليهـا من الشمس أن تلقى عليهـا أشعتهـا ، ومن الهواء أن يلامس طـرف ملابسها . وكـانت تعرف ذلك منى . فلم تضق بى ولم تعـاتبنى . هذا إن لم تكن هذه الغيرة ترضيها وتسعدها . وقـد رزقنى الله منها بنسل كثير ، لم يبق منه إلا ذكران وأنثيان أسأل الله أن يكـون عنهم راضيا ، فهم صـالحون ومؤدبـون ومطيعون . وأذكـر هنا واقعـة تتعلق بغيرتى عليـها ... فقد حـدث لما قضيت فى سجن عبد الناصر سبعة عشر عامـا ، من أكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٤ إلى يـوليو (تموز) ١٩٧١ ، كـانت نعم الـزوجة الصـابـرة المحتسبة . ومـرت عشر سنوات فى السجن لم أرها فيها ، غيرة عليها أن يراها السجانون ومن معى من الإخوان ، حتى إذا ألح على الإخوان ، ووجهوا لى اللوم على هذه القطيعة . أذنت لها بزيارتى فى السجن ، واستقبلتها فى اتزان ، وكأنى لم أفارقها إلا يومـا أو بعض يوم . لم تسبب لى متاعب مع أهلى ، حتى ولو أسىء إليها فى غيبتى من أم أو أخ أو أخت . إننى أنصح ـ وعن تجربة ـ كل فتاة وفتى يريدان الزواج ألا يجعلا مـا يسميانه الحب أسـاسا للعلاقـة الزوجية . إن الـزواج إذا بدأ بهذه العاطفـة الملتهبة التى

يسمونها « الحب » لا يلبث أن تنطفىء جذوتـه بعد سنتين أو ثلاث ، وخاصة إذا بـادرتها الذرية بالمجيء .

الزواج يجب أن يقوم أولا على رضـاء الوالدين ، ورضاء الزوج ، أمـا تخطى إرادة الوالدين ، فما الزواج إذ ذاك إلا نزوة اتصـال ، حتى إذا تم الاتصال وتكرر ، وأصبحت المحبـوبة طوع اليمين . تبخـر كل ذلك الغليـان العـاطفى ، ولم تبق إلا صلـة صداقـة بين الـزوجين هى من أرقى صـور الصداقة ، هذا إذا أخلص كل منهما للآخر ، وأعطى كل منهما حق الوفاء بهذه العلاقة الطاهرة ، التى على أساسها يقوم عمار البيوت ، وبالوفاء تدوم الزوجية سعيدة هانئة .

والويل للزوج أو الزوجة ، إذا بدا من أحدهما إعجاب أو استلطاف لآخر أو لأخرى .

أذكر أننى اشتريت فى العام ١٩٣٦ جهازا للراديو « فيليبس » ماركة النحاس باشا ، فسمعت المرحومة زوجتى غنـاء لـ « رياض السنباطى » فأعجبها الصـوت والتلحين وصارحتنى بهذا فكان ردى أن عليك أن تغلقى الـراديو بمجرد سماعـك لاسم السنباطى مغنيـا أو ملحنا ، فاستجابت دون تردد لما تعـرفه من غيرتى عليها . وأنـا أقول للفتيان والفتيات : احـرصوا على رضاء الـوالدين فيمن تختارون ، فَغَضَبُ الوالـدين له نتائج فى غاية السوء ، ورضاهما لـه من الآثار الطيبة ما يوفر كل سعادة واستقرار . أ ـ هـ .

وفى ص ٢١ من ذكرياته ، يمضى الأستاذ رحمه الله فى ذكر موقفه من المرأة ... يقول :

(ليس للمـرأة دخل فى حيـاتى على الإطلاق ، فما أحببـت بالصـورة الخيـاليـة السائدة لـدى الفتيات والفتيان ، ولو حضرت مجلسا فيه من النساء أكثر من الرجال اعترانى طوفان من الخجل . إننى لا أستطيع أن أنظر إلى امـرأة فى وجهها أو أحدِّق النظـر إليها ، بل إنى لا أحب الحديث إلى النسـاء . قد يـرى المتحضرون أن هذا عيب ، وقـد يرونـه جبنا ... لكننى لا شأن لى بـالنظريـات الحديثة ومساواة المرأة بالرجل ، فأنا مـازلت أعتقد أن الرجل رجل وأن المرأة امرأة ، ولذلك خلقهما الله ، ولايستطيع البشر أن يغيروا حكمة الله فى خلقه مهما قدموا لشبابنا المسكين من نظريات براقة تدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة . إن المرأة التى تؤمن بمساواتها بالرجل ، امرأة فقدت أنوثتها ، قبل أن تخسر عفافها وكرامتها .

وكنت قد أعطيت تعليماتى لـوكيل مكتبى ألا يدخل على امرأة بمفردها ، بـل لابد وأن يدخل معها إلى مكتبى .

ولما حضرت مؤتمرا للنساء فى دولة الإمارات ، كنت أعجب من جرأة بعض السيدات فى توجيه الأسئلـة التى كنت أجيب عنهـا فى لف ودوران ! وكنت فى فنـدق بمـدينـة كـومـو فى إيطـاليـا ، وحـددت موعـدا فى صـالـون الفندق للحـلاقـة فلما دخلت لم أر إلا سيـدات ... فسألت : من سيحلق لى شعــرى ؟ فأشـاروا إلى فتاة . فقلت : أليس من رجـل ؟ فقالـوا : لا . فقلت : « لا

رجل . إذن لا حلاقة » وبات الفندق يتحدث عن هذه الواقعة ، وبت أحمد الله على أنى لم أعصه فى بلاد المتحللين .

هذا هو دور المرأة فى حياتى . ليس إلا زوجة وفيـة ، وفرت لى السعادة المنزلية ، جاءتنى بأبناء وبنـات هم موضع احترام كل من لقيهم ، وأنـا أريد أن أنفى من أذهـان الناس أن هـذا التصرف احتقار منى للمرأة أبدا ... فالله وحده يعلم كم أحترم النساء ، وأرى فى تصرفى هذا غاية الاحتـرام لهن . إننى من الدعاة إلى تعليم المرأة لكى تباشر من الأعمال ما يتناسب مع أنوثتها وشرفها ، حتى تكون دائما فوق مستـوى الشبهات والأقاويل . وحسب المرأة فى الإسـلام أن الله ساوى بينها وبين الرجل فى الحقوق والواجبات ، وفى المثوبة والعقاب) .

* * *

الفصل الرابع

الأخوات المسلمات
مواقف في سبيل الله

إن الثقافة الغربية قد واجهت العالم بسيل غامر من أحاديث أبطالها رجالا ونساء ، ونحن إذ نتحدث عن الفضليات من نساء المسلمين وبطولاتهن قديماً وحديثاً ، نجد أنفسنا فى جو مسموم قد امتلأ بأسماء النساء الغربيات الكافرات ، ففى مدارسنا وصحافتنا وأجهزة إعلامنا لايذكرون فى سجل الخلود عندهم غير جان دارك ومدام كورى أو يتحدثون عن بعض أولئك المتطوعات من أسبانيا فى حرب نابليون ، ولدينا فى تاريخ الإسلام كله ذكريات حافلة بنجوم مشرقة من أولئك المجاهدات الصابرات الخيرات المستبسلات ، اللواتى وقفن حياتهن لإعلاء كلمة الإسلام ورفع رايته ، وناضلن إلى جانب الرجل فى الحدود التى تسمح بها أنظمة الإسلام وتقاليده ... عندنا عائشة فى العلم وأسماء فى مواجهة الطغيان ، والخنساء ونسيبة فى الفداء والاستبسال .

إن تاريخ الإسلام حافل بوقائع كلها عظمة لمسلمات خالدات تحيى فى قلوبنا العز والفخار . ولكن آذاننا ـ واحسرتاه ـ قد أصيبت بصمم عن هذا التاريخ ، لأن أسماء أخرى قد تكدست بها أفكارنا وعقولنا فأصبحنا لانسمع طنيناً ولا دوياً ولا نصغى إلى صوت إلا إذا أقبل ذلك كله من ناحية الغرب .

إن فى تاريخنا الحديث نساء مجاهدات مستبسلات على طريق أسماء والخنساء ونسيبة تجل عن الحصر .

ونحن فى هذه العجالة نورد شواهد وأمثال صادقة لهذه النماذج النسائية التى شملها منهاج الأخوات المسلمات بالتربية والرعاية فغمر قلبها الإيمان وأشرق على نفسها نور تعاليم القرآن ، فشاركت أخاها أو زوجها أو أبناءها رافعة معهم راية الدعوة إلى الله ، عاملة وإياهم على مجابهة الطغيان .

١ـ موقف أم

هذه أم شاء الله لها أن تبتلى ـ كما ابتليت كثير من الأمهات معها ـ باعتقال ولدها الأكبر [(١)] عام ١٩٥٤ ، فما جزعت وما أصيبت بهلع الأم على وليدها عندما يلحقه سوء ، بل كانت المسلمة المؤمنة الصابرة الثابتة ، المدافعة عن الحق والفئة المؤمنة فى هذه الأمة ، إذ طالما ردت سهاماً

(١) هو الأخ محمد عبد المنعم ، أحد الدعاة العاملين بالأسكندرية .

خسيسة من ألسنة المنهزمين والمنافقين ، حاولت النيل من المؤمنين المجاهـدين خلف القضبان . فذكرتنـا بتلك المرأة المسلمة التى واجهت الحجاج وزلزلت طغيـانه وردته خائفـاً مذعوراً وفى ذلك يقول الشاعر :

أسـد علـى وفـى الحـروب نعامـة ... فتخـاء تنفـر مـن صفيـر الصافـر

هلاّ بـرزت إلـى غزالـه فـى الوغـى ... بل كان قلبـك فـى جناحـى طائـر

حتى إذا انقشعت الغمة ، وانتهت هذه المحنة ، فما زادها ذلك إلا صـلابة ووعياً بطبيعة هذه الدعوة التى كان ولدها واحداً من آلاف شبابها .

ثم إذا ما هـوت ضربات الطغيـان ـ لمرة أخرى فى عصر عبـد الناصر ـ على الإخوان المسلمين وجنودهم عام ١٩٦٥ ، وكان ولدها ـ مـرة أخرى ـ من الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولـوا ربنا الله ، رأينـاها ثابتـة الجنان ، رابطـة الجأش ، قوية الإيمان ، عـارفةبطـريق أصحاب الدعوات ، فلم تقل إلا ما قالته أسماء فى ولدهـا عبد الله بن الزبير وهو يواجه القتل : « اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت ، فأثبنى فيه ثواب الصابرين الشاكرين » .

وظلت ثلاثة أعوام لاتراه ولاتسمع إلا أخبار المذبحة الكبرى التى يخوضها الأنكال الأنذال مع العـزل من خيرة أبناء هـذه الأمـة ... حتى إذا سمح المهـزومون فى أعقـاب نكستهم سنـة ١٩٦٧ بالزيارة ، تـذهـب إليه مع الزائرين لا لتقول إن قلبى ملهوف عليك وقد طـالت المحنة ، بل لتشد على يديه وتدعو له وتحثه على الثبات ، وتوصيه بألا يهن أو يضعف ... تقول له هذا ولا يبدو منها غير علامات الفخر والاعتزاز بابنها وبإخوانه فهم فى عينها أمثلة صدق ورجولة . ولاتنتهى الزيارة إلا مع قولها له : إنى لأدعـو المولى سبحانه أن تكون يابنى آخر إخـوانك خروجاً من السجن حين يأذن الله لكم بالخروج ، فأنك عندى لست بأفضل منهم .

وحين يتوفى والـده رحمه الله ، وهو ما يزال بين جـدران السجن ، تكتب إليه مواسية معـزية ، تبلغـه باعتـزام زيارتها له ـ كالمعتاد ـ كى تراه « على حد قولها » يستقبلها بابتسـامة الرضا المعهودة فيه ، وتـروح إليه حين الزيـارة لاترتد سـواداً ، تقص أحداث الوفـاة ، وكيف أنعم الله عليها من فضله رضا وطمأنينـة : فلم تقم للنساء مأتماً ولم يصدر منها إلا ما يصدر من المؤمنـات الصابرات المحتسبات .

وظلت على هذا ـ يرحمها الله ـ تزوره وتكتب إليـه وتحيى إخوانه حين زيـارتها له ، وتبث فيهم الأمل والعزيمة وأنهم الغالبون ، حتى خرج ابنهـا مع آخر من خرجوا من المعتقل . تماماً كما دعت المولى سبحانه فاستجاب دعاءها .

٢ـ موقف أخت عاملة

أخذت على نفسها العهد أن تشارك إخوانها محنتهم ، فها هى تبادر إلى رعاية أسر المسجونين ، بأن تطوف على بيوتهم مشرفة على أبنائهم وبناتهم ... فذلك تتعهد شئونه فى المدرسة أو الجامعة ، وتلك فى مدرستها أو جامعتها ، وهذه تبحث لها عن أخ مؤمن يكون لها نعم الزوج البار الحنون ، وهى بين هؤلاء جميعاً تسدد الديون ، وتحضر كساء الشتاء والصيف ، وتسدد إيجار المنزل ، ولديها ـ بين حنايا صدرها ـ عناوين هؤلاء جميعاً ، وبيان واف بأحوالهم المعيشية والاجتماعية ، لاتنام إلا حين ينامون ، ولا تهدأ إلا بعد أن يجد كل بغيته واحتياجاته ، وعبثا تصل إليها عيون الطغاة وأسماعهم ، ثم يلقون عليها القبض عام ١٩٦٥ ويودعونها ـ وهى الكبيرة المسنة ـ سجن القناطر ، وتحتسب ذلك عند الله ، كما احتسب زوجها الذى أودع ـ فى الليلة ذاتها ـ السجن الحربى ، وتخرج لتستأنف حياة الجهاد ـ فى تجرد خالص واحتساب كريم .

٣ـ موقف زوجة

حينما أودع زوجها المؤمن جدران السجون كتب إليها كما كتب إخوانه إلى زوجاتهم ـ يخيرها بين أن تبقى زوجة ـ على الورق ـ وبين أن تطلب الخلع فهذا حقها ، سيما وقد حكم عليه بالمؤبد ، فما كان منها إلا أن أرسلت إليه عاتبة : أهكذا هانت عليك تلك العشرة الطيبة ، والتى وثقتها أخوة فى الله خالصة جمعت بينى وبينك ، أتضن على أن أشاركك بعض أجرك حين يثقل الله ميزان حسناتك ؟ أم آثرت أن تمض به وحدك ؟ ضاناً به على شريكة حياتك ؟ قد أقسمت ألا يفرق بيننا إلا الموت . وظلت تلك المؤمنة على عهد الله وميثاقه . وخرج إليها زوجها بعد عشرين عاما ليجد البيت الآمن ، والأبناء وقد تخرجوا ، والإبنة وقد أوشكت على الزواج ... ووجد كل شىء فى مكانه ، ليعاودا معا ـ على الطريق ـ حياتها فى طاعة الله .

٤ـ موقف عروس

كانا قد حددا موعدا للزواج فى سبتمبر عام ١٩٦٥ ، وكان كل شىء قد أعد ورتب فى عناية بالغة وحسابات دقيقة ، حتى كانت ليلة طرق فيها زوار الفجر باب البيت بأيد محطمة لكل شىء ، وبدا لهما أن كل شىء قد ضاع ، وحالت بينهما أسوار وجدران . حتى إذا أذن الله لهما أن يريا بعضهما البعض بعد سنوات ثلاث ، جددت معه العهد والميثاق بأنها ستظل له زوجة مهما طالت السنون وباعدت بينهما الأيام ... وعبثا حاول أن يحلها من الارتباط به . بل إن دموعها

المنهمرة حالت بينه وبين أن يتم كلماته إليها . ثم علمناها زائرة له مع بداية كل شهر تحمل إليه أطيب الآمال . وجميل الكلمات المشجعة الحانية الرقيقة ، ثم تكتب إليه تستحلفه بالله ألا يلين أو يضعف ، وأن يكون كما عهدته وكما اختارته ـ صلب القناة ، قوى العزيمة ، صادق الإيمان ... وخرج إليها بعد ست سنوات ست عجاف كى يعمرا البيت بالصلاة والصيام وبتقوى من الله ورضوان ، ويرزقان بعد هذا عددا من البنين والبنات .

* * *

أمينــة علــى ...

وقيــادة الأخــوات من ســرير المـرض

مريضان ، أعفاهما الله ورفع عنهما الحرج من تكاليف الجهاد ...

الأول ، رجل من فلسطين العزيزة ، هو الآن فى سجون يهود ...

والثانى ، امرأة من مصر ، هى الآن فى رحاب الله ...

هذان المريضان ، رغم الداء والإعياء ، قدمتهما الحركة الإسلامية المعاصرة حجة على القادرين وشهادة على الأصحــاء من رجال ونساء المسلمين المقصرين فى أداء فريضــة الجهاد فى سبيل الله ، فضرب الله الأمة بالذل وتداعت عليها الأمم الكافرة من كل جانب ...

الرجل هو الشيخ العظيم أحمد ياسين ، رجل مقعد كسيح لاحراك فيه !

رغم الشلل والعجز الجسمى ، فجر الثورة فى نفوس الشعب الفلسطينى الذى يعيش فى الأسر والحصار وتزيــن له حلول الهزيمة والاستسلام ... قــاد هذا الرجل الانتفاضــة من سرير المرض ، وجعل العالم كله يقف مبهــوتاً وهو يرى شعباً يبعــث من ركام الموت الذى كتبه عليه دعــاة القومية المنتنة وعملاء اليهودية والصليبية والخونة حكام العرب ! !

والمرأة هى الأخت الفاضلــة : أمينة على [1] ، امرأة تعانى من عدة أمـراض (السكر والذبحة الصدرية والقلب) جعلتهــا تلازم سرير المرض ... رغم هذا كلــه لم تعبأ بما يجرى حولها من أخبار السجن والقتل والتعــذيب لــدعاة الإســلام ودفعت الأخــوات وفجــرت فى نفوسهن روح الصمــود والتحدى للإرهــاب والطاغوت مهما كان يملك من قوى البطــش ، وفى ظل المحن الضارية التى صبت على رؤوس الإخــوان المسلمين ، وفى أجــواء التــوجس والخوف الــذى أذل أعنــاق كثير من الرجال قادت الأخوات المسلمات وهن يقمن بــالدور الكبير المنوط بهن فى ظل هذه الظروف التى لم ترحم شيخاً ولا امرأة ولا طفلا ...

هذا الدور المنوط بالأخــوات المسلمات وقمن به بتوفيق الله خير قيام فى مختلف المحن التى مرت بتــاريخ الإخوان المسلمين ... هــذا الدور من أخطــر الأدوار الذى لاغنى للجماعــة عنه كجماعــة جهادية ، حيث تشتــد الحاجة فى ظروف الكرب والمحنة إلى الأيدى الحانية والقلــوب الرحيمة التى تطب الجراح وتبعث أشعــة الأمل فى النفوس المكلــومــة داخل السجون والمعتقــلات وخارجهــا فى بيوت الإخوان ومع ذويهم وأهليهم وأولادهم ...

---

(١) لا نقول أمينة الجوهرى ، فهذا تقليد غربى ، حيث تنسب المرأة بعد الزواج إلى زوجها ، وهو تقليد يرفضه الإسلام ... بل نقول أمينة على أو أمينة زوج الأخ الجوهرى ولا نتشبه بالغرب ، وإن كنا لا نقصد ذلك .

فى سنة ١٩٦٥ م التى كان يضرب فيها فرعون مصر جمال عبد الناصر الإخوان المسلمين ويحاول سحقهم لحساب الشيوعية والإلحاد ... فى هذه السنة لم يدر بذهن المحقق بالسجن أن هذه السيدة المريضة التى تجلس أمامه هى ما تشير إليها أصابع الاتهام فى تقارير المباحث ، فرغم تقدمها فى السن وإصابتها بعدة أمراض تقول هذه التقارير أنها كانت تقود الأخوات من سرير المرض [١].

وتضيف التقارير أن هذه السيدة بالمشاركة مع بعض السيدات ممن ينتمين إلى الأخوات المسلمات هن اللائى قمن برعاية أبناء الشهداء الأيتام والانفاق على بيوت المعتقلين من الإخوان المسلمين ، وتوصل رسائلهم وتنفذ بعض المهام المتعلقة بالإخوان داخل وخارج السجون .

ويتأمل المحقق وجه هذه السيدة المقيدة فى الأغلال أمامه ، فلا يجد إلا قسمات وجه يتحدى الظلم ، وعيونا يتجلى فيها الصمود على منهج الله ، وتقذف السيدة أمينة على فى ظلمات الزنزانة ، ويقدم لها السجان الخبز والعسل الأسود الذى يمنع من أكله مريض السكر !

وتمر الأيام وما بين ساعة وأخرى تستدعى أمينة على للتحقيق ، ومابين وقت وآخر تصاب بالإغماء نتيجة لمرض السكر وشدة الإعياء ! ويأتى أحد المحققين ويستدعى زوجها ـ المعتقل أيضا ـ محمود الجوهرى ، ويقول له : إن الاتهام ثابت على زوجتك ، زوجتك مريضة لاتحتمل الحكم الذى يصدر ضدها ، وخير لك أن توقع على محضر التحقيق وتعلن مسئوليتك عن كل هذه الأعمال ، وتبرىء ساحة زوجتك ، وتسجن أنت مكانها ! ووافق الرجل ووقع على المحضر ليحمل العقوبة التى تواجه شريكة حياته المريضة !

ويكتب طبيب السجن تقريراً يطالب فيه مدير السجن بالإفراج عن السيدة أمينة على التى توشك على الموت داخل الزنزانة ويقول : إن من مصلحتنا أن تموت هذه السيدة فى بيتها خارج السجن طالما أنها ستموت اليوم أو غداً ! وتخرج أختنا من السجن ، بعد أن توقع لها الناس الموت ، وشاء رب الناس أن تعيش بعد هذا اليوم خمسة عشرة عاما ... وكانت تزور زوجها وإخوانه مرةكل أسبوع أو كل أسبوعين رغم مرضها .

لقد كانت بداية الطريق للسيدة أمينة على بعد زواجها من الأستاذ محمود الجوهرى بخمس سنوات ، فقد تزوجا فى عام ١٩٣٥ م ، ولكنهما يعتبران أن ارتباطهما الحقيقى كان فى عام ١٩٤٠ م عندما تعرفا على دعوة الإخوان المسلمين حيث عرفا سر وجودهما ومعنى حياتهما .

لم تحصل السيدة أمينة على على شهادات دراسية ، وإنما كانت تجيد القراءة والكتابة وتحفظ قدراً كبيراً من القرآن الكريم ، وهذا ما مكنها من ممارسة الدعوة ... فكيف كانت البداية ؟

---

(١) نقلا عن موضوع للأستاذ صلاح عبد المقصود ، نشرته مجلة « لواء الإسلام » العدد العاشر الصادر فى غرة جمادى الآخر ١٤٠٨ هـ/ ٢٠ يناير ١٩٨٨م ... بتصرف قليل .

فى سنة ١٩٤٠ م دعيت لحضور درس بعض السيدات فى مسجد صغير يسمى « مسجد أزبك » بالقرب من مسجد أحمد بن طولون ، فحضرت وتكلمت ببعض النصائح البسيطة فجذبت قلوب الحاضرات فتمسكن بها ودعوننا إلى الحضور أسبوعياً ، ومن هذا المسجد الصغير بدأت الفروع فى كل شعبة من شعب الإخوان وكان يحضرها بصفة أساسية زوجات وأمهات وأخوات وبنات الإخوان .

ومن هذا التاريخ انتشرت فروع قسم الأخوات وشملت أنشطته فى الدعوة عدداً كبيراً من شعب الإخوان [1]، الأمر الذى دعا إلى اختيار الزوج وهو الأستاذ محمود الجوهرى سكرتيراً لهذا القسم وليكون حلقة الاتصال بين الأخوات المسلمات عن طريق زوجته وبين رئيس القسم الإمام الشهيد حسن البنا ، ولعل فى رئاسة الإمام البنا لهذا القسم شخصياً ما يلفت نظرنا إلى خطورة قسم الأخوات وأهمية دور المرأة المسلمة فى الدعوة ...

واختيرت السيدة أمينة على أمينة لصندوق قسم الأخوات ، وبعد فترة قصيرة انضم للقسم عدد كبير من خيرة الأخوات مثل الأخت زينب الشعشاعى حرم فضيلة المرحوم الشيخ عبد اللطيف الشعشاعى ، والأخت فاطمة عبد الهادى زوجة الأخ الشهيد محمد يوسف هواش ، والأخت أمال العشماوى زوجة الأخ المستشار منير دلة رحمه الله ، والأخت فاطمة توفيق زوجة الأستاذ عبد المنعم حسن ، والأخت زهرة السنانيرى شقيقة الأخ الشهيد كمال السنانيرى وغيرهن كثيرات .

ونشط العمل فى هذا القسم من أقسام العمل الإخوانى ، وكانت أمينة على ومعها هذه المجموعة الطاهرة قد شكلن وفداً منهن وقع عليه عبء السفر إلى الأقاليم للإشراف على تنظيم فروع الأخوات المسلمات فى أقاليم الوجه البحرى كله وبعض أقاليم الوجه القبلى ، وكان سفرهن يستلزم أن ينتقلن فى جماعة أو كل أخت مع زوجها .

وكانت مجلات الإخوان تخصص جزءاً من صفحاتها لقسم الأخوات ينشرن فيه أفكارهن وأخبار نشاطهن ، وعندما صدرت الجريدة اليومية للإخوان خصص منها مساحة كبيرة لقسم الأخوات والعمل النسائى تحررها مجموعة من الأخوات الفاضلات .

وأنشأت الأخوات مدرسة لتعليم الفقيرات واليتيمات وكان مقرها فى شارع بستان الفاضل فى المنيرة ، وكان يزاول التدريس بها ثلة من الأخوات ذوات الثقافة الواسعة ، وأقيم بها أول معرض للأخوات اشتمل على الملابس والأدوات المنزلية وغيرها حقق نجاحا كبيراً ، وظلت هذه المدرسة تؤدى دورها إلى أن أصابها ما أصاب جميع المؤسسات الإخوانية نتيجة لقرار حل جماعة الإخوان فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ حيث استولت عليها الحكومة الباغية وتوقف نشاطها .

---

(١) كانت الشعب تخلى صباحاً لنشاط الأخوات .

وبنزول المحنة الأولى للإخوان المسلمين سنة ١٩٤٨ حيث أودعوا السجون والمعتقلات برز دور الأخوات المسلمات المدخر لهذه الظروف فتحملن عبء الاتصال ببيوت الإخوان المعتقلين ورعاية أولادهم ، ولاينسى دورهن بالنسبة للإخوان المحكوم عليهم فى قضية « السيارة الجيب » المسجونين بسجن طرة ، حيث قمن باستئجار شقة قريبة من السجن لإعداد كل ما يلزم هؤلاء الإخوان داخل السجن من طعام وملابس حتى أفرج عنهم بعد ثلاث سنوات .

وفى المحنة الضارية الثانية سنة ١٩٥٤ والتى نزلت بالإخوان فى عهد العسكر المشؤم واعتقل وسجن الآلاف من خيرة شباب مصر الطاهر ، شاركت السيدة أمينة على زوجة الإمام الهضيبي (أم أسامة) وابنتها خالدة والسيدة زينب الغزالى والسيدة الفاضلة أم أحمد والسيدات أمينة وحميدة قطب وغيرهن ، حيث كوَّن لجنتين :

- الأولى مهمتها إعداد الطعام والملابس للإخوان بالسجون ، وكانت المسئولة عن هذه اللجنة الأخت زهرة السنانيرى .
- والثانية مهمتها زيارة أسر الإخوان المسجونين بصفة مستمرة وتقديم كل ما تحتاجه كل هذه الأسر مادياً وأدبياً ، بالاضافة إلى القيام بتقديم الشكاوى والاحتجاجات إلى الجهات المسئولة عن الظلم الفادح الواقع على الإخوان المسلمين .

كما كان للأخوات دور كبير خلال هذه المحنة المتوحشة مع بيوت الشهداء من الإخوان وبخاصة شهداء مذبحة ليمان طرة سنة ١٩٥٧ التى راح ضحيتها واحد وعشرون شهيداً ، حيث قمن برعاية اليتامى والتسرية عن قلوب ونفوس الثكالى وحثهن على الصبر والتحمل .

وفى نازلة ١٩٦٥ التى استشهد فيها العالم الربانى سيد قطب وإخوته ... اعتقل فيها أكثر من مائتى أخت من الأخوات المسلمات كان من بينهن السيدة أمينة على ، وكتب الله لها أن تخرج بعد ثلاث شهور لتواصل مسيرة الجهاد المبارك إلى أن لحقت بالرفيق الأعلى فى مارس سنة ١٩٨٠ م .

كانت أمينة على مثلاً يحتذى للزوجة الصالحة والداعية الناجحة ، لم تقصر فى حق زوجها ولم تقصر فى حق دعوتها ووازنت الواجبين فى اعتدال ، فكان يومها يبدأ من الفجر تؤدى ما عليها من واجبات نحو بيتها وزوجها وأولادها ثم تذهب إلى أحد الدروس أو أحد مهام الدعوة فى العاشرة صباحاً لتعود ظهراً قبل أن يعود زوجها .

لقد كانت أختنا وفية لمبادىء الإخوان المسلمين وعهد حسن البنا ، فربت كثيراً من الأخوات على حب الإسلام والتضحية فى سبيله .

كما كانت نعم الأم الصابرة المحتسبة عندما استشهد ابنها المقدم حامد فى معركة العبور فى رمضان برصاصات العدو اليهودى ، فما زادت عن استرجاع وترديد قول الخنساء : الحمد لله الذى شرفنى بقتله وأدعو الله أن يجمعنى به فى مستقر رحمته .

آمــال العشماوى

مثل للفـداء والفنـاء فـى سـبيل الله

آمـال العشماوى ... اسم من الأسماء ، وعلم من الأعـلام يجب أن يظل حياً فى نفـوس الجيل الجديد من الأخوات المسلمات ، ففى مواقفهـا فى سبيل الله وتسخير حياتها لنصرة دعوته دروس فى اشراق الإيمان وقوة العقيدة فى النفس تحفظ ، وفى انتسابها لجماعـة الإخوان المسلمين برهان ساطع من الله على أن دعوته ولود متجـددة لا يصيبها عقم ولا جمود ، فهي الدعوة التى تنجب فى كل آن ومكان وفى كل البيئات أبناء بررة وأعلام أفذاذ يجاهدون من أجل رفعتها وعلو كلمتها ...

نشأت آمال فى بيئة موسرة وبيت صلاح وتقوى يحب الخير لكل الناس ، ولما كان الشبيه يدرك الشبيه ، والطيبون للطيبات والصالحون للصالحات ، فقـد تزوجت من المرحوم الأستاذ منير دلة ، وكان أيضـا شابـاً من أسرة موسرة طيبة عـريقة ، وكان حقـوقياً مثلهـا ، ذلك أنها درست فى كلية الحقـوق وتخرجت منهـا ، ولكنها تفـرغت لخدمـة بيتهـا ودعـوتها ... تعرفت على دعـوة الإخـوان المسلمين هى وزوجها وأخوها وبايعوا الإمام البنا فى الأربعينات .

أمـال العشماوى ، هى كريمـة المرحـوم محمـد العشماوى باشـا ، وزوجـة الأستاذ منير دلـة ، وشقيقة الأستاذ حسن العشماوى رحمهما الله :

الأستاذ محمد العشماوى باشا : وزير المعارف الأسبق الذى عمر فى وزارته فترة طويلة منذ كان وكيـلاً للوزارة إلى أن صـار وزيـراً وكـان مستقلاً عن الأحـزاب . وهـو رجل مشهـود له بـالغيرة الإسـلاميـة . بـايع الإمـام الشهيـد حسن البنـا على العمل لتحقيق أهـــداف الإخـوان المسلمين ومراميهم فى الحكم بكتاب الله . وفى الأيام الأخيرة من عـام ١٩٥٤ م اعتقلته الحكومة بغير سبب ولم تقدر ما قدمـه للأمة من خدمات ، وكان قد جاوز الستين من عمـره ، ولكن حكومة العسكر اعتقلته كـوسيلة خسيســة وغير كريمـة اتخذها طـاغوت مصر ليرغم ابنه حســن على تسليم نفسه لجلاديه .

الأستاذ منير دله : كان مستشاراً بمجلس الدولة ، لازم الإمام البنا فى الأربعينات ... برز اسمه فى الأيام العصيبة التى تلت استشهاد الإمام البنـا ، وفى معترك الحفاظ على نشاط الجماعة وسلامته وصيـانته من الإنحـراف ، كما تألقت شخصيتـه فى عملية اختيـار المرشـد الجديد ، فكـان صوته مسموعاً فى المناقشات التى جرت حول تحديد خليفة حسن البنا ...

ويصف ريتشارد ميتشـل مدير المخـابرات الأمـريكية فى كتـابه « الإخـوان المسلمين » التحاق الأستاذ منير دله رحمه الله وحرمـه السيدة أمال العشماوى بركب الإخوان المسلمين ، أنـه كان بداية نفـاذ الارستقـراطيـة للـدعـوة ... وهـذا شأن الكفـار عنـدمـا يتصـدون لتفسير وقـائع التـاريخ

الإسـلامى ، إذ يوقعهم الكفـر والحقـد والجهل بالإسـلام فى الخطأ ويحول بينهم وبين التفسير الصحيح للواقعـة التاريخية الإسـلامية ... فالإسـلام يقرر : نعم المال الصالح للـرجل الصالح ، وكان سيدنا أبو بكـر وسيدنا عثمان وسيدنا عبد الرحمن بن عوف من أثريـاء الصحابة وكان ثراؤهم خيراً وبركة للدعوة وحركة الجهاد الإسلامى .

إن رمى الأستاذ منير دلة الثراء والارستقراطية ــ كما يقول الأستاذ صالح أبو رفيق فى تعليقه على الكتـاب تجنى على الرجل الـذى ثبت شـامخاً فى المحنة الأولى والثـانية (٥٤ و ١٩٦٥ م) وقـاسم إخوانه حرارة السجـون وقسوة العيش فيها ، وكان بلسماً على إخوانه إلى آخـر رمق فى حياته الحافلة بالخير . حقاً إنـه كان ثرياً وثراء عائلتـه فى الفيوم يشار إليه بالبنان ، ولكنـه أنفق أعز ما يملك فى سبيل الله ونصرة دعوته ، ومن الانصـاف أن نثبت هنا ، أنه رحمه الله لم يترك لحرمه المصـون أكرمها الله وأعزها سوى ثلاثة أفدنة تعيش قانعة عليها فى إحدى قرى الفيوم .

الأستاذ حسن العشماوى : تخرج من كلية الحقوق وعمل وكيـلاً للنائب العام ، ولكنه استقال وعمل فى المحاماة ليتفرغ لشئون دعوته والدفاع عن قضايا الإخوان ، شارك فى صناعة الأحداث ، فكان صديقاً لعبـد الناصر قبل قيام الثورة وساعده على بناء مخبأ فى عزبـة والده لإخفاء السلاح ، وكان أحد أفراد اللجنـة الإخوانية التى التقى بها عبد الناصر لتحديـد دور الإخوان فى قيام الثورة ، والتى نقلت لعبد الناصر شروط الإخوان لكى يشاركـوا فى الثورة ... وبعد قيام الثورة رفض طغيان عبد النـاصر وديكتاتوريته وخنقـه للحريات ، فطلبه الطـاغية حياً أو ميتاً رغم مـا كان بينهما من صداقة ، إلا أنه استطاع أن يفلت ويخرج من مصر مهاجراً .

وعـاش فى المهجـر حتى وافـاه الأجل المحتوم ، وفى المهجـر كتب مذكـراته وقصـة هروبـه فى جـزئين ، وهى من المذكـرات الخطيرة التى تنفـرد بكشف أدق الأسرار عن حقيقـة عبـد النـاصر والعلاقة بينه وبين الإخوان .

فـداء وفنـاء ...

قدم إبراهيم عبد الهادى رئيس الحكومة المصرية رأس حسـن البنا هدية للملك الفاجر فى عيد ميلاده وعربون العمالة لأسيـاده صليبيين ويهود فى أوائل فبراير سنة ١٩٤٩ م ... فهل كان يسكت عنـه شباب الإخـوان فى النظام الخاص ؟ ... لقـد كانت الصـدمة كبيرة وكـان الثمن الذى دفعـه الإخوان فى قتل مرشدهم وإمامهم باهظاً ، فلابد من عمل تقطع به رقبة الخائن ؟ ؟

ودبر هؤلاء الشباب عملاً للقصاص من إبراهيم عبد الهادى ، ولكن الله قدر لهذا العمل عدم النجاح ، حيث تأخـر موكب الخائن ، فتعرض لقنـابل الشباب الإخـوان موكب آخر هـو موكب حامد جـودة رئيس مجلس النواب الذى استطاع الافـلات ، الأمر الذى نتج عنه إصـابة كثير من

المارة وقتل سائق عربة كارو كانت تمر بجوار الموكب ... وهذه هى خلاصة القضية التى عرفت بقضية حامد جودة ، والتى كان الأخ نجيب جويفل هو أحد المتهمين فيها .

وفى نهاية سنة ١٩٥٠ م حيث كان المتهمون لا يزالون فى السجن ينتظرون المحاكمة ، رأى الأستاذ حسن العشماوى رحمه الله ، وكان موكلاً بالدفاع عن نجيب جويفل وفى نفس الوقت كان مسئولا عن لجنة الدفاع عن قضايا الإخوان أن أدلة الاتهام ضد موكله جعلت موقفه عسيراً وإدانته فى قتل صاحب العربة الكارو تبدو محققة وليس من سبيل إلا بالتخطيط لتهريبه .

وتحمس الأستاذ حسن العشماوى للفكرة التى رآها ، وفعلاً هربه من المستشفى التى كان ينزل بها للعلاج إلى مكان آمن بالقاهرة ، ولكن تبقى أخطر مرحلة فى تنفيذ الخطة وهى عملية تهريبه إلى خارج القطر ...

وأبى المرحوم حسن العشماوى إلا أن ينهض بتبعات المخاطرة كلها حتى يتم لموكله النجاة من حبل المشنقة ، ومضت فترة الإعداد لسفر الأخ نجيب جويفل إلى الخارج تخللتها إشعارات وزارة الداخلية بتقديم مكافآت سخية لمن يدل على مكان المتهم الهارب !

ودفعت غيرة المرحوم حسن العشماوى وحميته أن يقوم بنفسه باصطحاب متهمه الهارب بالطائرة إلى لبنان بتغطية غالية هى أسرته وأبنائه ، وكانت الشخصية التى تخفى فيها نجيب جويفل هى شخصية مربية خرساء لأطفال الأستاذ حسن العشماوى .

وبعد إعداد كل شىء وصل ركب المسافرين إلى المطار بصحبة الأخت أمال العشماوى شقيقة الأستاذ حسن العشماوى لتطبع جو الأسرة على المسافرين لتكون فى وداعهم فى صالة المطار ، واستطاع الجميع بتوفيق الله أن يبلغوا الطائرة وأقلعوا إلى لبنان فى أمان الله .

بيت أمال العشماوى :
هو بيت الإخوان المسلمين :

لقد باعت السيدة أمال نفسها لله وسخرت بيتها ومالها فى سبيل الله وإعلاء كلمته ، فكان بيتها بحق بيتاً للدعوة ودارا للإخوان المسلمين ، حيث شهد هذا البيت أخطر الاجتماعات التاريخية التى كانت أمينة على أسرارها ...

المرشد العام الجديد :

حين استشهد الإمام حسن البنا برصاصات غادرة فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ م من الحكومة السعدية العميلة ، كانت جماعة الإخوان المسلمين تعيش مرارة قرار الحل الجائر ، وأعضاؤها : بين سجين ومعتقل وهارب ، ولكن رغم هذه الظروف بدأ الإخوان يفكرون فى اختيار مرشد جديد يجتمعون عليه قبل أن ينفرط عقدهم ...

فنهض الأستاذ منير دلـة بمحاولة لجمع الرأى حـول من يشغل هذا الفراغ دفعاً للفتنـة واتقاء للاختلاف .

وأعدت السيدة أمال العشماوى بيتها وتحت رعايتها عقد اللقاء التاريخى لمن برزت أسماؤهم فى أوساط الجماعـة فى منتصف مايو سنة ١٩٥٠ م ، ويعـرض الأستاذ عبد القادر حلمى قصـة هذا اللقاء فيقول :

تم الاجتماع المشار إليه فى أوائل عام ١٩٥٠ م فى منزل الأستاذ منير دلـة وقد بدأ حوالى التاسعة والنصف مساء ، واستمـر حتى منتصف الليل ، وقد استهل الأستاذ منير رحمه الله حديثـه بتناول المشكلة بأبعـادها وجوانبها المختلفـة ، فعرض عليهم الصورة التى يمكن أن يـؤدى إليها الخلاف بينـــهم ، وترشيـح كل واحـد منهم نفسـه وسط صفـوف الإخوان والانشقـاقـات التى يمكن أن تحدث ، مما سيكـون له أسـوأ الأثر على الجماعة ، فهـو على الأقل سوف يحدث أو يـورث ضغائن بينهم ويصعدهـا مما لايختلف فى شىء عن بقية الأحـزاب ، ولقد كان خطـر هذه الأمور بـالنسبة للأحزاب قليلاً إذ أن منشأها يكون غالبـاً بسبب الدوافع والمصالح الشخصية التى تسيرٌ أفرادها ، أو حتى مصالح الحزب الذى ينتمون إليه ، إلا أن ذلك يختلف فى حالة الإخوان ، فلا يصح ذلك بالنسبة لهم ، فالمفروض ألا مصلحة لأحد فى هذا الأمر إلا ما يقربهم إلى الله .

فـدعـاهم الأستـاذ منير رحمه الله أن يتفقـوا على أحـدهم أو على شخص آخـر غيرهم ، لكى يقدموه إلى الاخوان ، فلا يكون هناك بعد مجال لاختلاف وسط الإخوان .

بدأ الاقتناع التام من الحاضرين بكـلام ورأى الأستاذ منير ، ووافقوا بالاجماع على هذا الاقتراح وأهمية تـوحيد الكلمة ، وضرورة الاتفاق بينهم على رأى ليجنبـوا الإخوان الفرقـة ، وعلى أثر ذلك دعاهـم الأستاذ منير إلى أن يقول كل منهم وجهة نظره الخاصـة ، فإن كان أحدهم يرى نفسه أهلاً وكفؤا لهذا الأمر ، ثم وافق عليه الثلاثة [1] الباقون تكون المشكلة قد انتهت وزال خطرها ...

وعلى أثـر اختلافهم وعـدم اتفـاقهم على واحـد منهم ، أوضح لهم الأستـاذ منير خطورة هـذا الاختـلاف ، ثم عـرض عليهم فكـرتـه التـى تقضى بترشيح شخص آخـر لهذا المنصب ، واقترح عليهم سـاعتها الأستـاذ المرحـوم حسن الهضيبى ، وعرفهم بعـلاقتـه بالـدعـوة من قديم وصلته بالأستاذ البنا وأسبـاب عدم ظهوره ، وكان بعض الحضور يعرف للرجل قدره ومكـانته عند الإمام الشهيد ، ويقدر له دوره ودور حرمه المصون فى معاونة أسر المسجونين والمعتقلين .

وقيل إن الحضور فى هذه الجلسة التاريخية الطيبة قد وافقوا جميعاً على الأستاذ الهضيبى ، فطلب الأستاذ منير دلـة إقرار ذلك كتـابة ، فكتبوا هـذا الاقرار ووافقـوا عليه جميعـاً ، كما اتفقوا فى نفس

(١) كان الأربعة هم :
ـ الشيخ الباقورى
ـ الأستاذ : عبد الحكيم عابدين
ـ الأستاذ : صالح عشماوى
ـ الأستاذ : عبد الرحمن البنا .

الجلسة على عرض الأمر على مكتب الارشاد بكامل هيئته ، ليقر هذا الترشيح ، وينظر فى كيفية عرض الأمر على الهيئة التأسيسة مجتمعة إن أمكن ذلك ، وإلا تم العرض بالتمرر على الأعضاء .

وفى يوم آخر اجتمع مكتب الارشاد فى منزل الأستاذ منير دلة [1] ، ووافق بالاجماع على ترشيح الأستاذ حسن الهضيبى المستشار بمحكمة النقض مرشداً عاماً للجماعة .

لقاء مع ضباط الثورة :

وكما شهد بيت شقيقها المرحوم حسن العشماوى لقاءات تمهيدية للثورة ، شهد بيت السيدة أمال العشماوى لقاء آخر بعد قيام الثورة ...

ففى الخامس والعشرين من فبراير ١٩٥٣ م ، أى بعد قيام الثورة بسبعة شهور عقد فى هذا البيت الكريم لقاء بين ضباط الثورة وقيادة الإخوان المسلمين وعلى رأسهم الإمام الهضيبى رحمه الله يستوضحون فيه رأى جماعة الإخوان فى محادثات الجلاء ... جلاء القوات البريطانية عن مصر بعد استعمار دام سبعون عاماً !

فى هذا اللقاء ومن خلال مناقشاته وضح اتجاه جمال عبد الناصر نحو الديكتاتورية فى حكم مصر ... فى هذا اللقاء لم يكن الأستاذ منير دلة إلا معيدا وشارحاً لما كان يتعذر فهمه على الضباط من آراء الأستاذ الهضيبى .

... وفى نهاية هذا اللقاء ختم الأستاذ الهضيبى قوله محدداً موقف الإخوان بوضوح ، قال : ولكنكم نسيتم أمراً ... أمراً هاماً ، إن الأمر كله بيد هذه الأمة تقرره بممثليها الذين انتخبوا انتخاباً صحيحاً ... وكل ما يتبقى من محاولات واجتهادات منكم تؤجرون عليها إن خلصت نيتكم !

يقول الأستاذ منير رحمه الله : أنا لم أثر هذا ، فهو كان واضحاً منذ بدء حديثك !

يتجه جمال عبد الناصر إلى الأستاذ حسن العشماوى مخاطباً : ماذا يعنى بالأمة ؟

فيزيد الأستاذ حسن العشماوى الأمر وضوحاً بقوله : يعنى هذه الأمة ، ومن يمثلها تمثيلاً صحيحاً فى انتخابات حرة ... ! إن هذه الأمة ليس لأحد الوصاية عليها لمجرد أنه قام بحركة انقلاب عسكرى ... أنت تعلم أنه يعنى ذلك ... فلماذا تتجاهل ذلك الآن ؟ ! !

* * *

(١) لاحظ أن ممتلكات الإخوان ومركزهم العام كان مازال مصادراً ومازال الأمر العسكرى بحل الجماعة قائماً .

هكذا كان بيت أمال العشماوى ملتقى للإخوان فى الأوقات العصيبة وفى الجلسات التاريخية الخطيرة ...

وهكذا كانت الأخت أمال العشماوى تضحى براحتها وبكل شىء تملكه فى سبيل الدعوة ، لقد كانت أختاً عاملة من الأخوات المسلمات .

عرفت معاملتها للأخوات بالصدق والحب والبساطة ، كما عرفت بالهمة العالية ، فشاركت فى الدعوة ونشرها والخدمة الاجتماعية ورعاية أسر الإخوان ، وافتتحت مدرسة لتعليم الفتيات الفقيرات واليتيمات .

كان الامام الشهيد يعتبرها مثال الأخت المثقفة الداعية المجاهدة التى حملت الدعوة فى صدق فوهبتها كل وقتها وعواطفها وماها بصورة فذة تحتذى ... لقد كانت ذات قدرة على تحمل التبعات والمهام الجسيمة وكتمان الأسرار ، لقد عقد فى بيتها اجتماعات خطيرة بين قيادة الاخوان وبين ضباط الثورة بعد الثورة وقبل الثورة للإعداد لها ، واجتماعات لمكتب الإرشاد ، واجتماعات تنظيمية أخرى كان لها أبعد الآثار فى حركة الدعوة كانت أمينة على أسرارها ...

تقبل الله بذلها وتضحيتها وعملها كله ، وجعله فى ميزانها يوم العرض عليه .

* * *

أمينة قطب

وملحمة الحب العظيم

اعتقل فى سبتمبر سنة ١٩٨١ مع جميع أفراد مجلة الدعوة ...

وبقى معنا فى سجن استقبال طره حتى الليلة الأخيرة التى قضيناها فى هذا المعتقل ... كان طوال تلك الفترة متألقاً ... نضراً ... مطمئناً ... راضياً ... مضىء الوجه باسماً أبداً ... يفيض عاطفة للجميع ... لم أره طوال السنوات العشر التى قضيناها معه منذ لقائى الأول به فى سجن قنا على مثل ما كان عليه فى تلك الأيام ، فكنت أقول لنفسى :

« كان عريساً ... » .

وفى الليلة الأخيرة ... ضابط سجان برتبة رائد نادى عليه بأعلى صوته : محمد كمال الدين السنانيرى ... فأجابه ... ففتح عليه باب الزنزانة . ووقفت على باب الزنزانة فرأيته للمرة الأخيرة يمشى فى وقار ... بثوبه الأبيض ... وعباءته الحمراء وخلفه الضابط السجان ...

وانتظرنا عودته طوال الليل ... لكنه لم يعد ...

فى الصباح رُحِّلنا إلى سجن « أبو زعبل » دونه وبقى وحده هناكٌ

وجاءنا نبأ استشهاده ... ونحن فى سجن « أبو زعبل » [١] .

وهكذا فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٨١ م ، زفت ملائكة السماء « عريس الإخوان المسلمين » الأستاذ كمال الدين السنانيرى إلى الملأ الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء ... وقدم وزير داخلية [٢] مصر الحزينة جسده الطاهر الذى ساموه كل صنوف التعذيب عربون وفاء وولاء للفرعون الذليل .

ومضى الأستاذ كمال الدين السنانيرى عزيزاً مكرماً بعد حياة حافلة بالعمل والجهاد فى سبيل الله وخلف لزوجه الفجيعة والأسى والألم ، فلم يكن بالنسبة لها مجرد رجل وزوج ، ولكنه كان الروح التى هامت بها حباً ...

أرأيت يا أخى ، كم ستكون حجم الفجيعة فى نفس الزوجة فى تعبير الصحابية الجليلة لرسول الله ﷺ عندما نعى إليها أولادها لو أن زوجها هو الذى استشهد ؟ !

---

(١) كلمات للأستاذ جابر رزق رحمه الله فى ذكرى استشهاد الأستاذ السنانيرى ، نشرت بمجلة « لواء الاسلام » الصفحة الأخيرة ـ العدد الثامن (ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ / ٢٣ نوفمبر ١٩٨٧ م) .

(٢) وزير الداخلية كان حاضراً فى هذا السجن فى تلك الليلة .

وفى حالتنـا كم يكون حجم المأسـاة فى نفس الزوجـة عندما تكـون الزوجـة شاعـرة وأديبة هى الأخت أمينة قطب ، أجزل الله مثوبتها ...

لقد خلفت لنا المأساة جملـة من المشاعر الراقية المرفرفة فى الحب والوفـاء لزوج مجاهد لم تحنى له رأس ولم تلن له قناة أمام الطواغيت ، سجلتها زوجة محبـة هائمة فى منظومة من القصائد ، لتكون ترنيمـة الأخت المسلمة فى ظل البأسـاء والضراء لتمتنع على الطغـاة والجبابـرة الـذين غيبوا عنهـا زوجها ...

إن قصـة الأخت أمينة قطب مع المجـاهد العظيم كمال الـدين السنانيرى تكتب بماء الـذهب لتكون نبراساً وضوءاً لامعاً على الطريق للأجيال من الأخوات المسلمات :

سجن المجاهـد الشهيد كمال الدين السنانيرى فى عـام ١٩٥٤ م ، وقدمه الطاغيـة جمال عبد الناصر إلى محاكمـة صورية مع إخوانـه من الإخوان المسلمين ، وحكم عليه بـالإعدام ، ثم خفف الحكم إلى الأشغال الشاقـة المؤبدة (٢٥ سنة) وكتب الطاغيـة على (كارت) السجن : (أشغال شاقة مؤبدة ثم يعاد إلى المعتقل) أى بعد أن يقضى مدة العقوبة يعاد بعدها إلى المعتقل !

وبعد أن قضى خمس سنـوات من المدة ، وأثناء ذهـابه إلى مستشفى سجن ليمان طره للعلاج التقى هناك بأخيه الشهيد سيد قطب ، وطلب منه يد أخته (أمينه) ، وعاد إلى سجنه

وعرض الأستاذ سيد الأمـر على أخته ... أمر ذلك العريس الذى يقضى عقوبـة المؤبد وباقى منها عشرون سنة ، فما كان من الأخت المسلمة إلا أن وافقت بلا تردد ، وأخذت عنوان ذلك الأخ وزارته فى السجن وتمت الرؤية ثم عقد الزواج الذى كان مثـار سخرية من الناس ، وقويت الرابطة بينهما من وراء الأسـوار ، وكانت زيـاراتها ورسائلهـا إليـه بما تحمل من روح دافعة تتحـدى الظلم والظالمين والسجن والسجانين تقوى من أزره وأزر إخوانه .

وعندما زارته مرة فى سجن قنا وكان بـرفقتها شقيقته زهرة ، لم تسكت زهرة بل حكت لشقيقها عن وعثاء الطريق وما تكبدتاه من مشقات حتى وصلتا إليه منذ أن ركبتا القطار من القاهرة إلى قنا ثم إلى السجن ...

فتوجـه الشهيد إلى زوجه من وراء القضبان وقـال لها : « لقد طال الأمـد وأنا مشفق عليك من هذا العناء ، ومثل ما قلت لك فى بـدء ارتباطنا قد أخرج غداً وقـد أمضى العشرين سنة الباقية ، وقـد ينقضى الأجل وأنـا هنا ، فلـك الآن مطلق الحرية فى أن تتخـذى مـا تـرينه صـالحاً فى أمـر مستقبلك ، ولا أريد ولا أرتضى لنفسى أن أكـون عقبة فى طريق سعادتك ... إنهم يفـاوضوننا فى تأييد الطاغية ثمناً لـلإفراج عنا ، ولن ينالوا منى بإذن الله ما يريدون حتى لـو مزقونى إرباً ، فلك الخيار من الآن ، واكتبى لى ما يستقر عليه رأيك ، والله يوفقك لما فيه الخير » !

وأرادت الأخت المجاهـدة أن تجيب زوجها المجـاهد إلا أن السجـان أمرهـا بالانصراف حيث

انتهت الزيارة . وعادت إلى البيت لتكتب له رسالة ضمن قصيدة نظمتها له لتعلن فيها أنها اختارت طريق الجهاد ... طريق الجنة الملىء بالأشواك ، المزين بالآلام والدماء ... وقالت له : دعنى يازوجى الحبيب أشاركك هذا الطريق ! وفعلت هذه القصيدة فعلها فى نفس الأخ المجاهد .

وأفرج عن المجاهد ، وخرج من السجن بعد أن قضى ثنتا وعشرين وراء أسواره ليسلم نفسه كما يفعل الجندى الأمين إلى القائد ليتلقى منه أوامره الجديدة ، فلم تطر نفسه فرحاً بالأفراح فيهرول إلى بيته لينعم بالحرية ! ! ولكن ليس هذا شأن المجاهد وجندى العقيدة ... ويأمره المرشد بالعودة إلى بيته حتى يتلقى أوامر جديدة .

وتم الزواج ، وعاشت الأخت معه أحلى سنوات العمر ، وفى الرابع من سبتمبر سنة ١٩٨١ م اختطف منها مرة أخرى ليودع السجن ، ويبقى فيه إلى أن يلقى الله شهيداً فى السادس من نوفمبر من نفس العام .

ونظمت الأخت المجاهدة الشاعرة مجموعة من القصائد فى صورة رسائل وجهتها إليه عبرت فيها عن أروع ملحمة للحب لزوج عظيم والوفاء لحياة رفرفت عليها ملائكة الرحمن وزواج باركه الله ، وقدمت هذه الرسائل بهذه المقدمة : « هذه الرسائل كلها إليك ... كتبتها بعد تلك الليلة ، بعد أن غادرت بيتنا ولم تعد ...

إنها أول رسائل لن تراها ولن تقرأها ، ولن تبعث بعدها برد ... ولكنى كتبتها إليك رغم هذا اليقين ، فما كنت أملك حبس الدموع وأنت ترحل عنى بلا عودة .

إنها إليك فى الدار التى سعيت لها وأدركتها فى نهاية المطاف .

إنها تهنئة ، أبعث بها إليك ، حتى ألقاك ، بعد المسير العانى وعورة الطريق ... إنها وفاء وعهد على السير ، مع القافلة التى ما انقطع سيرها على مر الزمان إلى ذلك المرتقى البعيد .

إنها إليك وإلى السائرين على الدرب ، رغم أشواك الطريق ، فإذا كانت الدموع تملأها فمعذرة ، فقد تركتنى وحدى أكمل بقية المسير ... إنها دموع الفراق ، حتى ألقاك عند ذلك المرتقى بإذن الله ... مع قوافل الواصلين .

يضم ديوانها رسائل إلى شهيد ، وهو أول ديوان لها ـ أكثر من عشرين قصيدة بكت فيها زوجها المجاهد الحبيب بدموعها التى خطت بها رسائلها إليه ...

تقول فى قصيدة لها بعنوان « صفحات مضيئة من عمره » : إنها فتشت فى تاريخه فى مرحلة ما قبل التحاق بالقافلة المؤمنة وفى مرحلة ما بعد التحاقه علها تجد ما يصدها عنه ويضع نهاية لدموعها ، فلم تجد غير وجه يعلوه البشر دائما ولسان عف يؤثر الصمت الجميل حتى ارتبط بالجماعة المؤمنة فتمثلت فى شخصه الجندية الصادقة والصلابة فى الحق ، رضى أن يقضى زهرة

شبابه فى السجن فى طاعة الله ولا أن يعصى الله إرضاء للطاغوت ، فظل فى السجن صابراً محتسباً إلا من فترة قصيرة عادوا بعدها به إلى السجن ، وهناك تحققت له الشهادة التى كان يطلبها ... تقول :

قلَّبتُ في صفحات عمركَ علَّني
ألْقى من الأخطاءِ ما يُنْسيني
إشراقةُ الوجهِ الحبيب على المدَى
منذ التقْينا ، من عديد سنينِ
فتشتْ علَّ الذكريات تصدّني
عنها وتهجُرني دموعُ أنيني
فبحثْتُ في عهد الشَّباب فلم أجدْ
عملاً معيباً مخجلاً لجبينِ
عفّ اللسان ، وعن حديثٍ هابطٍ
تنأى وتبعُد ، مؤثرا لِسكُونِ
حتى ارتبطتَ مع الصّحاب مجاهداً
في بَيعةٍ تمْضي وصدقِ يقينِ
وهناكَ في الوادى البعيدِ قضيتها
أيامَ عمرٍ في عذاب سُجونِ
في القَبْو محبوس الأماني والرؤى
في ظلمةِ الطُّغيان ، قيد مَنُونِ
يذْوي شبابُك في متاعبَ أو ضنيٍّ
يبغي به الفجّار ، سحْق الدِّينِ
ما بحتَ يوماً للطّغاةِ بلفظةٍ
تُرضي الطغاة ، مُطأطِئاً لجَبينِ
تبْغي بها أهلاً هناك على المدَى
في البعْد يُضنيهمْ عَناءُ سِنينِ

ما ثــرَّ تحــتَ الضغــط منكَ تنــازلٌ

فــي دعــوةٍ لـلــَّـه أو للـــدِّينِ

مـا قلــتَ للفجــّار أبْغــي منــزلاً

طـــاَل اشــتياقي نحـــوه وحَنينــي

أَعْيتهــمُ الحِيَــل الكثــيرةُ علَّهــمْ

يجدونَ صدّعــاً فـي جــدار عَريــنِ

فيـــه أُســودٌ يرفضــونَ تنـــازُلاً

تحـتَ العــذاب ، بلفظــةٍ أو لِيــنِ

حتـى مُنِحتـُم مــن كريــمٍ قــادرٍ

فرجــاً مـن الأغــلال ، بعــدَ ســنينِ

وإذا العميـلُ ، يعـود للضغـط الغشـو

مِ معـذبــاً ، الحيــنَ ، بعــدَ الحيــنِ

لا يُبتغـــي غيــرَ الهــلاكِ لدعـــوةٍ

ودعـــاةِ أمــن للأنـــامِ مَكيـــنِ

وإذا الســّجونُ تفتَّحـــت أبوابُهـــا

ليغيــبَ بالظلُمــات ، كــلُّ أَميــنِ

فـي ذلــك اليــومِ الحزيــن تركتنــي

وإذا بليـــلِ مظلـــمٍ يحْوينـــي

ولقـدْ تركـت مــن الســّحورِ بقيـــةً

كانـــتْ لقلبـــي جمـــرةً تكْوينـــي

ظلـّت تعذّبُنـــي ، تقــضُّ مضاجِعــي

هـل ســوف تبقــى مُبعـداً لِســنينِ ؟

وهناكَ في ظلمــات ســجنك قلتهــا

كلمـــاتِ حـــقٍّ ناصِعــاتِ جَبيـــنِ

لـم يرتـضِ الفجـّـار ثقلـةَ ســحقِها
لفجُورهـــم أو كشـــفَها لخـــــؤُونِ
فــإذا المشـانـقُ فــي ظــلام سـجُونهِم
منصوبـــةٌ ، فــي ثـــورةٍ وجُنـــونِ
دافعــتَ عــن ديــنٍ وبَيعــة مؤمـــنٍ
بـدمِ الشـَّهيد ، أجـلْ ، وحـبّ أَميـنِ
وإذا بروحــكَ فــي الســَّماء طليقـــةٌ
تبغـــي الجِنــانَ ، بِلهفــةٍ وحَنيـــنِ
كم عشتَ ترقُـب فـي الحيـاة ظِلالهـــا
حتـى بذلـتَ العمــرَ ، غيـرَ ضَنـــينِ
هـــذى صحائفــُك التــي قلَّبتهـــا
فيهـــا فخـــاراتٌ وعـــزمُ أميـــنِ
فيهـا علـى الـدّرب الطّويـل منـــارةٌ
للقادميـــن بـــهِ ، وخيـــرُ مُعيـــنِ
زاملـْتَ (ســيِّد) بالجـنانِ وصحْبـَهُ
والسابقيــن ، علــى مـَدارِ ســنينِ
كيـفَ الحيــاةُ إذنْ وكيـــف أعيشُهـا ؟
فـــي عالـــمٍ خـــاوٍ وجــدّ حزيـــنِ ؟
في القفـــْر أحْيـا ، والحيـــاةُ مريـــرةٌ
بعــدَ الفـراقِ ، وفـي هَجِيـرِ شـُجوني
أحيـْا لأنـــي قــد وجــدتُ طريقكـــمْ
خيــرَ المســالكِ للغــدِ المأمــــونِ
فهنـــاكَ ألقاكــُم وألقـــَى ســــيِّداً
بيـن الجِنـــان وبيـــن ســحر عُيـــونِ

إنـي سـأمضي خلـفَ خطْوكُمـا غـداً
والله أرجــو أن يكــونَ مُعينـــي
بعـدَ الفـراق وبعــد غربــةِ عالــمٍ
تمْضــي بــه الأيـامُ وســط أتـــونِ
وهنــاكَ يرتـــاح المســير وينْمــحي
تعـبُ الحيــاة ، ويســـتقرُّ ســـفيني

ثم تمضي في قصيدة أخرى بعنوان « عهد على الأيام » ، لتؤكد موثقها معه وعهدها الذى لن يعتريه نسيان ، وأنها سترضى بقضاء الله وتتجمل برداء الصبر حتى يلتقيا هناك فى الفردوس الأعلى بإذن الله ، وستظل على الطريق تجاهد الطواغيت والبغاة ما بقى فيها نفس يتردد وقلب يخفق ... تقول :

إنّـي علـى العهـد والأيـّام باقيـــةٌ
لا يقـربُ القلـبَ نسـيانٌ على الدَّهـرِ
ولـم يُباعــدْ خيالــي ذكــر رابطـــةٍ
كانتْ لدينِ حوَاهـا اللـوحُ مـن سِفْري
قـــد وثـق السِّجن والآلامُ عُروتَهـــا
وعزَّزتْهــا مثــاتٌ مــن نــدى الذِّكـــرِ
كـان الحِفــاظُ عليهــا طـولَ خطْبِتـــنا
مثــارَ سخريــةٍ في عالــم البشـــرِ ؟
قـد ظنّهـا النـاسُ فـي ميزانِهـم عبَثــاً
لا يُرتجـى منـه غيـرُ الهـمِّ والكـــدَرِ
أُخـــوّةٌ فـــي طريــق اللــّه ترفعُنــــا
فـــوق المعانــــاةِ والآلام والقهـــرِ
كـان ابتغــاءَ الرّضــى للـّـه مطلُبنــا
مهمـا توالـتْ خُطـوبُ البغـي والغـدرِ

لم نبتغِ العيشَ والأيام في رغدٍ
أو راحةً من عناءِ الجَهدِ والسَّهرِ
كنّا على الدَّرب نمضي لا يُخالجُنا
شكٌّ بأنّا نُريد الخيرَ للبشرِ
حتّى انتقلتَ إلى الرحمان ملتزماً
ترجُو الشهادَة ، تَفْدي الدين بالعُمرِ
أوصيتني بالرِّضى بعد الفِراق عسى
أن نلْتقي في رحاب اللّه ، بالصّبرِ
فهل تُراني على الأيّام ناسيةً
ما كانَ في عهْدنا من واقعٍ عَطِرِ ؟
إني على العهْد والأيام باقيةٌ
لن يقرب القلبَ نسيانٌ مدى العُمرِ
وسوف أمضي بإذن اللّه صابرةً
ولن تزيغَ الخطا عن مطلبِ النَّصرِ
ولن يكفَّ جهادي للبُغاةِ إلى
أنْ تُسلبَ الرُّوحُ والأنفاسُ من صَدري
لعلَّ في روضةِ الرَّحمانِ موعدَنا
فكمْ لدى اللّه للنّاجينَ من خيرِ

وشاركت أمينة إخوتها فى كتابهم المشترك « الأطياف الأربعة » ، وعرّف عليها الأستاذ سيد فى الكتاب قائلاً : « تلك الفتاة الهادئة أمينة ، إنها ساربة فى الماضى ، لاتكاد منه تعود ، إنها شاعرة ، ثروتها من التصورات أجزل من ثروتها فى التعبير . إنها مستغرقة فى حُلْم : بالمستقبل الذى لاتملك وبالماضى الذى لن يعود » ... وكانت مشاركتها فى الكتاب بأقاصيص قصيرة ...

وكما تقرض أمينة الشعر تكتب فى القصة ، حيث أصدرت مجموعتين : الأولى : « فى تيار الحياة » ، أهدتها إلى شقيقها سيد ومحمد ... تقول : « يا شقيقيَّ الحبيبين : إليكما أهدى هذه

الأقاصيص . إن فى بعضها صرخات فى التيه . قبل أن تبدو لعينىَّ معالم الطريق المأمون . وفى بعضها الآخر خطوات متعثرة ، فى منحنيات الطريق الطويل ، فتقبلاها منى . ريثما أتحسس المعالم والسمات ، وأدرب قدمىّ على مشاق الصعود » .

وقد تعرفت « أمينة » بعد ذلك على الطريق ، ودربت قدميها على مشاق صعوده ، فصعدته بخطى واثقة ، وتحملت مشاقه وأهواله ، وأخذت نصيبها من السجن والتعذيب والمحنة والابتلاء ، فصبرت واحتسبت ...

والمجموعة الثانية « فى الطريق » ويظهر فيها توجهها الاسلامى واضحاً ، وقد عبرت عن هذا بقولها : « ومن ثم كانت مجموعة أقاصيص الثانية « فى الطريق » محاولة أولية لإيجاد قصة نظيفة ، تأخذ طابعا إنسانيا ، يلون أحساسيس الاسلام والوجود الإيمانى فى داخله » .

وقد رأى النقاد أن هذه الكاتبة يتمثل فيها التعبير عن الحياة من خلال التصور الإسلامى ...

* * *

زينب الغزالى . . .
والصمود فى مواجهة الطاغوت

دارت الأحداث بسرعة ووقعت حوادث سنة ١٩٤٨ م الأليمة :

هزمت العصابات اليهودية فى فلسطين الجيوش العربية ، وأعلنت اسرائيل دولة فى قلب الوطن العربى ! !

وصدر الأمر العسكرى الجائر بحل هيئة الإخوان المسلمين وجميع شعبها فى القطر المصرى ، ومصادرة أملاكها ومؤسساتها ، وزج بالآلاف فى المعتقلات والسجون ...

فى هذه الفترة الحالكة من تاريخنا برز دور الأخوات المسلمات باعتبارهن خط الدفاع الثانى للحركة الاسلامية ، وقمن بنشاط مبارك ، وكانت السيدة تحية الجبيلى زوجة أخيها وابنة عمها احدى الأخوات اللائى نهضن بنشاط موفور مشكور فى رعاية أسر الإخوان خلال هذه المحنة ، ومنها عرفت الكثير ، ووجدت نفسها فى شوق عارم إلى التعرف على كل مناهج وأساليب حسن البنا مؤسس جماعة الاخوان ومرشدها ، وأسباب دعوته لها باندماج جماعة السيدات المسلمات فى قسم الأخوات المسلمات ... وجماعة السيدات المسلمات هى الجماعة النسائية التى أسستها سنة ١٩٣٦ م عقب استقالتها من الاتحاد النسائى العام الذى كانت تترأسه هدى شعراوى ! ! والأخوات المسلمات هن التشكيل النسائى التابع لحركة الإخوان المسلمين وأحد أقسام هيئتهم العامة ، وكان الإمام البنا قد دعاها إلى تولى رئاسته فى أول لقاء لهما سنة ١٩٣٧ م ودمج « جماعة السيدات المسلمات » فى قسم الأخوات وتوحيد نشاطهما داخل الإطار العام لحركة الإخوان المسلمين ... ولكن هذا المطلب لم يتم ، حيث حبذت السيدة زينب الغزالى وجود تنسيق وتعاون ، على أن تكون « جماعة السيدات المسلمات » إحدى لبنات الاخوان المسلمين(١) .

تقول السيدة بارك الله جهادها : (وفى صبيحة اليوم التالى لحل جماعة الاخوان ، وكنت فى مكتبى فى دار السيدات المسلمات ، وفى الحجرة التى عقد فيها آخر اجتماع لى بالمرشد الإمام ، وجدت نفسى أجلس إلى مكتبى وأضع رأسى بين يدى وأبكى بكاءاً شديداً ، فقد أحسست أن حسن البنا كان على حق ، فهو الإمام الذى يجب أن يبايعه المسلمون جميعاً على الجهاد بعودة المسلمين إلى مقعد مسئوليتهم ... وأحسست بأن حسن البنا كان أقوى منى وأكثر صراحة ... ثم وجدت نفسى أتصل بالسكرتير ليوصلنى بالأخ عبد الحفيظ الصيفى الذى كلفته بنقل رسالة شفوية للإمام البنا يذكره بعهدى فى آخر لقاء لنا ، وحين عاد لى بتحيته ودعائه ، استدعيت أخى

---

(١) كان الإمام البنا رحمه الله يطمح فى أن يكون الاندماج تاماً ، ليستفيد بقدرات وامكانيات الحاجة زينب القيادية فى دفع الحركة النسائية الاسلامية لتتوازى فى تقدمها مع حركة الهيئة العامة للإخوان المسلمين ، ومواجهة تيار التحلل الاجتماعى الذى تقوده دوائر الاستعمار والهيئات النسائية المنبهرة بنمط الحياة فى الغرب .

محمد الغزالى وكلفته بإيصال وريقة بواسطته أو بواسطة زوجته إلى الإمام المرشد ، وأذكر أننى كتبت فى هذه الوريقة : (سيدى الإمام حسن البنا ، زينب الغزالى تتقدم إليك اليوم وهى أَمَة عارية من كل شىء ، إلا من عبوديتها لله وتعبيد نفسها لخدمة دعوة الله ، وأنت اليوم الإنسان الوحيد الذى يستطيع أن يبيع هـذه الأَمَة بالثمن الـذى يرضيـه لدعـوة الله تعالى . فى انتظـار أوامرك وتعليماتك سيدى الإمام ...

وعاد شقيقى ليحـدد لى لقاء سريعاً فى دار الشبان المسلمين ... ولم أكن أعـدم مبرراً لتواجدى هناك فقـد ذهبت إلى صالة دار الشبان لإلقـاء محاضرة والتقيت بالأستاذ البنـا فقلت له : « اللهم إنى أبايعـك على العمـل لقيـام دولـة الاسـلام وأرخص مـا أقـدم فى سبيلهـا دمى والسيـدات المسلمات » . فقال : « وأنا قبلت البيعة ، وتظل السيدات المسلمات الآن على ماهى عليه » .

وافترقنا على أن يكون اتصالنا بواسطة منزل أخى ، وكانت أول رسالة من الإمام الشهيد تكليفاً لى بالقيام إلى النحـاس ليتوسط بين الاخوان والحكومة ، وكلف النحاس بـاشا المرحوم أمين خليل للقيام بإزالة سوء التفاهم ورضى به الامام الشهيد ، وكنت أنا حلقة الاتصال ... وفى إحدى ليالى فبراير سنـة ١٩٤٩ جاءنى رسـول من أمين خليل يقول لى : يجب اتخاذ اجـراءات سريعة ليسـافر البنا من القاهرة فالمجرمون يتآمرون به ليقتلوه . ولم أجد وسيلة للاتصال به مباشرة فقد اعتقل أخى ، فحاولت الاتصال بالامام الشهيد شخصياً وأنا فى طريقى إليه بلغنى خبر الاغتيال .

ومرت المحنة وخرج الاخوان منها أصلب عوداً وعادوا إلى ساحة الدعوة بقيادة مرشدهم الجديد الإمام حسن الهضيبى ... وكانت ـ أكرمها الله ـ قد أهدت المركز العام « طقم صالون » ليؤسس به مكتب المرشد العـام ، وجاءهـا الأستاذ الشهيد عبـد القادر عودة وشكـرها على هـذه الهدية التى تحمل معانى الولاء والوفاء للجماعة ، وقال : أن صارت زينب الغزالى الجبيلى من الاخوان المسلمين فقالت : أرجو أن أكون بإذن الله ...

وسارت الأمور فى هدوء ومودة بينها وبين الكثير من أفراد الجماعة ، حتى جاءت الثورة وعرفت حقيقتها وأنها ليست الثـورة المنتظرة ، فأعلنت رأيها على صفحات مجلـة « السيدات المسلمات » فى أنه لايجوز لأحـد من الإخوان أن يـوالى حكومة علمانيـة لاتحكم بما أنزل الله ... ! ! وزارهـا الأستاذ الشهيد عبد القادر عودة للمرة الثانية حاملاً أمراً من فضيلة المرشد بعدم الكتابة فى هذا الموضوع .

تقـول : (فتـذكرت بيعتى للإمـام البنا ، واعتقـدت أن الولاء قـائم بها للهضيبى ، وامتثلت للأمـر ... ومنذ ذلك الـوقت والبيعة تحكم تصرفـاتى ، حتى ما يبـدو منها خاصـاً كرحلـة مؤتمر السلام فى فينيا التى لم أقم بها إلا بعد أن حصلت على إذن الإمام المرشد الهضيبى) .

المواجهـــة :

وجـاءت أحداث عـام ١٩٥٤ م بكل مخازيها بعد أن سقطـت الأقنعة عن وجـه عبد النـاصر

وبانت حقيقة كراهيته للاسلام وتآمره على الإخوان ، فشردهم ، وصادر أموالهم وممتلكاتهم ودورهم ومؤسساتهم ، وألقى بهم فى غياهب السجون والمعتقلات وعلق لهم المشانق واستباح نفوسهم وحرماتهم ، ومارس معهم أحدث أساليب التعذيب التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا ...

فهذه ساحات السجن الحربى وزنازينه تشهد على عار هذا العهد ومخازى هذا الفرعون اللعين ، لقد زود هذا بنوع خسيس من الزبانية ، غلاظ الاكباد لم تستشعر قلوبهم الرحمة ، مدربين على كل وسائل القتل والأذى والتعذيب ... وقصة السجن الحربى هذه بكل ما تحمله من مآسى وآلام حكاها شعراً فى « الملحمة النونية »[1] فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى .

لقد كانت مأساة عام ١٩٥٤ م من أشق وأقسى المآسى على نفس هذه الأخت الكبرى ، حيث صرخات اليتامى الذين فقدوا آباءهم بالتعذيب ودموع النساء اللائى ترملن وهؤلاء اللائى حيل بينهن وبين رجالهن بقضبان السجون والمعتقلات ... كانت دموع هؤلاء وآلامهن تنفذ إلى أعماقها ، فوجدت نفسها وكأنها من المسئولين عن ضياع الجياع وجراح المعذبين ، فذهبت للشيخ الأودن رحمه الله وبعد أن حدثته عن مأساة الأسر ، قالت : أرى أننى أستطيع كرئيسة للسيدات المسلمات أن أقدم العون إن شاء الله لأسر الاخوان بما يمكننى الله ... فقال فضيلته وهو يبكى : لا ترددى فى أى عون ، والله هو المبارك للخطا ، لقد أصبح فرضاً عليك أن لا تبخلى بجهد فى هذا الطريق ، وما تقومين به اجعليه بينك وبين الله ، ثم أضاف : إن المنقذ الوحيد بأمر الله للاسلام هم هؤلاء المعذبون « الاخوان المسلمون » ، لا أمل لنا إلا فى الله ثم فى إخلاصهم وما يبذلون فى سبيل الدعوة ، اعملى يا زينب كل ما تستطيعين عمله ...

وجاهدت فى هذا الميدان جهاداً مشكوراً ...

ثم علمت أن الوالدة المجاهدة الكبيرة حرم الأستاذ الهضيبى تبذل هى أيضاً مجهوداً كبيراً مع

---

(١) قصيدة نظمها فضيلته داخل السجن عام ١٩٥٥ م خلال فترة اعتقاله ، تتكون من ٢٩٤ بيتاً ، يقول فى بعضها يصف حفل الاستقبال لخيرة دعاة مصر فى ساحة « الحربى » .

بالرجل ... بالكرباج ... باليد ... بالعصا
وبكل أسلوب خسيس دون

ويصف بعض ألوان التعذيب والممارسات الوحشية التى تمت فى ساحات وزنازين هذا السجن :

فترى العساكر والكلاب معدة ... للنهش طوع القائد المفتون

* * *

أسمعت بالانسان يضغط رأسه ... بالطوق حتى ينتهى لجنون !
أسمعت بالانسان ينفخ بطنه ... حتى يرى فى هيئة البالون ؟ !
أسمعت بالانسان يشعل جسمه ... ناراً وقد صبغوه « بالفزلين » ؟
بالنار أو بالزمهرير ... فتلك فى ... حين وهذا الزمهرير بحين
وسل « المقطم » وهو أعدل شاهد ... كم شهيد فى التلال دفين
قتلته طغمه مصر أبشع قتلة ... لا بالرصاص ولا القنا المسنون
بل علقوه كالذبيحة هيئت ... للقطع والتمزيق بالسكين

الفضليات الكريمات من الأخوات المسلمات : مثل المجاهدة آمال العشماوى حرم الأستاذ المستشار منير الدلة ، ومثل خالدة حسن الهضيبى وأمينة قطب وحميدة قطب وفتحية بكر والمجاهدة أمينة على وعلية الهضيبى وتحية سليمان الجبيلى .

واتسعت الحاجة زينب رويداً رويداً فاتصلت بخالدة الهضيبى فى سرية شديدة ثم بحميدة وأمينة قطب ، وكل ذلك من أجل المعذبين والأطفال واليتامى (١) .

لا ... للطاغوت :

وصدرت أوامر حكومة العسكر بحل جماعة « السيدات المسلمات » ، وقيل لها إن عبد الناصر يكرهك شخصياً يا حاجة زينب ! ! لايطيق أن يسمع اسمك على أى لسان ، وعندما يذكر اسمك يثور ويغضب وينهى المقابلة (٢) ... فقالت : الحمد لله الذى جعله يخافنى ويبغضنى ، وأنا أبغضه لوجه الله ، ولن يزيدنا طغيانه ، نحن معاشر المجاهدين ، إلا إصراراً ... إنها دعوة التوحيد وسننتصر بإذن الله ، وأرخص ما نبذله لها أن نستشهد فى سبيلها ... ليس لعبد الناصر الحق فى أن يحل جماعة « السيدات المسلمات » إن الله تبارك وتعالى هو الذى يعقد للمسلمين ، والذى يعقده الله لايحله البشر ... ! !

حاولوا معها أن تنضم للاتحاد الاشتراكى ، وتعود جماعة « السيدات المسلمات » لنشاطها ويلغى قرار الحل ، فقالت وهى ترفض التوقيع على ورقة الانتساب : لا والله ، شلت يدى إذا وقعت يوماً على ما يدينني أمام الله بأننى اعترفت بحكم الطاغوت جمال عبد الناصر الذى قتل عبد القادر عودة وزملاءه ... إن الذين غمسوا أيديهم فى دم الموحدين خصوم لله وللمؤمنين .

ولأمر ما أوقف قرار الحل ، وحاول سدنة الطاغوت أن تشارك فى مسيرات العبيد والمنافقين والدجالين ، ولكن كيف تفلح هذه المحاولات مع مجاهدة تدور فى جهادها مع الاسلام والقرآن حيث دار ... ويئس أعوان الطاغوت فى أن تلين لباطلهم ، فصدر قرار حل المركز العام للسيدات المسلمات مرة أخرى ! !

واقتحم زبانية الطاغوت دار المركز العام لجماعة « السيدات المسلمات » واستولوا على محتوياته وشردوا مائة وعشرين فتاة وطفلة من اليتامى كانت الجماعة تأويهم وتكفلهم ...

وانعقدت الجمعية العمومية لجماعة « السيدات المسلمات » ، وفى عزة وإباء رفضت قرار الحل وأرسلت إلى رئيس الجمهورية ووزير الشئون والنائب العام ووزير الداخلية هذه البرقية الخالدة : (إن جماعة : « السيدات المسلمات » أسست ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٦ م لنشر دعوة الله والعمل على

---

(١) أيام من حياتى : ص ٢٨ ، ٢٩ .
(٢) بدأت العداوة منذ طلبها عبد الناصر لمقابلته ، فقالت لمن أرسله إليها : أنا لا ألقى من تلوثت يده بدماء الشهيد عبد القادر عودة .

إيجاد الأمة المسلمة التي تعيد للاسلام عزته ودولته وكانت لله وستظل لله ليس لأي حاكم علماني[1] حق الولاية على المسلمين ؛ فجماعة « السيدات المسلمات » رسالتها الدعوة إلى الاسلام وتجنيد الرجال والنساء شباباً وشيباً لإقامة دولة الاسلام الحاكمة بما أنزل الله . ونحن السيدات المسلمات نرفض قرار الحل وليس لرئيس الجمهورية وهو ينادي صراحة بعلمانية الدولة حق الولاء علينا ، ولا لوزارة الشئون الاجتماعية كذلك . ليست الدعوة أموالاً أو طعاماً تصادره حكومة العلمانيين المحاربين لله ولرسوله وللأمة المسلمة . فلتصادر الحكومة الأموال والحطام ، ولكنها لاتستطيع أن تصادر عقيدتنا ... إن رسالتنا رسالة دعوة ودعاة ، إننا نقف تحت مظلة لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وهذا الاعتقاد بأنه لا إله إلا الله يلزمنا بالجهاد المستمر المتواصل غير المنقطع حتى تقوم دولة الاسلام بأمة الاسلام الواعية لدينها الحاكمة بشرعه المجاهدة في سبيل نشره) .

كان هذا الموقف الشامخ من « السيدات المسلمات » سنة ١٩٦٤ في ذروة عنفوان السلطة الناصرية الغاشمة التي أذلت أعناق الرجال ! !

وفي جولة أخرى أخذ رجال المباحث والمخابرات الناصرية يطلبون مقابلتها ويعرضون عليها عروضاً لإعادة المركز العام للسيدات المسلمات ، وكانت هذه العروض ـ على حد قولها ـ تكلفها أن تشتري الدنيا بالآخرة ... عرضوا عليها أيضاً إعادة إصدار « مجلة السيدات المسلمات » باسمها كرئيسة للتحرير وصاحبة الامتياز مقابل ٣٠٠ جنيه شهريا ، على أن لايكون لها شأن بما يكتب في المجلة ! ! فكان جوابها مستحيل أن تستأنف « مجلة السيدات المسلمات » صدورها من مكتب المخابرات لتنشر الفكر العلماني ، كذلك عرضوا عليها إعادة المركز العام وصرف إعانة قدرها عشرون ألف جنيه سنويا ، على أن يكون إحدى مؤسسات الاتحاد الاشتراكي ! ! وكانت إجابتها : إن شاء الله لن يكون عملنا إلا للاسلام ولن نُموِّه ولن نضلل[2] .

في أتون محنة عام ١٩٥٤ :

حملت الأخبار فيما حملت بأن المخابرات الأمريكية والروسية والإسرائيلية قدمت إلى عبد الناصر تقارير بأن هناك نشاط للإخوان المسلمين يقوده سيد قطب من داخل السجن ويشرف عليه من خارجه الشيخ عبد الفتاح إسماعيل وزينب الغزالي الجبيلي ، ومع هذه التقارير توصيات بأخذ الأمر بجد حتى يقضي على هذه الحركة الاسلامية وإلا تقوضت أركان حكمه ... ! !

وعلى الفور عمل عبد الناصر اللازم وزيادة ! !

وأخذت الأخبار تتوالى من أوائل أغسطس سنة ١٩٦٥ م بالقبض على العشرات والمئات حتى

(١) لفظ علماني في اللغة الانجليزية يعني لا ديني .
(٢) كتاب من حياتي : ص ٨ ، ١٦ .

ارتفع الرقم إلى الآلاف بشهادة شمس بدران بنفسه ، حيث أقسم برأس عبد الناصر ، أنهم اعتقلوا مائة ألف من الاخوان فى عشرين يوماً ، ملأوا بهم السجن الحربى وسجن القلعة وسجن أبى زعبل وسجن الفيوم والأسكندرية وطنطا وسجوناً أخرى .

وفى ٢٠ أغسطس قبضوا عليها من منزلها بعد أن أهلكوا كل ما فيه وسرقوا خزانتها وصادروا كتبها ثم قادوها إلى السجن الحربى .

وهناك استقبلها صلاح نصر وشمس بدران بأحط وأقذر السباب والشتائم التى لاتصدر عن السوقة . وفى ساحة السجن أثناء مرروها وجدت الاخوان بعضهم معلق على الأعواد كالذبائح والبعض ممدد على الأرض مشقوق الصدر والآخر متهتك الجسد من شدة الضرب والجلد والاستغاثات وآهات الألم تصعد إلى السماء تشكو لربها ما يفعله الفجرة الفسقة ... ووسط هذا المشهد الرهيب الذى تراه وكأنه ساحة نزال أحس بعض المعذبين بمرورها من بينهم فقال : صبراً يا أماه ! ! فأخذها الموقف فجاءتهم استجابتها بصوت عال : صبراً يا أبنائى ، إنها بيعة مع الله ... صبراً يا أبنائى إن موعدكم الجنة ... صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة . ولم تكد تنتهى من ندائها لأبنائها وهى تشد من أزرهم حتى هوى الشيطان الذى يقودها بيده على صدغها وأذنها ، ورغم ذلك : عندما انكشف النور عن أجساد ممزقة وأشلاء متناثرة تملأ المكان قالت : فى سبيل الله ، وسمعت صوتاً كأنه يأتى من الجنة : اللهم ثبت الأقدام ، اللهم احفظهم من الفجرة ... لولاك ربى ما اهتدينا ، ولاتصدقنا ولا صلينا ... فثبت الأقدام إن لاقينا ...

وارتفعت أصوات السياط وتزاحمت ، ولكن صوت الإيمان أقوى وأوضح ...

وخرج صوت آخر كأنه مقبل من السماء يقول : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، فأجابته بقولها : صبراً يا أبنائى إنها بيعة ، صبراً إن موعدكم الجنة ! وأخذت يد الفاجر ظهرها بضربة موجعة أليمة ساخنة ، فلم تجب إلا بهذا الهتاف : الله أكبر ولله الحمد ، اللهم صبراً ورضاً ، اللهم شكراً وحمداً على ما أنعمت به علينا من الاسلام والإيمان والجهاد فى سبيلك [1] ...

وانتهى بها مطاف الجلاد الفاجر صفوت الروبى إلى حجرة بها حشد من الكلاب المتوحشة لاتدرى من شدة الفزع كم عددها عشرة أو خمسة عشر ، و أوقدوا مصباحا شديد الوهج يخطف نوره الأبصار وأوصدوا عليها الباب حيث تعلقت بجسدها الكلاب تنشب فى كل جزء فيه أنيابها ... تقول : (فتحت عينى وبسرعة أغمضتها من شدة الفزع لهول ما رأيت ، ووضعت يدى تحت إبطى وأخذت أتلو أسماء الله الحسنى مبتدئه بـ « يا الله ، يا الله » وأخذت أنتقل من اسم إلى اسم ، فالكلاب تتسلق جسدى كله ، أحس أنيابها فى فروة رأسى ، فى كتفى ، فى ظهرى أحسها فى صدرى ، فى جسدى كله . أخذت أنادى ربى هاتفة : اللهم اشغلنى بك عمن سواك ، اشغلنى لك أنت يا إلهى يا واحد يا أحد يافرد ياصمد ، خذنى من عالم الصورة ،

(١) أيام من حياتى ص ٤٥ ، ٤٦ .

اشغلنى عن هذه الأغيار كلها ، اشغلنى بك ، أوقنى فى حضرتك ، اصبغنى بسكينتك ، ألبسنى أردية محبتك ، ارزقنى الشهادة فيك والحب فيك والرضا بك والمودة لك وثبت الأقدام يا الله ... أقدام الموحدين) .

كل هذا كنت أقوله بسرى فالكلاب ناشبة أنيابها فى جسدى . مرت ساعات ثم فتح الباب وأخرجت من الحجرة ... كنت أتصور أن ثيابى البيضاء مغموسة فى الدماء ، كذلك كنت أحس وأتصور أن الكلاب قد فعلت ، لكن يالدهشتى ، الثياب كأن لم يكن شىء ، كأن نابا واحداً لم ينشب فى جسدى .

سبحانك يارب ، إنه معى ، يا الله هل أستحق فضلك وكرمك ، يا الله يا إلهى لك الحمد[1] وكان هذا هو الاستقبال ، الذى تم فى الساعات الأولى من دخولها السجن الحربى .

ثم أخذت مشاهد التنكيل بها تتعاقب منذ نقلت إلى الزنزانة رقم ٣ ، حيث اغلقوا عليها الباب وأشعلوا مصباحاً فى سقف الزنزانة متوهج الضوء ليخطف الأبصار ويرهق الأعصاب ... طلبت الذهاب إلى دورة المياه فرد عليها أحد الزبانية فى صوت بشع : ممنوع دورة المياه ، ممنوع الوضوء ، ممنوع الشرب ، وإذا طرقت الباب سأجلدك خمسين جلدة وفرقع بالسوط ... أرادت أن تستريح فافترشت الأرض ، لكن الجلادين أبوا عليها الراحة حيث تعمدوا أن يعرضوا عليها مشاهد التعذيب لأبنائها من الشباب الذين كانوا يجلسون عندها فى مجالس العلم والذكر ، حيث توجد نافذة تطل على فناء السجن الذى يوجد به مسرح العمليات : شاب يعقب أخاه بعد أن يصلب وتتهاوى على جسده تمزيقاً حتى يفقد الوعى ، وهم يلحون عليه لكى يتكلم عن علاقته بزينب الغزالى ، فلا يقول إلا خيراً ... كانت ترى هذا الشاب الطاهر وهو يصلب ويجلد ويعلق كالذبائح بلا رحمة أو شفقة ، فيتمزق قلبها حسرة وألما وهى لاتملك إلا الدعاء : أن يجعلها الله فداء لهذا الشاب ... أثناء هذا المشهد الرعيب أخذها النوم ، فرأت رسول الله ﷺ يقوله لها : « أنتم يا زينب على الحق ، أنتم يا زينب على الحق ، أنتم يا زينب على قدم محمد عبد الله ورسوله » ، وقامت من نومها وكأنها ملكت الدنيا بهذه الرؤيا ، وأحست براحة ما بعدها راحة وغشيتها السكينة والاطمئنان ...

أغلقت عليها هذه الزنزانة عدة الأيام الستة الأولى منذ اقتيادها إلى هذا السجن الجهنمى : من ٢٠ أغسطس إلى ٢٦ منه لم يفتح عليها الباب إلا لماماً ليقول : يابنت الـ ... إنت لسه عايشه ؟ ! ! ... ستة أيام بلا أكل ولاشرب ، ولا دورة مياه ! ! كيف عاشت ؟ فإذا عاش الانسان بدون أكل وشرب ، فهل يستطيع أن يعيش بدون قضاء حاجة ؟ !

يا الله ، لكم تحلل المجرمون من كل دين وخلق وجنوا على كرامة الانسان ...

---

(١) أيام من حياتى : ص ٤٦ ، ٤٧ .

إنه اليقين بالله واعتقاد الحق قد يصنع شيئاً كبيرا فـوق طاقة البشر ، فلا عجب ، إذا كانت قد بقيت على قيد الحياة » فقوة الله فوق قوة الطواغيت ، وهو سبحانه القادر على أن يحبط كيدهم !

... وبعد الكشف الطبى عليهـا ، أخذوها إلى حـوش مرعب مظلم مخيف ظلت به مـا يقرب من ساعتين ووجهها إلى الحائط مع التحـذير بعدم الحركة ، وأغلقوا البـاب وهم يقولون : أجلك النهــارده ! يابنـت الـ ... وشغلت نفسها بـالتلاوة حتى أيقظتهـا من استغراقهـا صفعة من يـد غليظة ، ثم وابل من الكرابيج فوق جسمهـا حيثما اتفق ... ثم أعطيت ثلاث ورقات لتكتبها ... ودخل من يأمر الجلاد بمعاودة الجلد قائلا : « حتى لاتنسى أن تكتب مانريد يا بنت الـ ... » .

وبعـد هذه الجولـة من الجلـد والركل سقطت على الأرض من شـدة الإعيـاء ، فجاؤا بمقعـد أجلسوها عليه وأعطوها الأوراق مرة ثانية لتكتب أسماء كل من تعرفهم فى السعودية ، فى سوريا ، فى السودان ، فى لبنـان ، فى الأردن ، فى أى مكان فى العـالم ... لتكتب كل معارفهـا من الاخوان المسلمين وكل شىء عن صلتها بهم ... وإلا فستضرب بالرصـاص فى مكانها ، وقدموا لها قلماً ثم أغلقوا الباب وخرجوا ...

وجلست إلى هذه الأوراق وكتبت ماخلاصتـه : أن معارفها كثيرون ومنتشرون فى كثير من بلاد العالم ، وهذا من بركات الدعوة الاسلاميـة وطبيعتها العالمية ، وما عليكم أيها الطغاة إلا أن تتوبوا إلى الله وتسلمـوا إليـه وجـوهكم ، وبلغوا عنـى رئيس جمهـوريتكم لعله يتـوب ويستغفـر ويعـود للاسلام ويخلع عن نفسه أطمار الجاهلية ... ألا قد بلغت اللهم فاشهد .

وجــاء القبيـح صفـوت وأخذ الأوراق ، ولم يلبث أن عاد وهو يسب ويشتم : يابنت الـ ... و ... إحنا بنهزر ؟ ... أيه الكلام الفارغ اللى أنت كاتباه ده ؟

وبعد أن قـام من فى السجن وقعدوا لـدخول حمزة بـاشا البسيونى (! !) مـدير عـام السجون الحربية ، وبعد أن مزقوا ما كتبته لهم قال : خـذوها ، دى مافيش فيها فايدة ... وعاد الأشاويش إلى عملياتهم فى الضرب والسحل فى همجية ووحشية ، ولكن هيهات ! !

ولما لم يحصلوا على شىء مما كانـوا يريدونه ، قاموا يتجريب أسلوب آخـر : فأرسلوا إليها رجلا من شياطينهم يتصنع أنـه من أهل النصيحة والخير ويـدعى كذباً أنـه وكيل نيابه ؛ بـدأ نصيحته قائلاً : « أنا يا حاجة زينب أريد أن أتفاهم معك لأنقذك من بين أنياب وبراثن هذه البلاوى ... كيف تـرمين بنفسك فى هذا القـرف » وأنت زينب الغـزالى . المحترمة المصـونـة ، شوف الاخـوان المسلمين كلهم بمن فيهم الهضيبى اعترفوا بكل شىء » وقالوا عنك كلاماً يحكم عليك بالاعدام . حموا أنفسهم ورموك أنت فأدركى نفسك قبل فوات الأوان وقولى الحقيقة .

فأجابــت : اعتـقد أن الاخـوان المسلمين وأنا معهـم ومنهم لم نفعل شيئاً يغضب الله ، مـاذا فعلنا ؟ كنـا نعلم الناس الاسلام فهل فى هـذا جريمـة ؟ ... قال : لكن أقوالهم تثبت أنهم كـانوا

يتآمرون على حاجات كثيرة منها قتل جمال عبد الناصر وتخريب البلد ، وكنت أن تحرضين على ذلك ، وهذا تآمر على قلب نظام الحكم .

قالت ما معناه : ليس من أهداف الاخوان المسلمين قتل عبد الناصر أو غيره أو تخريب البلد ، الذى يخرب البلد فعلاً هو جمال عبد الناصر ، إن هدفنا الاصلاح لا التخريب والبناء لا الهدم ، كما أن الاسلام لايعرف لغة التآمر ، ولكن يجابه الباطل بالحق ، ويوضح للناس الطريقين ، طريق الرحمن وطريق الشيطان .

ألوان من التعذيب بأمر عبد الناصر :

بالتجويع ، إلى الحد الذى تدهورت معه حالتها الصحية ، مما جعل الأطباء يقررون أن حياتها فى خطر ولاتستطيع المثول أمام المحققين ...

التعذيب فى زنزانة حالكة الظلام ، كريهة الرائحة رطبة تمرح فيها فئران متوحشة

التعذيب بالتهديد والوعيد بخطاب صادر من عبد الناصر شخصياً يقول فيه : « بأمر جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية ، تعذب زينب الغزالى الجبيلى فوق تعذيب الرجال . إمضاء جمال عبد الناصر »

التعذيب فى زنزانة الماء ، وهى حجرة يبلغ ارتفاع الماء فيها إلى ذقن الجالس فيها ، والأوامر بعدم التحرك ، فالتسعيرة : كل حركة بعشرة كرابيج ، وأنت فى نصف الحجرة ، إياك أن تفكرى فى الزحف للاستناد إلى الحائط ، إذا سولت نفسك أن تفعلى هذا فعشرة كرابيج ، وإذا وقفت عشرة ، ومد رجليك خمسة ، ومد ذراعك خمسة ، فلينفعك الهضيبى وسيد قطب ... عبد الناصر أمر بجلدك كل يوم ألف جلدة بالكرباج ! ! ستة أيام من زنزانة الماء إلى الفئران والعكس حتى أشرفت على الموت ! !

التعذيب فى الحجرة ٢٤ ، وهى زنزانة فى وسطها نار موقدة ، وعند كل ركن من أركانها الأربعة يقف شرطى بيده كرباج كلسان الأفعى ... تؤمر بالدخول فى النار فإذا اقتربت منه منعها بكرباجه ، ويتلقاها الشرطى الثانى والثالث وهكذا والنار المشتعلة قريبة منها يلفحها لهيبها ... إنها بين لهيبين : لهيب النار المشتعلة التى تخشى السقوط فيها ، ولهيب كرابيج الزبانية ...

التعذيب فى الحجرة ٣٢ ، وهى زنزانة بها عمود أفقى على حاملين من الخشب تتدلى منه حلقتان ... أوقفوها تحته على كرسى ثم أمروها بالامساك بالحلقتين ، وفجأة يزاح الكرسى من تحت أقدامها حتى تتعلق فى الهواء ... وعند سقوطها على الأرض يلقفوها بالسياط ، وتتكرر العملية حتى يغمى عليها ...

التعذيب بمحاولة الاغتصاب والاعتداء على العرض ... أدخلوا عليها فى الزنزانة وحشاً من وحوشهم الآدمية ، ولكن الله أمكنها منه فصرعته ، فجاء إليها رياض ليقول لها بكل صلابة : هل تريدين أن تكونى قديسة ؟ ... الجنود الذين أعددناهم فى المستشفى الآن حقنوهم وأصبحوا كالكلاب المسعورة ، سيأتون إليك غداً ينهشون لحمك نهشاً ، إنها أوامر جمال عبد الناصر ، لن نتركك أبداً ... حاولنا معك بالنصيحة مرات ومرات وأنت لاتتزحزحين عن موقفك ... تريدين أن تكونى قديسة ؟ ولما لم يجدوا رداً انهالت الكرابيج ... ثم أرغى وهو يقول « عليه لعنة الله » : إنت فاهمة ربكم عنده جهنم صحيح ! ! ! جهنم هنا عند عبد الناصر ... الجنة عند عبد الناصر جنة موجودة حقيقية ، وليست جنة وهمية خيالية مثل التى يعدكم بها ربكم ! ! ! **﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذبا ﴾** .

المنازلة ... مع من ؟ !

ولما لم يحصلوا على شىء مما يريدون ، عاد زبانيتهم بكرابيجهم وأساليبهم الخسيسة ، وعاد أشاوسهم إلى المنازلة التى لم يكونوا يجيدون غيرها ... ومع من المنازلة ؟ ... مع النساء ، نساء من أفضل نساء العالمين فى هذا العصر ، مثلاً : زوجة الأستاذ المستشار حس الهضيبى المجاهدة العظيمة أخذت إلى السجن الحربى وهى فى سن الثامنة والسبعين ... والسيدة خالدة الهضيبى وهى حامل فى شهورها الأخيرة ... والسيدة أمينة قطب وشقيقتيها نفيسة وحميدة قطب ، وعلية الهضيبى ، والسيدة المجاهدة العظيمة أم أحمد ، والسيدة فاطمة عيسى والسيدة غادة عمار والسيدة آمال العشماوى ، وعروس أخذوها من كوشة الفرح وعروس كرداسة الأخرى زوجة الأخ سيد نزيلى ، وعروس الطيار محمد ضياء الطوبجى ، وعروس المهندس مصطفى مرسى ، وعشرات النساء فى السجن الحربى ، ونساء كرداسة عدا ٨٥ امرأة مسلمة رحلن إلى سجن القناطر ... إنه عار احتملته مصر ، وستعيش تاريخها تتألم لهذه الفترة التى ابتليت فيها بحكم هذا الطاغوت ، الذى حطم كل القيم وكل معانى الشرف ، لقد كانت النساء تجىء إلى التحقيق جراً يسحبن على وجوههن فى طرقات هذا السجن اللعين .

وعلى صفحات كتاب « أيام فى حياتى » إدانة كاملة لهذا العهد الأسود فى تاريخ مصر ... هذا الكتاب الذى يعاد طبعه سنوياً ، ويقدم له ناشره بقوله :

وهذا الكتاب تنفد طبعاته المتتالية فى أرقام قياسية لنفاد الكتب ! فقد أقبل القراء مشدودين بحقائقه المثيرة الرهيبة ، زاد من وقعها وأثرها ما اقترنت به من عرض للدعوة وفلسفتها ومنهاجها عرضا ثابتا جريئا لا مواربة فيه ... فى مواجهة الطغيان نفسه وفى ثنايا أبشع تعذيب وتنكيل ... وفى موقف الهجوم لا موقف الدفاع ! !

الكتاب أولاً وأخيراً ، يعطينا الإجابة ويفسر لنا : لماذا لم يكن ممكنا أن يتأتى لنا النصر ؟ ! وقد

كانت هذه هى « ساحات النـزال » التى حذقها « المغاويـر » وتوفـروا عليها ، وبرعـوا فيهاً تصول « جحـافلهم » وتجول ، تنفـذ أبشع الجرائم ، وتمارس أحـط الأسـاليب ... للقهـر والتعـذيب والتنكيل والتخريب ... للشرفاء والمؤمنين !

تصور بعض ذلك الـداعية الاسلامية المجـاهدة ، الصابرة المصابـرة ... زينب الغزالى الجبيلى عبر تجربتها الشخصيـة التى عانتهـا وخاضتهـا ... بثبات المجـاهدين وبـلاء الصابـرين وشموخ المؤمنين ! ترويها فى وقائع مثيرة ... مذهلة ... محزنة !

وتقدمها فى هذا الكتاب بعنوان « أيام فى حياتى » هدية إلى : **﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾** [(١)] .

لمـاذا لـم يحاكـم عبـد الناصر ؟

تقول المجاهدة العظيمة الحاجة زينب :

هل لى أن أتساءل لِمَ لم يحاكم عبـد الناصر على مـا ارتكب من جرائم لتستطيع مصر أن تـواجه التاريخ وتقف مرفوعة الرأس ؟

إن الأمر لجد خطير إن لم تبرأ مصر من جرائم وقعت فى عهـد عبد الناصر ، وإلى أن يأتى ذلك اليوم فستظل مصر كلها مسئولة عن جرائمه إلا جماعة الاخوان المسلمين التى برئت إلى الله ورفعت صوتها عالياً باستنكـار جرائمه ، لقد خدعها فى الأيام الأولى للحركـة فأيدته ، ولما علمت من هو ولمن عمالتـه قررت فى عـزمة الإيمان أن تقـاومه ... وكـانت معركـة الشرف بين الحق والباطل سنـة ١٩٥٤ ثم معركـة المجد سنة ١٩٦٥ . نعم كانـت معركة ٦٥ معركـة مجد وشرف ، لبعث الاسلام شامخاً قوياً ، بعد أن خيل للطاغوت أن دعـوة الاخوان أصبحت تاريخاً يروى وعملاً أسدلت عليه الأستار ، وقصصاً تلوكها الألسنة وبعض رجال خلف قضبان السجون .

كانت مواجهـة ١٩٦٥ وثبة الأشبال ونهضة الشباب من الجيل الذى ولـد فى أيام انقلاب عبد الناصر وصَبَّ به كل ما يملك من سموم منـاهجه فى التربية والاعلام . نعم ذلك الجيل هو الذى استوعبته الدعوة ونظمته فى صفوفها من جـديد . فجن جنون عبد الناصر فقد سلبته امرأة ورجل جيله كما كـان يصيح فيمن حوله . كانت المرأة هـى الحاجة زينب الغزالى وكان الـرجل هو الشيخ عبد الفتاح إسماعيل ...

وانتهت أيام السجن الحربى بكل مخازيها . والاخوان المسلمون كالطّـور الشامخ شرفاً ورجولة ومجداً أما عبد الناصر فسجل خـزيه يوم حملتهم عرباته وعسـاكره فى الخامس من يونية ١٩٦٧ من

---

(١) سورة آل عمران : ١٧٣ .

السجون الحربية إلى السجون المدنية لتفسح المجـال لمن امتلأت بهم السجون من طغمته يستر بهم عاره الذى لن يستطيع أن يفر منه يوم البعث والحساب ! !

وإذا كان عبد النـاصر لم يحاكم حتى الآن على جرائمه ، فلأن مصر مـازالت ترسف فى أغلال طغمته المجـرمة من رجال التنظيم الطليعى ... وإلى أن تتحرر مصر من هـؤلاء الأنجاس ويكتب لها الخلاص من هذا الجيل العفن تتم محاكمة عبد الناصر ! !

* * *

أم معـاذ . . .
وذكـاء أجهزتنـا الأمنيـة !

أم معاذ ... هى زوجة الأخ الأكبر الحاج عباس السيسى ، شاركت زوجها جهاده فى سبيل الله يوماً بيـوم وساعة بساعة ولحظـة بلحظة ... شاركته أفراحـه وأتراحه ... شاركته آلامـه ومتاعبه فى سبيل دعوته ، وكان مشوار حياتها ـ كما تقول ـ طويل طويل ، ولكنه مبارك إن شاء الله .

إن بيت الحاج عبـاس السيسى فى رشيـد ، هو بيـت مفتوح يستقبل كل النـاس إخـوان وغير إخوان بحفاوة وكرم وحسن ضيافة ، فكيف لهذا البيـت الكريم أن يكون قبلة للناس ، وأن يكون هذا حاله لولا أم معاذ وجهد أم معاذ وعرق أم معاذ ؟ !

اختنا الحاجة أم معـاذ لها قصة أدخلتها السجن ولقيت فيه ما لقيت ... هـذه القصة سجلتها بقلمها الأديبة سعيدة قطيط إبنة اختها ، وصـدرت فى كتيب بعنون « أم معاذ فى السجن » قدم له الحاج عباس بالمقدمة التالية :

(ماكـدت أفرح بـالتوقيع على نهايـة أوراق التحقيق فى قضايـا الاخوان المسلمين فى نهايـة عام ١٩٦٥ التى كان على رأسها الأستاذ الشهيد سيـد قطب ، ولكن النتيجة بعد ذلك ما تكون حكماً بالمؤبد أو الإعدام ظناً منا أنه بعد التحقيق سـوف تتوقف مذبحة التعذيب الدائر ليلاً ونهاراً بأبشع الصور التى سجلها التاريخ .

ما كـدت أعيش فى هذا الشعـور حتى دوى صوت الجاويـش ينادى : عباس السيسـى ينزل للمكـاتب « مكاتب التحقيق » حتى أصـابنى الفـزع وهرع الاخـوان جميعاً إلى نظـارات الزنـازين يتطلعون ويستفسرون عما يدور حولهم ، وهـم يتوجسون خيفة من المجهول الذى قد يفتح علينا بابا جديداً للتحقيق بعدما أغلق بالرعب والخوف .

أسرعت الخطى حافى القدمين الداميتين أمام الجاويش وهو يزفنى بالكرباج إلى مكتب العميد سعد عبد الكريم مدير المباحث الجنائية العسكرية ، ووقفت أمام العميد وسألنى .

س : هل أنت متزوج ؟

جـ : نعم متزوج .

س : من واحدة أم اثنين ؟

جـ : واحدة فقط .

س : هل زوجتك تلبس ملاءة لف أم بالطو ؟

جـ : تلبس بالطو .

س : مين عندكم تلبس ملاءة لف ؟

جـ : هناك عاملة فى معمل الألبان الذى أملكه تلبس ملاءة لف .

س : لماذا تذهب زوجتك إلى الأسكندرية ؟

جـ : تذهب لزيارة أهلها عند الضرورة .

س : الضرورة مثل إيه ؟

جـ : الأفراح أو المآتم وأيضاً للدكتور لعلاج سمعها لأن سمعها ضعيف جداً .

س : ما اسم هذا الطبيب ؟

جـ : الدكتور البابلى فى شارع صفية زغلول بمحطة الرمل .

س : هل زوجتك سمعها ضعيف ؟

جـ : ضعيف جداً ويزداد ضعفاً عندما تكون فى حالة اضطراب .

س : ما اسم السائق الذى يوصلها ؟

جـ : أكثر سائقى التاكسى يعرفوننى ويعرفونها لأن من عادتنا فى رشيد أن سائق التاكسى يأخذ السيدات من المنازل لهذا يعرفون زوجات الرجال .

س : هل تعرف عائلة فلان ؟

جـ : أعرفها .

س : ما هى صلتك بهذه العائلة ؟

جـ : صلة عادية .

وانتهى التحقيق معى بهذا وأخرجونى من المكتب .

بعد لحظات وجدت اثنين من شباب هذه العائلة يساقان إلى التحقيق الذى استمر معهما لفترة نصف ساعة ثم أعيدا إلى الزنازين مرة أخرى .

بعد وقت غير قصير جاءوا بجندى من القوات المسلحة إلى مكتب التحقيق وهو فى حالة سيئة وبدأت أسمع آهات التعذيب والصراخ المتواصل ، وسمعتهم يسألونه عن صلته بعباس السيسى وبزوجته وبما كان يريد أن يفعل بهذه القنابل .

والموضوع بوضوح واختصار هو أن هذا الجندى اسمه يوسف الشيخ من عزبة الملاحة وقف

بحرى مركز مطـوبس محافظة كفر الشيخ ، وهذه القرية تواجه مـدينة رشيد ولايفصل بينهما سوى مجرى نهر النيل فرع رشيد . لـذا فأهالى هذه المنطقة يسـوقون بضاعتهم ويتعاملـون مع أهالى رشيد ويعتبرون أنفسهم من مدينة رشيد فإذا سئل أحدهم عن بلده : قال أنا من رشيد .

هذا الجندى جـاء فى أجازة من ميدان القتال بـاليمن الشمالى حيث كان الجيش المصرى يحارب هناك وقتئـذ . وقد أحضر معـه من ميدان المعـركة بعض القنابل سـواء كانت صـوتية أو شـديدة الانفجار ليستعملها فى الأفراح والليالى الملاح فى ظنه . عنـد عودة الجندى من ميدان القتال ومعه قنابله وهـو فى طريقه إلى بلده أمسى عليه الليل فى مـدينة دمنهور فدخل أحـد الفنادق ليبيت فيه ليلته وبكل هدوء وسكينة وعبط أخرج القنابل التى معه وقدمها لمدير الفندق ليحفظها له بالخزينة للصباح .

وما كاد مدير الفندق أن يراها حتى فزع وارتبك وأصابه الرعب وأسرع إلى التليفون وأبلغ الشرطة التى أسرعت بقوات هائلة مدججة بالسلاح حيث تم القبض على هذا الجندى المخبول .

فلما سألوه فى محضر التحقيـق بإدارة المباحث العامـة بأنه مجنـد بالقـوات المسلحة بـاليمن وأنه حضر لـزيارة أهلـه فى رشيد ، ولما سألـوه لماذا أحضر القنابل قـال لقد أردت أن أفـرح بها أهلى . فسألوه عمن يعـرف فى رشيد أجاب بأنه يعـرف عائلة فلان لأن والدى حمالاً عنـدهم ، ولما سألوه عن الحاج عباس السيسى قـال : لا أعرفه . وفى الحال تم القبض على والد الجنـدى وعلى العائلة التى يعمل عنـدها بـرشيـد وبالتحـرى والتحقيق تبين أن هـذه العائلـة تمت بصلـة نسب لعائلـة السيسى فربطت المباحث بين الجندى والقنابل التى أحضرها وبين عباس السيسى المتهم فى قضية الاخوان المسلمين ، وعلى ذلك تكون هـذه القنابل جاءت بتوصيـة من عباس السيسى وحيث أن عباس السيسى موجـود بالسجن فسيقوم الجندى بتوصيلها إلى زوجـة عباس السيسى التى ستقوم بدورها بتوصيلها إلى الجهاز السرى للاخوان المسلمين .

وبهذه الشكوك والظنون الباطلة وبهذه العقليات الصغيرة المرتجفة صنعت المباحث هذه القضية وغيرها التى تسببت فى خراب بيوت وترمل النساء وتيتم أطفال وضياع أموال وسخرية وهزء بالقيم والأخلاق ، وأورثت مصر الذل والهزيمـة والضياع ولاحول ولا قوة إلا بـالله ... وشاء الله تعالى أن يســبب هـذه المحن لتشـارك الأخت المسلمـة فى هذه الملحمـة جنبـا إلى جنب مع أبنـاء الدعـوة ورجالها ، وأن يسجل التاريخ الاسلامى صورة جديـدة للنساء المؤمنات بعد أن غابت عن ميادين الجهاد زمناً طويلاً .

وهــذا هـو محور قصـة « أم معاذ فى السجن » التى صـاغتها بقلمهـا الأديبة الكبيرة « سعيـدة قطيط » لتكون للظالمين نذيرا لعلهم يرجعـون ، وللقادمين على الطريق تبصرة وذكرى لعلهم يتقون ويحذرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون أ . هـ .

مـواقـف

آل بيـت الهضيبـى *

« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيراً من زوجة صالحة . إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا أقسم عليها أبرته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » حديث شريف .

هذا ما وصف به نبى الرحمة الزوجة الصالحة وهذا ماقسم لها عليه السلام من أثر بالغ فى سعادة الزوج . وما حسبنى والله رأيت أنموذج هذه الزوجة النبوية قبل أن أعرف سيدتى الوالدة أم أسامة ، بارك الله فى عمرها [1] أحسن عن المرشد الراحل وعنا جزاءها ، وألبسها التوفيق والعافية ، وألزمها كلمة التقوى ما أحياها .

وسأجتزى فى هذه الحلقة بسبع ومضات من سيرتها الحافلة بالنضارة والإشراق ، إثباتا لمواطن الكمال ـ التى أوردها الحديث النبوى فى شمائلها .

(أ) التفنن فى إدخال السرور على الزوج :

وأول ما لفت نظرى من مثاليتها الزوجية شقيقتى القروية البريئة ، آمنة عليها رحمة الله ، فقد وافتنى للعلاج ، ورحلى فى الركاب إلى الأسكندرية ، للاجتماع بالمرشد ، فى مسعى أشار إليه شهيد الاسلام الألمعى التقى الشيخ محمد فرغلى طيب الله تراه لإزالة الجفوة بين الاخوان والثورة ، فلم يسعنى إلا حمل الشقيقة معى لعلاجها هناك . وما بلغت الأسكندرية بسيارة الأخ فى الله الحاج توفيق الفشنى ــ وفيها كذلك أختنا خالدة الهضيبى وأولادها الثلاثة ــ حتى وضع آل الهضيبى يدهم على شقيقتى المتواضعة ــ ولنا فى الأسكندرية أهل ودار ــ ولم يسمحوا لها قط بمغادرة دارهم إلا إلى عيادة الطبيب فى حراسة نشء الإيمان يومذاك « علية الهضيبى » التى كانت فى الثالثة عشرة من عمرها المبارك المديد إن شاء الله .

قضت شقيقتى ثلاثة أيام فى بيت الهضيبى وهو حاضر ، وأربعة أيام مع زوجته وابنتيه ، أثناء غيابه فى الرحلة التى وفقنى الله لإقناعه بالقيام بها فى بعض مناطق الدعوة بدلتا مصر ، قبل وصوله إلى القاهرة ، تمهيداً لاجتماع إصلاحى مع قيادة الثورة .

وكان على أن أتخلف بالأسكندرية هذه الأيام الأربعة ، لأنوب عن فضيلة المرشد فى تنظيم الاتصال بالأطباء القائمين على علاج زوجته الجليلة ، إذ كانوا جميعا من خاصة الأصدقاء ، ولأعود بشقيقتى إلى القاهرة بعد أن يكتب الله لها الشفاء .

---

(١) انتقلت إلى جوار الله فى ٩/ ٣/ ١٩٧٦ .

(*) مقال للأستاذ عبد الحكيم عابدين فى مجلة الشهاب البيروتية عدد ١٥ سنة ١٩٧٤ .

ولبثت الأستار قائمة بينى وبين الشقيقة رحمها الله ، لا أراها إلا مع علية « العلية » لحظات الانتقال بها إلى الطبيب فى سيارة الصديق الكريم النبيل الأستاذ عبد العزيز القيسى ، الذى سبق إلى جوار الله ورحمته إن شاء الله !

ولما انقضت مآربنا من الأسكندرية وعدت بشقيقتى لاثالث لنا إلا الله أقبلت على رحمها الله تسائلنى بلغتها العامية ونحن فى القطار ، ما ترجمته بالفصحى :

- يا أخى يا ابن أمى وأبى : من أى طينة امرأة الهضيبى هذه ؟ أهى من طينة الملائكة ليس فيها من طبائع البشر والنساء شىء قط ؟ !

- ولم يا آمنة ؟ وما وجه هذا السؤال ؟ !

- يا عبد يا أخى . أخذنى العجب من سلوكها نحو زوجها ...

ففى الأيام الثلاثة التى قضيتها بحضوره ، تبالغ فى التحبب إليه ، وإدخال السرور على قلبه ، فلا تلقاه فى الضحى بثياب الصبح ، ولا فى العصر بثياب الظهر ، وإذا ودعته حين يخرج ساعة الأصيل تجهزت بثياب أجمل حين تستقبله فى المساء ، ولا تخلو فى كل ذلك من التزين له بما يناسب أهل الكمال والوقار ! أضف إلى ذلك - تقول الشقيقة - إنها تنشط لتوديعه حين يخرج ، وتتأهب لاستقباله حين يرجع ، بأعذب مايصنع عروسان متوافقان ، فى الأيام الأولى من الزواج ! والأعجب من ذلك - تقول شقيقتى الساذجة عليها رحمة الله - إنه منذ سافر عنها الهضيبى لم تبدل الثوب الذى ودعته به طوال هذه الأيام ولم تقرب الماء العادى - إلا للوضوء والصلاة ! !

رحمك الله يا أختاه قلتها وهى معى فى القطار وقد خنقتنى العبرات ، لاختفاء هذا المثل الرفيع إلا فى آل الهضيبى - لقد علمتنى من مناقب هذه السيدة فى حياتها الخاصة ما أخفاه عنى لمعان مواقفها فى حياة الجهاد العامة ! !

(ب) الطموح العلمى فى خدمة الوفاق :

وقد أثار هذا الأسلوب المثالى فى معاملة الزوج - من سيدة فى حدود الخمسين - فضولى إلى الإحاطة بشىء من أسلوبها فى معاملة أستاذنا الجليل أيام الشباب حيث كثرة الأعباء والاستغراق فى تربية الأولاد ، وكانت لى معه رحمه الله دعابة ومباسطات يسعها بكل تلطف وانشراح ، كما كنت أعلم من لصوقى به ، وإعجابى بأثر دعوته فى محيطه ، بالغ إعزازه ، وإيثاره لأهله ، وطربه للحديث عن مناقبها الجليلة الرفيعة .

وهكذا أقبلت عليه أسأله : بعد أن رويت له افتنان شقيقتى الريفية بأم ولده يا فضيلة المرشد : هذا مبلغ حفاوة أهلك بك وأنتما على أبواب الشيخوخة فقل لى - بأبى أنت وأمى - كيف كانت لك فى مطالع الشباب فقد أكلت قلوبنا الغيرة من هذا التدليل ! !

وانبسطت أسارير الزوج العظيم ، المؤمن العظيم ، الداعية العظيم ، وابتدرنى مازحا بهذه العبارة (عين الحسود فيها عود) ثم راح يسألنى : أيكفيك الإيجاز أم تريد الإطناب ؟ وأجيبه : ما شئت هات !

وهنا قال المرشد عليه رضوان الله : من طبعى الإيجاز فاعلم أننا شارفنا الأربعين عاما من حياتنا الزوجية ، لم يتكدر صفو الوفاق بيننا أربعين ثانية منها والحمد لله . قلت : ولكن فى طبعك إصرار و « حنبلية » لا تصبر عليها النساء ! ! فأجاب : قد صبرت راضية قريرة العين ، والفضل لها بعد الله . واستطرد رحمه الله يستشهد على مسارعتها فيما يرضيه ويرفع رأسه : فذكر أنها تعلمت الفرنسية إجادة وهى أم لأربعة أولاد ، لمجرد أنها رأت صديقتها زوجة وكيل النيابة الذى كان يعمل معى فى إحدى المحاكم القريبة من مدينة المنصورة تتقن الفرنسية وتتحدث بها مع عاملات المتاجر الكبيرة فى عاصمة الدقهلية ، فأكبرت أن تكون لزوجة وكيل النيابة قدرة على التحدث بلغة لاتعرفها ، وهى زوجة القاضى الذى يعلو فى المرتبة على وكيل النيابة ، وسرعان ما استأجرت مدرسة ، تختلى لحظات فراغها النادرة ، لتتلقى عنها الفرنسية ، وتلتهما قراءة وكتابة وفهما فى بضع أشهر ، صارت بعدها تتحدث معى الفرنسية إذا دعت الحال كما يتحدث إلى زملائى فى القضاء !

أبعد ذلك غاية من علو الهمة وكبر النفس ، فى سبيل إسعاد الزوج و إشعاره بالمشاركة الحقيقية فى تأمين أسباب الوفاق ، إدخالا للسرور على قلبه ومقاسمة له فى حمل الأعباء والتبعات ؟ !

(جـ) الطاعة والامتثال حيث لا أمر ولا إلزام :

اهتزت مصر كلها أسفا لكارثة السفينة « السلوم » التى غرقت فى البحر الأحمر ـ وعليها نخبة من الجنود والضباط ـ بعد قيام الثورة بأسابيع ـ وتبارت الصحف وأجهزة الإعلام فى وصف المأساة والإعلان عن الجنازة الوطنية الكبرى التى ستشيع بها جثث أولئك الشهداء من ساحة المنشية بالأسكندرية فى ضحى اليوم التالى لإعلان المأساة . وكنت بجوار المرشد الهضيبى رحمه الله بمكتبه بالقاهرة فى الليلة السابقة لموعد التشييع ، وهو يمارس تصفية الحاضر بين يديه من أعمال الدعوة قبل ذهابه بأهله مغرب اليوم التالى لقضاء شهرى الصيف بالاسكندرية تنفيذا للنظام الطبى الذى كان ضرورة لامحيص عنها ، للإبقاء على حياته الغالية !

وما هو إلا أن لاح فى خاطرى مشهد الجنازة الوطنية يتقدمها رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب يحتشد فيها سائر الزعماء والشخصيات ، وليس بينهم المرشد العام للإخوان المسلمين ، الذى لن يصل الأسكندرية حسب منهاجه التطبيقى إلا بعد الجنازة بساعات حتى كبر على أن يفتقده المشيعون ورجال الصحافة ، فإذا الجنازة من خلاء ! .

وسرعـان ما نقلت إليـه هذه المشـاعـر وأشرت عليه بـالتبكير إلى الأسكندريـة لحضور الجنـازة الوطنية ، لأنه أولى بذلك من سائر الرؤساء والزعماء .

غير أن الرجل ـ بحكم زهـده فى المظاهر وكراهته لأضـواء الدعاية ـ لم يـرحب بالمشورة ولاسيما لأنه لازال وأهله فى إعداد العدة لرحلـة شهرين إلى الأسكندرية ، ولن يستطيعوا إلا بشق الأنفس إنجاز الإعداد فى اليوم الباقى على الرحيل !

ولكنى لجأت إلى كل مالى عليه من دالة فى محاولـة حمله على التبكير بالسفر فى أول قطار لإدراك الجنازة متعهـدا أن أكون ومن يشاء فى خـدمة الأسرة لمعاونتهـا فى الإعداد وتوصيلهـا إلى القطار فى المساء .

وقبيل أن تبلغ بنا المنـاقشة درجـة اللجاج أسعفنى الخاطر بـاقتراح مخابرة السيدة ــ باعتبـارها المتضررة الأولى بسفره دونها فى البكور ـ ليعرض عليها رأيى وليسمع الجواب !

وفى مثل لمح البصر أدار المرشد الحبيب قرص الهاتف وأدركت أن أم أسامة هى التى أجابت من إنصاتى الحوار لم أسمع منه طبعا إلا عبارات المرشد القصيرة الخالية من التكليف كما يلى :

١ ـ عبد الحكيم عابدين بجانبى يريد أن أسافر بقطار السادسة صباحاً بدلا من السادسة مساء لادراك الاشتراك فى تشييع شهداء السلوم ، بحيث أتـركك تلحق بى حسب الخطة فى قطار المساء .•

٢ ـ كيف ؟ أنـا أقول له إن ذلك غير ممكن لأننا مـانزال مستغرقين فى الإعداد لـرحلة الصيف ، ولايمكن الفراغ منها قبل مساء غد .

٣ ـ وأنت أيضـا تسـتطعين الفراغ من عدة الـرحيل وتسافرين معى فى الصباح ؟ ! هـذا إرهاق معناه أنك ستسهرين فى تعب إلى الصباح !

٤ ـ ومهما تكن المنـاسبة وطنيـة ، فلا أرى ضرورة لوجـودى فيها إلا الدعـاية التى لا أحبهـا وقد أنبت إخوان الأسكندرية وفيهم الكفاية .

٥ ـ الآن يشمت بى عبد الحكيم لأنى رافض إقتراحه حرصاً على راحتك .

٦ ـ طيب أنت حرة ! راحتنا وحياتنا للدعوة ؟ خلى عبد الحكيم يشبع شماته ! !

وما بلغ الحديث الهاتفى هذه العبـارة التى كنت أستنبط منها إجابات الزوجة الـوفية المجاهدة حتى أسرعت أعبر عن شماتتى قبل أن يضع الهاتف من يده بقبلات فرحة أغمر بها جبينه النضر ـ وأنا أصيح فى نشوة النصر .

« الآن تعلم أن عبد الحكيم ربح عليـك الجولة فى عقر دارك ! » والمرشـد رحمه الله يقول فى بشر وابتسام : « وما الحيلة إذا كانت أم أسامة لاتعرف أن تقول لا ؟ » .

وهكذا سافر المرشد بأهله عقب صلاة الفجر وحملت الصحف صورته بين أعلام المشيعين بما أقر أعين الإخوان فى جميع أنحاء البلاد .

(د) رعايـــة نشـــاط الأخـــوات المســلمات :

كان الجانب النسائى لدعوة الاخـوان المسلمين يتولاه فريق من الأخوات المؤمنات ذوات الإيمان الصادق والغيرة الـلاهبة ، سبق منهن إلى العمل فى الـدعوة ــ بعد أن انفردت الـداعية المجـاهدة زينب الغزالى أكرمها الله بجماعة السيدات المسلمات ـ الأخوات : فاطمة البدرى ، وفاطمة أخرى غـاب عنـى لقبهـا ، وسنيـة الوشـاحى [1] ، وسنيـة عبـد الـواحـد ، وغيرهن من السـابقـات المجاهـدات ، وكن على فضلهن جميعا واعتـزاز الدعـوة بنشاطهن من ذوات الثقـافة المتـوسطة ، باسـتثناء الأخـت المجاهدة الألمعيـة الأستاذة آمال العشماوى زوجـة البطل الحبيب الصديق منير دلة ، الذى سبقت له الحسنى على تقوى وجلد وإيمان بحمد الله .

ولما قدر الله لسفينة الدعـوة أن تلقى بأزمتها إلى أستاذنا الهضيبى ، وشمر عن سـاعده ناهضا بأعباء القيادة استجابـة لرغبة الاخوان ، سارعت الأخوات كذلك إلى حـرم المرشد الجديد يسألونها تقلد الـزمام فى قيادة الأخـوات المسلمات ، لما كان معروفـا عنها من رجـاحة العقل وسعة الثقـافة وأصالة الإيمان .

واستجابت أم أسامة الجليلة بمثل تواضع زوجها الصديق لحمل نصيبها من الجهاد ، والعمل لإعلاء كلمة الله بكـل ما تتسع له طاقة المرأة ، ومـا تختص به المؤمنة دون المؤمن من أعبـاء الدعوة والتربية .

وفى الحق لقد كانت السيدة الفضلى دعوة ناطقـة بعملها وخلقها وإيمانها ، أضعاف ما كانت كذلك بأحاديثها وجولاتها وإرشاداتها .

وبتسنم السيـدة نعيمة خطاب ذروة النشـاط النسائى ، متعـاونة مع أمثـال من سلفت إليهن الإشارة من الأخـوات ، اشتد الإقبال على أقسام الأخـوات المسلمات ولاسيما بين طوائف المثقفات من المعلمات والجامعيات وذوات المناصب الرفيعة فى بعض الوزارات .

وستزداد معرفـة بأثر هذه الطاقة الإيمانيـة العظيمة إذا عرفنا دور بناتها المؤمنـات ، وما بذلن فى سبيل الدعوة من جهد وتحملن مع أمهن الفضلى من محن السجن والتشريد والاعتقال .

(١) وقد التحق بالدعوة فى أعصف أوقات المحن أخوات برزن أبطـال الرجال والحمد لله لايسعنى ولكن لهن بالأخوات أمينة الجوهرى وحميدة وأمينة قطب وغيرهن وأعزهن الله .

(هـ) الورع عن شبه الاستفادة بمكانها في الدعوة :

وهل ينتظر من شريكة الهضيبى ، ولدة ورعه وإيمانه « إلا أن تكون على شاكلته فى الورع عن كل شبهة للاستفادة بما جرى العرف على التساهل فى الاستفادة من ممتلكات الدعوة .

أجل كانت السيدة نعيمة ـ أكرمها الله ـ صورة صادقة لكل ما أشرقت به سيرة الهضيبى من الورع عما يستحله ، بما يستسيغه جمهرة الدعاة ورؤساء الهيئات .

رفض استخدام سيارة المرشد العام

عندما استقل الأستاذ الهضيبى الطائرة فى صيف ١٩٥٤ متجها إلى السعودية وبعض بلاد الشام « جاءنى سائق السيارة ـ التى خصصها مكتب الإرشاد العام لاستعمال المرشد دون غيره من قادة الاخوان ـ يسألني ما يصنع بالسيارة بعد أن سافر المرشد العام فأمرته بقيادة السيارة إلى داره بروضة القاهرة لوضعها تحت تصرف السيدة عقيلته ، وما هى إلا لحظات حتى عاد (الأسطى سيد) بالسيارة إلى منزلى فى منطقة سراى القبة ، يذكر أن السيدة لم تقبل السيارة ، بل أعلنت ألا حاجة لها فيها ، فضلا عن استحالة الاستفادة بها ، حتى لو دعت الحاجة لأنها لا حق لها فى استعمالها . وغضبت على السائق أن غادر بيت المرشد مكررا إليه الأمر بإعادتها ووضع نفسه والسيارة رهن تصرف السيدة الفاضلة .

ومالبث « الأسطى سيد » أن أثار شفقتى وهو يسألنى بلهجة التوصل أن أرحمه من كثرة التردد بين بيتى وبيت المرشد وأن أفض هذا الخلاف هاتفيا بينى أو بين السيدة الجليلة ، ثم أصدر الأوامر إليه وفق ما يتم عليه الاتفاق .

ورأيت المنطق فى طلب السائق المسكين ، فأمسكت الهاتف وأدرت الحديث مع السيدة الفضلى مستخدما كل ما أملك من وسائل الإقناع ، دون أن أبلغ مثقال ذرة ، من صخرة الورع التى اعتصمت بها السيدة فى قولها « إن السيارة مخصصة للمرشد العام بصفته ، لا لحسن الهضيبى بشخصه . فإذا غاب المرشد العام فلا حق لأحد من أهله أن ينتقل بها لبضع خطوات .

ومن ثم توسلت مبررا جديدا لاحتفاظها بالسيارة ، فقلت لها : إنك تقومين برعاية نشاط الأخوات وتنتقلين بين شعبهن للتفقد والإرشاد ، وبذلك تحتاجين إلى السيارة لتحققى بها للدعوة أجل الخدمات !

ولكن الداعية الحصيفة الواعية كانت أمنع من أن يستدرجها هذا المبرر الجديد إلى قبول السيارة ، إذ راحت تقول إننى أتفقد الشعب والأخوات وفقا لجدول أضعه وتعتمده ، فاحتفظ بالسيارة حتى إذا أرسلت لك جدول زياراتى واعتمدته أرسلت معه السيارة إن شئت ، لأستخدمها فى حدود ما يلزم لتنفيذه !!

بشـاشـة الإيمـان فـى أتـون البـلاء

وأشهد وسيشهد التاريخ أن هذه السيدة التى بدل مظهرها أنه ينبوع رفق وحنان ، فقد سجلت فى مـواطن البأس والضراء من ضروب الجلادة والصمود ، مـالم تألفه العصـور الحديثة من عـزائم الأبطال !

وإليك ثلاثة من مواقفها تحت وطأة البلاء فى أقلها ما يجاوز الكفاية الوفاء .

١ ـ مـع زوجـة الوزيـر أ . ح بعد اعتقـال المرشـد العـام

فوجئت عقب خروجى من السجن الحربى فى ربيع ١٩٥٤ بـالأخ م ع يلتهب حنينا إلى المرشد ويتدفـق إعجابا بـه وبعد أن كنت أعنفـه حتى سـاعة دخولى السجـن على غمزه من قنـاة المرشد الجديد تحت ستار المبالغة فى الثناء على الإمام الشهيد !

فلما رآنى استغرب هـذا التحول المفـاجىء ، لم يمهلنى لأسأله بل راح يقـول لا تعجب : لقد ذهبت روحية ـ إسم زوجـة الأخ المتحدث ـ لزيـارة آل الهضيبى بعد سجنه لمجرد إبـراء الذمة ورفع الملامة إذ كانت فى تشيعها لآل الإمام الشهيد لاتكاد تطيق أن ترى بيت من يخلفه ...

غير أنها عادت من هذه الـزيارة المستثقلة ، وقد انقلبت مشاعرها وأفكـارها رأسا على عقب ، وانطلقت تقول : « هكذا يجب أن يكون المرشد وكذلك ينبغى أن تكون زوجته وأولاده ...

لقد فوجئت ـ تقول روحيـة ـ بسيدة تغمرها البشاشة ، وحولها بنـاتها الثلاث إذ كان الذكور فى المعتقلات على وجوههن الاطمئنان والسكينة ، فنهضن جميعا لاستقبالى بترحيب ، وشملتنى بكل لطف وإيناس ، واتفق أن حضرت السيدة « س » زوجة الوزيـر أ . ح لتواسى ربة البيت وزهراتها الثلاث فما استقرت فى مجلسها حتى دار بينهما الحوار التالى أو ما فى معناه :

- ياست « أم أسـامة » هونى عليك « فحسن بك » بخير وقد أرسلنى زوجـى لأحمل تحياته إليك وإلى البنات ولأطمئنك بأنه مستمر فى بذل أقصى الجهود حتى لايصاب فى نفسه بأذى » وإن كانت كلمة المرشد لا مجال لها بعد الآن .
- شكـرا لك وللوزير ، ولكن من أخبره أننـا فى قلق حتى ينصحنا بـالاطمئنان ويبشرنا بسـلامة الأستاذ ؟
- أعنى أن الجهود مبذولة لمنع محاكمته أمام محكمة الثورة ، وما وراءها من مصير !
- أتريدين تذكيرى والبنات بأن الأحكام تصدر قبل المحاكمة ! وأن المصير هو الحكم بالاعدام ! يا سعـدية هـانم ، إسمعى مشكورة وبلغى السيـد الوزيـر أن حسن الهضيبى ما تـولى قيادة الإخـوان المسلمين إلا وهو يعلم أن سلفـه العظيم حسن البنـا قد اغتيل وأهـدر دمه علنـا فى

شارع رئيسى بالعاصمة وما رضى الهضيبى أن يكون خليفته إلا وهو ينتظر هذا المصير ، وقد باع نفسه لله ، وبعنا أنفسنا معه فلن يرانا أحد إذا كان هذا قدر الله إلا نماذج سكينة واطمئنان . سعداء بأن نحتسب عميدنا عند الله ، وأوفر سعادة أن نلحق به شهداء ...

ثم تلتفت صحابية الزمن إلى بناتها لتقول : هذا ما عندى فماذا عندكن يابنات ؟ ! فتنبعث الصيحة من علية وخالدة وسعاد : ليس عندنا إلا ما عندك يا أماه ! !

٢ ـ رسالتها إلى ملك عربى توسط فى تخفيف الحكم

حدثنا أخ من قادة الدعوة فى بلد عربى اجتمع فى الرياض بالملك السابق سعود بن عبد العزيز رحمه الله ، أنه رأى الملك العربى مأخوذا بدهشة الإعجاب والإجلال من كتاب نقلته إليه سفارته فى مصر ، بتوقيع زوجة الهضيبى وبناته الثلاث ـ بعد تخفيض حكم الإعدام على الهضيبى بناء على شفاعته إلى الأشغال الشاقة المؤبدة ! !

إذ قرأ فى هذا الكتاب عبارات ومعانى ما كان يخطر بباله ، أن يسمع بها بعد عصر الصحابة والسلف الصالح ، لا من نساء ولا من رجال ، ومما لايزال عالقا بالذاكرة من ذلك الكتاب كما اطلع عليه الأخ بيد الملك سعود رحمه الله ، ما نصه أو معناه :

يا جلالة الملك ، إننا إذ نشكر كريم عاطفتك نؤكد لك أننا على عهد الدعوة وميثاق الجهاد ، وسواء استشهد الهضيبى أو طالت به حياة فلن تقف عجلة الصراع ، لأنه فى الواقع ليس صراعا بين الهضيبى وعبد الناصر ؛ ولا بين الإخوان والثورة ، ولكنه الصراع الأزلى الأبدى بين الحق والباطل بين الإيمان والكفر . بين الهدى والضلال ، بين جند الله وحزب الشيطان وسيظل لواء الدعوة مرفوعا وعملها موصولا ، ولو ذهب فى سبيله آلاف الشهداء ، من رجال ونساء ، حتى تعلو كلمة الله . ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون !

٣ ـ الإباء والجلادة وراء القيضان

وقدر الله للسيدة الفضلى أن تصيب قسطها المباشر من البلاء فاقتيدت فى بعض مراحل المحنة الطاحنة إلى السجن ، وألقى بها فى زنزانة مظلمة تتيح لها الانفراد بالمولى سبحانه والأنس بمناجاته ، وذلك بعد أن وخطها الشيب ووهن منها العظم ـ وإن بقى لها مضاء العزم ـ واستضافت طائفة من الأمراض عجزت كلها أن تصيب مناعة النفس ، وكانت تعلم أنها لم يبق من أبنائها أو بناتها من لم يشرفه الله باحتمال المحنة فى التعذيب والسجن ! ... وعلى الرغم من كل ذلك كانت « أم أسامة » أعزها الله فى دياجير المحنة كما كانت فى منازل الرخاء والعافية ، مجلى بشاشة لم يتجهم ، ومعين سكينة لا ينضب ، وفيض أمن لمن حولها لايخاف ولا يفزع . ومثال

رزانة وصبر لا يتخلف حتى لكأن الله سقاها من رحمته سحابـة تظلل المكتويات بنار المحنة ونفحة إسعاف تنصب فى قلـوب الشاكيات من ضراوة النكبة ... ولم لا وهى تعلم من جـلال القدرة بين الرجال بزوجها ما ترى حقا عليها أن يلمس النساء فى ذاتها .

وفى مثل أم أسامة والله لا فى سيف الدولة يصدق قول المتنبى :

لو كان النســاء كمن عرفنا ... لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لإســم الشمس ... ولا التذكيـر فخــر الهــلال

* * *

الفصـــل الخامـــس

منهـج تكويـن الأخت المسلمة ثقافيـا وروحياً في المرحلـة التأسيسية

حلقـة الأسـرة المسلمة ... مـا هى ؟

هى حلقة ذكـر ، وحلقة الذكر بمعنـاها الاسلامى الشـامل هى : الجمع من المتحابين فى الله يعين بعضهم بعضاً على طاعـة الله ، بمدارسة أحكام الـدين وترتيل القرآن والاستماع إلى تفسيره ، كما يذكر فيها الملك الديان بالتسبيح والتحميد والتكبير .

قال رسول الله ﷺ : « إذا مررتم بريـاض الجنـة فارتعـوا » قالـوا : وما رياض الجنـة ؟ قـال : « حلق الذكر » .

وكان ابن مسعود رضـى الله عنه ، إذا ذكر هذا الحديث يقول : أمـا أنى لا أعنى القصاص ، ولكن حلق الفقه .

وكـان غطاء الخراسـانى يقـول : مجالس الذكـر ، هى مجالس الحلال والحرام : كيف تشترى وكيف تبيع ، كيف تصلى وتصوم وتعقـد العقد وتبرم الأمر أو تنقضـه بحقه عل الحائلين ، وكيف تحج وأشباه ذلك من المعاملات والعبادات .

وكـان أبـو السـوار العـدوى فى حلقـة يتـذاكـرون العلـم ، وكـان معهم فتى شـاب . فقـال للحاضرين : قولـوا سبحان الله والحـمد لله قـال أبـو السـوار موجها خطابـه لهـذا المدعـى : « ويحك ... فى أى شىء كنا إذن ؟ ! » .

فما أحوج بيوتنا الآن إلى هذا النوع من حلقات الذكر والمعرفة ، التى تتنزل عليها سحائب رحمة الله وبركاته وتتغشاها ملائكة الرضوان والغفران ...

ولابد لحلقـات الذكر والمعـرفة من منهج تسير فيـه الأخت المسلمة وتتدرج بـه فى مراقى الفهم والتكوين شأن كل عمل فى الإسلام يقـوم على قاعدة ويتبع منهجاً ونظامـاً ، كما أنه لابد للمنهج من مسئول أو نقيب يعرف أهداف المنهج وأغراضه ، ولابأس أن نذكره بالآتى :

أن يكون فى شخصه مثـلا يحتذى ، وقدوة عملية لأفـراد حلقته ... فعليه الوفـاء بما تمليه عليه هذه الصفـة لينعكس الأثر على إخوانه بتقليـدهم له ، فإن لسان الحال أبلغ من لسـان المقال ... وليعلم الله - إذ صـار مسئولا - أن براعتـه لاتكون بترديد النظريـات ، ولكن بترجمة ذلك إلى وقائع محسوسة فعليه أن يكون شعلة من حماس يتقـد ، وكتلة زاخرة من التضحية والبذل ، وبحر عميق محيط من وعى وفهم ، وأن يكون فى الـدرجات العاليـة الرفيعة من النبل ومكارم الأخـلاق وصفاء القلب .

وعليه أن يعلم : أن غاية هذا المنهاج ليست هى المعلومات بذاتها بقدر ما هى تكوين الشخصية المسلمة وبعث كل قدراتها على تطبيق معانى القرآن والسنة التطبيق العملى المتواصل .

وعليه وهو يعمل على تطبيق هذا المنهاج أن يهدر الخلافيات ، وأن يصرف كل جهوده فى غرس الموازين الاسلامية وفق قواعد شرعية صافية ، ويحذر الخوض فى الفرعيات التى قد تنحرف به وبمن يعول عن الهدف الذى يعمل له ، وهو تربية مجاهدين لافلاسفة .

وعليه أن يبتعد عن التكلف فى فهم الاسلام ودخول دائرة الاصطلاحات التى لا ضرورة لها ، فالأمر كما قال الإمام الشهيد حسن البنا : « **كان المسلمون الأولون رضوان الله عليهم لا يعرفون الإسلام ألفاظاً منمقة ولا عبارات ولا تقاسيم مزوقة ، ولا تعاريف علمية واصطلاحية ، وإنما كان إسلامهم عقيدة استقرت فى قلوبهم واستولت على نفوسهم فدفعتهم إلى العمل ، العمل الذى ينطبق على هذه العقيدة ويحقق مراميها ويصدق مضمونها** » .

وإذا كان لم يبلغ درجة النظر فى الأحكام ، فلا يتجرأ على الفتوى فيما لا دراية ولا علم له به . وإنما عليه أن يرجع إلى أهل العلم شأن أهل التقوى والورع .

أبـواب المنهـج :

أولا : العقيـدة

كل نظام اجتماعى وكل حضارة إنسانية تنبثق عن مفهوم للوجود وتصور للإنسان يحدد موقعه فى الوجود وعلاقته بالكون وما وراء الكون وتنطلق من اعتقاد يؤمن به الانسان ، فالعقيدة سواء كانت دينية أم فلسفة فكرية هى الأساس الذى تقوم عليه حضارة أولئك الذين يدينون بتلك العقيدة أو تلك الفلسفة بل تقوم عليه جميع الأنظمة الاجتماعيةفى تلك الحضارة . فمن العسير مثلا أن نفصل الحكم فى الإسلام عن عقيدته التى تعتبر الحاكم عبداً لله أختير ليسوس الجماعة الإسلامية سياسة تطبق فيها أحكام الإسلام بالتشاور مع جماعة المسلمين . فهذه النظرة إلى الحاكم وإلى الشعب وما بينهما من صلة منبثقة عن الأساس الذى يعتبر أن البشر متساوون وأن الله استخلف بنى آدم فى هذه الأرض لم يخص منهم فرداً ولا أسرة ولا طبقة بهذا الاستخلاف ، وأن أمير الجماعة ليس إلا إنساناً يخطىء ويصيب ، وكذلك البشر كلهم وأن معالم الهداية للبشر حددها الله كما حدد للكون سننه وللطبيعة قوانينها ، وأن الاستهداء بها وحسن تطبيقها راجع إلى الجماعة كلها لا إلى فرد يستبد برأيه ولذلك كانت الشورى أساساً وكانت مسئولية الحاكم بارزة فى هذا النظام ، وكذلك لو نظرت إلى أى جزء من النظام الاجتماعى فى النظام الديمقراطى لوجدته متصلا بفلسفة هذا النظام وتصوره ومفاهيمه ، وكذلك لو نظرت إلى أى جزء من النظام الاجتماعى فى المجتمع الشيوعى لألفيته منسجماً مع فلسفة الشيوعية المادية ومنبثقاً عن نظرتها إلى الانسان والحياة .

ولذلك كان لابد للإنسان أن يتخذ لنفسه موقفاً فى الحياة ، ويحدد سلوكه ويقيم لمجتمعه نظاما من عقيدة ومن فلسفة أو تصور للوجود تكون أساساً لسلوكه . فما هى العقيدة التى هى أساس نظام الاسلام ، وما هى نظرته العامة إلى الوجود أو التصور الذى قدمه للناس ، وما هو موقع هذه العقيدة بين العقائد ؟ وما مكان ذلك التصور بين سائر التصورات الأخرى أو المفاهيم العامة للوجود ؟ .

إن أسس العقيدة الإسلامية ومعالمها موجودة فى القرآن الكريم ماثلة فى سوره وآياته ، فإذا أراد الباحث أن يعرفها ويقف على نظرة الاسلام العامة إلى الوجود وتصوره له وما يتفرع من ذلك من مفاهيم ونظرات ، فما عليه إلا أن يتحرى ذلك فى آيات الكتاب المبين ، ففيها عرض كامل لهذه النظرة العامة التى دعا القرآن إليها ، وعرضها عرضا واضحا مقترناً بالأدلة المقنعة والشواهد المؤيدة .

لقد كان الخطاب القرآنى موجها ـ منذ البداية ، منذ أول سورة نزلت وهى سورة العلق ـ إلى الإنسان بوجه عام لا إلى قبيلة ولا إلى قوم ، وليس فى القرآن نداء خاص موجه إلى قبيلة النبى صلوات الله عليه ، ولا إلى قومه العرب وإنما نجد فيه الخطاب موجها إلى الناس والكلام عن الانسان .

وقد دعا القرآن الكريم الانسان إلى الإيمان بالله والحياة الأخرى التى فيها نتائج المسئولية والحساب والجزاء . ولكن القرآن الكريم حين خاطب الانسان ودعاه إلى هذا الإيمان انطلق به من الكون الذى يعيش فيه ومن نفسه ﴿ **وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ ولذلك تكرر فى القرآن الكريم الكلام عن الانسان نفسه والكلام عن الكون ومشاهده على أنها طريق للوصول إلى ما وراءهما . ولذلك كان لابد لنا من السير فى هذا الطريق نفسه ، ولابد لنا من معرفة موقع الكون والانسان فى عرض القرآن الكريم ، والنظرة التى يوحى بها ويوجه إليها فى هذا المجال لما لها من نتائج هامة فى تكوين العقلية الاسلامية وإن لم تدخل فى اصطلاح علماء الكلام فى إطار العقيدة ، ولم تكن مقصودة بالذات كذلك .

وعلى هذا نرى أن يتدرج دارس العقيدة الاسلامية حسب المنهج التالى :

أولا ـ الكون (الطبيعة) وكيف لفت القرآن النظر إليها فى أكثر من سورة .

ثانيا ـ الله الخالق فى صفاته وأسمائه الحسنى .

ثالثا ـ حقيقة التوحيد .

رابعا ـ الإنسان : صلته بالكون وصلته بالله تعالى وحريته ومسئوليته .

خامسا ـ النبوة : (الإنسان وحقائق الوجود ـ طبيعة النبوة ـ محمد رسول الله ﷺ ـ الإيمان بالنبوة ونتائجه) .

سادسا ـ الغيبيات : (الملائكة عليهم السلام ـ الجن ـ الروح) .

سابعا ـ المسئولية العظمى والحياة الآخرة : (طريقة القرآن فى عرض الحياة الآخرة واثباتها ـ أحوال القبر ، وعلامات القيامة ، والبعث والموقف والحساب ، والجزاء ـ أثر الإيمان باليوم الآخر والحساب) .

ثامناً ـ خصائص العقيدة الاسلامية ونتائجها : أثر الإيمان فى حياة الفرد وحياة المجتمع .

وقد صدرت مؤلفات حديثة تعالج مسائل العقيدة بمنهج قرآنى بعيدة عن تعقيدات ومصطلحات علماء الكلام نرشح منها الكتب الآتية :

١ ـ العقائد .... للإمام الشهيد حسن البنا
٢ ـ الله فى العقيدة الاسلامية .... للإمام الشهيد حسن البنا
٣ ـ الله .... سعيد حوى
٤ ـ الرسول (جزءان) .... سعيد حوى
٥ ـ عقيدة المسلم .... للشيخ محمد الغزالى
٦ ـ الايمان (الحضارة الاسلامية : أسسها ومبادئها) .... للعلامة أبى الأعلى المودودى
٧ ـ تبسيط العقائد الاسلامية .... للشيخ حسن أيوب
٨ ـ العقائد الاسلامية .... للشيخ سيد سابق
٩ ـ حقيقة التوحيد .... للدكتور يوسف القرضاوى
١٠ ـ عقيدة اليوم الآخرة : المحرك الدائم للإنسان المسلم .... عبد الودود يوسف
١١ ـ كبرى اليقينيات الكونية .... دكتور محمد سعيد رمضان البوطى
١٢ ـ خصائص التصور الاسلامى .... سيد قطب
١٣ ـ الخصائص العامة للإسلام .... للدكتور يوسف القرضاوى
١٤ ـ الايمان والحياة .... للدكتور يوسف القرضاوى
١٥ ـ آدم عليه السلام .... للأستاذ البهى الخولى
١٦ ـ نظام الاسلام (العقيدة والعبادة) .... للعلامة محمد المبارك

ثانيا : فقه العبادة

فريقان من الناس ضاع الحق بينهما ، وانقلبت الحياة عندهـا مشوهة ممسوخة على السواء ، أما أحدهما فقد أخرج العبادة عن حقيقتها ، وانحرف بها عن غايتها الأساسية ، وأساء فهمها ، وشوه جمالها ، وجعل منها عملا مستقلا منفصلا ، بعد أن كانت حلقة من سلسلة وجزءاً من نظام كامل ، واعتبر مظاهرها وأشكالها ، لا روحها وجوهرها . فالصلاة عندهم أقوال وحركات ، والصوم جوع وعطش ، والحج أدعية وسعى وطواف وذبح قرابين . وقد يجعلون ذلك ثمنا لمطالب دنيوية يطلبونها من الله ، حتى كأن العبادة تجارة مادية بين الله والانسان . وقد يجرهم ذلك إلى تعطيل الأسباب التى شرعها الله وسنها فى هذا الكون للوصول إلى نتائجها الطبيعية .

وفريق آخر من الناس قضى على جزء عزيز من تراثنا ، وجوهر أصيل من حضارتنا ، به أصلحنا الحضارات السابقة وقومنا اعوجاجها ، وبه نصلح اليوم هذه الحضارة المعاصرة القائمة على الاعتبارات المادية وحدها ، وذلك بإهمالهم تربية الروح وتنمية الفعالية الروحية ، وإلغائهم العبادة من نظام الحياة ، حتى غدت الحياة ناقصة بتراء مجدبة مقفرة ، بحجة إحلالهم التربية العقلية أو الوطنية أو القومية محلها ، فى حين أن كل هذه الأنواع من التربية لاتحل محل العبادة ، التى هى الصلة بين الإنسان وخالقه أنى كانت أرضه ووطنه وقوميته . إنها تنمية وتزكيه للخاصة الإنسانية فى الإنسان تلك الخاصة التى هى أثر من آثار النفحة الإلهية فيه ، والتى من أجلها كان مخلوقا مكرما ، سجدت له الملائكة وطرد من أجله الشيطان من الجنة .

لقد كانت العبادة فى تاريخنا مقدمة للأحداث الكبرى وإرهاصاً بالمعجزة العالمية . فقد كانت العبادة فى تاريخنا فى حياة النبى ﷺ مقدمة لبعثته وحمله للرسالة لقد كانت تهيئة لنفسه ليستطيع الاضطلاع بعبء الرسالة ، وإعدادا لروحه لتبلغ الوعى الكامل وتقدر أن تتحمل الوحى وتتصل بالملأ الأعلى .

إن العبادة هى أول ما طلب إليه وأمر به ، وأول ما بدأ به حياته ودعوته الكبرى وعمله الضخم **﴿ يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾**(١) وتكرر الخطاب بهذا المعنى :

﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا . فاصبر لحكم ربك ولاتطع منهم آثما أو كفورا . واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾(٢) .

لقد كانت صلته بالله أسبق من صلته بالمجتمع الذى سيقوم بإصلاحه وتطهيره لنفسه وتزكيتها وتهيئتها قبل إصلاحه للمجتمع . وكانت العبادة كذلك هى الصفة البارزة والعمل الأول لذلك

---

(١) سورة المزمل : ١ ، ٥ .
(٢) الإنسان : ٢٣ ، ٢٦ .

العدد القليل الـذى آمن فى مكة مع رسول ا الله ﷺ وتحققت فيـه صفة العبودية الكـاملة لله حيث كان يجتمع سرا فى دار الأرقم على عبادة الله .

لقد بدأ أولئك المسلمون الأولون بتعبيـد أنفسهم لله وفتح آفاق أنفسهـم قبل أن يفتحوا العالم ، وتهيئـوا وتجردوا لـذلك العمل العـالمى الضخم ولتلك الحركـة الكبرى ، لقد كـونت نـواتها الأولى العبادة وتطهير النفس وتقوية صلتها بالله ووعيها لآفـاق الوجود ، لقد كانت العبادة اللبنة الأولى فى تاريخ الـدعوة ، وكانت بـالنسبة للحضارة التى أقامهـا المسلمون بمثابـة الجذور العميقة التى نبتت وأثمرت .

ذلك أن الغايـة الأولى للعبـادة فى الإسلام هى أن تزج بـالإنسان المسلم فى معركة تعبيد الناس لله ، وصراع الخير والشر والحق والباطل ، وهو أمضى ما يكون سـلاحا ، وأقوى عزيمة ، وأطهر نفسا ، وأنبل قصدا .

إنه يدخل معـركة الحق والباطل والعدل والظلم وهـو يعلم أن النصر من عند الله ، فلا تطغى قوته ، ولا يداخلـه الغرور ونشوة النصر ، ولاتغريه مفاتن الدنيا إذا عـرضت له فى طريقه أو حين يكسب المعركة ، ولا يصبح الظفر والغلبة وسيلة لاستعباد الناس وظلمهم والاستعلاء عليهم .

إن الاسلام جاء بعقيـدة جامعة وبفكرة عن الـوجود والكون وعن الإنســان ومصيره ومسئوليته أمام الله الخالق المهيمن كان لها أعظم الأثر فى تخليص عبـادة الله من أى شائبة شرك وتحرير تفكير الإنســان من الأســاطير وتحريــره من الخضـوع لانسـان آخـر أو للمجتمع الجائر . أو لأهـوائه وشهواته ، وجعله أداة منفذة للخير ، مجاهدا فى سبيل الله .

ولذلك لم يغفل المسلمون الأولون عن أن وراء العبادة غايات سامية ، إنها إعداد لمعارك الجهاد فى الحياة وقد ورد الكتاب الكريم ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾[1] فهى سبيل لتقوية الروح وتهيئة للنفس لخوض المعركة إنها تذكره أنه يعيش لا ليأكل ويشرب وينام . ولا ليجمع المال ويبنى الدور ويرتع فى نعيم العيش ، وإن كان يعتبر ذلك من متطلبات الفطـرة التى فطر الناس عليها ؛ ولكنه يعيش ليحمل أمانـة وينفذ رسـالة ، إنه يعيـش فى الطبيعة بغرائزهـا ودوافعها ومغـرياتها ، ولكن العبادة تذكره أن يتحرر من تأثيرها ويعيش فى جو أعلى من جوها .

إن الإنسان ليرتقى بمختلف الطاقات الموجودة فيه من نوع إلى نوع ، فأدناه الطاقة العضلية ثم الطاقة الغريزية ، وهذه يشترك فيها مع الحيـوان ثم الطاقة العقلية . وأسمى من هذه كلها الطاقة الروحيـة التى يمتاز بها الإنسان عن الموجـودات كلها والعبادة هى الوسيلـة الوحيدة لترقيتهـا وقد جاءت العبادات فى الإســلام لتنمية هذه الطاقة وتزكيتهـا لتؤثر بدورها فى الطاقـات الأخرى لتتجه فيما يرضى الله .

(١) سورة البقرة : ٤٥ .

وقد تخلصت العبادة فى الإسلام من آثار الطلاسم والألغاز والأسرار فجاءت تعبيراً واضحا عن الصلة بالله ، سواء فى الصلاة بحركاتها وأقوالها أو فى الصيام ورياضته النفسية أو فى الحج وما فيه من تجرد عن متاع الدنيا وزخارفها .

وجاءت العبادة فى الإسلام متنوعة تنوعاً مفيداً من حيث أوقاتها وتوزعها ، ومن حيث كونها فردية أحيانا وجماعية تارة أخرى . وجاءت كذلك خالصة من شوائب الوثنية فهى دائما صلة بالخالق وتوجه إليه وطلب لمرضاته وانتظار للقائه وثوابه .

إن أسلافنا انتصروا فى معارك الجهاد وأقاموا معالم العدل والعلم حين استعلت فيهم قوة الروح وكان النصر حليفا لهم فى كل الميادين .

وانطلاقاً من هذا المفهوم للعبادة الإسلامية يمكن للأخت المسلمة

أن تتدرج فى معرفتها لفقه العبادة وفقاً للمنهج الآتى :

أولا ـ خصائص العبادة الإسلامية ومزاياها

ثانيا ـ الصلاة :

١ ـ أثر الصلاة فى حياة المسلم .

٢ ـ مكانة الصلاة فى الإسلام وحكم تاركها .

٣ ـ الطهارة ونظافة المصلى .

٤ ـ الوضوء (فرائضه وسننه ونواقضه ولماذا يجب) .

٥ ـ الغسل (موجباته وما يستحب له وفرائضه وسننه) .

٦ ـ التيمم (أسبابه وكيفيته ونواقضه) .

٧ ـ الدماء الخاصة بالنساء (دم الحيض والنفاس ودم الاستحاضة والأحكام الخاصة بها وما يحرم على الحائض والنفساء) .

٨ ـ الصلاة (أركانها وسننها وبطلانها ومكروهاتها ومايباح فيها) .

ثالثا ـ الجنائز (غسل المرأة الميتة ـ التكفين ـ صفة الصلاة على جنازة المرأة ـ حكم حمل الميتة وكيفيتها ـ تشييع الميت ـ البكاء على الميت) .

رابعا ـ الدعاء (تعريفه ـ فضائله ـ آدابه ـ الأذكار الواردة فيه) .

خامسا ـ الزكاة (الترغيب فى آدائها والترهيب من منعها ـ وجوب الزكاة ومنزلتها فى الإسلام ـ أحكامها) . (الصدقات : فضائلها والحض عليها) .

سادسا ـ الصيام (فضائله والجوانب الاجتماعية فيه ـ أحكامه) .

سابعا ـ الحج (فضائله ـ أحكامه) .

ونرشح للمنهج الكتب التالية :

١ ـ فقه السنة (الأجزاء من ١ إلى ٥) . . . . الشيخ السيد سابق

٢ ـ تعليم الطهارة والصلاة . . . . الشيخ حسن أيوب

٣ ـ فقه النساء فى الطهارة . . . . للأستاذ محمد عطية خميس

٤ ـ فقه النساء فى الصلاة . . . . للأستاذ محمد عطية خميس

٥ ـ فقه النساء فى الزكاة والصيام . . . . للأستاذ محمد عطية خميس

٦ ـ موعظة المؤمنين (من إحياء علوم الدين . . . . للعلامة القاسمى

٧ ـ العبادة فى الاسلام . . . . الدكتور يوسف القرضاوى

٨ ـ الصلاة وحكم تاركها . . . . للإمام ابن القيم

ثالثا : القرآن الكريم وعلومه

لقد جرت عادة جمهرة المسلمين فى العصور الأخيرة أن يقرأوا القرآن للتبرك بتلاوته ورجاء ثواب الله لمجرد قراءته ، سواء فهموه أو لم يفهموه وعملوا به أم لم يعملوا . وبعد أن كان هذا الكتاب الإلهى العظيم مصدراً لحضارة وثقافة وباعثاً لنهضة وبانياً لأمة ، أصبح فى عصور الانحطاط كوصفة الطبيب يكتفى المريض بحفظها فى جيبه والنظر إليها وقراءتها بين الحين والحين دون أن يستعمل الدواء الذى دلت عليه وأرشدت إليه .

لقد فتح القرآن عقولا وقلوباً وبعث أمة بل أمماً ...

لقدتفتحت العيون والعقول بما فى القرآن من مشاهد وصور وحوادث وبما خلق الله فى الكون الواسع ، والمجتمع البشرى ، كما تفتحت على مشاعر ومنازع فى النفس الانسانية ، وحقق الله قوله فيما أطلعنا عليه فى آفاق الكون وآفاق النفس **﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ﴿وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾** وحرك القرآن الكريم القلوب وفتح فيها كذلك آفاقا جديدة ووصل حبلها بخالقها وأشعرها بنعمه ، بعد أن كانت مفعمة بحب المال والطمع وأنواع من عواطف الغرور والكبر والأثرة والطغيان تخلد إلى الشهوة وتسكن للذة ولو كان فى ذلك الشر والفساد والظلم ، فجعلها تخشع لعظمة الله ، وتلين

لذكره وتشعر بفضله ، وتشكر نعمته وتحب الخير لمخلوقاته ، وتستشعر مراقبته ، وتحس بالمسئولية أمامه ، وتطمع فى مرضاته .

لقد كان القرآن فى مبادئه ونظمه حربا على الاستبداد والاستعلاء ﴿ **ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** ﴾ [١] فالبشر متساوون أفرادا وجماعات ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [٢]. وللمظلوم أن يجهر بأنه مظلوم ويدفع عن نفسه الظلم ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** ﴾ [٣] واختلاف الناس فى الدين ليس داعيا للخصومة والعداء ﴿ **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ [٤] ولكن الاعتداء على حرية الانسان فى دينه وعقيدته وسلبه أرضه ووطنه يجيز الخصومة ويبيح المقاومة ﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾ [٥] .

فى القرآن العظيم تشريع يقيم التوازن بين أفراد الأسرة الواحدة التى بنيت على أساس الاستقرار والطمأنينة والثقة . وعلى أساس المساواة بين الرجل والمرأة مع جعل الرياسة فى هذه الجمعية للرجل . وأقام المجتمع على أساس التضامن بين أفراده ﴿**والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** ﴾ [٦] ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ [٧].

إن فى القرآن من المبادىء التشريعية والنظم الاجتماعية ما يكفل إقامة مجتمع إنسانى عادل . إن هذا القرآن الذى كان سببا لتفتح العقول والسمو بالنفوس وتنظيم المجتمع فى العصر الاسلامى الأول فأخرجهم من الظلمات إلى النور ، فى داخل أنفسهم وفى مجتمعهم ، لم يعد كذلك ترك المسلمون فهمه وتدبره ، واكتفوا بظاهر تلاوته ، وحلاوة نعمته ، وكسب الثواب بقراءته ، ولاسيما للأموات طمعا فى غفران ذنوبهم ، بعد أن كان للأحياء ليعلموا به ، وليكون دستور حياتهم ، وشهيدا عليهم ، والصلة فيما بينهم وبين الله ، وبعد أن كان العمل نتيجة لقراءته أصبحت قراءته مغنية ـ بزعمهم ـ عن العمل لأنها هى العمل نفسه .

يجب أن نعيش فى جو القرآن وأن يكون الأثير الذى تسبح فيه عقولنا وقلوبنا ونفوسنا . يجب أن نفهمه من جديد وأن يكون وسيلة للعودة إلى ذاتيتنا وشخصيتنا . يجب أن نهىء نفوسنا عليها

---

(١) سورة آل عمران : ٦٤ .
(٢) سورة الحجرات : ١٣ .
(٣) سورة النساء : ١٤٨ .
(٤) سورة الممتحنة : ٧ .
(٥) الممتحنة : ٨ .
(٦) سورة المعارج : ٢٤ ، ٢٥ .
(٧) سورة الحج : ٤١ .

بالقـرآن كما كان يتنـزل على الصحابة غضـا طريـاً . لقد نزل القـرآن بالتـدريج مقسطا على بضع وعشرين سنة تثبيتا للرسول الكريـم ﷺ وتربية للمسلمين الأولين وتدريجا لهم فى التعلـيم والتربية **﴿ وقـال الذين كفـروا لولا نـزل عليه الـقرآن جمـلة واحـدة كـذلك لنثبت بـه فـؤادك ورتلناه ترتيلا ﴾** [١] **﴿وقرآنـا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنـزيلا ﴾** [٢] فامتزجت نفوس ذلك الجيل بآيات القرآن خـلال نزولها فى هذه المدة فتكونت وترتب بالقـرآن . فكان تثقيفا لعقولها وتهذيبا لنفوسها وترويضا لقلوبها وتنظيما لمجتمعها ، حتى غدا القرآن أفكارا ومفاهيم فى عقولهم ، وعواطف ومشاعر فى أفئدتهم وقلوبهم ، وأعمالا تصدر عن جوارحهم .

فأين نحن اليوم من القرآن ؟ ! و إذا كان آباؤنا الأقـربون يتبركون بتلاوته فحسب ، فنحن اليوم نكتفى بما تحدثه نغمات القرآن فى نفوسنـا من نشوة وما تبعثه موسيقاه العذبـة العميقة فى قلوبنا من هدوء ولـذة ونحن فى كلا الحالين بعيدون عن تمثله واستيعـابه ووعيه ، وجعله شهيـدا على أنفسنا وطريقا نسير فيه نحو الله ، ودستورا نتخذه للحياة .

ولئن كانت رسالة القرآن إلى الناس كافة ، فلقد كان العرب أول المدعوين إليه والمخاطبين به . فكانـوا هم الدعـاة الأولين الذين بلغـوا دعوتـه إلى الأمم ، فهل أدينا نحن العـرب فى هذا العصر الأمـانة التى أداهـا أسلافنـا ؟ فإن العرب هم أول من خـوطب بالقـرآن ، وبلسانهم نـزل ، وعن طريقهم تبلغ العـالم هذه الدعوة الإنسـانية الحضاريـة الخالدة لذا نرجـو أن نسلك فى فهم القرآن والتعبد به والحياة به المنهج التالى :

أولا ـ التـلاوة :

وهى من أفضل أنـواع الذكـر لأنه يتضمن جميع أنـواع ذكر الله ، فيـذكر الإنسـان بالله وآيـاته ويذكـره بصفاته وآلائه ، يثير فى نفسه عظمتـه وقدرته وحكمته ورحمتـه وفضله وإحسانه وعـذابه ونعيمـه . والقـرآن يتضمن كثيراً من الأدعيـة يتعلمهـا قارئه ويـدعـو بها وكثيراً من الثنـاء على الله وتسبيحه وتنزيهه ويحتوى على أوامر الله وأحكامه ووصاياه وتعاليمه ولهذا ورد فى القرآن نفسه قوله : **﴿ فاقرأوا مـاتيسـر من القرآن ﴾** [٣] وقوله : **﴿ أقم الصـلاة لدلـوك الشمس إلى غسـق الليل وقـرآن الفجر إن قـرآن الفجر كان مشهودا ﴾** [٤] **﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾** [٥] .

ووردت أحاديث فى الحض على تلاوته وحفظه منها قـوله عليه الصلاة والسلام « عليك بتلاوة

---

(١) سورة الفرقان : ٣٢ .
(٢) سورة الإسراء : ١٠٦ .
(٣) سورة المزمل : ٢٠ .
(٤) سورة الإسراء : ٧٨ .
(٥) سورة المزمل : ٤ .

القرآن فإنه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء » رواه ابن حبان ، وقوله : « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة - رواه أحمد » .

والأصل فى تلاوة القرآن أن تكون بفهم وتدبر وتفكر ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ (١) . ولذلك كره أن يختم القارىء القرآن فى أقل من ثلاثة أيام وفقا لحديث النبى ﷺ « لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاثة - رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه » . وكانت وصيته ﷺ لعبد الله بن عمر ألا يقرأه فى أقل من سبع كما ورد فى الصحيحين . وقد كره سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أن يختم الإنسان القرآن فى أقل من ثلاثة أيام فقالوا : إن فى الختم فى أقل من ثلاث إسراعا لايعين على التفهم والتدبر . كما كرهوا الختم فى أكثر من شهر لأن فى ذلك إسراف فى هجر القرآن .

١ - مقدار الورد :

تختلف ظروف المسلمين وأحوالهم ، ولهذا لم يحدد مقدار الورد ، وترك ذلك لظروف كل شخص ومقدرته والمهم ألا يمر به يوم بغير أن يقرأ شيئاً من كتاب الله تعالى . فإن لم يكن المسلم من أهل القراءة فليجتهد فى الاستماع أو فى حفظ بعض السور (٢).

٢ - آداب التلاوة وأحكام التجويد :

لكى تحدث التلاوة أثرها فى القلب لابد من مراعاة آدابها وإلا كانت مجرد ألفاظ لا تأثير فيها فلابد من الخشوع والتأدب ، واستحضار معانى الصيغ ومحاولة التأثر بها ، وملاحظة مقاصدها وأغراضها .

كما أن من آداب التلاوة كذلك مراعاة أحكام التجويد ، فيخرج الحروف من مخارجها ، ويؤديها على قواعدها ، ويمد الممدود ، ويغن ما يستحق الغنة ، ويفخم المفخم ويرقق المرقق ، وهكذا (٣) فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تكبوا فتباكوا وتغنوا به ، فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا » . والمراد بالتغنى هنا التحسن وإظهار الخشوع مع تجويد القراءة فقد جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ حسبتموه يخشى الله » .

قال ابن كثير : والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة ، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان

---

(١) سورة ص : ٢٩ .

(٢) وبخاصة فقد توفرت أشرطة الكاسيت فى التعليم والتلاوة .

(٣) لا يستغنى المبتدىء فى التجويد عن التلقى من معلم ،

والأوضاع الملهية والقانون الموسيقى ، فالقرآن منـزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك فى آدائه هذا المذهب » وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك .

ثانيا : الحفظ والدراسة :

١ ـ يحفظ الجزء الثلاثون ، لقصر سوره مما يجعل حفظها سهلا تمشياً مع طبيعة هذه المرحلة من تكوين الأخت المسلمة .

وحيث أن هذا الجزء كله تركيز على النشأة الأولى للإنسان والأحياء الأخرى فى هذه الأرض من نبات وحيوان ، وعلى مشاهد هذا الكون وآياته فى كتابه المفتوح ، وعلى مشاهد القيامة الرهيبة ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب فى سور تقرع وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية فى ضخامتها وهولها ... واتخاذها جميعا دلائل على الخلق والتدبيروالنشأة الأخرى وموازينها الحالة . مع التقريع والتخويف والتحذير وأحيانا تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبين . لذا يستحسن دراسة كل سورة وتدبر مافيها من عبر وعظات قبل الحفظ . هذا ونوصى بالتركيز على دراسة سورة الفاتحة وذلك لاستمرار ترديد المسلم لهذه السورة فى صلاته كل يوم فمن المتعين عليه أن يكون مستوعباً للحكمة فى ترديدها .

٢ ـ سورة النور وذلك لأنها بمثابة حجر الأساس لحياة المسلمين الخلقية والاجتماعية وما يتخللها من الآداب النفسية الفردية وآداب البيت والأسرة ، وآداب الجماعة والقيادة ، وأنه لابد ـ على هذا ـ أن يكون كل فرد من أفراد المسلمين على معرفة بها .

٣ ـ سورة الأحزاب : ذلك أن هذه السورة تولت جانبا كبيرا من عملية تنظيم الجماعة المسلمة وإبراز ملامحها وتثبيتها فى حياة الأسرة والجماعة ، وبيان أصولها من العقيدة والتشريع ، كما تولت تعديل الأوضاع والتقاليد أو إبطالها ، وإخضاعها فى هذا كله للتصور الإسلامى .

٤ ـ سورة الحجرات : هذه السورة تفتح للقلب وللعقل آفاقا عالية وآمادا بعيدة ، وتثير فى النفس والذهن خواطر عميقة ومعانى كبيرة وتشمل من مناهج التكوين ، وقواعد التربية والتهذيب ، ومبادىء التشريع والتوجيه ، ما هو ضرورى فى بناء القاعدة الأخلاقية للأخت المسلمة ونرشح من المصادر العلمية فى فهم القرآن وتدبره والتأدب بأحكامه ما يلى :

(أ) فى آداب التلاوة وأحكام التجويد :

بعد تبلبل الألسنة وفشو اللحن وانتشار العامية والبعد عن الفصحى يستحب للأخت المسلمة أن يصاحبها عند التلاوة أحد الكتابين الآتيين :

١ ـ كلمات القرآن . . . . للشيخ حسنين مخلوف

٢ ـ المصحف الميسر .... للشيخ عبد الجليل عيسى

وتدرس الكتابيـــن الآتييـن :

١ ـ التجويد وعلوم القرآن .... عبد البديع صقر

٢ ـ التبيان فى آداب حملة القرآن .... للإمام النووى

(ب) الحفـظ والتفســير :

١ ـ فى ظلال القرآن .... سيد قطب
٢ ـ تفسير القـرآن العظيم .... لابن كثير
٣ ـ التفسير الواضح .... الدكتور محمد محمود حجازى
٤ ـ تفسير سورة الفاتحة .... للإمام الشهيد حسن البنا
٥ ـ تفسير سورة النور .... للعلامة أبى الأعلى المودودى

رابعـــا : الســنة المطهــرة

١ ـ إن كتاب الله لايفهم فهما تطبيقيا بدون السنة . فمثـلا القرآن أمر بالصلاة ، والسنة هى التى أرشدتنا إلى كيفية تطبيق هـذا الأمر ، وكذلك الزكاة هى التى حـددت نسبتها ، وهكذا بقية الإسلام . لذلك كـان من اتباع كتاب الله اتباع سنة رسول الله ﷺ (ومـن يطـع الرسول فقد أطاع الله) ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ .

وعدا من ذلك فإن الـرسول ﷺ هو المظهر العملى للقـرآن من الناحية التطبيقية « كـان خلقه القرآن » فكان أسوة لكل إنسان ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر** الله **كثيرا** ﴾ ولذلك كانت السنة الأصل الثانى .

٢ ـ وبناء على مـا تقدم فإنه لافرق بين طاعة الله تعـالى فى كتابه وطاعة رسـوله فى سننه من حيث المعنى « فطاعة الله طاعة لرسوله ، وطاعة رسـوله طاعة له ، إذ لا يأمر الرسول إلا بما أمر الله عـز وجل به وقـد انصبت آيـات القـرآن مبينة هـذا المعنى ﴿ **وأطيعـوا الله وأطيعوا الرسـول واحذروا فإن توليتم فما على رسـولنا إلا البلاغ المبين** ﴾ ﴿ **فليحـذر الذين يخالفـون عن أمره أن تصيبهم فتنـة أو يصيبهم عـذاب** أليم ﴾ ﴿ **يـا أيها الـذين آمنـوا استجيبـوا لله وللرسـول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ .

وحيث وردت طاعة الله فذلك طاعة كتابه . وحيثما وردت طاعة الرسول ﷺ فتلك طاعة سنته فهما متلازمان (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ) (ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه) .

وحيثما وردت الحكمة ممتنا بها علينا بجانب الكتاب فإنما هى السنة لاغير :

﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ (1) .

٣ ـ وحيثما كانت السنة فلا يسع مسلم أن يتجاوزها « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها قالوا : أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : وأنا أعتزل النساء ، ولا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى أخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم أفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

٤ ـ ونعنى هنا بالسنة ما يعنيه الأصوليون فيها وهى :

ما نقل عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، وذلك لأن علماء الأصول هم الذين بحثوا عن رسول الله ﷺ باعتباره المشرع الذى يضع القواعد ويبين للناس دستور الحياة .

وأما المحدثون فمفهومهم عن السنة أوسع إذ هى فى اصطلاحهم : ما أثر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خَلقية أو سيره سواء كان قبل البعثة أو بعدها فهى عندهم أوسع منها فى اصطلاح الأصوليين .

هذه السنة لايتجاوز إلى غيرها بعد ثبوتها إلا متهم ، وتلك كانت سنة الخلفاء الراشدين التثبت من السنة حتى إذا تثبتوا لم يلتفتوا عنها .

روى الجريزى عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن أبا موسى رضى الله عنه سلم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له فرجع فأرسل عمر رضى الله عنه فى أثره فقال : لما رجعت ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا استأذن أحدكم فلم يؤذن له فليرجع » قال : لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بك فجاء أبو موسى رضى الله عنه ممتقعا لونه ونحن جلوس فقلنا : ما شأنك ؟ فأخبرنا وقال : فهل سمع أحد منكم ؟ فقلنا : نعم ، كلنا سمعه ، فأرسلوا رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره .

---

(1) سورة آل عمران : ١٦٤ .

ونرشح هذه الكتب :

١ ـ رياض الصالحين للنووى .... للدراسة

٢ ـ الأربعين النووية .... حفظ ودراسة

٣ ـ الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث .... لابن كثير

خامسا : السيرة النبوية

منهجنا فى دراسة السيرة النبوية

(أ) دراسة حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها .

(ب) الوقوف على مراحل دعوته وتطوراتها .

(جـ) التعرف على الطرق التى سلكها فى تكييف التبليغ حسب طاقات الأفراد ومعادن الناس والتدرج فى ارتفاع درجات الإيمان وموجة سير الدعوة .

(د) استعراض ما كان من قومه حين واجههم برسالته من صد واضطهاد وما كان منه ومن أصحابه من صبر واحتمال .

(هـ) الدولة الصالحة والحكومة الفاضلة فى العهد المدنى نتيجة طبيعية للأمة المؤمنة والشعب الواعى فى العهد المكى .

ونحن ندرس السيرة لاندرسها من الجانب التاريخى فحسب لنشبع به الشهوة العلمية ونتوصل إلى قتل الوقت وتحصيل المتعة واللذة الذهنية .

ولكن ندرسها من الجانب التطبيقى على أن دعوتنا صدى من أصدائها وامتداد طبيعى من امتداداها فنتفاعل معها ونتجاوب مع رجالها فنبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثلما فعلوا .
ونحن حين ندرس السيرة نأخذها أخذا جديدا غير ما يألف الناس فنحن متبعون لامبتدعون يغمر مشاعرنا ويستولى على أفهامنا حين تدبرها أنه لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ومن أهدافنا من دراستها كذلك :

١ ـ أن نعيش فى صحبة روحية دائمة مع رسول الله ﷺ فى سيرته حيث قد حرمنا الصحبة الزمنية .

٢ ـ أن نستمد القوى الدافعة من النماذج والقوالب الربانية والصدور السليمة التى صاغتها الرسالة وصنعتها النبوة .

٣ ـ أن نستنير بها فى حل مشاكلنا الخاصة والعامة التى تعرض لنا فى أطوار دعوتنا ومراحلها وفى انتقالها من جيل إلى جيل وفى مواجهتها لتقلبات المجتمع ومطالب العمران :

ونرشح لذلك الكتب الآتية :

١ ـ فقه السيرة . . . . محمد الغزالي
٢ ـ صور من حياة الرسول . . . . أمين دويدار
٣ ـ الرسول (جزءان) . . . . سعيد حوى
٤ ـ معارك الإسلام الفاصلة (عدة كتب) . . . . محمد أحمد باشميل
٥ ـ السيرة النبوية : دروس وعبر . . . . للمرحوم الدكتور مصطفى السباعى

سادسا : أصول الإسلام كنظام اجتماعى

من المعلوم أن الإسلام لم يقتصر على عقيدة دعا إلى الإيمان بها وشعائر للعبادات أمر بإقامتها ، وقواعد للسلوك والأخلاق حض على التزامها ، بل تجاوز ذلك وبنى على هذا كله بناء اجتماعياً كاملاً قدم للناس أسسه وهيكله العام وخطوطه الكبرى واتجاهاته العامة وأحيانا بعض تفصيلاته وجزئياته .

ويشتمل هذا النظام الاجتماعى على تشريع للأسرة وتحديد وظيفة أفرادها وعلاقات بعضهم ببعض ، ويشتمل على نظام اقتصادى مالى يحدد طرق الكسب وطرق الإنفاق ، وعلاقات الناس بعضهم ببعض من الوجهة المالية ، وأسس التكافل والتضامن فيما بينهم ، ويحدد مفهوم الملكية ويبين قيودها ، ويفصل ما بين الفرد والجماعة فى شئون المال والتصرف ، ويشتمل على نظام سياسى أو نظام للدولة : ويتضمن مبادىء عامة للحكم والسياسة ، ويحدد العلاقة بين الحاكم وأفراد الشعب ، وحقوق المواطنين فى الدولة الإسلامية من المسلمين أو غير مسلمين ، وموقف الدولة الإسلامية من الدول الأخرى ، ومن الأفراد المنتمين إليها ، وقواعد السلم والحرب ، ويشتمل على نظام للعقوبات بضمان تنفيذ هذه الأنظمة الأخلاقية والتشريعية جميعاً .

إن لهذا التشريع الشامل للأسرة والدولة ولحقوق الأفراد والجماعات قواعد وخصائص يتميز بها عن سائر التشريعات الأخرى ، لذلك كان من الواجب على المسلم التعرف على مزاياه وخصائصه وقواعده ومبادئه ...

ونقترح لهذه الدراسة الكتب الآتية :

١ ـ نظام الحياة فى الاسلام . . . . للعلامة أبى الأعلى المودودى
٢ ـ العدالة الاجتماعية فى الإسلام . . . . سيد قطب
٣ ـ السلام فى الإسلام . . . . للإمام الشهيد حسن البنا
٤ ـ مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى . . . . للإمام حسن البنا

٥ ـ الإسلام والأوضاع الاقتصادية . . . . محمد الغزالى
٦ ـ الإسلام وأوضاعنا القانونية . . . . عبد القادر عودة
٧ ـ الإسلام وأوضاعنا السياسية . . . . عبد القادر عودة
٨ ـ الإسلام (أربعة أجـزاء) . . . . سعيد حوى
٩ ـ السلام العالمى والإسلام . . . . سيد قطب
١٠ ـ منهاج الإسلام فى الحكم . . . . محمد أسد
١١ ـ مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام . . . . دكتور يوسف القرضاوى

سـابعا : الثقافـة التاريخيـة

إن دراسة التاريخ الإسلامى من أهم عوامل تكوين الشخصية المسلمة الواعية ، كما أنها تذكى فى الأمة شعور التميز ، كما تؤصل الصلابة والاستعصاء على كل محاولات الذوبان والتميع .

إن الإنسان المسلم لايستطيع أن يحس بحقيقـة انتمائه وارتباطـه بأمته إلا بعد تفـاعله بحـركتها التاريخية ، كما لايستطيع أن يدرك حقيقة أصالته وعراقته إلا إذا تعرف على أمجاد آبائه وأسلافه .

وعلينا لكى نبلغ هذه الغاية فى دراستنا التاريخية أن نلتفت إلى هذه الحقائق .

- حقيقة الجاهلية العالمية والعربية التى كان يتردى فيها العالم عامة والعرب خاصة قبيل البعثة .
- تكوين الجماعة الإسلامية فى مكـة ، ثم قيام المجتمع المسلم فى المدينة كنموذج تطبيقى لمفهوم الإسلام : دينـا ودولة ، وانطلاقـه لنشر الإسلام وإذاعته والتبشير بـه كرسالـة تقوم على أسس حضارة إنسانية يسود فيها الحق والعدل .
- حقيقة عنصر المقاومة فى حركة التاريخ الإسلامى ، التى تتمثل فى مقاومة القضاء على الإسلام وشجب محاولات التآمر والانتقـاض بالانتصار على القوى الغازية أو تـذويبها فى بوتقته . إن حركة المقاومة فى تاريخ الإسلام تمثل جزءاً هاماً فى كيانه وطبيعته الأساسية ، ومنها يبرز مفهوم الجهاد بوصفه : اليقظة والاستعداد الدائم المستمر فى مواجهة العدو .
- حقيقة فاعلية الإسلام وقدرته المستمرة على تصحيح مجرى حركته ، وتظهر فى السلسلة المتصلة من حركات التجديد والإصلاح وتصحيح المفاهيم .
- حقيقة الحضـارة الإسلامية وآثـارها على الفكر العـالمى ، وحقيقة أن أديان العـالم كلها سبب التخلـف ، إلا الإسـلام فإنـه طريق التقـدم الحضـارى أبداً ، ولـولاه ما كـانت هذه المدنيـة الأوربية .
- سنن الضعف والقوة ، كما تمثلت فى الـواقع التاريخى الإسلامى بـالاقتراب أو الابتعاد عن قيم الإسلام الأساسيـة ، فلم يضعف المسلمون فى مرحلة من مـراحل تاريخهم إلا حين تخلفوا عن

مفاهيم الإسلام وانحرفوا نحو مفاهيم أخرى ، أو انحرفوا عن تكامل مفهوم الإسلام ووسطيته ، أو انحرفوا عن معنى الإيمان الحق وأسباب القوة والوحدة .

- حقيقة الخسائر التي لحقت بالعالم بسبب تخلف وانحطاط المسلمين . وفى سبيل إشباع هذه الحاجة نقترح الكتب الآتية .

١ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .... للسيد أبى الحسن الندوى
٢ ـ تاريخ الاسلام (مجلد) .... الأستاذ أنور الجندى
٣ ـ العواصم من القواصم .... للقاضى ابن العربى
٤ ـ من روائع حضارتنا .... للدكتور مصطفى السباعى
٥ ـ حاضر العالم الاسلامى .... شكيب ارسلان

هذا ، ونحذر من كتب المستشرقين والمبشرين والشيوعيين ومن تربوا فى أحضانهم من المتغربين . فهناك فى تاريخنا مجرمون يصورونهم لنا كأبطال ، وهناك قضايا أساسية كجزء من الإسلام العظيم يصورونها اليوم بشكل بشع مستهجن ، كقضية الخلافة . كما أنهم يحاولون تضخيم بعض الأخطاء وربطها بالإسلام . ويحاولون التأكيد فى دراساتهم التاريخية على توسيع الهوة بين المسلمين وإبراز الفرقة ، ويحاولون تمجيد كل الحركات المنحرفة فى تاريخنا لخدمة اتجاهات كافرة .

ثامنا : التحديات

قد يكون المسلم صالحاً تقياً ورعاً ؛ صواماً قوّاماً ، وفيه غفلة ويسهل أن تدخل عليه حيل أعدائه وتنطلى عليه ألاعيبهم .

ولايقع المسلم فريسة للخداع والتضليل إلا بسبب النقص فى منهج تربيته وتكوينه . إذ لم يزود بسلاح معرفة العدو وأساليبه فى المكر وخططه ومؤامراته على المسلمين وإلحاق الهزيمة بهم ، كما لم يحط علماً بطبيعة المعركة الدائرة رحاها إلى آخر الزمان بين المسلمين وأعدائهم ، وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ .

ولايكيد للمسلمين ولا يتآمر على الإسلام إلا اليهودية ومنظماتها السرية والعلنية كما تتمثل فى الصهيونية والماسونية وبدائلها كنوادى الروتارى والليونز ، والصليبية ومؤسساتها جميعاً ، والشيوعية بفروعها كلها . والدول الاستعمارية بجواسيسها ودوائر استخباراتها . وكل من هؤلاء إلا وله أذناب من أبناء المسلمين لهم أسماء إسلامية وهم منافقون ، ينفذون مايريد أسيادهم من خلال السلطات التى خولها لهم فى الحكم والأحزاب القائمة باتجاهاتها المتعددة الرأسمالية أو الديمقراطية أو الشيوعية أو الاشتراكية أو القومية . ومن خلال هيمنتهم على مؤسسات التربية والتعليم والصحافة والنشر والإعلام .

ويحسن مبدئياً أن نقرأ الكتب الآتية :

١ ـ التبشير والاستعمار	. . . .	د . عمر فروخ ود . مصطفى الخالدى
٢ ـ الغارة على العالم الإسلامى	. . . .	محب الدين الخطيب
٣ ـ بروتوكولات حكماء صهيون	. . . .	ترجمة محمد خليفة التونسى
٤ ـ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر	. . . .	د . محمد حسين
٥ ـ الماسونية فى العراء	. . . .	محمد على الزعبى
٦ ـ حركات ومذاهب فى ميزان الاسلام	. . . .	فتحى يكن
٧ ـ الدبلوماسية والميكيافيلية	. . . .	د . محمد صادق
٨ ـ التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة	. . . .	أنور الجندى

ومتابعة كل ماصدر عن سلسلة « اليهود والعالم » نشر دار النفائس ببيروت ، وكل ما صدر من كتب فى موضوع الغزو الفكرى الصادرة عن دار الدعوة بالأسكندرية ومكتبة وهبه ودار الأنصار ودار الاعتصام والمختار الإسلامى .

ومتابعة المجلات والجرائد الاسلامية الحرة مثل « المختار الاسلامى » فى مصر و « الاصلاح » فى الإمارات و « المجتمع » فى مصر [(١)] ... الخ يعين على معرفة ما يجرى من أحداث على ساحة العالم الاسلامى .

تاسعا : فقة الدعوة والعمل

كتب الإمام الشهيد حسن البنا فى دعامة « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وأثرها فى حماية المجتمعات وصيانتها . يقول رضى الله عنه : (يقظة الرأى العام ، واستقامة العرف فى الجماعة ، ووضوح حدود الخير والشر فى حياتها العامة ، وتقديرها للخير وحرصها عليه ، واحتقارها للشر ونفورها منه » فإذا توفرت هذه المعانى فى أمة من الأمم ، التزم أفرادها فى سلوكهم سبيلا قويمة ، لايحيدون عنها ولاينحرفون فيها ، ولم يكن أمرهم فرطا .

وإذا بدا لأحدهم أن ينحرف عن الطريق المستقيم وزل به قدمه إلى الإثم والخطيئة ، ولم يكن له فى حياة ضميره ، ويقظة شعوره مايردعه أو يرده ، وجد من يقظة الرأى العام ودقة شعور الجماعة ما يدعوه إلى الهدى ويرده عن الردى ويستنقذه من براثن الشر ويأخذ به إلى الصراط المستقيم .

وهذا ما يعبر عنه بلسان العرف الإسلامى « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ولقد وزن القرآن الأمم بهذا الميزان » فإن تمسكته بهذا المعنى وصار خلقاً من أخلاقها وملكة من ملكاتها ، رفعها القرآن إلى أعلى عليين وجعلها خير أمة فى العالمين وقال : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس**

(١) نسأل الله تعالى أن يزيح الغمة ويكشف الكرب حتى يستطيع الاخوان أن يصدروا جريدتهم ودورياتهم الممنوعة .

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١) وإن أهملت أداء هذا الواجب وغفلت عن عظيم أثره فى حياة الأمم والشعوب ، آخذها القرآن بذلك أشد المؤاخذة وقال فى حقها ﴿ **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصموا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ماكانوا يفعلون** ﴾ (٢) .

ولقد قال رسول الله ﷺ فى هذا المعنى ما معناه : « لايكن أحدكم إمعة يقول : إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ، ولكن إذا أحسن الناس فأحسنوا ، وإذا أساؤوا فأرشدوهم وانصحوا لهم » ، ولقد صور النبى ﷺ هذا المعنى تصويراً دقيقاً بديعاً ، وأبان عن أثر الإهمال فى الضرب على أيدى المفسدين بعدوى الحرية الشخصية وضعف سلطان روح الجماعة على أفرادها ، فقال : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا فى سفينة ، فأخذ بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فقال الذين فى أسفلها : لو ثقبنا ثقبا فى قسمنا . نستقى منه الماء ، فلو تركهم الذين فى أعلاها يفعلون هلكوا جميعاً ، وإن منعوهم نجوا جميعاً » .

كما صور مراتب الفتنة وتدرج الناس فى إهمال هذا المعنى فى حديث آخر إذ يقول ﷺ : « كيف بكم إذا طغى نساؤكم ، وفجر شبابكم ، وتركتم جهادكم ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يارسول الله ؟ قال : نعم ، والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ! كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا : وإن ذلك كائن يارسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ! يقول الحق عز وجل : بى حلفت لأفتننهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران » .

فأول الفساد أن تفسد المرأة فيتبعها الشاب ، فتهمل الواجبات فيفسد الفرد ، ويسكت الناس عن الأمر والنهى بل يرون المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، فيأمرون بالأول وينهون عن الثانى ، فيغضب الحق غضبة يتبعها فتنة تدع الحليم فيهم حيران .

فيا أيها المسلمون : أحيوا ضمائركم بالإيمان بالله وحسن مراقبته ، وصونوا مجتمعاتكم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذان هما دعامتا الصلاح والإصلاح ، والله ولى التوفيق (٣) .

إن مهمة دعوة الناس إلى الله وتبليغهم بالإسلام وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر من المهام الأصيلة للمسلم الحق : ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين** ﴾ (٤) .

والمسلم داعية إلى ما عنده لقول الرسول ﷺ : « بلغوا عنى ولو آية » وقال الفقهاء فى هذا المعنى : « إن من تعلم مسألة عليه تبليغها لأنه صار فقيها بها » .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .
(٢) سورة المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .
(٣) حديث الجمعة للإمام الشهيد حسن البنا .
(٤) سورة فصلت : ٣٣ .

وتطبيقاً للقاعدة الأصولية : « مالايتم الـواجب إلا به فهو واجب » فإن دعوة الناس إلى العودة إلى الإسلام وتهيئتهم للنزول على أصوله وأحكـامه من الوسائل التى يتحقق بها قيام المجتمع المسلم واستئناف الحياة الإسلامية . فإذا كان تحقيق قيام المجتمع المسلم واجباً بذاته ، فتصبح تبعاً لذلك كل وسيلة لإقامته وإيجاده واجباً هى الأخرى .

وللدعوة إلى الإسلام أصول وقواعد وأساليب وطرائق ، ولذلك ننصح بالكتب الآتية :

١ ـ رسائل الإمام الشهيد حسن البنا : « دعوتنا » إلى أى شيء ندعو الناس ، نحو النور ، المؤتمر الخامس ، دعوتنا فى طور جديد » إلى الشباب ، هل نحن قوم عمليون ، رسالة التعاليم » .

٢ ـ مذكرات الدعوة والداعية .... للإمام الشهيد حسن البنا

٣ ـ تذكرة الدعاة .... البهى الخولى

٤ ـ طريق الـدعوة .... مصطفى مشهور

٥ ـ الإخوان المسلمون .... محمود عبد الحليم

٦ ـ حسن البنا : مواقف .... عباس السيسى

٧ ـ كيف ندعو إلى الإسلام .... فتحى يكن

٨ ـ مشكلات الدعوة والداعية .... فتحى يكن

٩ ـ ماذا يعنى انتمائى إلى الإسلام .... فتحى يكن

١٠ ـ المنطلق .... محمد أحمد الراشد

١١ ـ أصول الدعوة .... د . عبد الكريم زيدان

ويجب أن تلاحظ الأخت المسلمة أن أولى الناس بالـدعوة هم أهلها وجيرانها ، قال ﷺ : « ما بال قوم لايفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولايعظونهم ولايأمرونهم ولاينهوهم وما بال أقوام لايتعلمون من جيرانهم ولايتفقهـون ولايتعظون ، والله ليعلمن قـوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويـأمرونهم وينهوهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم بالعقاب » .

* * *

عاشـراً : رسـالة البيـت

الأخت المسلمة إنسانة ناجحة كـزوج ، وأم ، وربة بيت ، أو هكذا يجب أن يكون ، فالاسلام ليس مجرد دعوى نظرية لا دليل عليها فى الحياة والسلوك والعمل ... وهى لاتحقق هذا النجاح إلا بالخبرة والعلم فى فن معاملة الزوج وفن تربية الأولاد وفن إدارة البيت .

وحلقـة الأخت المسلمـة لابد أن تشمـل نقل الخبرات التى تؤهـل أخواتنـا لأن يكن زوجـات وأمهات وربات بيوت ناجحات ، فكم من أخت تبدأ حياتها الزوجية دون خبرة فتتخبط فى حياتها وقد تنتهى بالفشل فى معـاملة الزوج وإسعاده ، أو تربية الطفل وإخراجـه للمجتمع المسلم شاباً مؤمناً مجاهداً نافعاً لأمته ، أو ترتيب بيتها والعناية به والقيام على شئونه ...

- ففى معـاملة الزوج : تحتاج الأخت المسلمـة إلى تزويـدها بما ورد فى كتـاب الله وسنة رسـوله ﷺ ومواقف جيل الصحـابيات الجليلات ونسـاء السلف الصالح فى معـاملة الزوج ... كما أنها تفتقر إلى اكتساب خبرات التوافق مع طباع الزوج السوية وتغيير ماتراه يستحق التغيير منها فى لبـاقة وحكمة ، ولإكمال هذا الجانب لابـد من دراسة للكتب النفسيـة المستهـديـة بحقائق الاسـلام عن النفس الانسانية .

- فـى تربيـة الأولاد : يجب أن تشمل حلقة الأخت المسلمة دروساً فى التربية وأساليب تنشئة الأبناء تنشئـة اسلاميـة صالحة ، فهـذا أمر لـه خطره العظيم ، حيث أن نجـاح الأخت المسلمة كأم هو أعظم ما تقـدمه فى بناء المجتمع المسلم المرتقب ، فهى صانعة الرجال الذين بسواعدهـم وجهادهـم يقوم هذا المجتمع .

- وفـى إدارة البيـــت : البيت هو مملكة الأخت المسلمـة بروحها العالية الحانية وجـدها ونشاطها وعلمها وابتكارها يتحول إلى جنة فيحاء تغمرها السعادة والهناءة ...

فمـوازنة الـدخل مع المنصرف ، وابتكار أسـاليب لسد العجـز فى موازنـة البيـــت ، والمسـاهمة بإيجاد دخل عن طـريق أعمال الحياكـة والتطريـز فى المنزل ، وتـدبير أكلات رخيصة والاكتفـاء فى صناعة مـلابس أفراد البيت وفـراشه داخليـاً ... مثل هـذه الأمـور أصبحت ضرورة لابد أن تتضمنهـا حلقة الأخت المسلمة بالدراسة فى أحد كتب الاقتصاد المنزلى ... هذه كلها أساسيات اغفلتها حلقات الأخوات .

إن التربية العمليـة للأخوات كزوجـات وأمهات وربات بيوت أمـر حيوى وخطير يتـوقف عليه قيـام عـلاقات سـويـة تؤدى إلى قيـام البيت المسلم بوظيفته ورسالته .

ونقترح هذه الكتب للدراسة :

١ ـ المرأة فى التصور الإسلامى .... للأستاذ عبد المتعال الجبرى
٢ ـ المرأة بين الفقه والقانون .... الدكتور مصطفى السباعى
٣ ـ أخلاقنا الاجتماعية .... الدكتور مصطفى السباعى
٤ ـ السلوك الاجتماعى فى الإسلام .... الشيخ حسن أيوب
٥ ـ تحفة المودود فى أحكام المولود .... للإمام ابن القيم
٦ ـ العشرة الطيبة .... للأستاذ محمد حسين
٧ ـ منهج القرآن فى التربية .... للأستاذ محمد شديد
٨ ـ منهج التربية الإسلامية (جزءان) .... للاستاذ محمد قطب
٩ ـ تربية الأولاد فى الإسلام (جزءان) .... للدكتور عبد الله علوان
١٠ ـ كيف نربى أولادنا ؟ .... للأستاذ حسن العشماوى
١١ ـ تربية الناشىء المسلم .... للدكتور على عبد الحليم محمود
١٢ ـ اقتصاد البيت المسلم فى ضوء الشريعة الإسلامية .... للدكتور حسين شحاته

* * *

نصائح عامة

- لابد للأسرة المسلمة من وجود مكتبة إسلامية مناسبة حسب طاقتها المالية .

إن وجود الحد الأدنى من الكتب التى تعين على تحقيق أهداف التربية المثلى والثقافة الصحيحة داخل الأسرة ضرورى كضرورة المأكل والملبس . فإذا كان رب الأسرة يكدح فى سبيل توفير الراحة والسعادة المادية لزوجته وأولاده ، فلابد أن يستكمل جهاده النبيل بتوفير الحياة الروحية والفكرية لهم . وتهيئة الثقافة الإسلامية الرصينة أمامهم حتى يغترفوا منها ، ويصطبغوا بصبغتها الربانية .

- كل جوانب الثقافة الإسلامية التى ذكرناها آنفا ضرورية للمسلم ، وأى تفريط فى أى جانب منها إنما يكون على حساب العمل أو الوعى أو سلامة العقيدة أو سلامة السير أو حكمة الدعوة والحركة .

ولكن القدر الذى ينبغى أن يستوعبه كل مسلم من هذه الجوانب يختلف باختلاف حال المسلم من حيث النشاط والذكاء وجودة الفهم والإيمان والمربى حكيم يعطى كل إنسان ماينا سبه ثم يتدرج به حسب مستواه ، فمنهم من يؤمر بقراءة كتاب ، ومنهم من يتدارس معه ومنهم من تكفيه جلسة لكل جانب . مع ملاحظة الابتداء مع كل إنسان بالأهم فالمهم .

- إن درساً أو جلسة علمية فى الأسبوع لاتكفى لأخذ ثقافة إسلامية كاملة ، لذلك لابد من المطالعة الشخصية لمن يستطيعها ولابد من المدارسة فى علوم معينة لاتؤخذ إلا بواسطة التلقى كالفقه والتجويد .

- يجب الاهتمام بحفظ مجموعة من قصائد وأناشيد الدعوة الإسلامية ، لأشعال شعور الحماسة للقضية الإسلامية وإحياء حاسة التذوق الأدبى . كما يجب تخصيص بعض الوقت للقراءة بصوت عال لتدريب اللسان والتعود على النطق بالفصحى .

- إن تحديات حياتنا الحاضرة ، ومضامين جوانبها المنحرفة من القوة بحيث يجب أن يضربها . فندحرها قبل أن تهزمنا وتطغى علينا وعلى أهل بيتنا ، وذلك يكون عن طريق المعايشة الكاملة المستمرة للاسلام وحياته ، وتكون بناء عائلى مؤمن يقتل كل جرثومة تدخل فى تكوين أفراد البيت من أول يوم ، وتحصنهم تحصين الجندى الصامد فى خندقه أمام أعدائه بفضح الثقافة الدخيلة والسياسية الانهزامية العميلة . هذا وليس أشد خطراً الآن على البيوت المسلمة من التلفزيون : ذلك الجرثوم الخبيث .

إن التليفزيون ببرامجه الحاضرة مدرسة للرذيلة لا للتوجيه ... فبرامج للرقص الداعر ، والفكاهة التافهة المبتذلة ، والدعاية لكل ألوان الفساد والانحلال ، غدت دروساً شيقة ممتعة تلتقى عندها الأسر كل مساء وحتى ساعة متأخرة من الليل دونها شعور بخطر « الأفعى » تنفث سمها الزعاف فى النفوس والعقول والأجسام . ففى سبيل المتعة والتسلية البريئة يتعلم الناس فنون الخداع واللصوصية والإجرام ، ولتقتل الأوقات وهى أعمار الناس ، ولتدمر الصحة بالسهر ، وليقضى على مستقبل الناشئة بإهمال واجباتهم . ثم لينشأ جيل تربى فى مستنقع آسن لم ير فيه إلا مظاهر العربدة والتخنث والفجور .

فاحذرى أيتها الأخت المسلمة هذا الملعون ببرامجه على نظام الحياة فى بيتك ، وعلى طهارة جوه ونظافته ... إنهما نقيضان لايجتمعان فى بيت مسلم الملاك والشيطان ، الصلاح والفساد ، نور القرآن وظلمات التليفزيون .

● وننصح الأخت المسلمة بما يلى [1] :

١ ـ أن يكون لها ورد يومى من كتاب الله وأن تحسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر فى معانية .

٢ ـ أن تكون صادقة الكلمة فلا تكذب أبداً .

٣ ـ أن تكون شديدة الحياء ، دقيقة الشعور ، عظيمة التأثر بالحسن والقبح تسر للأول وتتألم للثانى ، وأن تكون متواضعة فى غير ذلة ولاخضوع ولا ملق .

٤ ـ أن تكون عادلة صحيحة الحكم فى جميع الأحوال لاينسيها الغضب الحسنات ، ولاتغضى عين الرضا عن السيئات ولاتحملها الخصومة على نسيان الجميل وتقول الحق ولو كان على نفسها أو على أقرب الناس إليها وإن كان مراً .

٥ ـ أن تكون رحيمة القلب كريمة سمحة تصفو وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالإنسان والحيوان ، جميلة المعاملة حسن السلوك مع الناس جميعاً ، محافظة على الآداب الإسلامية الاجتماعية فترحم الصغير وتوقر الكبير ، ولاتتجسس ولاتغتاب ولاتصخب .

٦ ـ أن تجيد القراءة والكتابة وأن تكثر من المطالعة فى رسائل الإخوان وجرائدهم ومجلاتهم وكل المطبوعات التى تنتهج تهجم فى فهم الإسلام والعمل له .

٧ ـ أن تخدم الثروة الإسلامية بتشجيع المنتجات الإسلامية ، وأن تحرص على القرش فلا يقع فى يد غير إسلامية ، فلا تأكل ولاتلبس إلا من صنع وطنها الإسلامى .

٨ ـ أن تدخر للطوارىء جزءا من دخل البيت مهما قل وألا تتورط فى الكماليات .

(١) عن رسالة التعاليم للإمام الشهيد حسن البنا .

٩ ـ أن تعمل على إحياء العادات الإسلامية و إماتة العادات الجاهلية فى كل مظاهر الحياة ، وأن تتحرى السنة المطهرة فى كل ذلك .

١٠ ـ أن تديم مراقبة الله تبارك وتعالى وتـذكر الآخرة وتستعد لها وتقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمة وعزيمة وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة ومن ذلك صلاة الليل وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل والاكثـار من الذكـر القلبى واللسانى وتحرى الدعـاء المذكور فى كل حال .

١١ـ أن تحسن الطهارة وأن تظل على وضوء فى غالب الأحيان .

١٢ ـ أن تجدد التوبـة والاستغفار دائماً وأن تتحرز من صغائر الآثام فضـلا عن كبارها ، وأن تجعل لنفسها ساعة قبل النوم تحاسبها فيها على ما عملت من خير أو شر ، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءاً منه فى غير فائدة وأن تتورع عن الشبهات حتى لاتقع فى الحرام .

* * *

فهـــــرس الكتـــــاب

الموضـــــوع	الصفحة
● الإهداء	٦
● المقدمة	٧
● ماذا نريد ... للإمام البنا	١١
القسـم الأول	
الأسـرة المسـلمة بيـن البنـاء والهـدم	
● **الفصـل الأول**	١٥
الأسرة فى القرآن الكريم	١٥
ـ أصل الأسرة ومكانتها فى الاسلام	١٥
ـ خصائص التنظيم القرآنى للأسرة	١٨
ـ أهداف الأسرة القرآنية	٢٢
ـ المرأة أساس البيت	٣٢
ـ المرأة المسلمة للإمام البنا	٣٧
● **الفصـل الثانـى**	٤٧
مخططات الهدم اليهودى والصليبى للأسرة المسلمة	٤٧
ـ المخطط اليهودى	٤٧
ـ المخطط الصليبى	٥١
ـ حركة تحرير المرأة	٥٤
ـ فلسفة تحرير المرأة فى الغرب	٥٦
ـ حركة تحرير المرأة فى مصر	٥٩
ـ رفاعة الطهطاوى	٦٠
ـ قاسم أمين	٦٢
ـ زعامات الحركة النسائية فى مصر	٧٠
ـ هدى شعراوى	٧٠

- سيز نبراوى ٧٢
- درية شفيق ٧٣
- ثورة يوليو تحقق الأهداف ٧٦
- الحصاد المر ٨١

● الفصـــل الثالـــث : ٨٧
الأســرة المسـلمة علـى مفتـرق طريقيـن ٨٧
- مفاهيم وشبهات فى طريق المرأة المسلمة ٨٨
أولاً : التقدم والتطور ٨٨
ثانيـــاً : عمل المرأة ١٠٠
ثالثـــاً : المساواة و إسقاط القوامة ١٠٦
رابعـــاً : تحديد النسل ١١٤
خامساً : تعدد الزوجات ١٢٣
سادسـاً : الطلاق ١٣٠
سابـعاً : الحجاب ١٣٤
- على مفترق طريقين ١٤١

القسـم الثانـى
الأســـرة المســـلمة
كما يجــب أن تكــون

● الفصـل الأول ١٤٧
أسـس تكويـن الأسـرة المسـلمة ١٤٧
- الزواج ... وشروط انعقاده ١٤٧
- الزواج ... أسراره وأهدافه ١٥٠
- الزواج وفطرة الكون ١٥٠
- الزواج للفرد والمجتمع ١٥٠
- وجوب الزواج فى الاسلام ١٥٣
- الامتناع من الزوج ١٥٤
- الاختيار فى الزوجية وأسسه ١٥٨

ـ الخطبة ١٦٦
ـ المهر ١٦٨

● الفصل الثانى : ١٧١
العلاقات الأسرية فى ضوء القرآن الكريم ١٧١
ـ قداسة الروابط بين أفراد البيت ١٧١
ـ حقوق الزوجة ١٧٤
ـ حقوق الزوج ١٧٨
ـ تنظيم علاقة الآباء والأبناء ١٨٦
١ ـ واجب الآباء نحو الأبناء ١٨٦
٢ ـ واجب الأبناء نحو الآباء ١٩٠
خاتمة ١٩٥

● الفصل الثالث : ١٩٩
قوانين الأسرة القرآنية ١٩٩
فى النظافة والطهارة ـ فى الترتيب وحسن الهندام ـ ١٩٩
فى خفض الصوت ـ ٢٠٠
فى تنظيم العلم والعبادة ـ ٢٠١
فى الاقتصاد فى المعيشة ـ فى العلاقات ـ ٢٠٢
فى العناية بالصحة ـ فى حماية البيت ـ ٢٠٣
فى إكرام الضيف ـ فى آداب الدخول والخروج ٢٠٤

● الفصل الرابع ٢٠٧
من أسرار التربية السليمة ٢٠٧
ـ أسس التربية السليمة ٢٠٧
ـ مبادىء الصحة النفسية للطفل ٢٠٩
ـ مبادىء التربية العقلية ٢١١
ـ مبادىء التربية الروحية ٢١٣
ـ مبادىء التربية الخلقية ٢١٤
ـ التميز ثمرة التربية القرآنية ٢١٧
ـ تميز المسلم فى أهدافه وغاياته ٢١٧
ـ تميز المسلم فى طريقه ٢١٩

- مخالفة الكفرة والمشركين ٢٢٠
- تحليل عملية التقليد ٢٢٤
- واجبنا فى العادات واللباس والمظهر للإمام البنا ٢٢٤

القسم الثالث
الأخوات المسلمات
مكانة ... ودوراً

● الفصل الأول : ٢٣١

نظرة تاريخية ٢٣١

- نشأة فرقة الأخوات المسلمات ٢٣١

أ - الغرض من تكوين الفرقة ٢٣٢

ب - وسائل الفرقة ٢٣٢

جـ - نظام الفرقة ٢٣٢

- الأخوات المسلمات فى القاهرة ٢٣٣
- أثر الأخوات المسلمات فى المرأة المصرية ٢٣٦
- الوصايا العشر ٢٣٧
- نداء عام للأخوات المسلمات ٢٣٨
- جهود الأخوات المسلمات نحو الإخوان فى السجون ٢٣٩
- وصايا قسم الأخوات المسلمات ٢٤٠
- وصايا عامة ٢٤٠
- من وصايا الحاجة زينب الغزالى ٢٤٢
- وصايا فى حديث صحفى للسيدة علية الهضيبى ٢٤٤
- وصايا فى حديث صحفى للسيدة أحلام حسن ٢٤٦
- وصايا فى حديث صحفى للسيدة وفاء مشهور ٢٤٩
- وصايا فضيلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب ٢٥٢

● الفصل الثانى : ٢٥٧

واجبات الأخت المسلمة ٢٥٧

- أولاً : لدينها ٢٥٧
- ثانياً : لعقلها ٢٥٨

- ثالثاً : لبيتها ٢٥٩
- رابعاً : لمجتمعها ٢٦٠
- خامساً : القدوة الحسنة ٢٦٠
- سادساً : نشر الدعوة ٢٦١

● الفصل الثالث : ٢٦٣
حسن البنا في بيته ٢٦٣
- دعاء ... معه الاجابة ٢٦٣
- الوالد المكافح ٢٦٣
- الابن البار ٢٦٥
- الزواج ٢٧٢
- حسن البنا الزوج ٢٧٦
- حسن البنا ... الأب والانسان ٢٧٧
- حسن البنا ... المربى ٢٧٩
- عمر التلمسانى والأسرة السعيدة ٢٩٠

● الفصل الرابع : ٢٩٥
الأخوات المسلمات ... مواقف في سبيل الله ٢٩٥
١ - موقف أم ٢٩٥
٢ - موقف أخت عاملة ٢٩٧
٣ - موقف زوجة ٢٩٧
٤ - موقف عروس ٢٩٧
- أمينة على ... وقيادة الأخوات من سرير المرض ٢٩٩
- آمال العشماوى ... مثل للفداء والفناء فى سبيل الله ٣٠٣
- أمينة قطب ... وملحمة الحب العظيم ٣٠٩
- زينب الغزالى ... والصمود فى مواجهة الطاغوت ٣١٨
- أم معاذ ... وذكاء أجهزتنا الأمنية ٣٣٠
- مواقف ... آل بيت الهضيبى ٣٣٣

● الفصل الخامس : ٣٤٣
منهج تكوين الأخت المسلمة ثقافياً وروحياً ٣٤٣
- حلقة الأسرة المسلمة ... ما هي ؟ ٣٤٣

ـ أبواب المنهج : ٣٤٤
ـ أولاً : العقيدة ٣٤٤
ـ ثانياً : فقة العبادة ٣٤٧
ـ ثالثاً : القرآن الكريم وعلومه ٣٥٠
ـ رابعاً : السنة المطهرة ٣٥٥
ـ خامساً : السيرة النبوية الشريفة ٣٥٧
ـ سادساً : أصول الاسلام كنظام اجتماعى ٣٥٨
ـ سابعاً : الثقافة التاريخية ٣٥٩
ـ ثامناً : التحديات ٣٦٠
ـ تاسعاً : فقه الدعوة والعمل ٣٦١
ـ عاشراً : رسالة البيت ٣٦٤
ـ نصائح عامة ٣٦٦

فهرس الكتـــاب ٣٦٩